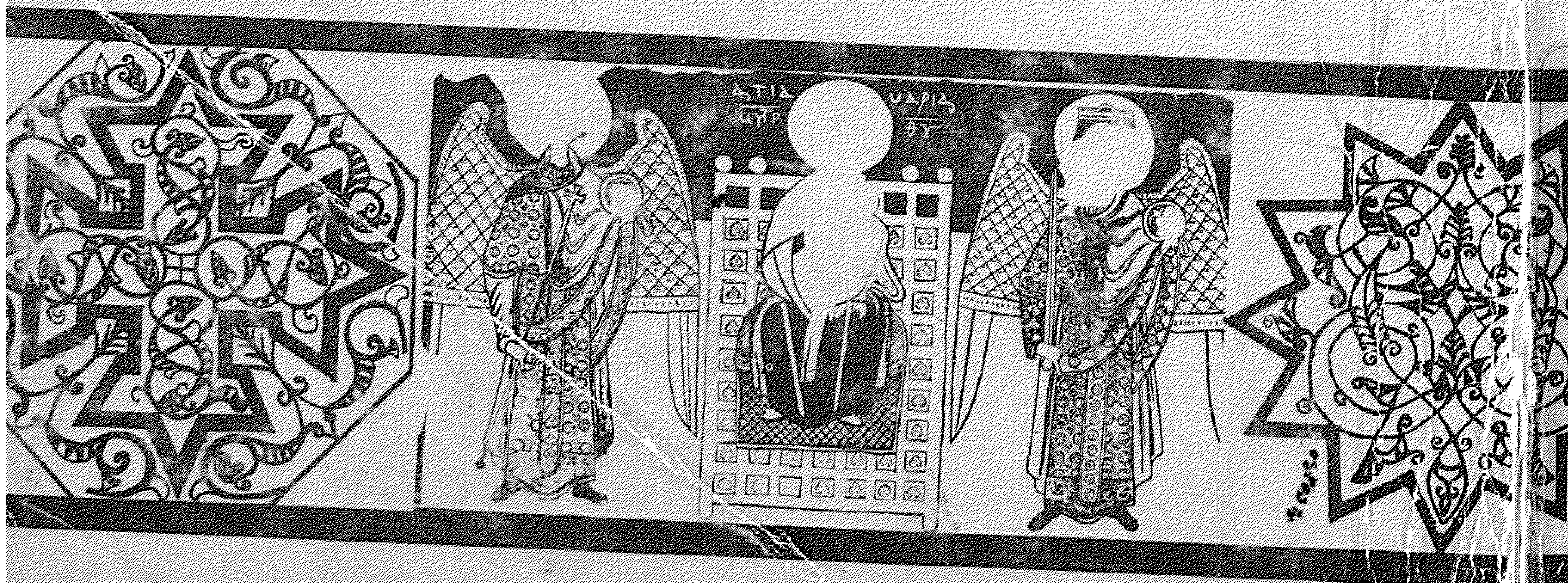
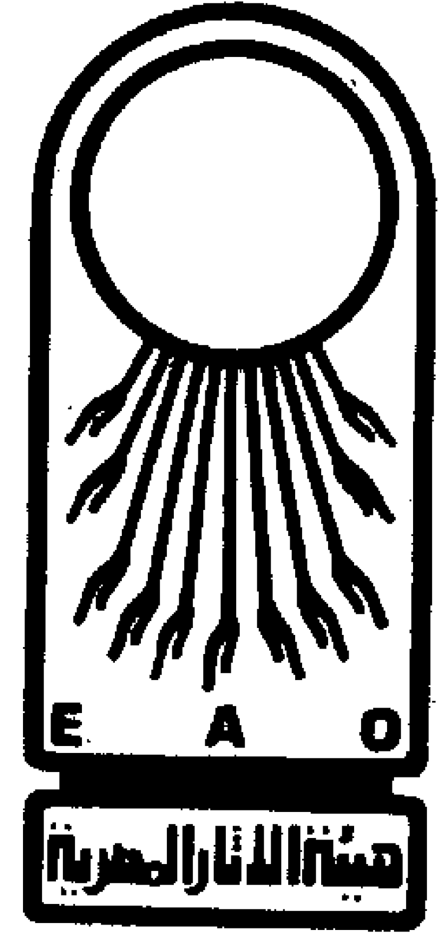
نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثرية والتاريخية
مشروع المائة كتاب

11

دراسات فى العمارة والفنون القبطية

تأليف
د. مصطفى عبد الله شيحة





وزارة الثقافة
هيئة الآثار المصرية

تصميم وتنفيذ : آمال محمد صفوت الألفى
مطبعة هيئة الآثار المصرية

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب

11

دراسات فى العمارة والفنون القبطية

تأليف
د . مصطفى عبد الله شيحة

أهدى هذا الكتاب

إلى زوجتي أمينة : إعترافا بفضلها

إلى إبني أيمن

إلى إبنتي نجلاء

مقدمة

شهدت مصر بلدنا العظيم حضارات متصلة متتالية ، كان فيها للإنسان المصرى دوره العظيم فى صُنع حضاراته المتتالية ، وعرف خلالها طريقة إلى التوحيد والايمان . ومن المعروف أن مصر مرت بفترات طويلة من الحضارة والازدهار ، ورغم الوثنية التى سادت فترة من تاريخ مصر القديم ، فإن الإنسان المصرى القديم ظل فى صراع خفى مع نفسه ، وهو يبحث عن وحدانية الله ، حتى استطاع قرب نهاية الحضارة المصرية القديمة أن يحقق هدفه الروحى المنشود ، ثم كان بعد ذلك شعب مصر ، أول شعوب العالم التى ترحب بالمسيحية دينا ، وأن يُسرع هذا الشعب فى اعتناق المسيحية ، وأن يكون أيضا أول شعوب العالم فى تحمل الآلام وفى الزود عن هذا الدين الجديد ، مهما تحمل من معاناة وقاسى من التضحيات ، حتى أصبح الدين المسيحى هو الدين الرسمى فى القرن الرابع الميلادى ، وحتى حين رسخت المسيحية صارع الأقباط من جديد فى مواجهة الدولة البيزنطية فى سبيل الخلاف المذهبى .

ثم كان الفتح الإسلامى لمصر عام ٢١هـ / ٦٤٠م ، لتبدأ مصر به عهدا جديدا من السماحة والرضا والخير حتى انتشر الدين الجديد سريعا ، وقد سارع أقباط مصر فى مساعدة الجيوش العربية القادمة فى فتح مصر وهم ينتقلون من موقع إلى موقع ومن بلد إلى بلد .

والواقع أن اهتمامى بدراسة الآثار القبطية وفنونها ، يرجع إلى فترة طويلة منذ أن تخرجت من قسم الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، وعينت فى هيئة الآثار المصرية عام ١٩٦٧ كمفتش للآثار الإسلامية والقبطية ، فى منطقة مصر القديمة والفسطاط ، وهى منطقة أثرية هامة ضمن المناطق الأثرية العديدة فى

بلدنا ، حيث يوجد بها أكثر من عشر كنائس قديمة ، وكان الأمر غريبا بالنسبة لى فى هذا الوقت ، خاصة وأنه لم يتاح لنا خلال دراستنا الالمام بشىء يسير عن الآثار القبطية ، وبالتالى وجدت لزاما على محاولة دراسة هذه العمائر حتى تكون صورتها واضحة أمامى .

كذلك إشتركت خلال عملى ، مع بعض البعثات العلمية الأجنبية ، والتى تعمل فى مجال الحفر فى مواقع إسلامية ومسيحية ، لاسيما بعثة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، فى منطقة القلايا بمحافظة البحيرة ، وهى منطقة مسيحية هامة ، تخفى كيمانها العديد من العمائر القبطية الدينية لأقباط مصر ، وكان هذا الأمر أيضا غريبا بالنسبة لى ، فى ذلك الوقت ، وكان حافزا أيضا للعمل فى هذا النوع من الفنون والعمارة .

لذا فقد تقدمت فى عام ١٩٦٩ بتسجيل رسالتى للماجستير ، فى موضوع يتعلق بعمارة وفنون كنائس منطقة مصر القديمة ، وحصلت على درجة الماجستير فى عام ١٩٧٤ . وخلال فترة الإعداد للماجستير كنت قد جمعت مادة علمية كبيرة عن العمائر الدينية القبطية ، ومن ثم فقد تقدمت فى عام ١٩٧٥ ، بتسجيل رسالتى لدرجة الدكتوراه عن العمائر القبطية فى محافظة قنا بمصر ، إذ أنه يوجد بهذه المحافظة أديرة وكنائس عديدة ، لم يكتب عنها إلا القليل ، لاسيما ما كتبه بعض العلماء الأجانب وعدد قليل من العلماء المصريين ، مما يجعل المكتبة العربية فقيرة للغاية فى هذا النوع من الدراسة عن آثارنا ، كما أن الاشارات التاريخية التى وردت فى مؤلفات المؤرخين خلال العصر الاسلامى ، قليلة أيضا عن هذه الكنائس والأديرة الهامة .

والواقع أن كنائس وأديرة محافظة قنا ، تقع فى أماكن بعيدة ونائية فى الصحراء ، بل ويتعذر الوصول إليها ، وقد كان هذا الأمر شاقا بالنسبة لنا ، وإن كانت المساعدات التى حظيت بها من الأخوة من رجال الدين من الأقباط ، قد سهلت لنا ، هذا العمل إلى حد كبير ، حتى حصلت على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٩ .

والحق أننى أقدم للقارئ هذا العمل المتواضع ، والذى يجمع بين دراسة تاريخية وأثرية للكنائس فى منطقة مصر القديمة وكنائس وأديرة محافظة قنا فى عمل واحد

موجز قدر الامكان ، دون الدخول فى كثير من التفصيلات والتى وردت فى رسالتىّ الماجستير والدكتوراه .

وقبل أن نتعرض لأبواب وفصول هذا الكتاب فإنه يجب الاشارة إلى بعض أسماء المؤرخين فى العصر الاسلامى ، والذين كانوا هم المصدر الأساسى لمعرفة بعض المعلومات ، عن هذه الكنائس والأديرة من أمثال أبى صالح الأرمنى والمقريزى والقلقشندى وابن العميد والشابشتى وابن تغربردى والادفوى وابن المقفع (ساويرس) ، والصفدى وغيرهم من المؤرخين الذين أفردوا بعض صفحات مؤلفاتهم لذكر شىء عن هذا الموضوع ، أو أفردوا مؤلفات كاملة فى خطط الكنائس والأديرة المصرية .

هذا وقد أسهم كثير من العلماء والباحثين الأجانب فى تغطية فروع مختلفة تتعلق بالفن القبطى ، سواء فى مجال العمارة أو فى مجال الفنون الفرعية لهذا الفن ، منهم مونريه دى فيلارد Monneret de Villard ، وايفلين هوايت Evelyn,W ، وألفريد بتلر Butler,A ، وسومرز كلارك Clarke,S ، وميناردوس Meinardus,O ، وجاييه Gayet,Al ، ولورى Letoy,J ، وأنثونى دى كوسون Anthony de cosson ، وبلزونى Belzoni,G ، ودى بورجييه Bourguet,P ، وبتشر Butcher وكليدات Cledàt,J وغيرهم من العلماء والباحثين والرحالة ، الذين أسهموا قدر جهدهم وتخصصهم فى هذا المجال الهام من الدراسات الأثرية ، رغم ما يتخلل كتاباتهم من وجهة نظر معينة فى بعض الأحيان . كذلك تعرض لموضوع الفن والعمارة القبطية ، بعض العلماء المصريين ، والذين ساهموا بجهد واضح فى هذا المجال منهم الدكتورة سعاد ماهر محمد والدكتور أحمد فخرى والدكتور باهور لبيب والدكتور حشمت مسيحة ، والدكتور لبيب حبشى والأستاذ فكتور جرجس والمرحوم مرقس سميكة وفؤاد فرج وسليم سليمان وغيرهم من العلماء والباحثين .

ولقد قدم بعض رجال الدين فى الكنيسة المصرية ، بعض المؤلفات التى يمكن الاعتماد عليها فى هذا الموضوع من الدراسة خاصة الأب متى المسكين ، الذى أسهم إسهاما واضحا فى هذا الموضوع من الناحية الدينية ، وفيما أضفاه على فن عمارة الكنيسة والدير ، والأنبا إغريغوريس والأنبا انطونيوس الدويرى ، وغيرهم من رجال الدين من الأقباط .

ولعل سيرة الرهبان من الرعيل الأول ، كانت من أهم المصادر التاريخية والدينية ، التى ألقت الضوء على حركة تعمير الكنائس والأديرة ، فى مناطق مختلفة فى مصر ، إذ أن مصر كانت فى مقدمة البلاد التى عرفت نظام الرهبنة بفروعها المتعددة ، ومنها انتقل هذا النظام إلى سائر دول العالم .

ينقسم هذا الكتاب إلى ثمانية أبواب ، هى بمثابة موجز لرسالتىّ الماجستير والدكتوراه وقد عرضت فيهما لجوانب تاريخية وأثرية ومعمارية وزخرفية ، وفيما يلى عرض موجز لمحتوياتهما :

الباب الأول : يتناول هذا الباب تاريخ وعمارة الكنيسة والدير فى مصر حتى نهاية العصر الفاطمى فيتعرض الفصل الأول منه ، إلى تاريخ وعمارة الكنيسة والدير حتى الفتح الاسلامى لمصر ، وهى فترة طويلة ، شهدت بداية انتشار الدين المسيحى ، وأيضا بداية الصراع بين الوثنية والمسيحية وكان صراعا طويلا وشاقا ومريرا ، فقد قاسى شعب مصر فى ذلك الوقت صنوف مختلفة من العذاب على أيدى الرومان والبيزنطيين . لقد انتشرت المسيحية فى مصر اعتبارا من النصف الأول من القرن الأول الميلادى على وجه الترجيح ، وكان للقديس مرقس دوره الكبير فى هذا الصدد ، وقد دفع حياته ثمنا لإطلاق الشرارة الأولى نحو الدين الجديد فى مصر . وفى هذه الفترة كان اضطهاد الرومان على أبشع صورة للمصريين ، وان كان هذا الاضطهاد لم يمنع من أن تنتشر المسيحية فى مصر وأن تواصل انتصارها على الوثنية ، حتى أُعترف بالدين المسيحى دينا رسميا ، وفى هذه الفترة أيضا بدأت الرهبنة التى تحولت بعد ذلك إلى نظام ثابت للديرية ، وكان فى هذه الفترة أيضا الرعيل الأول من رهبان مصر والذين قدموا مثلا متكاملا لمناهج الرهبنة بأنواعها فى العالم المسيحى كله .

على أن هذه الفترة الطويلة ، ورغم ما حفلت به من أحداث خطيرة ، فى تاريخ المسيحية فى مصر ، فإنه من الصعب على الباحث أن يلم بحركة التجديد والتعمير والانشاء فى الكنيسة المصرية ، وهو الأمر الذى حاولت فيه قدر جهدى ، رغم قلة المراجع والمؤلفات .

أما الفصل الثانى لهذا اباب ، فقد تعرضت فيه لتتبع حركة التجديد والتعمير والانشاء فى الكنيسة والدير فى مصر وهو تاريخ وعمارة الكنيسة والدير فى

مصر حتى نهاية العصر الفاطمى . والحق أن الصورة العامة عن ذلك ، كانت واضحة إلى حد كبير ، فكثير من المراجع والمؤلفات التى كتبت خلال الحقب المختلفة فى العصر الاسلامى بمصر ، كانت وفيرة ، سواء فيما كتبه بعض من المؤرخين أو من رجال الدين المسيحى أو من غيرهم ، بحيث أصبحت الكنيسة المصرية تتمتع بحرية أكبر ويحظى رجالها باحترام وتقدير من قبل الحكام والخلفاء والسلاطين والولاة فى المجتمع المصرى ، هذا وقد إشتمل هذا الفصل ، على أهمية الكنيسة والدير خلال فترة العصر الفاطمى ، من خلال التعرض لجوانب عديدة أفردتها كتب المؤرخين والرحالة ورجال الدين من الأقباط .

الباب الثانى : يشتمل هذا الباب على دراسة معمارية بحتة ، تتناول التخطيط المعمارى للكنيسة عامة والدير ومشتملاته ، فالفصل الأول منه ، يتعرض لتخطيط الكنيسة المسيحية البازيليكية والبيزنطية والقبطية ، حيث وضح أن التخطيط المعمارى القبطى فى الكنيسة يختلف إلى حد كبير عن التخطيط المعمارى فى الطرازين السابقين ، البازيليكى والبيزنطى . أما الفصل الثانى من هذا الباب فيشتمل على ذكر مشتملات الدير وعناصره المعمارية ، والحق أن المؤرخ أبى صالح الأرمنى ، قد أشار بإسهاب من خلال حديثه عن بعض الأديرة المصرية ، إلى بعض العناصر المعمارية ، والتى يبرز منها إستخدامه لمصطلح «الرواق» فى إطلاقه على البلاطة المتعامدة على الهيكل فى الكنيسة ، بدلا من استخدام لفظ «الجناح» ، الذى يطلق حاليا فى الكنيسة على البلاطة كترجمة للفظة الأوربية ، بينما يكون الرواق فى المسجد ، مكوناً من عدة بلاطات ، وهو فى الكنيسة عبارة عن بلاطة واحدة .

والواقع أن الأديرة المصرية ، تميزت بتكامل عمارتها المتعددة ، والتى اشتملت على أبنية عديدة ، فهى بتخطيطها المعمارى ، تختلف كثيرا عن الأديرة الأخرى خارج مصر .

الباب الثالث : يتناول هذا الباب كنائس منطقة مصر القديمة ، التى تعد من أهم الكنائس المصرية ، نظرا لما ارتبطت به هذه الكنائس من أحداث دينية مختلفة . ولقد كان هذا الموضوع هو ما تقدمت به فى رسالتى للماجستير حيث يقع فى ثلاثة أجزاء ، وقد اضطررت إلى إيجازه فى باب واحد فى هذا الكتاب . لذلك فإن

الفصل الأول يتناول تاريخ وعمارة كنائس هذه المنطقة بايجاز شديد ، خاصة وأن نشر التخطيطات المعمارية لهذه الكنائس ، والتى بعضها ينشر لأول مرة ، قد تفى باعطاء صورة عامة لتخطيط الكنيسة ذاتها ، فضلا عن وجود الوصف المعمارى الموجز لعمارتها ، وأهم خصائصها المعمارية ، فضلا عن بعض النقاط التاريخية عنها .

أما الفصل الثانى لهذا الباب ، فيتناول دراسة موجزة لزخرفة الأخشاب والفرسكو بهذه الكنائس وهى التى إشتهرت بوجود الأحجبة الخشبية ، التى تفصل بين الهياكل الثلاثة فى الناحية الشرقية ، عن سائر أجزاء الكنيسة فى الناحية الغربية ، وقد كان استخدامها فى العصر الاسلامى وليد مؤثرات دينية ومعمارية وزخرفية ، كما اشتهرت هذه الكنائس أيضا ببقاء بعض زخارف الفرسكو ذات الموضوعات الدينية على جدرانها وأعمدتها ودعائمها ، كما فى كنائس المعلقة وأبى سرجة والأنبا شنودة وأبى السيفين . وتشكل هذه الزخارف المنفذه بأسلوب الفرسكو ، طرازا هاما فى المدرسة الفاطمية فى مجال التصوير فى ذلك العصر .

الباب الرابع : يختص هذا الباب بفصلية ، بجانب تاريخى يتناول نبذة تاريخية عن أديرة محافظة قنا ، حيث كان موضوع هذه الأديرة ، هو رسالتنا لدرجة الدكتوراه . وقد أوجزت فى الفصل الأول من هذا الباب ، ذكر فكرة تاريخية عن سبعة أديرة بمركز نقادة هى : دير الملاك ميخائيل ، ودير الصليب ، ودير القديس أندراس الملقب بأبى الليف ، ودير القديس (مار) جرجس المعروف بدير المجمع ، ودير القديس بيسنتاؤس ، ودير مار بقطر ودير الملاك ميخائيل بقامولا .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب ، تناولت فيه أيضا ، فكرة تاريخية موجزة عن ديرين ياسنا الأول ، دير الأنبا ميتاؤس المعروف بدير القديس الفاخورى بأصفون ، والثانى دير القديس آمونيوس المعروف بدير الشهداء ياسنا .

الباب الخامس : يتناول هذا الباب التخطيط المعمارى وكذلك الوصف المعمارى لكنائس الأديرة الباقية بنقادة ونجع حمادى والأقصر ، والمدن الثلاث السابقة ، قد تبقى من عمائرها القبطية كنائس ومنشآت دينية أخرى هامة فى مجال الدراسة .

الباب السادس : يشتمل هذا الباب على دراسة معمارية لدير مارجرجس المعروف

بدير المجمع الذى يتوسط أديرة منطقة نقادة ، وهو دير هام ، إشتمل على كنائس وملحقات عديدة ، وقد عرضت لدراسة هذا الدير من الناحية المعمارية ، من خلال التخطيطات التى نشرت عنه فى القرن الماضى وبداية هذا القرن مع عمل تخطيط معمارى جديد لحالة الدير وخرائبه الآن .

كما يشمل هذا الباب فى الفصل الثانى ، على دراسة معمارية أيضا لدير ماربقطر ودير الملاك ميخائيل فى منطقة قامولا ، مع رسم أو مخطط جديد لحالة كل منها الآن .

الباب السابع : الواقع أن هذا الباب من الكتاب يشمل على دراسة مفصلة إلى حد ما ، لأديرة مدينة إسنا بمحافظة قنا ، فالفصل الأول يتناول بالوصف المعمارى والتخطيط دير الأنبا ميتاؤس المعروف بدير الفاخورى بأصيفون ، وهو دير من أكبر أديرة محافظة قنا ، ولازال باقيا به إلى اليوم الكثير من وحداته المعمارية المختلفة ، والتى تحمل أيضا طابع التجديد فى معالمها القديمة ، فضلا عن زخارف مائية هامة تؤرخ كنيسة هذا الدير الأصلية . وقد رسمت تخطيطا معماريا جديدا لكل أبنيته ووحداته المعمارية المختلفة ، وبالتالى وصفها وصفا معماريا جديدا .

أما الفصل الثانى فيختص بدير القديس آمونيوس ، المعروف بدير الشهداء بإسنا ، أحد أديرة محافظة قنا الهامة ، وهو الدير الذى إرتبط بشخص مؤسسة آمونيوس ودوره الكبير فى جهاده فى اعتناق المسيحية واستشهاده زمن الامبراطور دقلديانوس . ومثلما تبقى بدير الفاخورى بأصفون زخارف مائية ، فقد تبقى أكثر من هذا النوع من الزخارف بدير آمونيوس بإسنا ، فضلا عن الملحقات الإضافية بعمارة هذا الدير ، والذى احتوى على قبة فاطمية هامة من حيث مناطق انتقالها .

الباب الثامن : يتناول هذا الباب بفصليه دراسة زخرفية للرسوم المائية فى الديرين السابقين ، إذ أن الديرين بقى بهما كثير من زخارف الفرسكو الهامة والتى تؤرخ بالعصر الفاطمى ، اعتمادا على أسلوب الزخرفة وبعض الكتابات القبطية التى تحيط بموضوعات الرسوم . والحق أن الجانب التصويرى واضح بهما إلى حد كبير . ورغم مرور وقت طويل على هذه الزخارف ، إلا أن الكثير منها يبدو فى حالة جيدة من الحفظ ، وقد قام مؤخرا بدراسة هذه الرسوم العالم الفرنسى لورى «Leroy» فى كتابه

الذى نشر فى عام ١٩٧٨م ، وهى دراسة جيدة للغاية عن الرسوم وتواريخها ومحاولة إعادة تصور القديم منها ، وقد استعنت فى هذا الكتاب ببعض المناظر التى إلتقطها هذا العالم لهذه الرسوم . هذا فضلا عن أن بعض الكتابات القبطية بكنيسة دير الأنبا الفاخورى ، قد حوت احدى النصوص الهامة والتى دلت على أن الذى خطط لهذه الرسوم الكثيرة بالدير أحد رهبانه ، وأن الذى رسمها أحد الشمامسة ، مما يدل على وجود الرهبان بالأديرة ، ممن لهم ملكات فنية خاصة .

والواقع أن رسوم الديرين ، تحتوى على الكثير من الرمزية الدينية ، لاسيما فى رسوم موضوعات العذراء والمسيح والملائكة وفق ما ورد بشأنها فى العهدين القديم والجديد ، وهو الأمر الذى لم نشأ أن ندخل فى تفصيلاته كثيرا ، ويكفى أن يكون من المعروف أن استخدام الرمزية من أهم سمات وخصائص الفن القبطى ، منذ نشأته تقريبا حوالى القرن الرابع الميلادى . والحق أن هذه الرسوم تؤكد تماما وجود المدرسة الفاطمية فى التصوير ، وهو الأمر الذى لم يلتفت إليه ، معظم الذين يبحثون أو يدرسون فى هذا المجال وفى هذا النوع من الزخارف ، وهو الأمر الذى حاولت التركيز عليه فى هذا الباب بفصليه .

وأخيرا فإن هذه الدراسة المتواضعة ، والتى أقدمها للقارىء فى إيجاز ، قد عشت فيها سنوات طويلة ، تنقلت خلالها إلى مواقع معظم الأديرة فى مصر ، وهى فى مواقع نائية وبعيدة عن العمران ، بل ويتعذر الوصول إليها والاقامة فيها فى أحيان كثيرة ، وهو الأمر الذى يجعلنى مدينا بالشكر للأخوة الأقباط ، لا سيما رجال الدين منهم ، فقد قدموا لى المساعدات وفى بعض الأحيان المؤن التى كانت تصلنى وزملائى من المهندسين والمصورين الذين شاركونى مشقة هذا البحث خاصة فى صحراء محافظة قنا ، وأخص بالشكر منهم المهندس رشيد راغب ، مهندس آثار الكرنك فى ذلك الوقت ، والذى لازمنى بجهده الكبير طوال فترة البحث الميدانى بكنائس وأديرة هذه المحافظة .

ولا يفوتنى أن أتقدم بالشكر إلى أساتذتى الذين كان لهم معى جهد كبير خلال عملى فى مجال الآثار القبطية وأخص بالشكر منهم الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر والأستاذ الدكتور حسن الباشا والأستاذ عبد الرحمن عبد التواب والأستاذ الدكتور كمال الدين سامح والأستاذ الدكتور باهور لبيب .

ويسعدنى أن أتقدم بالشكر إلى هيئة الآثار المصرية التى أتاحت لهذا العمل أن يخرج إلى النور خاصة وأننى كنت واحدا ممن عملوا وتعلموا فى هيئة الآثار المصرية والتى اعتز بالإنتساب إليها ، كما أشكر الأستاذة آمال صفوت الألفى مدير عام الطباعة والنشر بهيئة الآثار المصرية على جهدها الكبير فى إخراج هذا الكتاب . والأخ الدكتور محمود ماهر مدير عام مركز المعلومات بهيئة الآثار المصرية وكذلك العاملين بمطبعة الهيئة .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

مصطفى عبد الله شيحة

الباب الأول

تاريخ وعمارة الكنيسة والدير فى مصر حتى نهاية العصر الفاطمى

الفصل الأول : تاريخ وعمارة الكنيسة والدير حتى الفتح الاسلامى لمصر
الفصل الثانى : تاريخ وعمارة الكنيسة والدير حتى نهاية العصر الفاطمى

تُعد الكنيسة [1] القبطية [2] من أقدم كنائس العالم ، إذ أنها تؤرخ عادة بعصر الرسل الأوائل ، على الرغم من عدم توافر الوثائق المادية التى ترجعها إلى هذا التاريخ ، شأنها فى ذلك شأن الكنائس السورية والرومانية الأولى [3] .

ويكاد يُجمع المؤرخون والباحثون على أن القديس مرقس الانجيلى [4] (St. Mark) ، هو أول من بشر بالدين المسيحى دينا جديدا لمصر خلال القرن الأول الميلادى ، فهو يُعد ضمن السبعين رسولا الذين تفرقوا فى أنحاء البلاد للدعوة للدين الجديد . تذكر بعض المراجع أن هذا القديس أسس أول كنيسة فى مصر فى مدينة الاسكندرية ، فى منطقة «بوكوليا» ، ومنها بدأ يطلق دعوته الجديدة ، ولكن ماليث أن أُكتشف أمره وقتل بعد أن أطلق الشرارة الأولى صوب اعتناق الدين المسيحى ، وعليه فإن كنيسة الاسكندرية تُعد الكنيسة الأولى بالنسبة لنشأة الكنائس فى مصر . ويشير المؤرخ الكنسى أبى صالح الأرمنى [5] ، إلى أن أول كنيسة بنيت فى مصر ، كانت فى الوجه القبلى فى صحراء قوسقام بالمحرقة من أعمال الأشمونيين ، حيث يذكر «بيعة السيدة الطاهرة مرتمريم بالمحرقة من أعمال الأشمونين ، وفيها عاد المسيح إلى مصر ومنها إلى الشام ، وهى أول بيعة أُنشئت فى الوجه القبلى ، وأول كنيسة بنيت فى مصر ، وفيها ورد المسيح إلى مصر ومنها عاد إلى الشام ، وهذه البيعة تُعرف بقوس قام» [6] ، ومن المعروف أن القديس باخوم ، أسس ديره فى أوائل القرن الخامس الميلادى ، فى هذا المكان وعرف بدير المحرق [7] .

أما بالنسبة للمكان الذى نفذت منه المسيحية إلى مصر ، فقد إختلفت فيه المراجع التاريخية أيضا ، فبعضها يُشير إلى مدينة الأسكندرية ، حيث هيأت لها الظروف الجغرافية أن تكون من أكبر الموانى فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، خلال القرن الأول الميلادى ، فكان يفد إليها الناس دوما من آسيا الصغرى وسوريا ،

وبعضهم يرى بأن شبه جزيرة سيناء كانت هى الأخرى من المناطق التى دخلت منها المسيحية إلى مصر ، وفريق ثالث يرى بأن جنوب مصر ، كان المعبر لدخول المسيحية إلى الجنوب ثم انتشرت بعد ذلك فى كل أرجاء مصر [٨] .

والواقع أن ذخول المسيحية مصر قد ارتبط ارتباطا وثيقا ، بذلك الصراع الدينى بين الوثنية وبين الدين الجديد ، ودفع كثير من معتنقيه الثمن الفادح بين التعذيب والاستشهاد والمعاناه ، كما ارتبط هذا الدين فيما عرف بنشأة نظام الرهبنه فى مصر ، وبرعيل أول من القديسين والرهبان ، الذين قادوا هذا النظام فى مصر لقرون عديدة ، كما أن حركة إنشاء وتجديد وتعمير الكنيسة أيضا ، تعتبر من أهم النقاط التى سنحاول عرضها بإيجاز فى الفصلين بهذا الباب وذلك من خلال الأحداث الدينية فى مصر قبل العصر الإسلامى وخلاله وحتى نهاية العصر الفاطمى .

الفصل الأول
تاريخ وعمارة الكنيسة والدير حتى الفتح الاسلامى لمصر

لقد مرت المسيحية فى مصر بفترة عصيبة ، خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، تحمل أقباط مصر فى سبيلها الكثير من المعاناة ، وقد سكن هذا الدين الذى يدعو إلى التوحيد فى نفوسهم فاعتنقوه ودافعوا عنه ، حتى رسخ فى نفوسهم وقلوبهم ، فلا عجب أن يروى لنا التاريخ كثيرا من قصص الاستشهاد ، تفوق فى بعض الأحيان حد الخيال . كان على كل من يعتنق هذا الدين الجديد فى بدايته أن يدفع حياته ثمنا لذلك ، وكان هذا الأمر لا يخفى بصعوبة ، على حكام مصر الرومان فى ذلك الوقت ، أو أن يفر بعيدا ناجيا بنفسه ودينه إلى الصحراء ، يسكنها ويتعبد فيها ، بل ويجتر فيها آلامه بصبر وجلد ، فهو يفارق كل من حوله ، إلى حياة أخرى ، يخلو فيها لنفسه ولعبادته .

ويعتقد كثير من الباحثين أن حياة الرهبنة الأولى فى مصر ، بدأت مباشرة بعد وفاة القديس مرقس الانجيلى ، فقد نشأ بينهم نوع من الزهد والتقشف ، فى منازلهم ، وإن كانت أعباء الحياة ومتطلباتها ، لم تمكنهم من القيام بواجباتهم الدينية

على الوضع الصحيح ، مما دفع الكثير منهم إلى الخروج إلى الجبال والصحراء ، ليعيشوا فى أماكن معزولة ، يمارسون فيها ، نوعا من حياة الزهد والتقشف على نطاق واسع [1] .

وليس هناك شك فى أن طابع الخروج إلى الصحراء ، لغرض دينى بحت ، وعبادة خالصة لوجه الله تعالى ونُصرة دين جديد أحبه واعتنقه شعب مصر فى ذلك الوقت ، كان من شأنه أن يوجد طبقة أولى من الرهبان ، الذين وضعوا أُسس نظام الرهبنة فى العالم كله ، حيث انتشر بعد ذلك فقد كانت مصر ، مهد نشأة هذا النظام ، وكانت الصحراء الشاسعة ، خير عون على قيامه ومن مصر انتشر إلى العالم المسيحى .

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن الأصول القديمة لنظام الرهبنة ، إنما ترجع جذورها إلى العصر الفرعونى على اعتبار أنها عادة مصرية قديمة ، فكرها ومنهجها الانسحاب من المجتمع فى مكان منعزل لتحقيق رغبة دينية عوضا عن إتمام مواهب الحياة الطبيعية ، وقد تطورت فكرة ومنطق الانفراد بعد ذلك فى العصر اليونانى ، إذ أخذت طابعا مغايرا زادت فيه حدتها فى محاولة للمزج بين التقوى والدين ، من ناحية وبين الفلسفة اليونانية من ناحية أخرى التى ملأت نفوس الشعب المصرى وأن مكانها كان فى خلوات داخل معابد السيرابيوم ، وان كان هناك رأى آخر لا يتفق والآراء السابقة ، يقول باستحالة التشابه بين نظام الديرية ، الذى قدم للمسيحية تطورها وتقدمها ، وبين النظام المعروف فى عبادة سيرابيس والتى ظهر فيها إعتكاف واعتصام داخل معابد سيرابيس ، حيث ظلوا داخل هذه المعابد فى خدمة هذا الاله معتصمين بداخله [2] .

والواقع أنه بحلول القرن الثالث الميلادى ، أصبح للراهب مدلول واضح ، اذ أنه يُعرف بأنه المنسحب من الدنيا والمنقطع عن العالم [3] . ولا يختلف باحث حول ما عاناه مسيحيو العالم ومسيحيو مصر بصفة خاصة ، حول تحمل مشقة الدخول فى هذا الدين الجديد ، خاصة خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، اذ عانى كثير منهم الاضطهاد الدينى من قبل الحكام الرومان الذين أذاقوهم ألوانا وصنوفا مختلفة

من العذاب ، نذكر منها على سبيل المثال ، تلك الفترة الحرجة ، التى ألمت بهم زمن حكم الامبراطور ماركوس أورليوس (Marcus Aureluis) الذى حكم بين أعوام (١٦١ - ١٨٠م) ، وما قام به الامبراطور داكسيوس (Decuis) من حركة اضطهاد دينية كبيرة فى منتصف القرن الثالث الميلادى تقريبا ، وهى الحركة التى قوبلت بزيادة ملحوظة فى عدد الرهبان الذين كان عليهم أن يفروا ناجيين بأنفسهم من شدة هذا الاضطهاد إلى الصحراء .

ومن المعروف أن قمة الاضطهاد الدينى ، بلغت ذروتها زمن حكم الامبراطور «دقلديانوس Diocle's» الذى حكم من عام (٢٨٤م) وحتى عام (٣٠٥م) ، وقد إستهل حكمه بتركيز جهده للقضاء على الدين المسيحى فى شخصية معتنقيه ، فقتل وشرد الآلاف ، وقام بقتل جماعة كبيرة فى مدينة الاسكندرية عام ٢٨٤م ، وهى الحادثة التى عرفت بحادثة الشهداء ، وكانت فى الوقت نفسه بمثابة نقطة تحول كبير فى تاريخ الحركة الدينية المسيحية ، بحيث شملت النواحى السياسية والدينية والاجتماعية والفنية فى مصر ، بل أن المسيحيين فى مصر أتخذوا لأنفسهم فى ذلك الوقت اسما علما يعرفون به ويميزون به (الأقباط) عن سائر المسيحيين فى العالم .

على أن حركة الاضطهاد الدينى قد خفت حدتها زمن الامبراطور جاليروس الذى أصدر أوامره فى عام (٣١١م) بوقفه [٤] ، ثم أصبحت المسيحية ، ديانة معترفا بها ، على يد الامبراطور قنسطنطين الأكبر (٣٢٣ - ٣٣٧م) ، والذى جعلها إحدى الشرائع المسموح باعتناقها ، هذا وقد أضحت المسيحيين بعد ذلك الديانة الرسمية فى الامبراطورية فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩ - ٣٩٥م) ، وسرعان ما قام أقباط مصر بعد ذلك التاريخ بتحويل المعابد والمبانى الوثنية القديمة إلى كنائس فطمسوا على جدرانها كل ما هو وثنى ، وأحلوا محلها الرموز والصلبان المسيحية بحيث أصبح الطابع العام لمصر فى نهاية القرن الرابع الميلادى مسيحيا بحتا .

والواقع أن تتبع حركة البناء والتجديد فى المنشآت الدينية القبطية فى مصر حتى بداية العصر الإسلامى ، يُعد من الأمور الصعبة ، وذلك للصراع المرير بين المسيحية والوثنية فى مصر ، خلال القرون الثلاثة الأولى ، وما صاحب هذه الفترة من إستشهاد الكثير من مسيحى مصر ، ثم الصراع المذهبى والذى حدث بعد ذلك

فى صفوف المسيحية ، وإن كانت المراجع التاريخية ، لم تسهب بشكل واضح فى ذكر حركة التعمير عن الفترة الأولى والسابق الاشارة إليها .

وتعد سيرة بطاركة الكنيسة المصرية [٥] وسيرة الرهبان والقديسين من الرعيل الأول من أهم المصادر التاريخية والتى يمكن الاعتماد عليها فى معرفة حركة البناء والتعمير فى الكنيسة المصرية إلى حد كبير ، رغم قلتها ، بالاضافة إلى ماورد فى بعض المصادر العربية سواء كانت من كتابه المؤرخين المسيحيين أو المسلمين خلال العصر الإسلامى .

ومن النصوص التاريخية الهامة ما أشار اليه المؤرخ تقى الذين المقريزى والتى يستفاد منها بوجود كنائس بنيت سرا فى القرن الثانى الميلادى مابين فترة البطريرك «ابريموس» ، وفترة البطريرك ديمتريوس (١٠٦ - ٢٣٠م) ، إذ يذكر النص الذى أورده المقريزى فى هذا الشأن «وفى أيامه» «ديمتريوس» آثار الملك سوريانوس قيصر على النصارى بلاءً كثيرا فى جميع مملكته وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم مصر وقتل جميع من فيها وهدم كنائسهم وبنى بالاسكندرية هيكلا لأصنامه» [٦] . أما عمارة الأديرة فى مصر فتذكر الاشارات التاريخية عنها أنها بدأت فى فترة بطركية (ديوناسيوس ٢٤٤ - ٢٥٦م) حيث بدأها الراهب انطونيوس ، والذى وصف بأنه أول من بدأ بعمارة الأديرة فى البرارى وأنزل بها الرهبان [٧] . وحين تولى واثاناس منصب البطريرك فى الفترة ما بين أعوام (٢٧٣ - ٢٩٣م) ، ركز جهده فى محاولة لعمل علاقات طيبة ، مع حكام الرومان ، حتى يأمن شرهم ، وبالتالى يتمكن من أن يؤمن الكنيسة فى مصر قدر جهده ، وقد نجح فى ذلك الأمر ، وتمكن من أن يبنى كنيسة السيدة العذراء بمدينة الأسكندرية حيث صلى بها النصارى لأول مرة جهرا [٨] . والواقع أنه لم يكتب لهذه العلاقة الطيبة أن تستمر كثيرا ، اذ ولى الأمبراطور دقلديانوس دفة الأمور ، وقام باضطهاده الدينى الكبير عام ٢٨٤م ، وكان من بين ما شمله هذا الإضطهاد بطبيعة الحال ، حرق وتدمير الكنائس المصرية حيثما وجدت ، بل أنه قتل البطريرك بطرس (٢٩٤ - ٣٠٢م) والذى عُرف بخاتم الشهداء وقتل معه مجموعة كبيرة من الأساقفة والرهبان وعلماء المسيحية [٩] . لقد أخذت حركة إنشاء الكنائس والأديرة فى مصر طريقها الملموس ، اعتبارا من اعتناق الامبراطور قنسطنطين المسيحية أو أنه جعلها أحدى الشرائع المسموح باعتناقها ،

وقد أسهبت المراجع التاريخية ، فيما قامت به والدته الإمبراطورة هيلانة من إنشاء الكنائس والأديرة ، فى مختلف أرجاء العالم المسيحى ، ومازال حتى الآن يعزى اليها فى صعيد مصر بصفة خاصة كثير من المنشآت المسيحية خاصة الأديرة التى تؤرخ بعهدها مثل الدير الأبيض والدير الأحمر وكثير من أديرة محافظة قنا – وإن كنا نتفق مع «ألفريد بتلر» فى الرد على هذا الرأى باستحالة نسبتها إلى عهد هذه الامبراطورة ، اعتمادا على طرازها المعمارى المغاير لما أقامته فى أرجاء العالم المسيحى من منشآت دينية (١٠) .

وبفضل الحركة الدينية التى قامت على أساس الإعتراف بالدين المسيحى تمكن البطريرك تيموثاوس (٣٩٦ – ٤٠٢م) من أن ينبى عدة كنائس ، خلال فترة بطريركيتة بمدينة الأسكندرية (١١) ، وفى أيام حكم الأمبراطور أركاديوس (٣٩٥ – ٤٠٨م) ، بُنى دير القصير ، المعروف بدير «البغل» ، فى جبل المقطم شرقى طره ، خارج مدينة الفسطاط (١٢) ، بل أن أقدم كنيسة فى مصر يعرف تاريخها على وجه التحديد هى كنيسة مارمينا بمريوط والتى تُؤرخ بفترة حكم هذا الأمبراطور (١٣) .

وتعتبر الفترة التى قضاها البطريرك كيرلس الكبير (٤٣٠ – ٤٦٣م) ، فى منصب البطريرك من أهم الفترات فى إنشاء الكنائس والأديرة فى مصر ، حتى يذكر عنه المؤرخ المقريزى قوله «أنه أول من أقام القومة فى كنائس مصر والاسكندرية» (١٤) .

وما من شك أن الأحداث الدينية الهامة ، التى حدثت فى صفوف المسيحية ، واتخذت شكل صراع مذهبى عنيف ، قد أرخت ظلالها على حركة البناء والتعمير فى الكنيسة المصرية ، بل أنها كانت مقدمة لإنفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة المسيحية فى العالم حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى ، وهو الصراع الذى تمثل فى بادئ الأمر فى الهرطقة الدينية ، حول تحديد مشكلة العلاقة بين المسيح الابن والإله الأب بين آريوس واثناسيوس (١٥) ومرورا بتلك الأحداث الدينية الخطيرة ، والتى أسهبت فى ذكرها المراجع فإن أثرها قد وضح فى فترة حكم الامبرطور مرقيانوس (٤٥٠ – ٤٥٧م) ، فى الصراع الذى قام بين طائفتى الأقباط اليعاقبة (١٦) – عامة الشعب المصرى ، والملكانية (١٧) ، مذهب الحاكم ، وذلك فى

مجمع خلقدونية عام ٤٥١م [١٨] ، وفيه إنفصلت الكنيسة القبطية عن الكنيسة المسيحية وتبعها فى ذلك الكنيسة السورية [١٩] .

ولقد ظلت هذه الخلافات الدينية مستمرة وبصورة أشد بين الطائفتين ، ولم يحسم هذا النزاع إلا بالفتح الاسلامى لمصر فى القرن السابع الميلادى [٢٠] . ويُلخص لنا العالم هارولد ادريس بل ذلك النزاع واثره على الكنيسة المصرية بقوله «لقد كان بمثابة آلام النمو فى تطور الكنيسة وجهدها المضنى ، فى سبيل إخراج صيغة معنوية وفلسفية أملتها الخبرة الدينية القائمة على حياة وتعاليم شخص المؤسس [٢١]» كما أدى هذا الصراع فى الوقت نفسه إلى إضعاف نظام الرهبنة فى مصر ، حتى إذا ماجاء الفتح الاسلامى ، كان الانهيار قد أصبح كاملا [٢٢] .

على أن حركة الانشاء وتعمير الكنائس والأديرة فى مصر ورعايتها ، بعد تاريخ انعقاد هذا المجمع الهام ، كانت تتبع فى تطورها ماهية البطريرك الذى يعتلى الكرسى المرقسى بالإسكندرية ، سواء أكان من طائفة اليعاقبة أو من طائفة الملكانية ، فإذا كان يعقوبى المذهب ، قام بإنشاء وتعمير وتجديد الكنائس والأديرة وسعى فى الوقت نفسه ، لتعطيل كنائس الطائفة الملكانية ، بل وأخذها منهم للأقباط اليعاقبة ، كما كان يحدث العكس دائما . بل أن الصراع الطائفى ، كان يؤدى فى بعض الأحيان إلى قتل البطريرك نفسه مثلما حدث مع البطريرك بطرس الملكانى المذهب ، إذ وثب علية أهل الاسكندرية وقتلوه ، وأقاموا بدلا منه البطريرك تيماثاوس الذى كان يعقوبى المذهب [٢٣] . كما كان لموقف بعض الأباطرة فى تعمير ورعاية الكنائس والأديرة دورهم الواضح فى هذا الشأن ، مثال ذلك الامبراطور زينون (٤٧٤ - ٤٩١م) ، الذى كان يدين بالمذهب اليعقوبى ، فقد كان يحمل بنفسه لدير يوحنا بمصر ما كان يحتاج إلية الدير من المؤن الغذائية فى كل عام [٢٤] . على أنه بإعتلاء الامبراطور انسطاسيوس الأول (٤٩١ - ٥١٨م) ، عرش الامبراطورية البيزنطية ، تمتعت الكنيسة القبطية بشىء من الهدوء والاستقرار ، فقد كان يعتنق هذا الامبراطور المذهب اليعقوبى أيضا ، فقامت علاقة طيبة ، بينه وبين بطريرك اليعاقبة فى ذلك الوقت وهو البطريرك يوحنا الراهب (٥١٢ - ٥١٨م) ويذكر السنكسار القبطى ضمن حوادث شهر بشنس ، «أن الكنيسة القبطية فى أيامه كانت فى هدوء وسلام ساعد عليها تربع الملك البار أنسطاسيوس على أريكة الملك» [٢٥] .

تعاقب بعد ذلك على منصب البطريرك فى الكنيسة المصرية عدد منهم بعضهم من الملكانية والآخر من اليعاقبة ، وقد ظلت حركة الانشاء فى الكنيسة تتأرجح بين العناية والإهمال ، تبعا لطبيعة البطريرك نفسه ، كما تقدم ، ويبدو أن أقباط مصر قد ضاقوا ذرعا بالبطاركة الملكانيين ، حتى أنه بلغ الامبراطور يوسطانيوس (٥١٨ - ٥٢٧م) ، أن أقباط مصر ، أصبحوا يرفضون كل البطاركة الملكانيين ، الذين يعينهم الامبراطور ، فبعث بأحد قواده ، على رأس حامية ، دخلت كنيسة الاسكندرية ، وهددت الأقباط ، بقبول ما يرسمه الامبراطور من بطاركة ، وحين رفضوا الإذعان لهم ، قتلوهم داخل الكنيسة [٢٦] ، وقد أدى ذلك إلى حدوث حالة من التذمر الشديد فى مصر فى ذلك الوقت ، إلا أن المقريزى أورد أنه فى أيام هذا الامبراطور «بُنى ديرا بطور سيناء ، وعمل عليه حصنا حوله عدة قلالى ، ورتب فيه حرسا للرهبان [٢٧]» ، وما زال باقيا أعلى باب هذا الدير كتابة باللغة اليونانية على لوح رخامى ترجمته «أنشأ دير سيناء وكنيسة جبل المناجاه الفقير الراجى عفو مولاه الملك الرومى المذهب يوستينيانوس تذكارا له ولزوجته تاوضرا على مرور الأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وتم بناؤه بعد ثلاثين سنة من ملكه ونصب له رئيسا اسمه ضولاس وذلك جرى سنة ٦٠٢١ لآدم الموافقة لتاريخ السيد المسيح ٥٢٧» [٢٨] .

وحين تولى البطريرك اليعقوبى تاوذسيوس (٥٢٨ - ٥٥٩م) ، تعرض للنفى أكثر من مرة من جانب الامبراطور البيزنطى ، إذ نُفى إلى صعيد مصر أكثر من مرة ، وعين بدلا منه البطريرك بولس التنيسى ، وقد كان ملكانى المذهب ، وحين رفض أقباط مصر ذلك أُغلقت كنائسهم وتعرضوا لشدة كبيرة [٢٩] . ويذكر المقريزى أن اليعاقبة استجدوا خلال هذه الفترة كنيستين فى سنة ثمان وأربعين ومائتين لدقلديانوس [٣٠] ، أى حوالى عام ٥٣٢م ، كما ترتب على هذا الصراع المذهبى أيضا ، أن نُقل كرسى البطريركية مؤقتا من الاسكندرية إلى دير أنبا مقار [٣١] .

وقد ذكر المؤرخون أن أديرة مصر ، قد خربت أيام هذا البطريرك [٣٢] ، إلا أن البطريرك انسطاسيوس (٥٩٣ - ٦٠٣م) ، حين اعتلى كرسى البطاركة ، وكان يعقوبى المذهب ، استرد كنائس اليعاقبة من الملكانية ، وبنى عدة كنائس فى الاسكندرية ، كما أعاد الأقباط تجديد كنائس أخرى ، مثل كنيسة القديس

ميخائيل ، وكنيسة القديس انجيليوس ، عدا عدة أديرة أخرى [٣٣] ، ويورد السنكسار القبطى فى هذا الشأن «وبعد قليل أختير للبطريركية انسطاسيوس فاهتم بالكنائس اهتماما زائدا ورسم أساقفة وكهنة على الجهات التى كانت خالية ، وشيد عدة كنائس واستعار من الملكية ما كانوا قد وضعوا يدهم عليه» [٣٤] .

وخلال فترة البطريرك اندرنيقوس (٦٠٤ - ٦٠٩م) ، خُربت أديرة وادى النطرون نتيجة لغارات البدو فى هذه المنطقة ، وهى الغارات التى استمرت لمدة خمسين سنة ، كانوا فيها مرابطين ، بصفة دائمة حولها ، فتهدم كثير من منشآت هذه الأديرة ، وغادر كثير من رهبانها قلاليها [٣٥] ، وتوجهوا إلى القلالى التى كانت منتشرة خارج دير نهيا بالجيزة [٣٦] .

على أن الخراب الكبير الذى أتى على معظم الأديرة المصرية وكنائسها ، قد حدث خلال الغزو الفارسى لمصر عام (٦١٦م) [٣٧] ، وظلوا يحتلون مصر حتى عام (٦٢٩) ، حين أجبرهم الإمبراطور هرقل على الرحيل عنها بعد أن حاربهم فى بلادهم نفسها . ولقد قدر بعض المؤرخين أن الأديرة والكنائس التى خربها الفرس بمدينة الاسكندرية وحدها بحوالى ستمائة دير وكنيسة [٣٨] ، وكان لبعضها آطام على شكل أبراج الحمام ، بالاضافة إلى سلبها ونهبها ، وظلت خرابا حتى الفتح العربى لمصر . [٣٩] . كما خرب الفرس أيضا ما كان فى ريف مصر من كنائس وأديرة كانت عامرة برهبانها ، بالاضافة إلى ما كان فى مدينة الفرما من كنائس وأديرة [٤٠] ، ولم ينج من هذا الخراب الكبير الذى حل بالكنائس والأديرة المصرية سوى دير الزجاج بالاسكندرية ، وهو الدير الذى يعرف بدير الهانطون ، وكذلك دير قبريوس إلى الشمال الشرقى من مدينة الاسكندرية [٤١] ، ولقد ساعد اليهود الفرس مساعدة كبيرة فى تخريب الكنائس والاديرة المصرية ، وسلب ونهب ما كان فيها من ممتلكات الكنيسة وقتل رهبانها ، كما فعلوا ذلك فى الشام أيضا [٤٢] .

وحين رحل الفرس عن مصر ، بعث الإمبراطور هرقل بقيرس واليا عليها من قبلة ، فبدأ حكمه فى مصر باضطهاد شديد للأقباط وكنيستهم وكان بطبيعة الحال ملكانى المذهب ، فعرض عليهم إما الدخول فى مذهب الحاكم ، أويتعرضوا للتنكيل بهم ، وحين رفضوا ، تعرضوا لمزيد من المعاناه ، بصورة لم يعرفوها من قبل ، ويصف بتلر فترة ولاية قيرس بمصر ومدتها عشر سنوات من عام ٦٣١م وحتى عام ٦٤١م

بعصر الاضطهاد الاعظم للقبط على يد قيرس [٤٣] . ويبدو أن البطريرك بنيامين ، بطريرك الأقباط اليعاقبة فى ذلك الوقت ، شعر بما سيحل عليه من اضطهاد ، وعلى طائفة اليعاقبة ، فهرب مختفيا فى الصحراء ، بعيدا عن قيرس ووحشيته ، وحاول جاهدا قيرس أن يعثر على البطريرك بنيامين ، ولكنه فشل فى ذلك .

والواقع أن تتبع سيرة الرعيل الأول من القديسين والشهداء ، يمكن أن تلقى بطبيعة الحال على نشأة الكنائس والأديرة فى مصر مزيدا من التفاصيل ، ذلك أن معظمهم من الرعيل الأول من رهبان مصر والذين شقوا طريقهم إلى الصحراء ، من أجل النُسك والعبادة وهربا من وجه الرومان ، للمحافظة على العقيدة الجديدة ، فكانوا بذلك من أوائل مؤسسى المنشآت المسيحية الدينية فى العالم كله ، وكانوا فى الوقت نفسه مقدمة لرعيل آخر من القديسين والرهبان ، الذين أقاموا تجمعات رهبانية كثيفة خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، والتى ماتزال بعض أديرتهم باقية عامرة إلى اليوم تحمل أسماءهم .

ومما ساعد على وضوح الرؤيا بالنسبة لتاريخ انشاء أماكن العبادة المسيحية الأولى فى مصر ، أن كتب سيرة هذا الرعيل الأول ومن تلاه كتاب ورحالة منهم رجال دين ، بعضهم عاصر حوادثهم وتحركاتهم فى الصحراء من أمثال «روفنيوس Ruffinus» ، الذى زار منطقة وادى النطرون فى القرن الرابع الميلادى ، وكتب فى تاريخ الرهبنة فى مصر ، «وباالليديوس Palliduis» ، مؤلف كتاب بستان الراهب ، الذى يتكلم عن تاريخ الرهبنة فى مصر ، وجيروم «Jerome» والذى توفى عام ٤٢٠م ، « وكاسيان Cussien» الراهب والذى عاش فترة من حياته (٣٦٠ – ٤٣٥م) فى بعض الأديرة المصرية ، وله مؤلفات فى الحياة الرهبانية وقوانينها «وسقراط Socrattes» : (٣٨٠ – ٤٥٠م) ، وهو مؤرخ كنسى يونانى وقد وضع كتابا فى التاريخ الكنسى من سبعة مجلدات [٤٤] .

ويعتبر القديس **بولس الطيبى** : فى مقدمة هؤلا النساك الأوائل ، إذ أنه يعتبر الناسك الأول وأول المتوحدين : وُلد بمدينة الاسكندرية عام ٢٢٤م وعزف عن الحياة وعمره ستة عشرة عاما ، زمن فترة حكم الامبراطور دكسيوس ، لاختلافه مع أخيه حول الميراث الذى تركه والدهما ، إذ طمع أخوه بطرس الأكبر فى الثروة ، وتذكر القصة التى تناولت حياته ، أنهما أرادا الذهاب إلى الحاكم ليفصل بينهما ، ولكن فى

الطريق ، إنحرف بولا إلى أحد المقابر المجهولة [٤٥] ، وان جاء فى رواية أخرى أن سبب هروبه كان خوفا من أن يشى به زوج أخته عند الحاكم الرومانى فيقتله . أقام فى بادىء أمره فى مقبرة مجهولة لمدة ثلاث سنين إلى أن قاده ملاك الرب إلى البرية الشرقية حيث أقام بها ثمانين عاما لم ير فيها مخلوقا واحدا ، فى عزلة تامة عن العالم ، وورد فى سيرته أيضا ، أنه كان يلبس ثوبا من ليف ، وكان الرب يرسل إليه غرابا بنصف خبزة كل يوم ، وأن القديس انطونيوس إتصل به فى أواخر حياته وأن حياته إستمرت لمدة مائة وعشرين سنة [٤٦] .

والواقع أن هذا القديس ، يعتبر الرائد الأول لمنهج نشأة الرهبانية الانفرادية بعد ذلك فى مصر والشام [٤٧] و التى كان مهدها فى صعيد مصر فى قلالى على شواطىء البحر الأحمر [٤٨] . ومما هو جدير بالذكر أن دير هذا القديس ، مازال باقيا إلى اليوم ، فى البقعة التى قضى بها معظم حياته ، وقد طرأ على ديره بطبيعة الحال كثير من التغيرات المعمارية فى العصور المختلفة ، وقد ذكر أبو صالح عن هذا الدير فى العصر الفاطمى كثير من المغارات المنقورة فى الصخر والتى كانت تحيط به والتى كانت تضم ستة آلاف راهب [٤٩] ، كما أورد ذكره المقريزى فى القرن ١٥م باسم دير النمور ، ولعل التسمية ترجع إلى القصة التى تبلورت بعد وفاته عن إحدى معجزاته ، أو ربما لكثرة وجود النمور فى المنطقة .

وعلى أى حال فإن هذا القديس بحياته التى تجاوزت مائة وعشرين عاما ، قضى منها ما يزيد على تسعين عاما منفردا فى خلوته ، قد قدم المثل الأول لحياة الانفرادية ، فى الرهبنة المسيحية ، فى محاولة لقهر الجسد لخلاص النفس من أهوائها [٥٠] ، وهو الأمر الذى يتفق مع ما ذكره العالم Thompsons من أن الرهبنة لم تعرف فى الشرق قبل القرن الرابع الميلادى ، وفى الغرب قبل القرن الخامس [٥١] ، وعلى هذا الأساس فإن القديس بولا كان رائد هذا المنهج ، إذ أن تاريخ وفاته كان عام ٣٤١م ، وبذلك كان هو أول من إنخرط فى سلك الرهبنة الانفرادية [٥٢] .

أما **القديس أنطون** فقد إختلف منهجه فى حياة الرهبنة ، فهو يعتبر رائد الحياة الجماعية المشتركة عند الرهبان ، وهى الحياة التى عرفت باسم «الكينوبيون» ، وتعنى هذه الكلمة المعيشة المشتركة بين الرهبان ، وهى مكونة من كلمتين (Koninos) بمعنى مشترك و(Bois) بمعنى حياة ، كما تعنى أيضا مؤسسه أو

مكان يتواجد فيه قلالى الرهبان ، وأصحابها متحدين فى الحياة المعيشية ، ثم تطور معنى هذه الكلمة ليشمل الدير من كافة نواحيه المعمارية (٥٣) .

وليس هناك شك فى أن ما أجمعت عليه المراجع التاريخية والدينية التى تناولت موضوع الرهبنة من أن القديس أنطون ، كان هو رائد هذا المنهج ، وكان أول من بدأ عمارة الأديرة فى مصر ويصفه أبو صالح الأرمنى بقوله : «نجم البرية وأول الرهبان وأول راهب سكن البرية واجتمعت إليه الرهبان من برية مصر وابتدأت عمارة الديارات واجتماع الرهبان إليها» (٥٤) كما يقول عنه المقريزى «أنه أول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضا عن الشهادة» (٥٥) . ويدل هذا النص الذى أورده المقريزى أن الرهبنة تُعطى صاحبها درجة مساوية للاستشهاد فى سبيل العقيدة المسيحية نفسها فإذا فر ناجيا بنفسه من وجه الرومان وأصبح راهبا ، فقد أدى بذلك واجبه ناحية العقيدة نفسها ، فكأن مقام جهاد النفس لا يقل عن مقام الاستشهاد فى سبيل العقيدة الأرثوذكسية ، وبذلك أصبحت الرهبنة المثل الأعلى للمسيحية (٥٦) .

ورد فى ترجمة حياة هذا القديس (انطون) أنه ولد عام (٢٥١م) فى بلده كوما (قمن العروس مركز الواسطى) من أسرة ثرية ، وقد هجر حياة الثراء ، التى عاشتها أسرته وعمره عشرون عاما ، تاركا أخته فى رعاية جماعة من المتبتلات ، وعاش فى بداية أمره بجوار المدن ، ولكن لم يقتنع بمثل هذه الحياة التى سرعان ما هجرها ، وعبر النيل إلى الصحراء الشرقية ، حيث إستقر به المطاف عند قلعة قديمة فى الصحراء يقال لها : بسبير وأنشأ بها قلاية ، أُقيم عليها بعد ذلك دير الميمون (٥٧) . وأقام فى هذه المنطقة لمدة عشرين سنة ، إلتف فيها حوله بعض النساك ، إلا أنهم لم يتمكنوا من مقابلته ، طوال هذه المدة الزمنية ، مما دفعهم لاقتحام خلوته ومقابلته ، وقد رضى بعدها بمطالبهم فى مشاركته لهم فى حياة جماعية ، وقد كان هذا الحدث فى عام (٣٠٥م) على وجه التحديد ، وهو العام الذى يعتبر بداية التاريخ الرسمى لبدء حركة الرهبنة الجماعية (٥٨) ، وبداية فعلية لنشأة الأديرة المصرية . وفى عام (٣١١م) بدأ يطوف المدن والقرى ، مع بعض أتباعه فى محاولة لحث الناس على العبادة والنسك ، وفى عام ٣١٥م ، انطلق إلى الصحراء الشرقية جهة جبل القلالة الجنوبى ، بالقرب من ساحل البحر الأحمر ، ليعيش بقية حياته هناك ، فى مغارة يحيط به الزهاد والمترهبون فى قلاليهم حتى توفى فى عام (٣٩٥م) .

وعلى هذا الأساس فإنه يمكن القول فى ثقة واطمئنان أن البداية الأولى لحياة الرهبنة بدأت فى القلالى أو الخلايا ، المنتشرة حول قلاية القديس أنطون وبذلك تكون القلاية هى الأساس الأول لنشأة الدير بمفهومه الحالى ، وبما احتوى عليه بعد ذلك من عناصر معمارية ثابته .

على أنه من المرجح أن حركة بناء وتشييد الأديرة فى مصر قد بدأت سريعا عقب وفة هذا القديس فى نهاية القرن الرابع الميلادى وبداية القرن الخامس ، فى مواقع كثيرة باركها بزيارته لها عبر الصحراء الشاسعة إذ أن الروايات التاريخية التى وردت عن سيرته ، تذكر أنه قام بزيارات متعددة فى الفيوم ومعظم مدن الصعيد ووادى النطرون وشبه جزيرة سيناء ، ولاتزال مغارته باقية إلى اليوم ، بجوار ديره أعلى الجبل فى مواجهة البحر الأحمر وسيناء .

وأذا كان القديس بولس الطيبى ، يعتبر المثل الأول للمتوحدين الإنفراديين ، والقديس أنطون أبا للرهبانية الجماعية كما تقدم ، **فإن القديس آمون** يعتبر مثلا لمرحلة التوسط بين الاتجاهين الانفرادى والجماعى فى حياة الرهبنة . ويعتبر هذا القديس أول راهب تطأ أقدامه منطقة نتريا [٥٩] ، اذ تذكر المراجع التاريخية عنه أنه نبت فى الصحراء ووهن فى الصحراء فى القرن الرابع الميلادى . بدأ حياته منعزلا عن العالم فى عام ٣١٥م حتى وفاته فى عام ٣٧٧م ، إلتف حوله خلال فترة من حياته عدد قليل من الرهبان ، كما كان هذا القديس معاصرا للقديس أنطون ، إن لم يكن أسبق منه ، إذ تذكر الرواية عنه «إنه القديس بيامون ، الذى رأى الملك واقفا جهة المذبح [٦٠]» ، وتضيف أنه حين توفى ، روى القديس أنطون عنه أنه رأى روحه وهى صاعدة إلى السماء [٦١] .

على أنه من المؤكد أن القديس آمون ، قد فتح آفاقا جديدة لحركة الرهبنة فى تلك المنطقة الشاسعة ، (نتريا أو البرنوجى) ، التى ما تزال تخفى حتى اليوم فى تلالها الباقية كثير من الأديرة والكنائس والقلالى الأولى ، فقد شهدت هذه المنطقة منذ بداية القرن الرابع الميلادى تجمعا رهبانيا كثيفا ، كان فى حركة إزدياد مستمرة ، حتى يُذكر أنه كان على أواخر القرن الرابع الميلادى خمسون ديرا ، يقطن بها خمسة آلاف راهب ، وذكر المؤرخ بلاديوس أنه كان بصحراء نتريا فى هذه الفترة سبعة مخابز لإطعام هؤلاء الرهبان [٦٢]

ولاشك أن المتتبع لنشأة الكنائس والأديرة فى مصر فى طورها الأول يجد منطقة وادى النطرون والقلايا حاليا فى الوجه البحرى ، كمنطقة رئيسية تجمع بها كثير من الرهبان ، وقد شهدت هذه المنطقة على الأرجح بداية التجمعات الرهبانية الكثيفة ، والتى وضع الأساس فيها القديس آمون بمنهجه الجديد الذى جمع بين حياة الأنفرادية وحياة الجماعية فى نظام الرهبنة .

والواقع أن منطقة نتريا (القلايا أو البرنوجى) ووادى النطرون ، تشكل مساحة واسعة فى الصحراء ، هيأت لها الظروف أن تكون نقطة تحول كبيرة ، نحو قيام جماعات رهبانية ، تطور بهم الأمر إلى بناء عدد من الأديرة ، خاصة خلال القرن الرابع الميلادى ثم الخامس الميلادى ، بل أن هناك بعض الباحثين يرى أن هذه البقعة من أقدم بقاع العالم فى نشأة نظام الرهبنة ، إذلها وثائقها المادية التى ربما ترجعها إلى عام (١٥٠م) فى ذلك الشأن ويذكر «كورزون Curzon» أن القديس «فورنتون» كان ممن إعتنق الرهبانية قبل أن تنتشر وبدأ يجرب هذا النوع من العزلة فى صحراء نتريا [٦٣] . ونعتقد فى صحة الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب بأن منطقة القلايا بمعناها الحرفى ، تعنى المكان الذى وضع فيه القديس آمون الصليب عند البرنوجى ، أما المنطقة بمعناها الواسع فتشتمل على المساحات الشاسعة التى تمتد من البحر الأبيض المتوسط حتى مشارف صحراء الفيوم ، كما أن هذه المنطقة على حد قول الأب متى المسكين بمثابة مكان مقبول لتجمع وإعاشة الرهبان ، فقد جمعت بين مميزات عديدة ، منها أنها تقع بجوار الريف وفى نفس الوقت بالقرب من الصحراء ، حيث قدمت للرهبان من مواردها الطبيعية عملا يمكنهم أن يقتاتوا منه نظير عملهم فى مادة النطرون وبيعها للقرى المجاورة [٦٤] .

وإذا كان القديس آمون هو أول راهب يطأ هذه المنطقة وله منهج معين فى حياة الرهبنة فإن القديس (أنبا) مقار الكبير هو الراهب الذى ارتبط بشخصه جانب آخر كبير من حياة الرهبنة فى هذه المنطقة بالذات ، وما ترتب بعده من قيام عدد كبير من الأديرة بها . وُلد هذا القديس الراهب بقرية شبشير حوالى سنة (٣٠٠م) وبدأ توحده فى منطقة نتريا عام (٣٣٠م) ورسم قسا فى عام (٣٤٠م) ، وإلتقى بالقديس أنطونيوس مؤسس حياة الرهبنة الجماعية المصرية فى عام (٣٥٢م) وتوفى فى عام (٣٩٠م) [٦٥]

وقد أنشأ أول كنيسة له فى المكان الذى أُنشأ عليه فيما بعد دير البراموس ، إذ كانت أول كنيسة أُنشئت فى وادى النطرون حسب أقوال المؤرخين فى عام (٣٥٠م) ، بعد زيارة القديس أنطون للمنطقة فى المكان الذى وقف فيه وصلى مع القديس آمون صديقه [٦٦] ، وبذلك أصبحت منطقة دير البراموس أول مركز رسمى لتجمع الرهبان ببرية شيهيت بمصر السفلى [٦٧] ، حتى اذا ما جاء عام (٤٠٨م) ، كان قد تم إقامة أربعة أديرة كبيرة تجمع حولها الآف الرهبان ، حول دير البراموس ودير أنبا مقار ، ثم تجمع رهبانى ثالث فى موضع دير الأنبا يؤانس القصير (ضمن الأديرة الخربة حاليا جنوب غرب دير أنبا مقار) ، والمنطقة الرابعة مكانها حاليا دير الأنبا بيشوى [٦٨] ، إلا أن دير الأنبا مقار ، ضم عددا كبيرا من الرهبان بعد ذلك بحيث أصبح عدد رهبانه يزيد عن عدد رهبان كل الأديرة المنتشرة فى منطقة نتريا حتى اليوم [٦٩] .

على أن حياة الرهبان فى هذه المنطقة النائية لم تكن آمنة تماما ، إذ تعرضت حياتهم لغارات خطيرة قام بها البربر على أديرة هذه المنطقة أملا فى أن يجدوا لدى الرهبان ما يمكن أن يسلبوه منهم من مواد قيمة ، ويرجح أن الغارة الأولى هبت على هذه الأديرة عام (٤١٠م) ، ثم أعقب ذلك سلسلة من الغارات ، وقد أدى هذا إلى بناء الأسوار والحصون بالأديرة لحمايتها ، حتى تكفل للرهبان داخل الأديرة حياة آمنة مطمئنة قدر المستطاع .

وإذا كانت الكنائس والأديرة قد تركزت فى مصر السفلى فى منطقة نتريا فإنه على الجانب الآخر ، تميزت مصر العليا بتعدد أمكنتها ، ولعل الجبال المحيطة بوادى الريان بالفيوم ، كانت من أماكن العبادة الأولى فى حياة الرهبنة بمصر خاصة جبل القلمون ، إذ ورد فى بعض المراجع أن قليلا من الرهبان شقوا طريقهم إلى هذا الجبل فى نهاية القرن الثالث الميلادى ، واذا صح هذا القول ، فإن هذه المنطقة تعتبر من أوائل المناطق التى بدأت بها حياة الرهبنة بمصر ، وقد ورد أيضا أن القديس أنطون زار هذه المنطقة وتفقد حال بعض رهبانها ، اذ كانت نفسه تتوق لزيارتها [٧٠] ، كما ذكر الرحالة فانسليب أنه شاهد فى عام (١٦٧٣م) ، كثيرا من الكنائس الصغيرة المنحوتة على شكل مغاور بجبل القلمون بالفيوم ينتشر حولها قلالى قديمة كانت للرهبان الأوائل [٧١] . إلا أنه لم يتبق حاليا من الأديرة والكنائس القديمة التى كانت

قائمة قديما بهذه المنطقة سوى ديرين أحدهما ما زال عامرا بالرهبان وهو دير القلمون والآخر تخرب ولم يبق سوى بقايا من أطلاله القديمة وهو دير النقلون [٧٢] .

ومما هو جدير بالذكر أن حياة الرهبنة فى هذه المنطقة ، قد تبلورت بعد ذلك حول شخصية الراهب صمويل الذى يذكر عن المؤرخ المقريزى قوله «أنه كان فى زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومات فى ثامن كيهك» [٧٣] ، وقد وردت ترجمة حياته فى السنكسار القبطى ، والتى يستفاد منها أنه ولد عام (٥٩٧م) فى مدينة تسمى (داكلوبة) ، وعزم أمره على أن يصبح راهبا وعمره اثنتان وعشرون سنة فالإنطلق فى عام (٦١٩م) ، حتى وصل إلى دير أنبا مقار [٧٤] بوادى النطرون وهناك تتلمذ على يد الأب أغاثون الذى رسمه قسيسا بكنيسة دير أبى مقار [٧٥] ، ويذكر عنه أبو صالح الأرمنى قوله «فانفرد صمويل للقيام بالصلوات والصيام الكثيرة حتى أنه كان يصوم أسبوعا أسبوعا» [٧٦] . وقد اضطر صمويل لمغادرة الدير حين رفض قبول رسامة البطريرك اليعقوبى كيرلس (٦٠٤ - ٦٠٩م) ، لسبب دينى ، فكلفه هذا الأمر فقء احدى عينيه ثم إنطلق إلى برية القلمون ، ليؤسس فيها فى القرن السابع الميلادى ، أول مؤسسة ديرية كبيرة ، وتبعه فى ذلك بعض تلاميذه .

وحينما ذهب البطريرك كيرلس فى طلب بينامين البطريرك الشرعى الهارب فى برية القلمون ، ترك الدير [٧٧] ، وطلبه فى الوقت نفسه قيرس الحاكم على مصر لكى يعترف صمويل بمجمع خلقدونية ، نظرا لما كان عليه من مكانه دينية مرموقة ، فرفض الاعتراف فتعرض لتعذيب شديد ، ثم هرب بعد ذلك فى أحد أودية نفس المنطقة ، كما أُسر خلال حياته مرتين بواسطة البدو ، إلا انهم أفرجوا عنه فى المرة الثانية بعد أن أنجز لهم بعض المعجزات [٧٨] . وقد عاش بقية حياته فى ديره الذى أنشأه حتى توفى وترك بالدير سبعة عشر راهبا . ويعتبر هذا الراهب الكبير من أهم الرهبان الذين كان لهم دورهم الواضح فى صعيد مصر ، وقد أسهب المؤرخ ابو صالح الأرمنى فى ذكر الكثير عن حياته ، حتى أنه يلخص ذلك فى قولة «كان عالما ومعلما ، وله من التعاليم كثير وكشف الله له ما سيكون فى آخر الزمان وتكلم به وكتب عنه ووضح فى وقته من الزمان كما تنبأ به [٧٩]» .

كذلك يُعد القديس باخوم واحدا من الرهبان الأوائل ، الذين كان لهم دورهم البارز فى تأسيس المؤسسات الديرية الأولى فى صعيد مصر (٢٩٠ - ٣٤٦م) ، وقد تشابه منهج هذا القديس فى نظام الرهبنة ، مع منهج القديس أمون فى الحياة الجماعية المتحدة للرهبان ، فأسس النظام الباخومى كما فعل القديس بيجول المتوحد ، مع القديس شنودة فنشأت أديرة شنودة المشهورة [٨٠] ، وان كان لكل منهم منهجه الخاص الذى يختلف عن الآخر .

على أن القديس باخوم ، أنشأ أول دير له فى منطقة طباسين [٨١] فى عام ٣١٨م ، [٨٢] ، وبفضل ما اجتمع له من رهبان كثيرة ، تمكن من أن يؤسس لهم شركة رهبانية ، وأن يشيد لهم جملة أديرة بالصعيد ، وجعل لهم نظاما واحدا فى أعمالهم وصلواتهم وطعامهم ويذكر السنكسار القبطى « أنه كان يمر عليهم جميعا من أقصى أسوان وإدفو ودوناسه إلى آخر الصعيد بالجهة البحرية ، ولم يكن يسمح لأحد من أولاده بأن يكون قسا» [٨٣] . ولعل القديس باخوم إستطاع أن ينقل إلى أسلوب الحياة فى الأديرة التى أسسها ، شيئا من أسلوب الاعاشة فى الجيش الرومانى ، الذى يعتمد على نظام الثكنات العسكرية لنظام فرقة [٨٤] . والأرجح أن الفترة التى قضاها فى الجيش الرومانى ، قد أفادته فى ذلك كثيرا ، كما أنه لم يكن يريد لأحد من رهبانه أن يكون قسا ، كما ورد بالسنكسار ، ربما لحرصه على عدم إنشغالهم بشىء يجعلهم يعزفون عن حياة الرهبنة التى لها المقام الأول فى الحياة المسيحية .

ويذكر لنا المؤرخ الكنسى أبو صالح الأرمنى بعض من الأديرة والكنائس بصعيد مصر التى ظلت تحمل إسم هذا القديس [٨٥] ، ومازال باقيا إلى اليوم أديرة منها .

والواقع أن مناطق تجمعات الرهبان بصعيد مصر كثيرة منتشرة ، فعلى سبيل المثال أسس القديس شنودة فى القرن الخامس الميلادى ، تجمعا رهبانيا كثيفا فى صحراء سوهاج حول ديره (الدير الأبيض) ويذكر المقريزى «أنه كان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوت هو وإياهم من عمل الخوص» [٨٦] ، كما شهدت منطقة إسنا ونقادة تجمعا رهبانيا آخرا فى صحرائها والتى عرفت عند الأقباط بجبل الأساس المقدس وهو الأمر الذى سنتعرض له فى بعض فصول هذا الكتاب .

الفصل الثانى
تاريخ عمارة الكنيسة والدير حتى نهاية العصر الفاطمى

لقد كان الفتح الإسلامى فى مصر عام ٦٤١م / ٢٠هـ بمثابة عهد جديد ، إختلف تماما عن العهد السابق ، حيث تخلصت الكنيسة المصرية من أعمال الظلم والعدوان الذى تعرضت له ، وتمتع الأقباط بكامل حريتهم الدينية التى سلبها منهم حكام بيزنطة ، ذلك أن تعاليم الدين الاسلامى تنص على أن يتعايش الجميع فى سماحه ورضا ، يقول الله سبحانه وتعالى «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» [١] ، ويقول فى كتابه العزيز أيضا «ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» [٢] .

كذلك حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمانه وميثاقه الذى أعطاه لكافة النصارى ، المنهاج الدائم الذى التزم به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الخلفاء والسلاطين والولاة وغيرهم فى أرجاء الدولة الإسلامية ، وهو العهد الذى جاء فيه : «لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ، ولا بيت من بيوت كنائسهم ، ولا يدخل شيء من مال كنائسهم فى مسجد ولا منازل المسلمين ، [٣]

كما أن الرسول (ص) ، كان يشعر بالمودة والرحمة تجاه شعب مصر ، رغم أنه لم يوص أن يعامل أهل مصر بأسلوب ينفردون به دون أهل الكتاب جميعا ، فهو القائل : «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحمة» (٤) .

ولا شك أنه بفضل تعاليم الدين الإسلامى السمحة ، انتشر الإسلام انتشارا كبيرا فى البلاد التى فتحها العرب عن طواعية واختيار ، وفى ذلك يقول «جوستاف لوبون» فى مؤلفه عن الحضارة العربية : «أن القوة لم تكن عاملا فى انتشار القرآن ، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا فى أديانهم ، فاذا حدث واعتنق بعض الأقوام النصرانية الاسلام ، واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مالم يروا مثله من ساداتهم السابقين» (٥) .

ولقد جرى العرب منذ بدء فتوحاتهم ، على سياسة التسامح الدينى ، لأهل البلاد التى تم فيها الفتح الإسلامى ، فقد تمتع أهل الذمة خلال حكم الخلفاء الأوائل بكامل حريتهم الدينية ، والتى افتقدوها فى ظل الحكم البيزنطى ، (٦) وليس أدل على ذلك مما كتبه أحد الأساقفة النسطوريين ، بعد الفتوحات العربية بحوالى خمسة عشر عاما ، إذ كتب يقول : « ان العرب الذين وهبهم الله السيادة فى أيامنا ، قد أصبحوا سادة لنا ، ولكنهم لا يحاربون الدين المسيحى ، بل يحافظون على ديننا ويحترمون الأساقفة والقسيسين ، ويقدمون الهدايا لكنيستنا وأديرتنا» (٧) .

على أن من أهم العوامل التى ساعدت القائد الإسلامى عمرو بن العاص فتح مصر ، هو ما كانت عليه سيرة البيزنطيين وأعمالهم من شدة واضطهاد لاقباط مصر اليعاقبة (٨) ، وفى ذلك يقول المؤرخ الكنسى ساويرس ابن المقفع ، فى كتابة عن تاريخ البطاركة المصريين : «ان الله كان يخذل جيوش الروم أمام المسلمين بسبب عقيدتهم الخلقدونية الفاسدة» (٩) ، فقد كانت مصر فى ذلك الوقت ، قد أكلتها الانقسامات الدينية وأنهكتها مظالم الحكام ، بل أن الأقباط كانوا يعتبرون من يحررها منقذين (١٠) ، وبذلك وضع العرب خاتمة للصراع بين الأقباط والحكام الرومان والبيزنطيين والذى إمتد منذ القرن الأول الميلادى وحتى السابع الميلادى (١١) ، ليتمتع الأقباط بحرية دينية ، لم يشعروا بها قبل الفتح الإسلامى لمصر (١٢) .

كذلك فقد كان للسياسة الرشيدة التى نهجها عمرو بن العاص منذ فتحه لمصر أكبر الأثر فى شعور أهل الذمة بصفة عامة والأقباط بصفة خاصة بالأمن

والطمأنينة ، ذلك أن عمرو بن العاص ، بدأ ولايته على مصر ، بأن أعطى المسيحيين أمانا ، جاء فيه «هذا ما أعطى عمرو بن العاص ، أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليه شيء ولا ينتقص» [١٣] ، وكان دائما يوصى فى خطبه المسلمين بمراعاة الأقباط والمحافظة على حسن جوارهم قائلا لهم : «واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا» [١٤] .

وليست مثل هذه الأمور غريبة على عمرو بن العاص ، وهو القائد الذى تميز بالحكمة والنزاهه والمهارة فى ولاية مصر وادارة دفة أمورها فى فترة تعد من أحرج فترات التاريخ الإسلامى ، وليس هناك دليل على نزاهته أكثر مما ذكره المؤرخ الكندى من أنه حين توفى لم يترك وراءه سوى سبعة دنانير [١٥] . كما كان موقفه من بطريرك الأقباط اليعاقبه بنيامين (٦٠٩ - ٦٤٨م) ، واضحا منذ البداية ، وهو الذى كان هاربا من وجه قيرس الحاكم البيزنطى ، والذى إنتقم منه لفراره بقتل أخيه مينا بالنار [١٦] ، فقد بعث له عمرو بن العاص بأمان بعث به إلى سائر البلاد المصرية يقول فيه : «فليظهر الشيخ البطريرك مُطمئنا على نفسه ، وعلى طائفة القبط جميعهم التى بالديار المصرية وغيرها آمنين على أنفسهم من كل مكروه» [١٧] . وحين عاد البطريرك بنيامين فرحا أكرمه وبجله ، وأمر له أن يتسلم الكنائس وأملاكها ، مما جعل الأقباط يشعرون منذ البداية بأن القائد الاسلامى ، لا يحمل لهم كرها أو يُخفى لهم اضطهادا جديدا ، كما ظل الحكم المدنى بمصر لم يتغير ، بل أصبح بعد فترة وجيزة ، كل عمال الدولة يكادون جميعا يكونون من المسيحيين [١٨] ، كما كان يضع نصب عينيه ، مصلحة المصريين ، .بل ويعطيها المقام الأول ، حتى أنه لم يأل جهدا فى اكتساب محبتهم ، فدانوا له بالطاعة وأحبوا ولايته [١٩] .

وقد أورد المؤرخ الكنسى ساويرس بأن عمرو بن العاص لم يرتكب أعمال السرقة والنهب التى كانت تحدث زمن الرومان على الكنائس والأديرة المسيحية فى مصر [٢٠] . كما ساعد تشريع الجزية العادل فى الوقت نفسه ، على أن يشعر أقباط مصر بأمن أكثر ، اذ ليس هناك مقارنة بين ما كان يفرض عليهم فى العصر الرومانى من ضرائب فادحة ومكوس باهظة متنوعة على النفس والمال ، مما جعل «بتلر Butler» يذكر بأن حكم العرب كان خيرا وبركة على أقباط مصر [٢١] .

لقد بدأت عمارة الكنائس فى مصر فى ولاية عمرو بن العاص الثانية (٣٨ — ٤٣هـ) (٢٢) ، إذا بنيت كنيسة مار مرقس بالاسكندرية (٢٣) ، كما بنيت عدة كنائس أخرى (٢٤) ، بالاضافة إلى تجديد بعض الكنائس ، مثال ذلك ما حدث بكنيسة دير الأنبا مقار بوادى النطرون ، والتى يرجع تاريخ تجديد عمارتها الأولى إلى فترة بطريركية بنيامين وعمارتها الثانية إلى فترة بطريركية أغاثو (٦٤٨ — ٦٦٦م) ، وفى ذلك يقول الأب متى المسكين «فلما حل الأمان أول ما بدىء بعمارة كنيسة أنبا مقار بطبيعة الحال» (٢٥) . كما يذكر المقريزى أن هذا البطريرك قد عمر عدة أديرة أخرى بوادى هبيب كدير الأنبابيشوى ودير سيدة أبى بشاى (٢٦) .

ومما لاشك فيه أن المسلمين بفتحهم مصر ، قد حققوا فى ذلك إنتصارا كبيرا لكنيسة الأقباط اليعاقبة ، عامة الشعب المصرى فى ذلك الوقت على الكنيسة الملكانية التى كانت تمثل الكنيسة الرسمية فى مصر (٢٧) ، وبالتالى فقد حظيت بالجانب الرئيسى والهام من الرعاية والأهمية ، وهو الأمر الذى لم يكن ممهدا قبل العصر الاسلامى ، بل أن الأقباط اليعاقبة إستردوا ما سبق أن أخذه الملكانيون من كنائسهم وأديرتهم فى العهود السابقة ، كما استطاع الأقباط أن يجذبوا لمذهبهم اليعقوبى كثيرا من الأقباط الملكانية (٢٨) .

وإذا ما تتبعنا ما كانت عليه حركة بناء وتعمير الكنيسة المصرية ، خلال العصر الأموى (٦٦٠ — ٧٥٠م / ٤٠ — ١٣٢هـ) ، فإننا سنجد عناية ملحوظة فى حركة التجديد والتعمير فى الكنيسة القبطية ، بصفة خاصة ، وإن كانت لا تصل إلى ما كانت عليه فى عصر الخلفاء الراشدين (٢٩) .

على أن أول كنيسة بنيت بفسطاط مصر ، كانت أثناء ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى عليها ، الذى ظل واليا بمصر لمدة خمس عشرة سنة وأربعة شهور ، امتدت من عام (٤٧هـ وحتى عام ٦٢هـ) (٣٠) ، وفى ذلك يقول أبو صالح الارمنى «أول كنيسة بنيت فى فسطاط مصر ، هى الكنيسة التى خلف القنطرة أيام مسلمة بن مخلد الأنصارى» (٣١) ، كما شيدت عدة كنائس فى حلوان فى ولاية عبد العزيز بن مروان (٦٨٤ — ٧٠٣م / ٦٥ — ٨٤هـ) ، وذلك فى فترة بطريركية إغريغوريس ، أسقف مدينة القيس ، والذى عهد له عبد العزيز بن مروان القيام برعاية هذه الكنائس والاشراف على عمارتها (٣٢) . يضاف إلى ذلك ما تم بناؤه من كنائس

جديدة ، فى فترة ولايته ، مثل كنيسة مار جرجس وكنيسة ابى قير داخل قصر الشمع ، كما سمح للبطريرك اسحق بتجديد كنيسة مرقس بالاسكندرية ، والتى بنيت فى ولاية عمرو بن العاص الثانية .

ويذكر المقريزى أنه فى أيام عبد العزيز بن مروان ، تعرض بطريرك الأقباط الاسكندروس (٦٨٩ - ٧١٥م) ، إلى شدائد كثيرة ، إذ أخذ منه ستة آلاف دينار ، كما أمر عبد العزيز بن مروان باحصاء الرهبان فى أيامه لأول مرة ، فأحصوا وأخذت منهم الجزية ، وهى أول جزية أخذت من الرهبان فى الإسلام [٣٤] . كما أورد نفس المؤرخ أيضا : أن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٤ - ٧٠٥م / ٦٥ - ٨٦هـ) ، قد إشتد على النصارى ، وإحتذى به فى ذلك قرة بن شريك (٧٠٩ - ٧١٥م / ٩٠ - ٩٦هـ) ، الذى فرض على أقباط مصر الملكانيين ، جزية مضاعفة ، أراد بها أن يُضيق عليهم ، كما فعلوا من قبل على يعاقبة مصر الأقباط ، قبل الفتح الإسلامى [٣٥] . ولكن الأمور ما لبثت أن عادت إلى ما كانت عليه من تسامح حين قام هشام بن عبد الملك فى الخلافة (٧٢٣ - ٧٤٢م / ١٠٥ - ١٢٥م) ، فكتب إلى والى مصر أن يجرى النصارى على عاداتهم وما بأيديهم من العهد [٣٦] .

كذلك أورد أبو صالح الأرمنى أن الوليد بن رفاعة والى مصر ٧٢٧ - ٧٣٥م / ١٠٩ - ١١٧هـ) ، أذن للنصارى ، بتجديد كنيسة لهم بخط الحمراء فى منطقة مصر القديمة ، تعرف بكنيسة «أبى مينا» ، صنع لها الكثير من الأوانى الحسنة من الفضة وغيرها ، وذلك فى خلافة هشام بن عبد الملك . على أنه يُستفاد من عدة نصوص وردت فى كتب المؤرخين بشأن هذه الكنيسة ، أنها على الأرجح بُنيت أو أُستحدثت فى خلافة هشام بن عبد الملك [٣٧] ، الذى رعى الكنيسة المصرية إلى حد كبير ، بل أن رعايته للكنائس المصرية وأديرتها ، لم يكن قاصرا على الأقباط اليعاقبه ، بل شمل كنائس وأديرة الطائفة الملكانية ، ذلك أنه بعث لصاحب خراجه فى مصر ، عبد الله بن الحبحاب ، يأمره بأن يسلم للملكانيين كنائسهم ، التى كانت فى حوزة الأقباط اليعاقبة ، فيذكر المقريزى ، أنه رد لهم كنيسة البشارة [٣٨]، بل وأمر لهم بتعيين بطريرك لهم لأول مرة ، بعد أن ظلوا بغيره منذ بداية الفتح الاسلامى ، وحتى خلافة هشام بن عبد الملك ، وفى ذلك يقول المقريزى : «فغلبت اليعاقبة فى هذه المدة ، على جميع كنائس مصر وأقاموا بها منهم

أساقفة» (٣٩) ، كما يذكر القلقشندى أيضا فى هذا الصدد «وكانت الملكية ، قد أقاموا بغير بطرك سبعا وتسعين سنة من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين الفتح الإسلامى إلى خلافة هشام بن عبد الملك» (٤٠) ، ولعل ذلك الأمر يرجع إلى الاتفاق الذى تم بين الخليفة هشام بن عبد الملك وامبراطور الدولة البيزنطية فى ذلك الوقت (٤١) .

والواقع أن الرعاية الخاصة والتى أولاها هشام بن عبد الملك **لأقباط** مصر قد شملت بناء وتجديد وتعمير كنائس عديدة مثل كنيسة مار جرجيوس وابو حنس وغيرهما من الكنائس الأخرى ، كما جدد الوالى حنظلة بن صفوان (٧٣٧ - ٧٤١م / ١١٩ - ١٢٤هـ) ، كنيسة أخرى للقديس يوحنا ، كانت قائمة بخط الحمراء ، بالاضافة إلى كثير من كنائس اليعاقبة (٤٢) .

ولقد استمرت رعاية الخلفاء والولاة للكنيسة المصرية ورجالها خلال **العصر العباسى** بمصر : (٧٥٠ - ٨٦٨م / ١٣٢ - ٢٥٤هـ) ، وظلت حركة التجديد والتعمير مستمرة فى مبانيهم الدينية ، ذلك أن هذا العصر قد شهد منذ بدايته ، تسامحا دينيا شمل أهل الذمة بصفة عامة ، فقد توافد على الخلافة العباسية فى بغداد كثير منهم للمشاركة فى أمور وأحوال الدولة الإسلامية (٤٣) ، ويقول عنهم جورجى زيدان : « أنهم خدموا العباسيين ، بعقولهم وأقلامهم ، بما آنسوه من تسامحهم واطلاق حرية الدين لهم ، بل وصل بهم الأمر أن تولوا مناصب قيادية ، إذ تقلد بعض منهم ديوان الجيش» (٤٤) . كما كان الخلفاء فى صدر الدولة العباسية ، يكرمون الأساقفة ويجالسونهم ، فكان الخليفة الهادى على سبيل المثال (٧٨٥ - ٧٨٦م / ١٦٩ - ١٧٠هـ) ، يستدعى الأسقف «تيماثاوس» ، فى كثير من الأيام ويتناقش معه ويجادله ويناظره ويطرح عليه المشكلات ، حتى أصبح النصارى يهدون الخلفاء أيقونات بعض القديسيين ، وكثيرا ما طلب الأساقفة وغيرهم من رجال الدين المسيحى من الخلفاء أن يثبتوهم أو يقووهم ، فى مناصبهم على خصومهم أو منافسيهم (٤٥) .

ويذكر سعيد بن بطريق فى تاريخه أن الخليفة المأمون (٨١٥ - ٨٣٢م / ١٩٨ - ٢١٧هـ) ، حين قدم مصر جعل على مدينة «بورة» وما حولها قبطيا ، فتمكن من أن يبنى كثيرا من البيع فى المدينة وما حولها (٤٦) ، كما ذكر ابو صالح

الأرمنى أن كنيسة الروم التى كانت تقع بالقرب من قبة الهواء ، قد قام بتجديدها خدم الخليفة المأمون فى عهده [٤٧] . كما كان لبعض الأحداث أثرها السيء على الكنيسة القبطية ، اذ هدمت بعض الكنائس خلال هذه الفترة ، مثلما حدث فى هدم بعض الكنائس المحدثة [٤٨] ، إلا أنه كان يعاد البناء أو التجديد بعد ذلك ، مثلما حدث فى ولاية موسى بن عيسى (١٧٥ - ١٧٦هـ) ، حيث كانت تبنى من جديد ، وقد أذن هذا الوالى فى تجديد ما سبق هدمه من كنائس «فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة اللذين قالا أنها من عمارة البلاد» [٤٩] . ولقد أسهب تاريخ البطاركة فى وصف مشهد حضرة أحد أساقفة مصر أمام واليها موسى بن عيسى ، الذى طلب منه أن يأمر بإعادة وتجديد كل ما تشعث من الكنائس ، فأمر له الوالى بذلك ، ويقول هذا الأسقف ، «فبنيت جميع بيع فسطاط مصر» [٥٠]» .

هذا وقد رُسم فى خلافة هارون الرشيد (٧٨٧ - ٨٠٩م / ١٧١ - ١٩٣ هـ) ، بإعادة جميع الكنائس التى استولى عليها اليعاقبة مرة أخرى من الطائفة الملكانية ، وذلك فى بطريركية مرقس (٧٨٦ - ٨٠٩م) ، وقد أورد المقريزى أن السبب فى ذلك ، يرجع إلى أن بطريرك الطائفة الملكانية فى مصر قد مضى إلى بغداد ، فى طلب الخليفة الرشيد ، وأنه أثناء إقامته ، تمكن من أن يعالج بعض حظايا الخليفة ، اذ أنه كان ماهرا بمهنة الطب ، ولما نجح فى ذلك ، طلب من الخليفة أن يرد له كنائس الملكانية التى تغلب عليها الأقباط اليعاقبة فى مصر فأمر له بذلك [٥١] ، إلا أننا نعتقد أن ما أورده المقريزى فى هذا الشأن يحتمل شيء من المبالغة ، فتجديد الكنائس وتعميرها ، لم يكن يحتاج لمثل هذه الأمور ، إذ أنه كان يشكل جانبا هاما من سياسة التسامح الدينى ، التى درج عليها العباسيون بين الطوائف المختلفة من أهل الذمة على اختلاف عقائدهم . هذا وقد حدث فى زمن هارون الرشيد أن هاجم العربان والمغاربة فى مصر أديرة الصحراء ، مما جعل معظم الرهبان يهجرونها ، ولم يبق بها غير النذر القليل ، ولكن أُعيد تعميرها سريعا وعاد إليها الرهبان فى السنة الثالثة من حكم الخليفة المأمون [٥٢] .

وقد وصلت الكنيسة المصرية خلال فترة رسامة البطريرك يوساب (٨٣١ - ٨٥٠م) إلى درجة كبيرة من الأهمية فى العالم المسيحى ، اذ يذكر المقريزى أنه خلال

فترة بطريركتية ، حدث أن قدم إلى مصر مطران الحبشة ويدعى «يعقوب» منفيا من قبل زوجة ملك الحبشة ، التى عينت بدلا منه أسقفا آخرا ، مما جعل ملك الحبشة يغضب منها ، ويبعث لبطريرك مصر (يوساب) ، فى طلب إعادة الأسقف ليرجع إلى منصبه ، الذى طرد منه ، وقد أجابه لذلك البطريرك ، إلا أنه أرسل معه بعضا من أساقفة مصر ليديروا شئون كنيسة الحبشة (٥٣) .

على أن الخليفة المتوكل على الله (٨٤٨ – ٨٦١م / ٢٣٣ – ٢٤٧هـ) ، قد تشدد فى فترة من خلافته ، مع أهل الذمة عامة لأسباب عديدة ، بل أن تشدده مع النصارى خاصة ، لم يكن قاصرا عليهم فقط ، فقد إمتد فى تشدده ليشمل أهل الكتاب جميعا ، وفى ذلك يقول جورجى زيدان : «أنه لا يستغرب أن يكون المتوكل شديدا على أهل الذمة ، فإن نقمته أصابت ضمن ما أصابت الشيعة وأهل الكتاب والعلماء ، فقد اضطهدهم وعذبهم» (٥٤) . وقد ورد فى تاريخ البطاركة أن الخليفة المتوكل أمر بهدم البيع كلها (٥٥) ، ومع ذلك فإن أمره هذا لم يدم كثيرا فقد ورد فى نفس التاريخ خلال فترة حكمه أنه قد تغير حال النصارى وهدأت كنيستهم ، وذلك حين بعث المتوكل بيزيد بن عبد الله واليا على مصر (٢٤٢ – ٢٥٣هـ) والذى وصفه إبن المقفع «بأنه كان يفعل حسنة وأزال كثيرا من البلاء عن الناس ، حتى طابت نفوس سكان أرض مصر ، عوضا مما فعل بالنصارى وألحق الحكم المستقيم» (٥٦) .

كما يضيف ابن المقفع ، أنه فى آخر عهد الخليفة المتوكل قد أعطى أمانا لأهل الذمة ، الذين شعروا بعودة الأمور إلى سيرتها الأولى ، من تسامح دينى حتى أن النصارى ، الذين كانوا قد أبعدوا من مصر ، عادوا إليها «لما سمعوا بالنعم التى أسبغت عليهم واستقامت أمورهم» (٥٧) ، هذا وقد قام البطريرك قسما الثانى (٨٥٢ – ٨٥٩م) ببناء كنيسة جديدة فى ناحية سخا ، كانت تعرف بكنيسة «دونشر» ، وعاش هذا البطريرك بقية حياته فى هذه الكنيسة التى أنشأها فى العصر العباسى بمصر ، حتى إذا ما توفى دفن فيها (٥٨) .

وخلال فترة البطريرك «سانوتيوس الأول» (٨٥٩ – ٨٨١م) ، بنيت كنائس فى أنحاء متفرقة من أرض مصر ، منها بيعة بدير أبى مقار ضمن أديرة وادى

النطرون ، كما كرز بيعة بالقرب من مريوط ، وجدد فى أديرة مصر العليا ، كما جدد فى كنائس مدينة الاسكندرية (٥٩) .

وقد عرف عن هذا البطريرك ورعه الشديد وعاصر جزءا من خلافة المتوكل والمستعين بالله ، وقدم أحمد بن طولون مصر فى أيامه «أميرا عليها» . ويذكر له التاريخ أنه أنشأ مجارى للمياه تحت الأرض بمدينة الاسكندرية «يجرى بها الماء من الخليج إلى البيوت» (٦٠) . هذا وقد ورد تفصيل إنشاء هذه المجارى فى تاريخ البطاركة ، ضمن سيرة هذا البطريرك ، اذ جاء بهذا التاريخ أنه كان بجوار قلاية البطريركية بالاسكندرية ، موضع مخصص لليتامى والمساكين والمنقطعين ، به عين ماء ملحه ، غير صالحة للشرب ، فلما شكوا له من هذا الأمر ، أمر بحفر فرع مياه ، يُوصل إلى هذا المكان ، يخرج من الخليج الذى حفره الخليفة المتوكل على الله ، كما شيد بالمكان نفسه فسقيه مياه ، وأصلح عدة خنادق ومواضع أخرى (٦١) ، وكان أيضا هذا البطريرك على صلة طيبة ، بوالى مصر فى ذلك الوقت سليمان بن وهب ، الذى عزله الخليفة المتوكل وجعل مكانه أحمد بن المدبر ، والذى يقول عنه ابن المقفع أيضا «أنه عند وصوله مصر ، وضع يده على المسلمين والنصارى واليهود وأضعف عليهم الخراج (٦٢)» .

وقد ابتدع هذا الوالى نظاما ماليا فى مصر عرف باسم الهلالى ، وهو غير ضريبة الخراج ، إذ أنه كان يجبى على الشهور القمرية ، على عكس الخراج الذى كان يجبى على حسب السنة الشمسية ، فكان يُفرض على كل شىء ما عدا الهواء (٦٣) .

وقد اضطر البطريرك «سانوتويوس» ، إلى أن يهرب من وجه ابن المدبر ، إلى جهة غير معلومة ، وحين علم ابن المدبر بهروبة ، أرسل له كتابا يؤمنه فيه على نفسه ، على أن يحضر له وحين قدم له ألزمه بزيادة فى الخراج (٦٤)

وفى خلافة المستعين بالله (٨٦٢ – ٨٦٦م / ٢٤٨ – ٢٥٢هـ) ، حظيت الكنيسة فى مصر باهتمام كبير ، تجلى ظهوره فى حركة البناء والتعمير ، التى إمتدت لتشمل كل كنائس وأديره مصر السفلى والعليا ، وشملت كل المواضع المصرية من أسوان فى جنوب صعيد مصر وحتى مدينة الفرما فى شمال مصر ، حتى أن ابن المقفع يصف الخليفة المستعين بالله بقوله «كان رجلا صالحا خيرا ، كما شهد عنه وفعل خيرا فى أيامه فى أرض مصر وأعمالها» (٦٥) .

على أن كنائس وأديرة الصعيد بوجه خاص ، قد تعرضت للسلب والنهب ، أثناء النزاع الذى شب بين المعتز والمستعين بالله ، مثلما تعرضت بعض العمائر الإسلامية ، بواسطة البدو ، الذين لم تُفرق غاراتهم بين العمائر الإسلامية والمسيحية ، كما يقول ساويرس بين المقفع ولقد كان ضمن جملة ما نهب من كنائس وأديرة الصعيد ، دير الأنبا شنودة بسوهاج ، ودير القلمون بالفيوم ودير أنبا باخوم من أعمال طحا ، وقد أُحرقت حصون هذه الأديرة ، وقُتل جماعة من رهبانها [٦٦] .

وحينما تمكن أحمد بن طولون من تأسيس **الدولة الطولونية** بمصر (٨٦٨ – ٩٠٥م / ٢٥٤ – ٢٩٢هـ) ، محققا بذلك لمصر استقلالا ذاتيا عن سيادة الخلافة العباسية عليها ، زاد الأمن والرخاء فى البلاد ، وتمتعت الكنيسة المصرية ، بمزيد من الرعاية والاهتمام ، وهو الأمر الذى يمكن إستنتاجه من السياسة العامة التى جرى عليها أحمد بن طولون فى مصر (٨٦٨ – ٨٨٤ / ٢٥٤ – ٢٧٠م) ، الذى أحب الشعب المصرى بكل طوائفه ، حتى أن المؤرخ البلوى يذكر فى سيرته «وأما اشفاقه على أهل مصر ، فكان يزيد على كل إشفاق ، حتى أنه كان يجاوز إشفاق الوالد على ولده ، يحوطهم ويراعى أحوالهم ويدفع كل مكروه عنهم» [٦٧] .

ولقد كان أحمد بن طولون كثيرا ما تتعدد زياراته لأديرة الصحراء ليتفقد أحوال رهبانها فقد روى عنه رهبان دير القصير ، أنه كان كثيرا ما يطرقهم ويخلو فى بعض قلاليهم [٦٨] كذلك كان ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون (٨٨٣ – ٨٩٥م / ٢٧٠ – ٢٨٢هـ) ، كثيرا ما يزور أديرة الصحراء وكنائسها ويتردد عليها ، خاصة دير القصير الذى كان يزوره والده ، وكان يقضى فيه ساعات طويلة من السكون ، ويذكر المؤرخ الشابشتى صاحب كتاب الديارات أنه بنى أعلى هذا الدير غرفة لها أربع طاقات ، تفتح على أربع جهات ، لأنه كان كثير الغشيان لهذا الدير ، حتى يستطيع أن يمكث هناك ما شاء فى ضيافة الرهبان ، وخاصة فى أوقات قصيرة [٦٩] ، ويذكر ساويرس أنه كان يراعى الأساقفة والرهبان [٧٠] .

وخلال العصر الإخشيدى (٩٣٥ – ٩٦٩م / ٣٢٣ – ٣٥٨هـ) ، ظلت الكنيسة المصرية ورجالها ، تتمتع بنفس القدر الطيب الذى جرى عليه العهد فى ظل الفترات السابقة ، ويروى التاريخ أنه كان يحدث فى بعض الأحيان ، أن يتدخل الأمير الاخشيدى بين المسيحيين أنفسهم لفض الخصومات ، التى كانت تقوم بين الشيع والطوائف المختلفة منهم [٧١] .

لقد استمرت الكنيسة المصرية ورجالها يتمتعون بمزيد من الاهتمام والرعاية خلال **العصر الفاطمى بمصر** (٩٦٩ – ١١٧١م / ٣٥٨ – ٥٦٧هـ) ، ذلك أن الفاطميين كان مقصدهم استمالة المصريين حتى يتفرغوا لأهدافهم الثورية فى توحيد الاسلام ، تحت رايتهم ، وفى نشر المذهب الشيعى ، ذلك أنهم حين دخلوا مصر ، لم يدخلوها دخول الغزاة المنتقمين ، وإنما كان همهم اكتساب أهل مصر إلى جانبهم . وقد تمتعت الكنيسة المصرية ، فى عهد الخلافة الفاطمية ، بدرجة كبيرة من العناية وهو الأمر الذى يمكن تتبعه فى عدة أمور ، منها تلك المساواة فى أمور كثيرة بين طوائف الشعب كالألقاب التى كانت تمنح لموظفى الدولة ، بجميع طبقاتها على حد سواء (٧٢) . ومنها ما كان من نفوذ أهل الذمة الذين بلغوا مرتبة كبيرة من الأهمية فى الجاه وفى المناصب ، وهو الأمر الذى لم يكن مألوفا لهم من قبل (٧٣) ، ومنها ما كان من تقرب بعض بطاركة الكنيسة المصرية للخلفاء أنفسهم (٧٤) ، مما ساعدهم على تعمير وتجديد الكنائس والأديرة ، وكذلك تقرب كثير من وجوه القبط وأثريائهم للخلفاء أنفسهم حتى أن المؤرخ الكنسى أبا صالح الأرمنى ، قد أفرد فى كتابه عن الكنائس والأديرة المصرية ، صفحات عديدة يصف فيها حب الخلفاء لهم وتقربهم إليهم (٧٥) . وقد تمكنوا بفضل هذه الصلة الطيبة بأن يقوموا بحركة نشيطة ملموسة فى عمارة الكنائس والأديرة المصرية ، كذلك فإننا نجد فى هذا العصر أن الضريبة التى كانت تفرض على أهل الذمة ، واعتبرت من أهم مصادر المال ، فى عهد الخلافة الإسلامية الأولى ، لم تعد كذلك فى ذلك العصر ، وذلك بسبب تحول معظم المصريين للإسلام ، حتى أنها أصبحت تسمى الجوالى فى عهدهم ، بدلا من اسمها القرآنى الجزية (٧٦) .

ومن المميزات الهامة التى إتسم بها هذا العصر أيضا ، ما أطلقه خلفاء الدولة الفاطمية من أرزاق ثابتة مقررة لأديرة الصحراء ، يستفاد من ريعها فى إصلاح كل ما يتشعث من بنائها ، وكان كثير من الخلفاء ، يقومون بزيارات لأديرة الصحراء ، لتفقدها ورعاية رهبانها . وأخيرا ما كان من مشاركتهم لاعيادهم ، كما سمحوا للمسلمين فى مشاركتهم فى مثل هذه الأعياد ، كعيد النيروز وعيد الصليب وعيد الغطاس (٧٧) . وقد غدت الأديرة والكنائس المصرية فى العصر الفاطمى ، من أماكن المنتزهات العامة التى يطيب لكثير من الناس فيها ، بمختلف طوائفهم ، الوفود إليها والتنزه بجوارها ، والتمتع بما تجاوره من حدائق وبساتين .

وقبل أن نتعرض لحركة التجديد والتعمير فى هذا العصر بالنسبة للكنائس والأديرة ، فأنه يجب الاشارة إلى عدة نقاط هامة :

أولا : أن اهتمام خلفاء الدولة الفاطمية بالكنيسة ، لم يكن قاصرا على طائفة معينة ، بل أنه كان اهتماما شاملا ، شمل معهم كل طوائفهم الدينية المختلفة من ملكانية ويعقوبية وأرمن ونساطرة . ومما هو جدير بالذكر ، أن نجد فى هذا العصر ، تعبيرا جديدا وهو الكنيسة الجامعة ، وقد استخدم ابو صالح الأرمنى هذا التعبير الجديد فى إطلاقه ، على بعض بيع مصر فى العصر الفاطمى ، والتى تضم بداخلها هياكل لأكثر من طائفة دينية واحدة من النصارى ، اليعاقبة والملكانية والأرمن ، فقد أورد فى خططه ، ذكر اسم كنيسة كانت قائمة بقرية سفط ميدوم (مركز الوسطى ، محافظة بنى سويف) ، كان بها ثلاثة مذابح ، احدهما للقبط اليعاقبة ، وهو المذبح الأوسط الرئيسى ، المعتاد وجوده فى الكنيسة القبطية والثانى للأرمن والثالث للملكانية [٧٨] .

ولقد كان لطائفة الأرمن بعض الكنائس والأديرة فى العصر الفاطمى بمصر فعلى سبيل المثال أفرد لهم كنيسة بحارة زويلة ، تعلو كنيستها القديمة ، كما أخذوا من الأقباط اليعاقبة ، كنيسة القديس (مار) جرجس التى كانت قائمة ، بمنطقة طره وجددها بطركهم (اغريغوريس) ، ويذكر نفس المؤرخ أنه كان يعلوها جوسق ، ويحيطها سور دائرى ، وكانت تغطيها القباب ، كما كان لهم أيضا بناحية الخصوص (محافظة أسيوط) دير داخل البلد وبيعتان خارجه . ومما هو جدير بالذكر أن ترهب الوزير بهرام الأرمنى (٥٢٩ - ٥٣١هـ) فى خلافة الحافظ لدين الله فى دير أبى شنودة بأخميم [٧٩] .

كذلك كان لطائفة الملكانية ، كنائسهم وأديرتهم ، التى جدد بعض منها الخلفاء والأمراء فى العصر الفاطمى ، وأقام بعض منهم المناظر المختلفة بجوارها وأعلاها ، وكان على سبيل المثال لهم ضمن كنائس دير القصير ، كنيسة يصلى بها مجموعة من رهبانهم ، بالاضافة إلى هيكل يقدسون عليه باحدى الكنائس التى كانت قائمة فى إطفيح (مركز الصف ، محافظة الجيزة) ، عرفت بكنيسة قونة ، وبيعة لهم بحارة الأرمن بالفيوم .

أما طائفة النساطرة بمصر ، فقد كان لهم دير ببركة الحبش على اسم القديس (مار) جرجس يحيطه سور دائرى من الحجر المنحوت وُصف بأنه «كان من العمارة الحسنة المحكمة ومن المنتزهات المشهورة وكان قلعة عظيمة [٨٢] .

ثانيا : أورد أبو صالح الأرمنى فى خططة قائمة بالكنائس والأديرة المصرية حتى عام (١٢٠٠م) ، حيث بلغ عدد هذه الكنائس والأديرة (٢٠٨٤ كنيسة) ، (٨٣٤ ديرا) ، موزعة على أبروشيات مصر المختلفة وإن كنا نعتقد أن هذا العدد ، الذى أورده هذا المؤرخ مبالغ فيه ، حتى ولو احتسب فيه كنائس الأديرة ضمن هذا العدد الكبير . وقد بلغ عدد الكنائس والأديرة فى مصر خلال العصر المملوكى طبقا لما جاء فى خطط المؤرخ المقريزى (٧٤ ديرا و١٩٣ كنيسة) [٨٣] ، ويرجع السبب فى إنحسار هذه الكنائس والأديرة إلى هذا العدد ، خلال العصر المملوكى بسبب عوامل عديدة ، منها ما اندثر بفعل فيضان النيل ، إذ أن كثيرا منها كان يقع على ضفاف النيل ، وقد أورد المؤرخ ابو صالح قوله أن كثيرا من هذه الكنائس ، كان يقع على ضفاف النيل فاندثرت «نتيجة تعدية البحر عليها» ، نذكر منها على سبيل المثال ، كنيسة القديس بطرس على شاطىء النيل بالجيزة وأخرى كانت على شاطىء بركة الحبش وثالثة كانت على الشاطىء بمنية القائد ، ومن الأديرة ديرا كان قائما بمنطقة دهشور إندثر أيضا «بتعدية البحر عليه» [٨٤] .

ومن الكنائس ما اندثر بفعل الزلزال ، مثل كنيسة المختار ، التى كانت قائمة بجزيرة مصر المعروفة بالروضة ، كما خرب كثير من الكنائس والأديرة المصرية بخراب المدن نفسها ، كما حدث فى بعض مدن الصعيد مثل مدن قفط وأصفون وقوص وغيرهم . ويذكر المقريزى على سبيل المثال أنه كان بمدينة البهنسا بمصر ثلثمائة وستون كنيسة ، لم يبق فيها إلا كنيسة واحدة فى العصر المملوكى ، هى كنيسة مريم [٨٥] . هذا بالإضافة إلى ما تعرض للهدم والتخريب فى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله (٩٩٦ - ١٠٢٠م / ٣٨٦ - ٤١١هـ) ، أو خلال الأحداث الكبيرة التى حدثت زمن الناصر محمد بن قلاوون عام (٧٢١هـ) فى العصر المملوكى [٨٦] .

ثالثا : تميز هذا العصر بوجود ما عرف بالارزاق والهبات الثابتة والمقررة للأديرة ، وقد كانت كثيرة ومتنوعة ، شملت أجود الأراضى المصرية ، التى كانت وقفا على كثير من الأديرة من خلفاء هذه الدولة ، والتى يستفاد بريعها فى تجديد كل ما يتشعث من عمارتها ، كما شملت كثيرا من المال وأنواع الحبوب المختلفة ، فيذكر أبو صالح الأرمنى فى هذا الصدد قوله : «أن ما تحرر عليه إرتفاع فُدن البيع للأديرة بالوجه

القبلى والوجه البحرى مما كان بيد النصارى ، من إنعام الخلفاء الفاطميين (٥٥٧ – ٥٦٩هـ) ، قد بلغ من العين ١٩٢٣ دينارا ومن الغلة ٤٨٢٦ إردبا ومن الفدادين ٩١٥ فدانا» [٨٨] ، وذلك بخلاف ما كان يقدمه الخلفاء من معونات وهبات ، مختلفة لهذه الأديرة من وقت لآخر .

والواقع أن الأمثلة التى ساقها نفس المؤرخ على ذلك كثيرة ، نذكر منها عل سبيل المثال ، ما كان لدير أنبا أندونة بشرق إطفيح – وكان عامرا بالرهبان فى العصر الفاطمى – أوقاف كثيرة تجرى عليه ، ويذهب ريعها إليه ، شأنه فى ذلك شأن دير آخر ، كان قائما بمنطقة دهشور ، كان يقيم فيه عدد كبير من الرهبان ، وكان يُحمل اليه من بيت المال كميات كبيرة من الأوقاف والنذور من العين والغلة ، كذلك كان لدير القلمون بالفيوم ، وكان من الأديرة الهامة فى مصر خلال العصر الفاطمى ، «عدة فدن طين بالصعيد وكان له بشبرا ستة عشر فدانا وملاحات يتحصل منها فى كل سنة ما يناهز ألف إردب ويحصل من ثمر النخل ما يباع فى كل سنة بمجمله» [٨٩] .

هذا وقد أورد على مبارك فى خططه أن ملاحات هذا الدير التى كانت تتبع الرهبان ، كان يتحصل منها فى كل سنة مائتى ألف إردب ومن نخله مائتى إردب من التمر [٩٠] .

كذلك كان لدير شهران بستان مساحته ستة أفدنة وفيه نخيل مثمرة وأراضى زراعية ، وقد رتب لهذا الدير (البا صال) أخو تاج الدولة بهرام الأرمنى ستة عشر فدانا كأرزاق ثابتة له ويعتبر دير القصير من الأديرة الهامة ، التى ظلت عامرة برهبانها ، حتى العصر المملوكى ، كما كانت قلالى الرهبان تنتشر خارجه وفى ذلك يقول المؤرخ المقريزى : «وإلى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس» ، وكان هذا الدير من المنتزهات الحسنة ، به جوسق ، وله بستان كبير ، وكثيرا ما كان يزور هذا الدير الخليفة الحاكم بأمر الله ، حيث يذكر عنه أبو صالح «يخرج إلى الجبل ويسرح فى البرية» [٩١] .

ومن الأديرة الأخرى الهامة التى كان لها رزقات وأملاك ثابتة من الخلفاء فى عصر الدولة الفاطمية ، دير الشياطين [٩٢] ، اذ كان له بستان وأراض وأملاك بمنية

الشماس [٩٣] ، وعرف فى العصر نفسه بدير الشمع غربى قرية طموية بالجيزية ، وظل عامرا برهبانه خلال العصر الفاطمى ، إلى أن هُجر فى خلافة المستنصر بالله ، وقد جُدد هذا الدير فى عام (٩٥١م) . أما دير طموية بالجيزة فكان له بساتين وأشجار وأراضى زراعية مزروعة جميعها بالكروم ، ذكر عنه الشابشتى فى كتابه الديارات «يقع قبالة مدينة حلوان ، نزه ، عامر ، آهل ، ويصفه بأنه أحد منتزهات مصر ومواضع لهوها» [٩٤] ، كما كان لدير سمالوط بالأشمونين رزقة من الخلفاء «فدن طين سواد عشرين فدانا» [٩٥] .

رابعا : أقام الخلفاء والأمراء وأثرياء ووجوه القبط المناظر (القاعات) الفخمة أعلى وأمام الكنائس والأديرة فى هذا العصر ، بحيث غدت من الأماكن الجميلة والهامة التى تعمر دائما بالزيارة ، من كل طوائف الشعب المصرى ، بما كان يحيطها من حدائق وبساتين ، ويذكر الشابشتى على سبيل المثال أن دير نهيا ، كان يعتبر من المنتزهات الموصوفة والبقاع المشهورة ومن المصائد الحسنة ، التى يقصدها الزوار ، اذ له خليج يجتمع إليه سائر الطيور ، بحيث كان له منظر عجيب ، تحيطه المياه من جميع الجهات ، وحين تنحسر عنه ، وتزرع الأرض المحيطة به تظهر غرائب النوار وأصناف الزهر [٩٦] . كما كان دير مار يوحنا على شاطىء بركة الحبش من الأماكن المقصورة «حسن المنظر ، نزه البقاع ، لايكاد يخلو من المتطرحين والمتنزهين» [٩٧] .
ومن الكنائس القديمة فى هذا العصر والتى تميزت بجمال موقعها كنيسة القديس جرجيوس ، التى كانت تشرف على بحيرة قارون ، يذكرها المؤرخ أبو صالح الأرمنى بقوله «كثيرة الأنس لما يجاورها من البساتين والمناظر ومن القاصدين فى كل وقت» [٩٨] .

ومن المعروف أن الخليفة **المعز لدين الله الفاطمى** (٣٤١ - ٣٦٥هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥م) ، حين قدم مصر أقام لمدة سبعة شهور بجوار دير نهيا السابق الإشارة إليه ، وأنشأ أمامه بستانا وساقية وحوض سبيل [٩٩] ، كما عمر هذا الخليفة كنيسة المعلقة بقصر الشمع عام (٩٧٥م / ٣٦٥هـ) . ومما تجدر الإشارة إليه إلى توثق العلاقة بين هذا الخليفة وبطريرك الأقباط فى ذلك الوقت أفراهام السيريانى ، حتى أن ساويرس بن المقفع يصف ذلك فى تاريخ البطاركة بقوله : «وكان بينه وبين الملك المعز ورجال دولته جميل عظم» [١٠٠] . ولقد سمح الخليفة المعز لهذا البطريرك

بعمارة وتجديد كل الكنائس والأديرة المصرية ، على أساس أنها من عمارة البلاد [١٠١] .

لقد عُرف عن الخليفة المعز لدين الله ، أنه كان كثيرا ما كان يسمح فى حضوره ، بحدوث مناقشات ومجادلات بين كبار العلماء من المسلمين والنصارى واليهود ، وكان لدور شخصية الوزير ابو اليمن قزمان بن مينا أهميه واضحة فى عصر الخليفة المعز لدين الله ، فقد كان وزيرا لكافور الاخشيدى وأبقاه الخليفة المعز لأمانته وحسن سيرته ، متوليا استخراج مال مصر ، بل وأنفذه إلى فلسطين لإستخراج مالها ، ويذكر ابن المقفع فى تاريخ البطاركة ، أنه قبل رحيلة إلى فلسطين ترك فى حوزة البطريرك أفراهام ، تسعين ألف دينار ، أنفقها جميعا فى عمارة الكنائس والأديرة [١٠٢] . ويصف أيضا نفس المؤرخ توثق العلاقة بين أفراهام السيريانى وبين **الخليفة العزيز بالله** [١٠٣] ومن المعروف أن هذا الخليفة كان على علاقة طيبة مع أهل الذمة فى مصر بوجه عام [١٠٤] ، وخاصة طائفة الملكانية [١٠٥] ، فقد تزوج بنصرانية وعمل على تعيين أخويها بطريركين للكنسية الملكانية فعين أحدهما مطرانا للقاهرة ، ثم رقى فى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله بطريركا للملكانيين [١٠٦] ، وقد إستبدت هذه الطائفة (الملكانية) فى البلاد بطائفة اليعاقبة المسيحية ، وحدثت شدائد كثيرة بين هذا البطريرك وبين الأقباط اليعاقبة ، وقد استطاع أن يأخذ منهم ، كنيسة السيدة العذراء بزقاق أبو حصين بمنطقة مصر القديمة [١٠٧] ، وكانت تُعرف بكنيسة البطريرك ، ومع ذلك فقد سمح الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦م) ، للبطريرك ابرام السابق الاشارة إليه ، بمواصلة ما بدأه فى خلافة أبيه ، بتجديد عمارة الكنائس والأديرة المصرية [١٠٨] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أنشأ الأمير تميم أخو الخليفة العزيز بالله ، عدة بساتين بجوار دير مار يوحنا على شاطىء بركة الحبش ، وكان ضمن ما أقامه من منشآت بجانب هذا الدير إنشاء «مجلس على عمد حسن البناء مليح الصنعة» ، كما أقام بئرا ، عرفت ببئر ابن مماتى «عليها شجرة جميزة كبيرة يجتمع الناس تحتها» [١٠٩] . هذا وقد شهد عصر العزيز تسامحا عظيما ، صعد معه بعض أهل الذمة إلى مراكز كبيرة فى الدولة إذ استوزر الوزير عيسى بن نسطورس (٣٨٣ - ٣٩٣م)

وآخر يهوديا هو منشا بن ابراهيم الفرار اليهودى الذى جعله واليا على بلاد الشام كما ولى عيسى بن نسطورس كتابته (١١٠) ، وكان قد بلغ مرتبة كبيرة عند الخليفة العزيز بالله ، حتى أنه حين مرض مرضه الأخير زاره العزيز بالله وقال له «وددت أن تباع فأبتاعك بملكى وولدى» (١١١) ، ولما توفى عام (٩٩٠م) ، حضر إليه الخليفة بغير مظلة وصلى عليه وألحده بيده فى قبره ، ودفن بقبة فى دار الخليفة ، كان العزيز قد بناها لنفسه» (١١٢) .

والواقع أن الوضع إختلف إلى حد كبير فى خلافة **الحاكم بأمر الله** (٣٨٦ – ٤١١هـ / ٩٩٦ – ١٠٢٠م) ، إذ إنقلب الخليفة الحاكم على أهل الذمة ، والذى وجد لديه من المبررات ما يجعله يتحول ضدهم جميعا ، كما كان غضبه أشد وطأة على الطائفة الملكانية من أقباط مصر دون عامتهم اليعاقبة ، بل أن غضبة إمتد أيضا ليشمل المسلمين ، بحيث وصف بعض العلماء عصره بأنه «ربما كان أغرب عصر فى تاريخ الاسلام كله يمازجه الخفاء والروع وتطبعه ألوان من الاغراق والتناقض» (١١٣) .

لقد بدأ الحاكم سياسة الشدة فى مستهل عصره مع أهل الذمة ، ويذكر ساويرس أنه بدأ اضطهاده للنصارى ، بقتل فهد بن ابراهيم النصرانى وبعد شهور قليلة قتل على بن عمر العداس والذى كان قد جعله فى مكان فهد ، ثم أصدر أوامره فى عام (٣٩٤هـ) بهدم كنيستين بجانب جامع راشده (١١٤) ، وفى العام نفسه أمر بهدم جامع عمرو بن العاص بالأسكندرية (١١٥) وفى عام (٣٩٥هـ) ، أصدر سجلا فى الجوامع يأمر بالتشديد على النصارى ، ويذكر المقريزى أنه فى نفس هذا الوقت الذى إشتد فيه على النصارى ، وغيرهم من أهل الذمة فى مصر قد «كثرت الحوادث العجيبة للخليفة الحاكم» (١١٦) . ومن الغريب أنه فى الوقت الذى إضطهد فيه النصارى ، تقلد الوزارة ، منصور بن عبدون النصرانى ، وهو الذى أشار على الخليفة الحاكم ، بوجوب هدم كنيسة القيامة فى عام (٣٩٨هـ) (١١٧) ، وفى عام (٣٩٦هـ) دثرت كنائس بطريق المكس وكنيسة بحارة الروم ونهب ما فيها (١١٨) .

وقد عاد الخليفة الحاكم فى عام (٤١١هـ) ، وأصدر أمانا قبل اختفائه ، أعاد فيه لأهل الذمة ، ما أخذ من أوقاف الكنائس والأديرة وسمح لهم بتجديد وتعمير كنائسهم وأديرتهم (١١٩) ، وأمر باعادة الكنائس للنصارى .

ورغم ما أصاب الكنائس والأديرة المصرية فى فترة خلافة الحاكم بأمر الله من دمار ، فإننا نجد حركة التجديد والتعمير لم تنقطع بين الفينة والأخرى ، إذ ذكر لنا أبو صالح عددا منها جُدد وعُمر ، خلال فترات مختلفة من حكمه ، نذكر منها على سبيل المثال ، ما عمره أبو الفضل بن البغداد ، المعروف بابن العداس ، متولى ديوان الشام ، فى الخلافة الحاكمية ، فى دير مار يوحنا المعمدان للطائفة الملكانية (١٢٠) ، والشيخ مفضل بن صالح من أصحاب الوزير أبى الفرج بن كلس ، فى كنيسة كانت قائمة على شاطىء النيل ، بمنية القائد بالجيزة ، كما أطلق الخليفة الحاكم نفسه لدير نهيا ، رزقة ظلت باقية ثابتة ، حتى أيام أبى صالح الأرمنى .

ومما هو جدير بالذكر ، أن كنائس وأديرة وادى النطرون ، لم يمسسها أى ضرر من أحداث الخليفة الحاكم ، كما أمر بنفسه بتعمير دير شهران ، عندما زار هذا الدير وطلب منه الراهب «بمين» صديق الحاكم نفسه ، ذلك التجديد والتعمير ، بل أن هذا الراهب توسط لدى الحاكم فى أن يعيد بطريرك الأقباط اليعاقبة زخاريوس ، تجديد وتعمير الكنائس المصرية ، فوافق له الحاكم بأمر الله على ذلك (١٢١) .

على أننا نجد فى خلافة **الظاهر لاعزاز دين الله** : (٤١١ – ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ – ١٠٣٥م) ، والذى أعقب والده الحاكم فى الخلافة ، نجده يأمر ، بتجديد وتعمير كل الكنائس والأديرة المصرية ، إلى أفضل مما كانت عليه ، حتى أن ساويرس بن المقفع يصف ذلك فى كتابه عن تاريخ البطاركة ، بقوله ، «وكان فى أيام الظاهر هدوء وسلامة عظيمة ، وأقام ستة عشرة سنة ملكا ، وكان دين النصارى مستقيما وأهله مكرمين ، ولم يزل البناء فيها ، والعمارة متصلة إلى السنة التى كتبت فيها هذه السيرة» (١٢٢) . هذا وقد سمح الخليفة الظاهر فى أيامه بفتح كنيسة القيامة بالقدس ، التى كان الخليفة الحاكم قد أمر بهدمها ، ويذكر المقريزى فى هذا الشأن : «فحمل إليها ملوك النصارى الأموال والآلات وأعادوها» .

كذلك فقد أظهر الخليفة **المستنصر بالله** (٤٢٧ – ٤٨٧هـ ١٠٣٥ – ١٠٩٤م) ، عطفا وتسامحا أيضا على أهل الذمة عامة وعلى النصارى منهم خاصة . وليس هناك دليل على ذلك ، أكثر مما ورد فى السجلات المستنصرية (١٢٤) ، عن استقبال الخليفة المستنصر بالله لبطريرك الأقباط اذ أرسل له فى مقر بطريركتيه بالاسكندرية مركبا خاصا ، لتنقله إلى مصر ، حيث كان فى انتظاره خلق كثير ،

ودخل القاهرة فى موكب رسمى ، وحين وصل إلى قصر الخليفة ، استقبله صاحب الرسالة وقال له «أمير المؤمنين يرد عليك السلام ، فانحنى البطريرك إلى الأرض ، ثم دخل على الخليفة على حده وكان معه أمه وأخته جالستان ، ثم انصرف بعد ذلك بموكبه إلى دار الوزير» ، ورجع فى صحبة والى القاهرة .

وقد أورد أبو صالح الأرمنى قصة طريفة ، عن أحد وجوه القبط ، كان مقربا من الخليفة المستنصر ، وقد بلغ من هذه الصلة ، أنه حين كان يحضر المستنصر بالله إلى المنظرة المعروفة «بالسُكرة» (١٢٦) ، كان يسرع إليه هذا الرجل ، ويدعى المعلم سرور الجلال ، بمختلف أنواع الأطعمة والحلوى ، التى يتقبلها منه الخليفة بالشكر ، ويخلع عليه ويقضى حوائجه ، (١٢٧) وبلغ من قوة هذه الصلة أيضا أن أوفده الخليفة المستنصر ، فى مهمة إلى القُلزم ، وقد جدد أيضا وهو فى خلافة المستنصر بالله كنيسة كانت قائمة بخط الحمراء ، على اسم القديس جرجيوس ، كما عمر إبنه نجاح «كنيسة» علو هذه الكنيسة على اسم القديس يوحنا ، «كانت جميعها خشبا نقيا منقوشا» (١٢٨) .

وفى خلافة المستنصر بالله أيضا ، إستحدث «البطريرك خرستوذلوس» (١٠٤٤ - ١٠٧٥م) ، كنيسة بمنطقة مصر القديمة هى كنيسة «بوموقورة» ، وكنيسة أخرى هى كنيسة السيدة العذراء بحارة الروم من القاهرة (١٢٩) ، كما استحدث البطريرك كيرلس الثانى (١٠٧٦ - ١٠٩٠م) ، زيا للبطاركة من «ديباج أزرق وبلارية ديباج أحمر بتصاوير ذهب» (١٣٠) . هذا وقد أنفذ الخليفة المستنصر بالله ، البطريرك ميخائيل الرابع (١٠٩٠ - ١١٠٠م) ، إلى بلاد الحبشة فى مهمة خاصة ، ذلك حين نقصت مياه النيل عن معدلها المعتاد ، وبعث معه بهدية إلى ملكها ، الذى أمر بفتح سد يجرى منه الماء إلى مصر ، وحين عاد هذا البطريرك بعد نجاح مهمته ، إستقبله الخليفة المستنصر فى قصره وخلع عليه وأحسن إليه (١٣١) .

ولقد كان الخليفة **الآمر بأحكام الله** (٤٩٥ - ٥٢٤هـ/١١٠١ - ١١٣٠م) ، كثيرا ما يزور الأديرة ، ويتبرع لها ، ويأمر بعمل تجديدات بها ، فعلى سبيل المثال ، كان كثيرا ما يطرق دير نهيا ، وكان فى كل مرة يزور هذا الدير ، يعطى رهبانه ألف درهم ، بعد ضيافتهم له حتى أن الرهبان جمعوا من جُمله ما تحصل لهم من زيارات الآمر ما يناهز خمسة وعشرين ألف درهم ، جددوا من

حصيلتها حصن الدير الضخم ، كما أنشأ به منظرة عالية ، تتوجها قبة شاهقة الارتفاع [١٣٢] .

ويذكر أبو صالح الأرمنى ، أن رهبان هذا الدير ، انتهزوا فرصة إغداق الآمر عليهم وطلبوا منه أن يخصص لهم مساحة من الأراضى الزراعية الجيدة ، يذهب ريعها للدير ، فأجاب سؤالهم وأنعم عليهم من أراضى ناحية طهرمس ، تمليكا ثابتا منه بخط يده «قطعة أرض قبالته بغير مساحة ، ما يقارب ثلاثين فدانا إستمرت بأيديهم» [١٣٣] .

ومن الأديرة التى أُعيد تجديدها فى خلافة الآمر بالله دير طموية بالجيزة ، الذى جدد عمارته أبو اليمن وزير متولى أسفل الأرض [١٣٤] وإبنه ابو المنصور . وكان الأفضل شاهنشاه ينزل هذا الدير ويقيم فيه ، وأنشأ به منتزها وبستانا ، غرس فى جواره جميع الأشجار والنخيل ، وحفر آبارا ركب عليها سواقى ، كما أحدث بداخله معاصر للزيوت [١٣٥] ، وأنشأ أيضا أبو اليمن منظرة كبيرة أعلى كنيسة المرتوتى سميت بالسلوقية [١٣٦] . ومن المعروف أن الخليفة الآمر نفسه أنشأ منظرة علو دير القصير ، كان يقيم بها حين يفد إلى المنطقة فى رحلاته للصيد ، وكانت تجاور هذه المنظرة ، تلك التى بناها خمارويه فى الجانب الشرقى من الدير [١٣٧] .

كما جدد نفس الخليفة (الآمر) ، كنيسة لطائفة الملكانية ، كانت تقع بجوار دير مار يوحنا بمنطقة البساتين ، وقام خلال فترة خلافته أبو الفضائل النسطورى ، المعروف بطيب الطائفة ، المعروفة بالعظيمة ، بتجديد فى دير للنساطرة ، كان على شاطىء بركة الحبش على إسم مار جرجس ، وقد أخذ الأقباط اليعاقبة هذا الدير من النساطرة خلال بطريركية أنبا مرقس الثالث (١١٦٧ - ١١٨٩م) [١٣٨] ، وهو الأمر الذى يوضح تجديد وتعمير الكنائس والأديرة المصرية ، فى خلافة فترة الآمر على اختلاف طوائف المسيحية الدينية فى مصر .

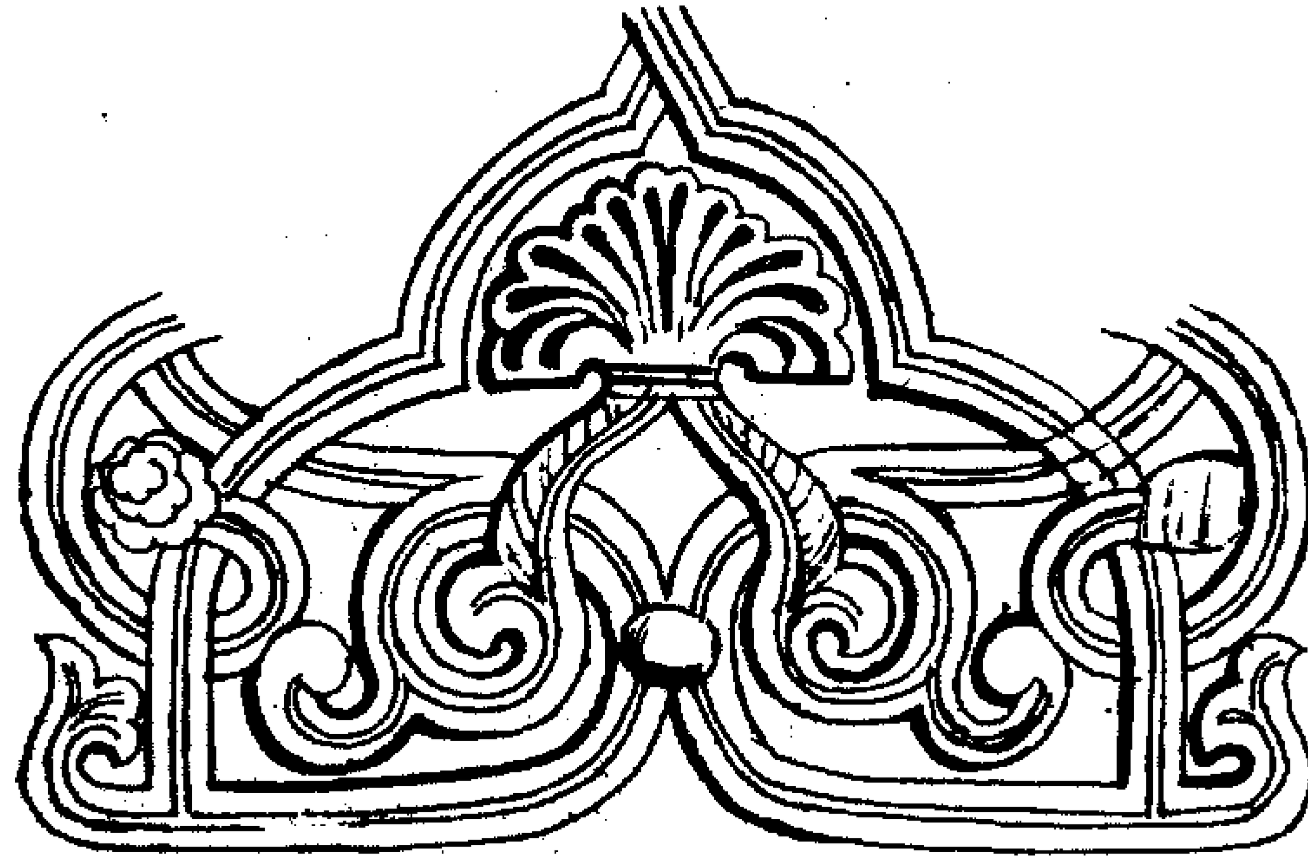
وفى عصر الخليفة **الحافظ لدين الله** (٥٢٤ - ٥٤٤هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩م) ، حدث تجديد فى عمارة كثير من الكنائس والأديرة المصرية ، فعلى سبيل المثال جُدد جوسق دير المحرق بمحافظة أسيوط وكنيسة يوحنا المعمدان بمنطقة مصر القديمة ، وأنشأ الامام جبريل ابن الامام الحافظ لدين الله منظرة كبيرة أمام

كنيسة المرتوتى ، السابق الاشارة إليها ، فى المكان المعروف باسم الخيمة القبلية ، «حل بها الامام الحافظ والامام الظافر ولده فى حياة الأمير جبريل ، وحضر بعد وفاته إليها الامام العاضد ، وكان كل منهم يراعي هذه الكنيسة» (١٣٩) ، كما جُددت عمارة دير الشياطين (١٤٠) والسابق الاشارة إليه أيضا .

هذا وقد استمرت حركة التجديد والتعمير والرعاية للكنيسة المصرية وكذلك الأديرة فى خلافة الظافر والفائز والعاضد ، حتى سقوط الخلافة الفاطمية فى مصر عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م ففى خلافة الفائز لدين الله على سبيل المثال قام الشيخ المكين أبو البركات بن كتامة الكاتب بتجديد فى كنيسة للقديس بقطر ببركة الحبش (١٤١) .

كذلك كان للنساء فى هذا العصر دور آخر فى حركة التجديد والتعمير فى المنشآت الدينية المسيحية ، فيذكر لنا المؤرخ الكنسى أبو صالح الأرمنى فى خططه من الكنائس والأديرة المصرية فى العصر الفاطمى ، إسم لسيدة تدعى «ترفه» ، قامت بتجديد عمارة كنيسة كانت قائمة بخط الحمراء ، إذ ذكر أنه رأى بنفسه اللوحة التأسيسية ، التى تحمل اسمها ، وما قامت به من تجديد فى عمارة الكنيسة ، وكانت مثبتة على باب الكنيسة الخارجى (١٤٢) .

ومما سبق عرضه فإنه يتضح مدى الرعاية والاهتمام الذى لحق بالكنيسة والدير فى مصر خلال العصر الفاطمى وما قبله من العصور الاسلامية .



الباب الثانى

تخطيط الكنيسة والدير فى مصر

الفصل الأول : تخطيط الكنيسة
الفصل الثانى : تخطيط الدير

يتناول هذا الباب من الكتاب ، تخطيط الكنيسة والدير ، من حيث العناصر المعمارية المتوافرة فى البناء ، فيختص الفصل الأول ، بتخطيط الكنيسة المسيحية عامة ، حيث يغلب عليها سيادة الطراز البازيليكى والبيزنطى . ولما كان تخطيط الكنيسة المصرية ، يتميز بوجود بعض العناصر المعمارية التى لا توجد فى التخطيطين السابقين ، فإننا نعتبره تخطيط ثالث رئيسى للكنيسة المسيحية فى العالم ، ينفرد بخصائص وسمات معمارية هامة وفريدة من نوعها ، فأقباط مصر كان لهم دورهم البارز ، فى فن العمارة القبطية ، وكان لهم دورهم أيضا الخاص فى بعض الزخارف المعمارية وغيرها ، وهو الأمر الذى أضفى على عمارة منشآتهم الدينية أهمية خاصة . لذلك فإننا نعرض فى الفصل الأول إلى الطرز المعمارية المسيحية الثلاثة ، وقوام عناصرها المعمارية ، لاسيما طراز التخطيط البازيليكى ، الذى إشتقت منه الكنيسة المصرية جوهرة ، المتمثل فى الأروقة المستطيلة الرأسية الثلاثة . ولقد إستخدمنا لفظ أو مصطلح الرواق فى الوصف المعمارى للكنيسة المصرية ، بدلا من المصطلح الشائع الصحن والجناحان» ، نظرا لأن هذا المصطلح هو الذى كان يستخدم فى العصر الفاطمى ، فى وصف عمارة الكنيسة ، إعتمادا على ما ذكره المؤرخ الكنسى أبى صالح الأرمنى فى نهاية العصر نفسه ، فى وصفه لبعض الكنائس .

أما الفصل الثانى : فيشمل بإيجاز ، العناصر المعمارية بالدير فى مصر ، فالأديرة المصرية فى رأينا ، هى أيضا من أقدم الأديرة المسيحية فى العالم فى نشأتها وتطورها ، كما أن رهبان مصر ، قدموا للعالم المسيحى كله ، نظام الديرية ، بمفهومه العام وبمشتملاته المعمارية وكانوا أسبق شعوب العالم كله فى معرفة حياة الرهبنة ، لذلك كان لحياتهم داخل الأديرة منهج معين ، لازمه وحدات معمارية ثابتة فى عمارة الدير .

والحق أن بعض العلماء والمهندسين الأجانب ، تناولوا عمارة الأديرة ومشتملاتها ، بنظرة دقيقة فاحصة ، إعتمدنا عليها إلى حد كبير من أمثال إيفلين هوايت ومونريه دى فيلارد ، وجاييه وألفريد بتلر وغيرهم .

الفصل الأول
تخطيط الكنيسة

يكاد ينحصر تخطيط الكنيسة عامة فى ثلاثة أنواع رئيسية ، هى التخطيط البازيليكى والتخطيط البيزنطى والتخطيط القبطى ، وإذا كانت هناك مميزات عامة تجمع بين تلك الطرز جميعها ، فما من شك أن لكل منها مميزاته الخاصة التى ينفرد بها .

والواقع أن الكنيسة المصرية قد أخذت عناصرها من الطرازين البازيليكى والبيزنطى ، إذ لا نكاد نجد كنيسة مصرية ، واحدة إقتصرت على طراز بعينه ، بل جمعت فى معظم الأحيان بين طرازين أو ثلاث ، لذلك فإننا نعرض بإيجاز لكل طراز على حده ، حتى يتبين طراز الكنيسة المصرية الخاص .

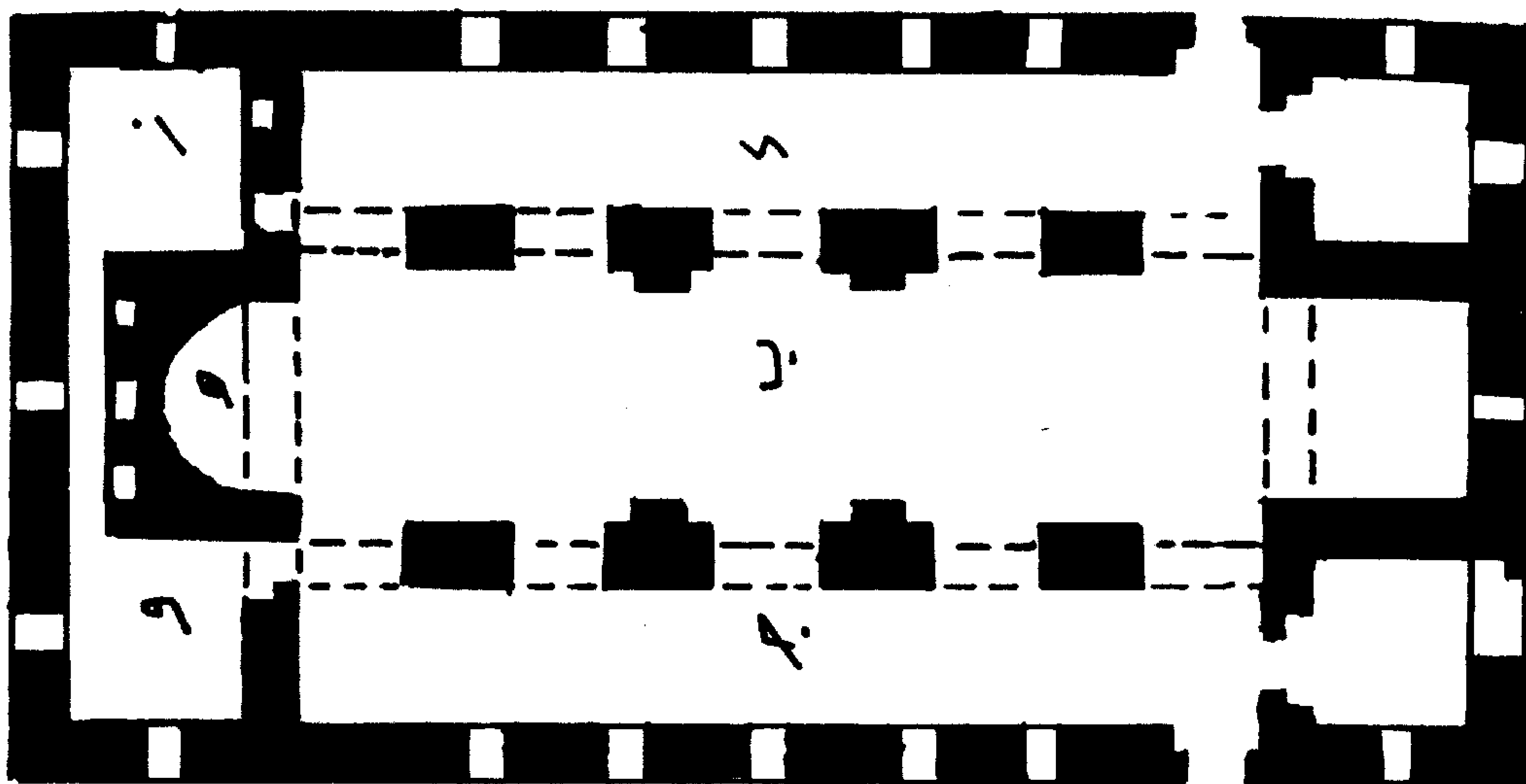
أولا : التخطيط البازيليكى

يعتبر هذا الطراز ، أقدم الطرز المعمارية الثلاثة ، فى تخطيط الكنيسة المسيحية ، وهو طراز انتشر إلى حد كبير ، فى سائر أرجاء العالم ، وقد تعددت الآراء حول مصدره الأساسى ، فكثير من الباحثين الأجانب وفى مقدمتهم «الفريد

بتلر Butler» و«وايفلين وايت White» و«كروسبى بتلر Crosby Butler» ، و«برجز Briggs» ، و«ميل Male» و«ستفنسون Stephenson» و«فلتشر Fletcher» و«دالتون Dalton» ، و«سومرز كلارك Clarke» ، وغيرهم يرجعون أصوله الأولى إلى أنواع العمائر الرومانية القديمة ، التى كان يمثلها أساسا ساحة العدل عند الرومان ، حيث تعقد فيها المحكمة الرومانية ، بالإضافة إلى اعتبارها مكانا لانجاز الأعمال التجارية . أما من الناحية المعمارية ، فإن هذا البناء كان يتألف فى الأصل من مساحة مستطيلة الشكل يقسمها صفان من البائكات إلى أروقة ثلاثة ، الأوسط أكثرها إتساعا ويسمى بالرواق الكبير ، ويتوسط الجدار فى الناحية الشرقية ، تجويف (Apse) ، حيث كان يُعقد فيه مجلس القضاء أو مجلس كبار التجار ، وعلى هذا الأساس فإن أصحاب هذا الرأى يعتقدون بأن هذا التخطيط ، قد إنتقل إلى الكنائس المسيحية ، التى شيدت غداة إعتراف قنسطنطين بها ، إذ أنه لم يكن أمام المسيحيين ، فى هذا الوقت سوى الحصول على مبان قديمة أيا كان نوعها لتحويلها إلى كنائس بحيث أصبحت الكنيسة البازيليكية ، تتألف من بناء مستطيل الشكل شكل (١) ، يقع مدخله فى الناحية الشرقية (أ) ، وتتكون الكنيسة من الداخل من ثلاثة أروقة رأسية أكثرها اتساعا وارتفاعا الرواق الأوسط (ب) ، عن الرواقين الجانبيين (د ،ج) ، بواسطة صفين من البائكات وفى الناحية الشرقية ، توجد حنية الكنيسة الرئيسية (هـ)أو محرابها ، على شكل نصف دائرى فى معظم الأحيان ، حيث كان يوضع بهذة الحنية كرسى للأسقف ، على جانبية مدرج رخامى لبقية رجال الدين .

على أنه يقابل الحنية فى الضلع الغربى من البناء على نفس محور الحنية باب الكنيسة الرئيسى .

والواقع أن هذا التخطيط بعناصرة المعمارية الرئيسية ، آثار بين العلماء والباحثين السابق الاشارة إلى بعضهم ، اختلاف فى الرأى حول مصدر هذا التخطيط وتطورة ، فعلى سبيل المثال يرى المهندس الإنجليزى ألفريد بتلر «Buter » ، أن هناك إختلافا جوهريا ، فيما يتعلق بارجاع هذا التخطيط ، إلى البازيليكات الرومانية ، التى كانت فى رأيه عبارة عن مساحات مفتوحة تحيط بها بائكات ، ثم تطورت ، بحيث أصبح يعطيها سقوف ، ثم أهملت البائكات الجانبية ، لتصبح البازيليكات الرومانية ، عبارة عن ردهة عالية يغطيها فقط قبو مستطيل .



شكل (١)
كنيسة بازيلكية الطراز .

ويرى بتلر أيضا أن الكنيسة البازيليكية التخطيط ، بدأت بردهة مستطيلة ، إنتهت فى الناحية الشرقية بحجرة صغيرة (الهيكل) ، يتوسط ضلعها الشرقى ، تجويف صغير ، أطلق علية حنية الكنيسة ويفصل الحجرة السابقة عن الردهة ، عقد كبير (عقد الحنية) ،وقد أضيف إلى هذا التخطيط البسيط فيمابعد رواقين جانبيين ، ثم حدثت إضافة ثالثة ، شملت مدخل الكنيسة . [1] ثم تطور الأمر بعد ذلك ، بوجود نوعين من البازيليكات الصغيرة والكبيرة ، بحيث إختلفا حسب المضمون أو الهدف المشيد البناء من أجلة .

ورغم إتفاقهم تقريبا ، على إرجاع المصدر الأساسى للبازيليكا ، إلى الأبنية الرومانية القديمة ، إلاأنهم لم يتفقوا ، على أول مكان بنيت به ، كنيسة على هذا الطراز فالبعض يرجعة إلى مدينة روما والآخر إلى الاسكندرية وبابليون . [2] إلا أن بعض العلماء أيضا يرون أن المصدر الأول الذى إشتقت منه الكنيسة البازيليكية التخطيط ، تخطيطها المعمارى الأول ، هو قاعة الأعمدة الضخمة Hypostyle ، فى المعبد المصرى القديم فى العصر الفرعونى ، لاسيما فى عصر الدولة الحديثة ، كما يذهب بعضهم أيضا فى ذلك إلى عمائر الدولة الوسطى فى مصر لاسيما فى مقابر بنى حسن ، وعلى هذا الأساس ، فإن البازيليكا الرومانية ، كان مصدرها العمارة الفرعونية إذ إنتقل نظام البازيليكا المكون من ثلاثة أروقة طولية ، إلى الأقبية الدينية المسيحية فى فجر المسيحية . [3] بينما يعارض البعض هذا الرأى على إعتبار أن المعبد الوثنى ، لم يكن على الاطلاق هو النموذج الأول للبناءالمسيحى ، ذلك أن المعبد كان معدا لبيت الاله ، ولم يكن مكانا للإجتماع [4] .

وأغلب الظن أن التخطيط البازيليكى ، كان فى مصدره الأساسى مشتقا من المعبد المصرى القديم والذى قدم للكنيسة المصرية ، فى بداية طور عمارتها ، العناصر المعمارية الأساسية ، ومن مصر ، انتشرهذا التخطيط بعد ذلك إلى سائر أرجاء العالم المسيحى ، فالأروقة الثلاثة موجودة فى المعبد وفى البناء البازيليكى ، والحنية ، يقابلها قدس الأقداس فى المعبد ، وإن اختلف المضمون الدينى بينهما من حيث الاستخدام ، بل أن كثيرا من العناصر الثانوية ، قد وجدت مشتركة بين المعبد والكنيسة مثل أحواض التطهير ، على سبيل المثال . هذا بالإضافة إذا ما وضعنا فى الاعتبار ، قدم الحضارة المصرية القديمة ، على شتى حضارات العالم

الأخرى ، كما أنه قد تم تحويل كثير من المعابد الوثنية القديمة فى مصر إلى كنائس مسيحية ، غداة إعلان الدين المسيحى ، دينا رسميا لمصر فى نهاية القرن الرابع الميلادى ، فغُطيت الرسوم الوثنية بطبقة من الملاط ، وحُفر ونُقش مكانها ، الصلبان والرموز الأخرى للمسيحية (٥) ، وتم إستخدام أجزاء المعبد فى الأغراض الدينية المسيحية الجديدة ، ومن ثم فقد أصبح أمام أقباط مصر ، ذلك التخطيط المعمارى القائم على الأروقة والحنية ، بصفة رئيسية فى جسم الكنيسة بعد ذلك .

ثانيا : التخطيط البيزنطى :

يُعد التخطيط البيزنطى من الطرز المعمارية ، التى لاقت إنتشارا كبيرا فى العالم المسيحى ، ويعتبره بعض العلماء ، هو البناء المفضل الذى يناسب بناء الكنيسة المسيحية (٦) ، وقد إشتق هذا التخطيط اسمه من إسم الدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية ، وانتشر سريعا ، داخل وخارج حدود الدولة البيزنطية ، التى بلغت أوج عظمتها فى القرن السادس الميلادى (٧) . على أنه يختلف تماما ، تخطيط الكنيسة البيزنطية عن تخطيط الكنيسة البازيليكة ، وأبرز مظاهر هذا الإختلاف أن تخطيط الكنيسة البيزنطية مربع الشكل ، فى حين أنه فى الكنيسة البازيليكية مستطيل الشكل ، كما تمتاز الكنائس البيزنطية باستخدام القباب فى تغطية كثير من مساحاتها ، خاصة استخدام القبة المركزية الشاهقة الارتفاع والتى كان لها الدور الرئيسى فى تغطية المساحة الرئيسية فى الكنيسة البيزنطية ، بالإضافة إلى استخدام أنصاف القباب والقباب الصغيرة والأقبية ، المختلفة ، بينما نجد وسيلة التغطية فى الكنيسة البازيليكية كانت باستخدام السقوف المسطحة والجمالونية الشكل (١) .

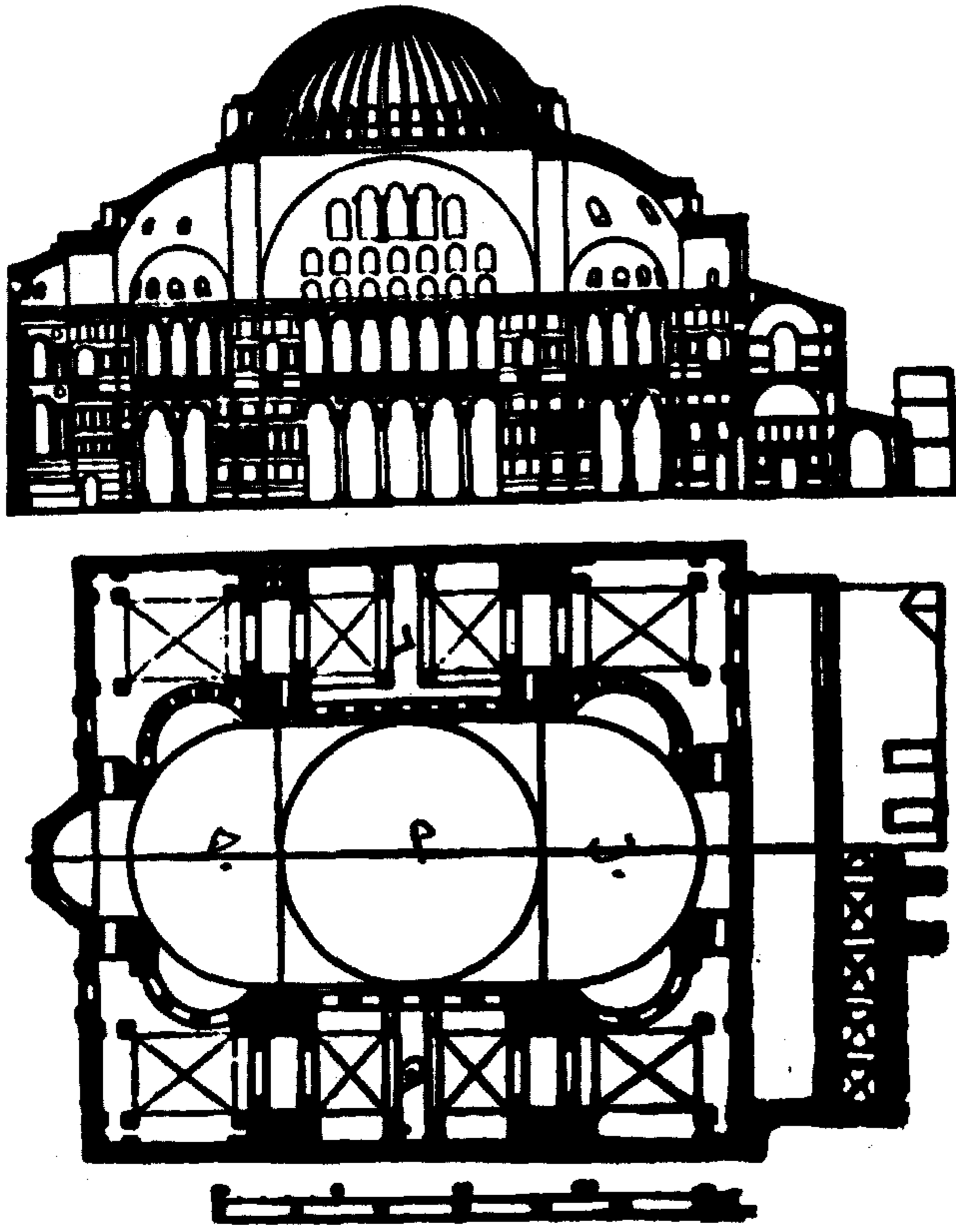
ولقد ترتب على وسيلة التغطية فى الكنيسة البيزنطية بالسقوف المقبية ، أن حل الايوان المربع ، محل الرواق المستطيل فى الكنيسة البازيليكية ، وأصبح على كل جوانب المربع (ممر) قصير يغطيه قبو ، وبذلك يصبح مسطح الكنيسة ، على شكل الصليب ، بحيث يتجه النظر مباشرة ، فى الكنيسة البيزنطية نحو القباب ، بدلا من أن يتجة فى الكنيسة البازيليكية نحو الحنية الرئيسية (Apse) . وان كان إستخدام القبة ، قد عرف فى الحضارة المصرية القديمة ، قبل أن تعرف فى الطراز البيزنطى ، أو غيرة من سائر الطرز المعمارية الأخرى ، ذلك أن القبة التى تغطى مساحات

مربعة ، قد عرفت فى عصر الدولة القديمة ، إذ يتقدم مقبرة «سنب» غربى الهرم الأكبر بناء مربع من اللبن ، يعلوه قبة هى أقدم قبة معروفة فى مصر [٨] ، كما عرفت أيضا فى العصر الإغريقى قبل ظهورها فى الطراز البيزنطى ، كما فى بعض المقابر التى ترجع إلى القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد كما فى (Kerch in Crimea) و (Mylas in Caria) [٩] . أما القبو الذى جرى استخدامه فى العمارة البيزنطية على نطاق واسع ، فقد عرف من قبل فى العمارة المصرية القديمة ، فى عهد الدولة القديمة ، كما هو الحال فى غرفة الدفن ، بهرم زوسر المدرج ، والمبنى من مادة الحجر بحيث يعتبر من أقدم الأقباء المدرجة فى تاريخ العمارة . أما الاقباء التى بنيت من مادة اللبن ، فقد عرفت منذ عهد بداية الأسرات [١٠] .

على أى حال نعتبر أنه من الصعب إطلاق لفظ بيزنطى أو إستخدام نفس التعبير على تخطيط عمارة الكنيسة المصرية مهما إشتقت من عناصر الكنيسة البيزنطية بعض التفاصيل وذلك على اساس أن القبة والقبو من أبرز العناصر المعمارية فى الكنيسة البيزنطية وسبق إستخدامهما فى الحضارة المصرية القديمة ، قبل نشأة هذا الطراز بفترة كبيرة . كما أن الكنائس البيزنطية ، تميزت بأن كثيرا منها ، يغلب عليه التخطيط الصليبى الشكل ، وهو الأمر الذى لا يوجد فى الكنائس المصرية [١١] .

والواقع أن الأمثلة كثيرة للكنائس ذات التخطيط البيزنطى خارج مصر ، مثل كنيسة القديس فيتال برافنا ، بشمال إيطاليا ، وكنيسة القديس مرقس بمدينة البندقية ، إلا أن كنيسة القديسة صوفيا بالقسطنطينية [١٢] تعد أحسن مثال لهذا النوع من التخطيط ، أذ أنها تشكل وحدة معمارية قائمة بذاتها ، تخطيطها مربع الشكل (شكل ٢) ، تتكون من مساحة مربعة تتوسط أضلاع الصليب ، يحيط بها أربعة إيوانات فى الجهات الأربعة ، ويغطى المساحة المتوسطة الرئيسية قبة شاهقة الارتفاع ، ترتكز على أنصاف قباب فى الناحيتين الشرقية والغربية وتغطى كل من الإيوان الشرقى والإيوان الغربى ، كما ترتكز هذه القبة فى ناحيتها الشمالية والجنوبية على عقود متقاطعة ، تغطى أيضا مساحة الإيوانين .

ولعل من أبرز مميزات الكنيسة البيزنطية عامة ، كثرة استخدام الزخارف الداخلية والخارجية ، لا سيما بالفسيفساء والرخام ، والتى تمثل بعض الموضوعات الدينية المسيحية .



شكل (٢)
مسقط أفقى وقطاع رأسى لكنيسة القديسة صوفيا .

ثالثا : التخطيط القبطى :

الواقع أن تخطيط الكنيسة المصرية قائم فى جوهره على البازيليكا ، وهو الأمر الذى يوجد فى معظم الكنائس المصرية ، بالاضافة إلى التخطيط المربع والذى سنتناول تفاصيله ضمن الحديث عن كنائس مصر العليا مع شرح تفاصيله وما تميز به هذا النوع .

ولعل التغييرات المعمارية التى طرأت على جوهر التخطيط البازيليكى فى النهاية الشرقية من جسم الكنيسة ، هو أهم ما تتميز به الكنيسة القبطية سواء فى النوع المستطيل أو فى النوع المربع عن الكنائس الغربية الأخرى .

ويتمثل هذا التغيير فى انفراد الكنيسة المصرية فى وجود عدة هياكل فى النهاية الشرقية من جسم الكنيسة يختلف عددها ، وان كان يغلب وجود ثلاثة هياكل فى البناء الكنسى ، بينما يوجد فى بعض الأحيان خمسة هياكل وفيما ندر سبعة هياكل ، وقد يزيد هذا العدد فى أحيان نادرة . كذلك يوجد لكل هيكل من هذه الهياكل عناصر معمارية ثابتة : مثل وجود الحنية الصغيرة التى تتوسط الضلع الشرقى للهيكل ، وهى أشبه بمحراب صغير ، يزدان باطنه بزخارف الفرسكو أو بالفسيفساء ، أو بدون زخرفه ، كما لا يظهر بروز هذه الحنية من خارج الجدار الشرقى ، وفى بعض الأحيان يوجد ممر يقع خلف الحنية الرئيسية ، يصل بين الهياكل الثلاثة ، كما يتقدم هذه الحنية فى معظم الأحيان وفى التخطيط الأول للكنيسة القبطية ، مدرج رخامى ، يتقدمه مذبح الهيكل ، ويغطى هذه الهياكل ، غالبا قباب لها مميزات خاصة ، إذ أنها تترك عارية من الملاط من الخارج ، عادة ، وأخيرا تنفصل هياكل الكنيسة فى الناحية الشرقية عن جسم الكنيسة الرئيسى فى الناحية الغربية بواسطة أحجبة خشبية تعرف بالأيقونستات ، وتعد من أدق خصائص الكنيسة المصرية .

ومن العناصر المعمارية الهامة والتى نشير إليها فى عجالة فى هذا الفصل والتى تعتبر ضمن العناصر الثابتة فى الكنيسة المصرية : الحنية والمذبح والأمبون وتيجان الأعمدة .

أولا : الحنية : (Apse)

تعتبر الحنية من العناصر المعمارية الهامة والثابتة فى هيكل الكنيسة المصرية ، وهى عبارة عن دخلة ، غير عميقة ، أشبه بالتجويف ، تتوسط عادة ، كل هيكل من الهياكل الثلاثة ، فى الجدار الشرقى . وعادة ما يعلو هذا التجويف أو الحنية عقد صغير ، هذا وقد قارن كريزول (Creswell) بين شكل الحنية فى الكنيسة والمحراب فى المسجد ، من حيث المصدر الأساسى الذى إشتق منه هذا العنصر المعمارى أصله ، ونشر هذا البحث بمجلة جمعية الآثار القبطية [١٣] ، وقد اعتمد فى هذه المقارنة على شكل التجويف الموجود فى كنيسة دير القديس جرمياس بسقارة [١٤] ، الذى يؤرخ بالقرن الخامس أو السادس الميلادى ، وبين المحراب المبكر ، الموجود فى قصر المنصور ببغداد .

على أنه من المعتاد عدم ظهور بروز الحنية ، خارج الجدار فى الكنيسة المصرية ، وان كانت التخطيطات المعمارية التى نشرها ألفريد بتلر «Butler» ، فى نهاية القرن الماضى ، عن دير المجمع أحد أديرة مدينة نقادة ، يظهر بكنيسيتين من كنائس هذا الدير وجود بروز للحنية يظهر فى الجدار من الخلف ، وقد اعتبر بتلر أن وضوح مثل هذا البروز فى الكنيستين ، من التأثيرات المعمارية السورية على الكنائس المصرية [١٦] ، كما فى كنيسة قلب لوزة بسوريا ، التى تبرز حنيتها من الخارج [١٧] . وتتميز حنايا الكنائس المصرية باحتوائها على مناظر دينية رسمت بأسلوب الفرسكو [١٨] ، كما أنها معقودة من أعلى ، على أشكال مدببة ونصف دائرية وغير ذلك ، فضلا عن أشكال أخرى من العقود ، وبعضها يبدأ مباشرة من منسوب الأرضية ، والبعض الآخر ، من مسافات مختلفة من منسوب الأرضيات .

ثانيا : المذبح : Altar

المذبح عبارة عن بناء مربع أو مستطيل الشكل يتوسط هيكل الكنيسة ، يكون بناؤه من الآجر أو اللبن أو الحجر أو الخشب ، يقام عليه القداس الدينى أثناء الخدمة الكنسية . وهو على هذا الأساس يُعد من العناصر الثابتة المعمارية فى هياكل الكنيسة المصرية ، والتى عادة ما يوجد بها ثلاثة هياكل ، بحيث يتوسط كل هيكل مذبح ، وقد بلغ عدد هذه المذابح فى كنيسة أتريب أربعا وعشرين

مذبحا [١٩] ، وبكنيسة أبى السيفين ضمن كنائس منطقة مصر القديمة ، عدد كبير من المذابح ، بالاضافة إلى حجرات الهياكل بالدور العلوى ، ويذكر سومرز كلارك أن الكنيسة الوحيدة التى تشذ عن هذه القاعدة هى مغارة كنيسة أبى سرجة بمنطقة مصر القديمة . والواقع أن كنائس منطقة مصر القديمة ، تميزت بوجود مظلة خشبية ، تقوم على أربعة أعمدةٍ من الرخام أو الخشب تعلو مذبح الهيكل ، وفى أحيان كثيرة ، يزخرف بواطن هذه القباب أو المظلات الخشبية زخارف وموضوعات تصويرية بالرسوم الزيتية ، مستمدة من الانجيل أو قصص الشهداء أو القديسين .

ثالثا : الأمبون : (Ambon)

يقابل الأمبون فى الكنيسة ، المنبر فى المسجد ، وكلمة الأمبون بمعنى المنبر أو الإنبل مستمدة من اللغة الأمهرية ، ويعتبر بعض العلماء الأجانب وفى مقدمتهم كريزول وبتلر وكوبل وسوفاجيه ، أن المنبر فى المسجد ، قد أُشتق أساسا من المنابر المسيحية الأولى قبل الإسلام ، اعتمادا على المنبر الذى كشفه «كوبل» فى دير أنبا جرمياس بسقارة والذى أرخه بالقرن السادس الميلادى [٢٠] ، أى قبل العصر الإسلامى ، وهو منبر مصنوع من الحجر ، ويتكون من ست درجات [٢١] . ويذكر بتلر انه عرف فى الكنيسة المصرية نوعان من المنابر ، الأول يتميز بوجود مقصورة مستقيمة الجوانب ملحقة به ، ممتدة من الشرق إلى الغرب ، من الرخام المزخرف بزخارف الفسيفساء . وفى بعض الأحيان يوجد سلم متحرك ، بدلا من السلم الثابت ، وقد وجدت أمثلة هذا النوع فى القرن العاشر الميلادى وما تلاه ، كالمنبر الرخامى الموجود بكنيسة المعلقة . أما النوع الثانى وهو المنبر الصغير ، المعتاد من درجات السلم الصغيرة [٢٢] .

رابعا : تيجان الأعمدة القبطية : Captials

يتألف العمود القبطى من ثلاثة أجزاء كما هو معتاد فى أشكال الأعمدة ذات الطرز الأخرى المختلفة ، هى القاعدة base والبدن shaft والتاج captial ويتميز العمود القبطى ببساطة زخارف بدنه وزخرفة تاجه ، بعناصر زخرفية مميزة . على أنه قد أستخدم فى الكنائس والأديرة المصرية أعمدة بسيطة للغاية من حيث الطابع

الزخرفى ، حتى أن بعضها يقوم بدون قواعد على الاطلاق إذ ترتكز على الأرض مباشرة ، وتتخذ قاعدة العمود القبطى الشكل المربع أو المستطيل ، ويتخللها زخرفة محفورة نباتية وهندسية ، متحدة مع أشكال من الصلبان . هذا وقد تميزت مجموعة من أبدان الأعمدة القبطية ، بوجود زخرفة مختلفة عليها ، جمعت بين الكتابات القبطية والزخرفة النباتية والتى كان فيها لورقة الأكانتس الدور الرئيسى ، بالاضافة إلى أشكال الصلبان وزخرفة نباتية مجدولة ملتفة حول بدن العمود . وقد لجأ الفنان القبطى فى بعض الأحيان ، إلى زخرفة أبدان الأعمدة القبطية بزخارف الفرسكو ذات طابع دينى ، كما حُفر على بدن العمود نفسه بعض مناظر القديسين .

والواقع أن تاج العمود القبطى هو الجزء الأكثر تمييزا ، بالنسبة لهذا العمود ، إذ إتخذ التاج أشكالا زخرفية كثيرة ومتنوعة ، لا سيما خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، خاصة حين أضاف الفنان لزخرفة التاج أشكال الرموز القبطية المتنوعة ، وهو ما ميز هذا التاج عن غيره من أنواع التيجان فى الفنون الأخرى .

ويمكن بإيجاز تقسيم مجموعة تيجان الأعمدة القبطية ، إلى مجموعتين مختلفتين هى (أ) : **التيجان ذات الزخارف النباتية والهندسية** : وتُعد هذه المجموعة من أكثر الأنماط التى أنتجها الفنان القبطى ، والتى تبدو متأثرة إلى حد كبير بالنماذج الفرعونية القديمة ، بل أن بعض العلماء يعتبر أن معظم الزخرفة النباتية ، التى جاءت على تيجان الأعمدة القبطية ، إنما هى مستمدة أساسا من ورقة اللوتس المصرية ، والتى كانت هى أحد العناصر الرئيسية فى زخرفة تيجان الأعمدة الفرعونية (٢٣) .

لقد شملت الزخرفة النباتية ، على التيجان القبطية أيضا : أوراق الأكانتس والغار وعناقيد العنب وأوراقه وسعف النخيل وثمار الرمان ، بالاضافة إلى بعض أنواع الزهور وجذوع وسيقان النباتات ، وقد زاد من زخرفة هذه المجموعة والتى تميزت بإتقانها الشديد ، ما عمد إليه الفنان القبطى من تلوين هذه الزخارف بالألوان المختلفة (اللوحات ١ ، ٢ ، ٣) . أما التيجان ذات الزخارف الهندسية ، فيأتى فى مقدمتها أشكال السلال ذات الزخارف المجدولة والمفرغة فى بعض الأحيان ، (اللوحة ٤) ، والواقع أن المتحف القبطى بالقاهرة يضم مجموعة كبيرة من تيجان الأعمدة

القبطية المتقنة الصنعة ، والتى تشهد بمهارة الفنان ودقته فى الحفر البارز والغائر[٢٤] ، وفى استخدامه لأنماط الزخارف الهلينستية السابقة ، وفى إجادته للتماثل التام للأوراق النباتية ثم التشابك الهندسى والنباتى فى دقة تامة مع استخدام عنصر الصليب .

(ب) التيجان ذات الزخارف الآدمية : يغلب على زخارف تيجان هذا النوع الاشكال الآدمية والحيوانية ومناظر الطيور ، بالاضافة إلى ما زودت به هذه العناصر الزخرفية من عناصر نباتية وهندسية ، ويحتفظ المتحف بتاج عمود من هذه المجموعة ، قوام عناصره زخارف نباتية وهندسية ، إذ يشغل الجزء العلوى من التاج ، وجها لآدمى ، يحيط بوجهه زخارف بارزة ، محفورة على شكل أشعة الشمس ، وفى أركان التاج الأربعة ، زخارف محفورة لطائر أشبه بالحمامة ، بينما يزيد الجزء الأسفل من التاج ، زخارف نباتية من أوراق الأكانتس (اللوحة ٥) وعلى تاج آخر بنفس المتحف نجد زخارف حيوانية وأشكال من الطيور ، حيث يضم الجزء العلوى من التاج رأس كبش ، يحيط بها أشكال من الطواويس ، ترتكز أجنحتها على صلبان صغيرة ، (اللوحة ٦) .



الفصل الثانى

تخطيط الدير

الدير من الناحية المعمارية عبارة عن مجموعة من الأبنية المتعددة ذات الطابع الدينى المسيحى ، يتعبد فيها الرهبان . ويذكر المقريزى فى تعريفه للدير أنه «خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار وديرانى ، قلت الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين فيه» [1] . ويذكر الشابشتى أن هناك مواضع مختلفة تُبنى فيها الأديرة بقوله : «تختلف باختلاف مواضعها ، فمنها ما تسنم الجبال ، أو ما توسد ضفاف الأنهار أو ما اقترب من المدن والأرياف ، أو ما انفرد فى البرارى والقفار» [2] . على أنه يغلب وجود الأديرة فى الصحراء إذ أن حياة الصحراء ، تُعد ملائمة لإقامة الرهبان ، التى تتطلب إنفصالا كاملا عن العالم الخارجى .

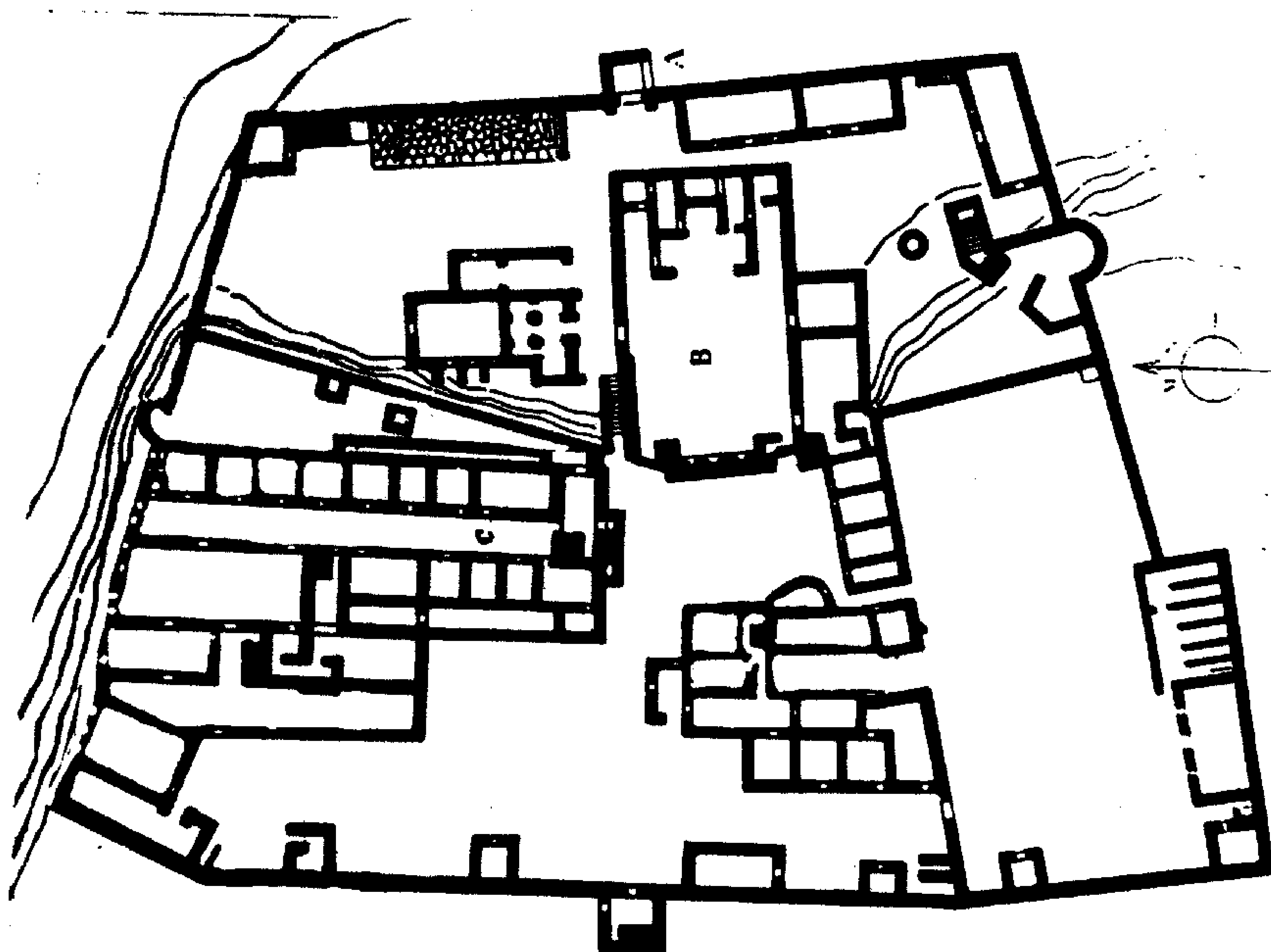
والواقع أن الدير يضم بداخله مجموعة من الأبنية ، تشمل الكنائس والقلالى والحصن أو الحصون والمائدة والمعاصر والطواحين والمكتبة ومصادر المياه وتصريفها والمناخس المعدة للمراقبة فى أركان الدير والسراديب والسقاطات وغيرها من الوسائل الدفاعية والأخرى المدنية ، حيث يضم كل العناصر السابقة وغيرها أسوار الدير والتى لايزال البعض منها يحيط بالأديرة إلى اليوم ، لذلك فإننا نشير بإيجاز إلى بعض هذه العناصر :

الأسوار

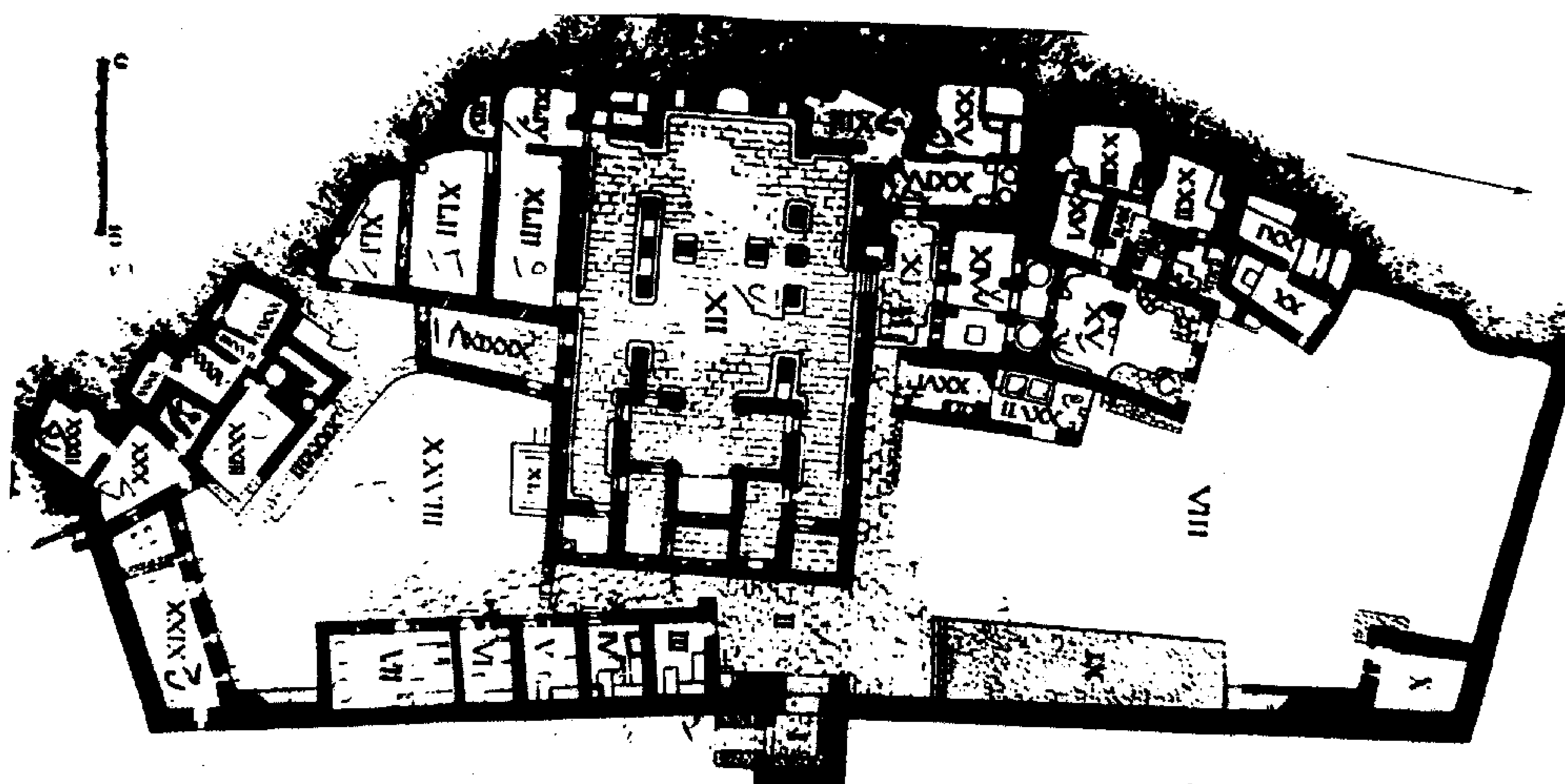
تعتبر الأسوار من العناصر المعمارية الهامة ، التى تحيط بالعناصر المعمارية الداخلية ، وتبنى عادة بارتفاع كبير ، حتى لا يمكن تسلقها أو إختراق الدير وعادة ما يوجد بها مدخل واحد ، يكتنفه برجان كبيران ، كما هو الحال فى بعض أديرة وادى النطرون ودير القديس سمعان بأسوان [٣] (أنظر الأشكال : ٣ ، ٤) .
وتزود هذه الأسوار بفتحات للسهام ومغازل ، خاصة أعلى مدخل الدير ، لصب المواد الكاوية ، إذا ما حاول المهاجمون إقتحام مدخل الدير ، بالاضافة إلى تدعيم هذه الأسوار بأبراج تسمح بالمراقبة من وقت لآخر ، ودعائم قوية ساندة من أشكال مختلفة مستطيلة ومربعة ونصف دائرية ومخروطية الشكل .

ولقد أمدنا المؤرخ أبو صالح الأرمنى خلال تأريخه للكنائس والأديرة المصرية فى العصر الفاطمى بوصف جيد لحراسة الدير ومراقبته بواسطة الرهبان ، عند حديثه عن دير القلمون بالفيوم ، فقد ذكر أنه كان يوجد أعلى هذا الدير «صومعة راقوبة ، بها راهب مقيم ، ينذر الرهبان بالقاصد إلى الدير ، من البُعد إن كان من الأمراء أو من الولاه ، فيضرب الناقوس على كل منهم ضربا مختلفا فيعلم الرهبان عند سماعهم بالقاصد للدير ، فيهتمون بما يلائمه ، قبل وصوله إلى الدير [٤]» . ولقد كان بطبيعة الحال ضرب مختلف لغير ما ذكرهم هذا المؤرخ حتى يحتاط الرهبان من أى خطر قادم عليهم . ويذكر أيضا نفس المؤرخ فى مواضع مختلفة من كتابة ، أن بعض الأسوار الخاصة بالأديرة ، كانت تبنى من ثلاث طبقات ، بمعنى ثلاثة أسوار من الحجر «tripple wall of stone» ، لتأمين الدفاع عن الدير ، كما كان هو الحال فى أحد أديرة الفيوم ، التى كانت قائمة فى العصر الفاطمى (دير الشهيد أبى اسحق) [٥] .

ومما يسترعى النظر أن معظم أسوار الأديرة القديمة ، بنيت من مادة الطوب اللبن كسور دير القديس أنطونيوس بالبحر الأحمر وذلك لجودة مادة الطوب اللبن والتى تقاوم البرودة والحرارة فى آن واحد .



شكل (٣)
دير القديس سمعان بأسوان



شكل (٤)
دير القديس سمعان بأسوان

الكنيسة :

هى من أهم الأبنية المعمارية داخل الدير ، إذ تعتبر شرطا أساسيا لقيام الدير سواء صَغُر أو كبر ، يصلى فيها الرهبان . على أن عدد كنائس الأديرة ، يختلف من دير لآخر ، تبعا لحجم الدير وعدد الرهبان به ، فقد اقتصرت بعض الأديرة على كنيسة واحدة ، وزاد عددها فى أديرة أخرى ، بحيث بلغت خمس كنائس ، كما هو الحال فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون [٦] ودير المجمع بنقادة ، وبلغت فى بعض الأحيان اثنتي عشرة كنيسة ، كما كان بدير القلمون فى محافظة الفيوم [٧] ، وغير ذلك فى بعض الأديرة التى كانت قائمة ، فى العصر الفاطمى كما وصل عددها فى بعض الأحيان إلى أربع عشرة كنيسة إذ ذكر أبو صالح الأرمنى ديرا كان يُعرف بدير العسل بمنية بنى خصيب (بمحافظة المنيا) كان به (أربع عشرة بيعة) [٨]

القلالى :

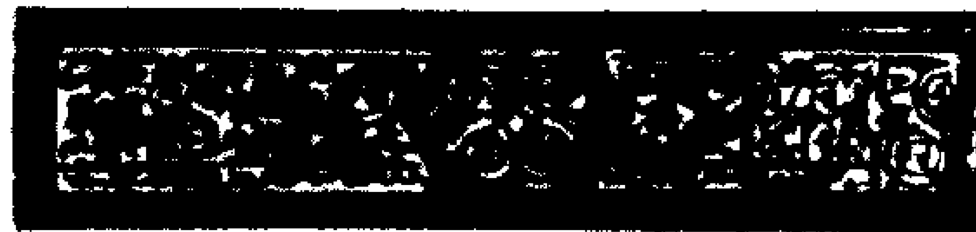
تُعد القلالى من أهم العناصر المعمارية المكونة لعمارة الدير ، وربما كانت هى النواة الأولى لتشكيل الأديرة وقيامها فى بداية طورها الأول . القلاية بمعنى (cell) ، مشتقة من الكلمة الأغريقية (ΚΕΛΛΙΟΝ) [٩] ، أشبه بحجرة صغيرة ، يعيش فيها الراهب طوال حياته . وتعتبر قلاية القديس أنطون من أقدم القلالى الأولى فى مصر ، وهى عبارة عن مغارة محفورة فى الجبل ، كان يعيش فيها معظم وقته ، وكذلك قلاية القديس بولا ، حيث أقيمت كنيسة الدير بعد ذلك أعلى مغارته والتى عاش فيها حياته .

وتذكر المراجع التاريخية أن القلاية الأولى ، كانت تُعد فى مواضع بعيدة عن الأديرة ، يعيش فيها الرهبان ، ثم يلتقون معا داخل كنيسة الدير فى بعض الأيام المحددة لهم ، ولكن نظرا لتعرضهم لبعض غارات البدو ، تطلب الأمر إقامتهم متحدين ، فأصبح بناؤها يتم داخل أسوار الدير حتى يستطيعون مواجهة الخطر معا . وعلى هذا الأساس فإنه يمكن اعتبارها ، النواة الأولى لنشأة الأديرة بمفهومها الحالى من الناحية المعمارية ، وقد أورد فى ذلك الصدد ، أحد الرحالة فى أوائل العصر المسيحى عند زيارته لأديرة وادى النطرون أن الآباء كانوا يجتمعون فى يوم واحد يبنون فيه ديرا ، عبارة عن عدة قلالى يحيط بها سور واحد دائرى [١٠]

على أن عدد هذه القلالى ، يختلف من دير لآخر ، فقد بلغت فى بعض الأديرة عشر قلالى ، وفى بعضها بلغت المئات ، وجاوزت فى بعضها الألف عدا [١١] .

أما عن تخطيط هذه الأديرة من الناحية المعمارية فإنه يختلف أيضا ، ففى كثير من أديرة مصر ، يغلب أن نجد ممرا كبيرا ، مستطيل الشكل ويغطيه قبو ، على جانبيه صفوف من القلالى المتجاورة ، كما هو الحال فى دير الأنبا ميتاؤس المعروف بدير الفاخورى بأصفون [١٢] ودير القديس سمعان بأسوان [١٣] ، ودير المجمع بنقادة [١٤] ، ودير أنبا مقار بوادى النطرون [١٥] . ولقد اختصت القلالى فى الأديرة الأولى بأهمية خاصة ، ذلك أنها تمثل المكان الدائم لحياة الراهب ، لذلك فإنه يلاحظ على الأديرة التى تقع بالقرب من الحدائق والبساتين ، يراعى فيها أن تطل قلالى الرهبان عليها ، وقد ذكر ابو صالح الأرمنى ، بعض قلالى الأديرة المصرية ، على ذلك النحو ، منها دير أنبا أندونة بشرق إطفيح ، «وبه جوسق كبير وقلالى الرهبان مطلة على البساتين» [١٦] . كذلك فقد فرض الموقع الجغرافى لدير القديس سمعان بأسوان ، أن تكون القلالى فى موقع أكثر تحصينا بالدير ، فبينت فى الجزء الأعلى من المنطقة الصحراوية التى أقيمت عليها بقية وحدات الدير المعمارية الأخرى والتى يذكر عنها «مونريه دى فيلار» قوله «أنها أُقيمت جهة البرج الذى يعتبر الملجأ الأخير والأكثر أمنا ، فى حالة الهجوم على الدير» [١٧] .

كما وُجدت القلالى أيضا فى بعض الكنائس الهامة ، مثل كنيسة المعلقة بمنطقة مصر القديمة ، والتى كان يوجد بها قلاية للبطريرك ، يقيم فيها حين يفد إلى هذه الكنيسة [١٨] . ومما تجدر الاشارة إليه أن كشفت حفائر المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بمصر عن قلاية راهب ، ذات طراز غريب ، تتكون من ثلاث غرف ، ملحق بها صالة ضخمة يبلغ طولها (٣٠م) وعرضها (٧م) ، ملحق بها مطبخ ، مما يعتقد معه أنها كانت لراهب كبير عاش فى منطقة القلالى (محافظة البحيرة) ، فى القرن الخامس أو السادس الميلاديين [١٩] .



الحصن :

يعد الحصن أيضا من أهم وأدق الأجزاء المعمارية داخل سور الدير ، فهو الملاذ الأخير بالنسبة لأمن الرهبان وسلامتهم داخل الدير ، إذ أن الأديرة تعرضت فى العصور الماضية لخطر غارات البدو عليها ، حيث هددوا أمن وسلامة الرهبان فى الأديرة ، خاصة فى أديرة منطقة وادى النطرون ، خلال القرون الثلاثة الأولى ، قبل الفتح الإسلامى لمصر .

أما الحصن من الناحية المعمارية فهو عبارة من بناء مربع أو مستطيل الشكل ، مكون فى معظم الأحيان من ثلاثة طوابق وقد تزيد أو تقل ، وتضم هذه الطوابق عدد من الحجرات لإقامة الرهبان فيها ، وبطبيعة الحال ، يوجد داخل الحصن وحدات معمارية أخرى هامة ككنيسة صغيرة وصهاريج للمياه أو ما يتوافر من وسائل أخرى من مصادر المياه ومخازن للحبوب وفرن صغير أو عدة أفران ومراحيض ، وغير ذلك مما يفى بإقامة الرهبان داخل الحصن لفترة طويلة ، خاصة إذا ما طال الحصار حول الحصن ، وحتى لا يحتاج الرهبان بداخله إلى شىء من العالم الخارجى ، بالاضافة إلى برج صغير للمراقبة (الراقوبة) ، لمتابعة الموقف فى خارج الحصن ، كما يضم الحصن من الداخل أيضا ممرات قصيرة وفتحات للسهام ، تسمح أيضا بدخول الضوء والهواء إلى هذا الحصن ، ونجد أمثلة ذلك فى بعض الحصون الباقية بأديرة وادى النطرون [٢٠] ودير القديس سمعان بأسوان ودير الأنبا ميتاؤس الفاخورى بأصفون ودير المحرق بأسيوط .

ويتمثل لنا فى كثير من الحصون الباقية وضوح العناصر المعمارية خاصة فى أشكال الفتحات والعقود القديمة ، وبعض العناصر المعمارية الحربية الموجودة فى القلاع القديمة والإسلامية الباقية ، كما تأخذ أشكال حصون الأديرة بعض تأثير الملامح المعمارية المصرية القديمة ، سواء تأثير المصطبة الفرعونية أو البيلون فى المعبد أو حتى شكل الهرم (Tapring upwards) .

ويغلب وجود الحصن فى الأديرة المصرية ، قرب كنيسة الدير الرئيسية ، ذلك أن الحصن يكون منفصلا عن كل وحدات الدير الأخرى ، وقد أورد أبو صالح الأرمنى ذكر بعض حصون الكنائس التى كانت قائمة فى العصر الفاطمى ، منها

على سبيل المثال حصن دير نهيا حيث يصف الحصن بقوله «ويجاور هذه البيعة (الرئيسية) ، جوسق (حصن) ، كبير ، فيه ثلاث طبقات (أدوار) ، شاهقة البناء ، ومدخله من داخل البيعة (أسقاله) »[٢١] ، وذكر نفس الشيء عن حصن دير الشياطين بالجيزة : «وبه جوسق كبير يتوصل إليه من الكنيسة» [٢٢] .

ولما كان مبنى الحصن بالدير منفصلا عن كل الأبنية ، كما سبقت الإشارة فإن الوصول إليه يتم بوسيلة صناعية قد تكون بواسطة معبر متحرك يصل بينه وبين الكنيسة ، ويتم سحبه وفق أسلوب معين إلى داخل الحصن ، بعد تمام وصول الرهبان إليه ، أو بواسطة سلالم متحركة تسحب أو ترفع أيضا ، بعد عملية الدخول إليه ، لا سيما وأنه يغلب وجود مدخل الحصن فى الطابق الثانى به وليس فى الدور الأرضى فى معظم الأحيان ، ولاتزال أمثلة ذلك باقية فى بعض حصون أديرة وادى النطرون إلى اليوم .

هذا وقد تميزت بعض الأديرة الكبيرة ، التى كانت قائمة فى العصر الفاطمى ، بوجود أكثر من حصن واحد بها ، وبطبيعة الحال فإن هذا الأمر يتوقف على عدد رهبان الدير ومساحته ووحداته المعمارية الأخرى الكائنة بداخله ، مثال ذلك ما أورده أبو صالح أيضا من وجود أربعة حصون بدير القلمون بالفيوم ودير العسل بمحافظة المنيا ، حيث كان به حصنان ، أحدهما به قلالى الرهبان [٢٣] .

هذا وقد وجد فى بعض الحصون مقابر لدفن الرهبان ، فى حالة حدوث الوفاة ، أثناء فترة الحصار بالنسبة للدير ، كما هو الحال فى سطح حصن دير المحرق ، كما أن بعض الحصون احتوت على مناور للإضاءة ، داخل الحصن .

على أى حال ، فلقد تنوعت عناصر الحصن المعمارية ، وكان فى الوقت نفسه ، كما يحدثنا المؤرخ ابو صالح الأرمنى فى أكثر من موضع فى مؤلفه عن الكنائس والأديرة المصرية ، عن حدوث بعض المنازعات للفوز بسكن بعض الحصون المصرية أو الإقامة فيها .

وما من شك أن فكرة إنشاء الحصن داخل الدير ، كان نتيجة للهجمات المتوالية على الأديرة فيما مضى ، وأنها أخذت بعد ذلك شكل وجوهر القلعة فى صورة مصغرة ، حتى توفر الأمان للرهبان وحتى لا تنقطع عباداتهم داخل أديرتهم .

المائدة :

المائدة فى الدير من الناحية المعمارية ، عبارة عن قاعة كبيرة مستطيلة الشكل ، مقسمة من أعلى بواسطة عقود مختلفة إلى مربعات صغيرة أو مستطيلات يغطيها ، قباب ضحلة أو أقبية مختلفة الأشكال ، ويتوسطها منضدة طويلة مستطيلة ، قليلة الإرتفاع ، يجلس حولها رهبان الدير عادة يوم الأحد من كل أسبوع ، بعد صلاة القداس بالدير ، يتناولون وجبة تعرف بوجبة «الأغابى» أى المحبة ، كان يتناولها الآباء فى الكنيسة الأولى القبطية فى أول الأمر داخل الكنيسة الجامعة بالدير (٢٤) ، ثم صارت تلحق بعد ذلك فى داخل البناء الذى عرف بالمائدة ، وكان يلحق بقاعة المائدة وحدات أخرى كالمطبخ والمخازن وما إلى ذلك من معدات الطعام لا سيما الأفران وغيرها .

على أننا نجد قاعة المائدة بدير الأنبا ميتاؤس الفاخورى بأصفون ، عبارة عن قاعة كبيرة غير منتظمة الشكل ، يقسمها من أعلى عقود صغيرة إلى مساحات مربعة ، يغطيها قباب ضحلة تشبه إلى حد كبير مثيلتها فى دير القديس سمعان بأسوان ، رغم أنه يقسمها أعمدة من الداخل إلى عشرة أقسام ، كان يغطى كل منها فى الأصل قبة ضحلة (٢٥) وملحق فى نهايتها حجرات صغيرة للمخازن والمطابخ وغيرها .

المعاصر والطواحين :

كذلك من العناصر المعمارية الواجب توافرها ضمن ملحقات الدير ، المعاصر والطواحين والتى توفر للرهبان داخل الدير مؤنهم ، وقد ترك المؤرخ أبو صالح وصف العديد من المعاصر والطواحين القديمة فى العصر الفاطمى ، منها ما كان بدير القصير من طاحون نقر فى الجبل وبدير الجميزة ودير نهيا (٢٦) ودير سمالوط ودير العسل بمنية ابن خصيب ودير العذراء فى أسيوط . كما كان يوجد فى بعض الأديرة مصائد خاصة ، لا سيما واذا كانت هذه الأديرة تقع على شاطىء النهر ، كما كان فى دير نهيا (٢٧) .

المكتبة :

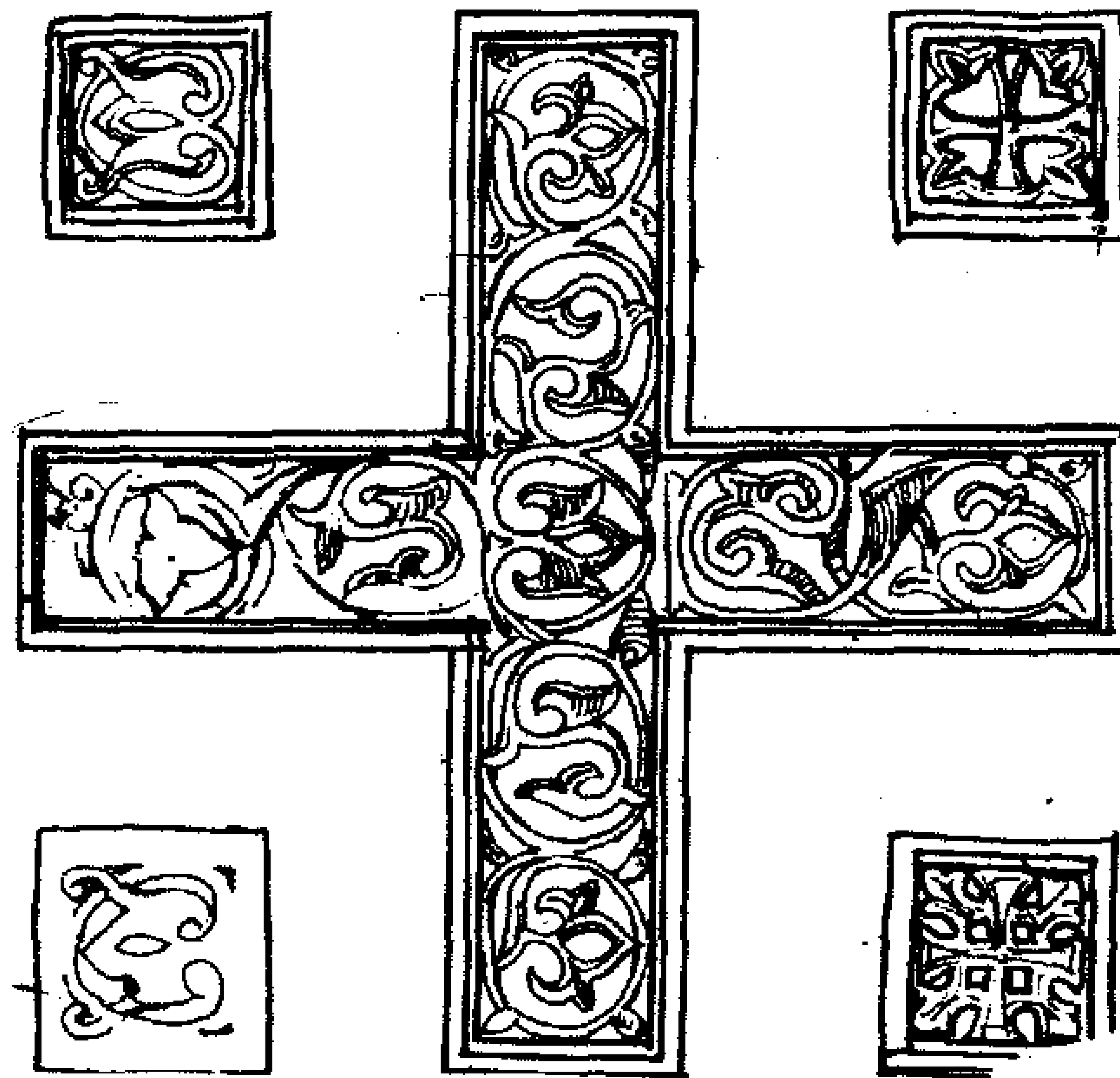
تشكل المكتبة أهمية خاصة فى وحدات الدير المعمارية ، فهى ذات أهمية كبيرة من الناحيتين الروحية والعلمية للرهبان ، والذين يمضون معظم أوقاتهم ، فى قراءة الكتب الدينية والكهنوتية ، فكثير من الرهبان يهتمون بالقراءة والتأليف فى الموضوعات الدينية والأدبية والعلمية . والواقع أن مكتبات الأديرة خاصة ، احتفظت بمخطوطات قديمة ، على جانب كبير من الأهمية ، كتبت بلغات مختلفة ، لعل من أهمها مكتبة دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء والتى ضمت الكثير من المخطوطات والكتب المختلفة القديمة [٢٨] . كذلك لا يخلو دير من الأديرة من دار للضيافة لإستقبال الزائرين .

البئر :

لاشك أن توفير المياة للرهبان داخل الأديرة ، يعد من أهم الأمور التى يحرص على تدبيرها ، عند بناء الأديرة ، فيذكر الشابشتى فى كتابه عن الديارات «أنه إذا بعد موضع الدير عن مجارى المياه لجأ مؤسسوه إلى استنباط الماء ، الذى يفى بأمور معيشتهم ، فلا تقوم للدير قائمة إن فُقد الماء ، فتراهم يحفرون الآبار داخل الدير طلبا للماء ، أو ينقرون الصهاريج فى جوف الصخر ، ليجتمع فيها ماء المطر» [٢٩] ويذكر أبو صالح أن دير القيصر ، كان به «بغل» يحمل الماء للدير من النيل ويصعد به إلى الدير ، وكان ينزل معه أحد الرهبان ، يملأ عليه لنقله ، ويبقى الراهب مقيما عند النيل والبغل يتردد فى الرواح إلى الدير والمجىء بمفرده ، إلى حين يكمل حاجته» ، كما كان بنفس هذا الدير ، صهريج كبير يمتلىء بالمياه وقت المطر ، بالاضافة إلى وجود بئر ماء معينة منقورة فى الجبل ، يشرب منها الرهبان ومن يطرق الدير [٣١] . كما يذكر نفس المؤرخ ، عن دير كان قائما بأسيوط فى العصر الفاطمى ، كان يسمى دير «فرقونه» ، بشأن الحصول على موارد المياه فيقول عنه «أُستخلص من الجبل فيه جوسق وفيه صهريج يحمل ألف راوية يملأ من ماء النيل المبارك [٣٢]» . ولقد كشف مونريه دى فيلارد ، خلال الحفائر التى أجراها بدير القديس سمعان بأسوان [٣٣] ، عن خزانات صغيرة ، يُخزن فيها الماء ، فقد كان الرهبان يجلبونه من النيل ، نظرا لصعوبة حفر بئر فى المكان الذى بنى عليه الدير ،

اذ بُنى على صخرة مرتفعة جدا يصعب معها ، حفر بئر داخل الدير ، فكان على رهبانه أن يختزنوا المياه بكميات كبيرة ، حتى اذا ما تعرضوا لحالة من الحصار ، يكفيهم ما يوجد بخزانات مياه الدير ، وقد نظم الرهبان خدمة يومية لجلب المياه من النهر اذ أن المسافة بين النيل والدير ، كان يمكن أن تُقطع فى ذلك الزمن فى أربع ساعات . هذا وقد قدر «مونريه» ، كمية المياه التى تُخزن فى هذه الصهاريج يوميا بثلاثين مترا مكعبا .

هذا وتضم الأديرة أيضا العديد من الوحدات كالحظائر لتربية الماشية والدواجن وغيرها ، فضلا من الحدائق والبساتين التى تلحق بها والمزارع التى يستفاد من دخلها للرهبان ، كما أن لكل راهب داخل الدير ، عملا يختص به من أعباء الحياة .



الباب الثالث

كنائس منطقة مصر القديمة

الفصل الأول : تاريخ وعمارة كنائس منطقة مصر القديمة

الفصل الثانى : زخارف الأخشاب والفرسكو

إنفردت منطقة مصر القديمة ، بعدد كبير من الكنائس الأثرية القديمة ، التى احتفظت بعمارتها وزخرفتها على مر العصور ، فى حالة لا بأس بها من الحفظ ، شكل (٥) . والواقع أن معظم كنائس هذه المنطقة ، تُعد ذات تاريخ هام ، نظرا لما ارتبطت به من أحداث دينية هامة ، وهو الأمر الذى أشرنا إليه فى عجالة فى الفصل الأول من هذا الباب والذى يتناول نبذة صغيرة من تاريخ كل كنيسة ، مع موجز عام لوصف التخطيط المعمارى للكنيسة ذاتها ، وقد يبدو الوصف المعمارى لهذه الكنائس مملا ، إلا أن هذا الوصف المعمارى له أهميته مع المساقط الأفقية والرأسية لبعض هذه الكنائس .

ولعل الأحجبة الخشبية التى بقيت فى عمارة هذه الكنائس ، وهى فى حالة جيدة من الحفظ تعتبر من أهم زخارف الأخشاب ، من حيث الموضوع الزخرفى وأسلوب الحفر أو التطعيم ، حيث تعبر هذه الأحجبة عن الطراز الزخرفى الذى ساد فى زخارف الأخشاب فى الفترات الإسلامية المختلفة ، هذا فضلا عن بقاء زخارف من الفرسكو ، ذات الموضوعات الدينية على بعض جدران ودعائم وأعمدة كنائس منطقة مصر القديمة ، وهو ما أفردنا إليه الفصل الثانى من هذا الباب .

هذا فضلا عن أهمية منطقة مصر القديمة وارتباط مدنية الفسطاط الأثرية بها ، حيث كانت العاصمة الإسلامية الأولى لمصر ، وحيث كان موقع حصن بابليون القديم ، لذلك فإن هذه المنطقة الأثرية الهامة ، التى تضم آثارا رومانية قديمة وآثارا قبطيه وآثارا اسلامية ، فضلا عن وجود بعض المقابر الفرعونية القديمة ، لتعد من أهم مناطق الآثار فى مصر ، والتى تعبر عن تسلسل الحضارة المصرية على مر عصورها .

ولقد حاولت فى الفصلين من هذا الباب ، الاشارة إلى هذه الكنائس بإيجاز من الناحيتين المعمارية والزخرفية ، قدر الامكان .

شكل (٥)
الكنائس القديمة داخل حصن بابليون .

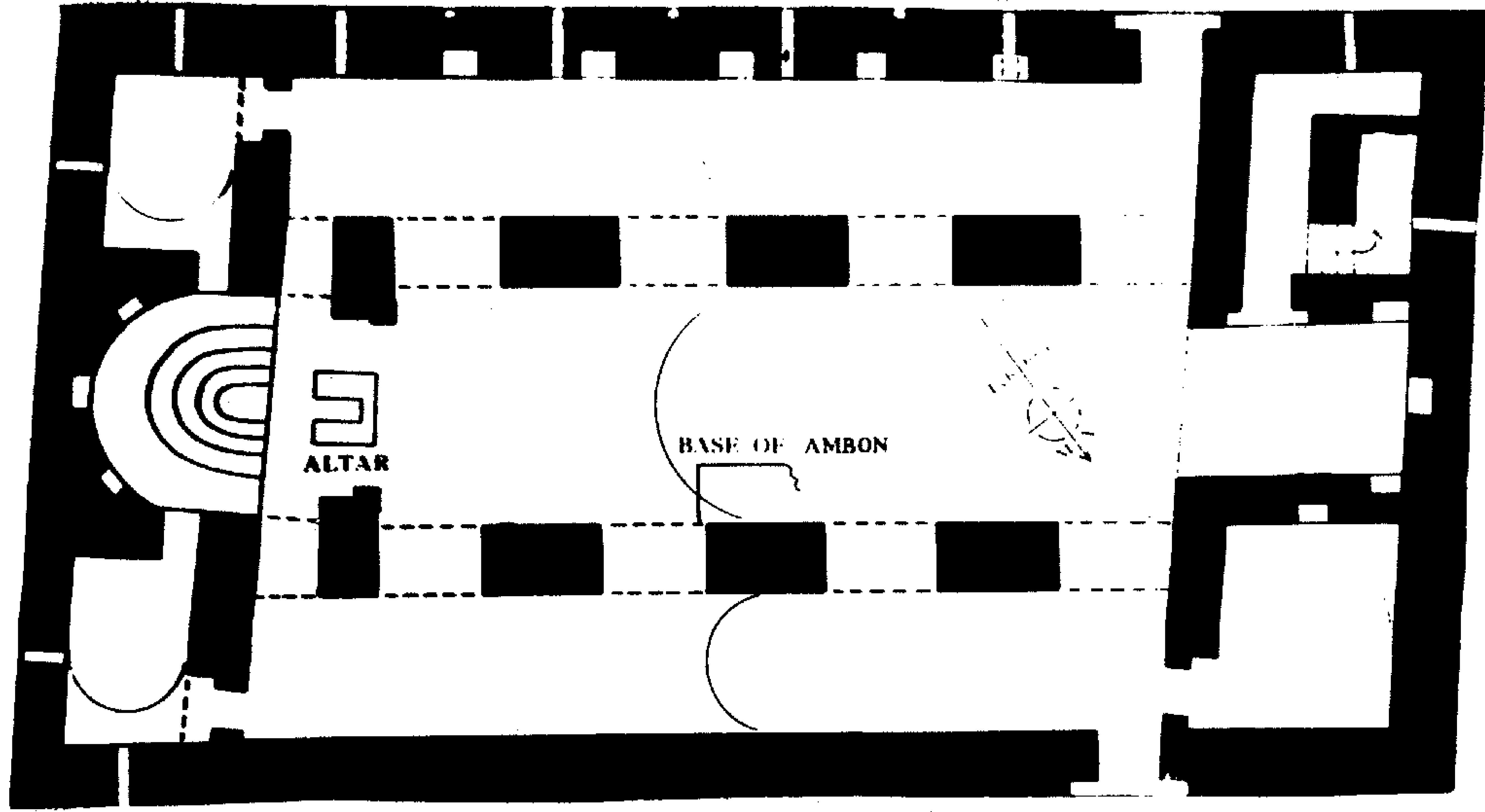
الفصل الأول
تاريخ وعمارة الكنائس بمنطقة مصر القديمة

تميزت منطقة مصر القديمة ، بوجود عدة كنائس متجاورة ، تمثل فيها الطراز المعمارى القبطى الواضح فى بناء الكنيسة (شكل ٦) ، وهو التخطيط الذى إشتق جوهره من عناصر التخطيط البازيليكى لعمارة الكنيسة المسيحية .

والحق أن كنائس هذه المنطقة قد انفردت بجودة عمارتها بين الكنائس المصرية وحظيت بالرعاية المستمرة خلال العصر الإسلامى وعبر مراحله المتعاقبة . ويبلغ عدد كنائس هذه المنطقة حوالى عشر كنائس ، تكاد تكون متجاورة ، وبعضها داخل حصن بابليون والآخر شماله وجنوبه

أما الكنائس التى تقع داخل حصن بابليون فهى كنائس : القديس سرجيوس وواخيس والمعروفة بكنيسة أبى سرجه والمعلقة والقديسة بربارة والسيدة العذراء المعروفة بقصرية الريحان ، وكنائس شمال الحصن هى كنيسة أبى السيفين وكنيسة الأنبا شنودة وكنيسة العذراء الدمشيرية وكنائس جنوب الحصن هى كنيسة بابليون الدرج وكنيسة أبا كير ويوحنا وكنيسة الأمير تادرس المشرقى .

وسنعرض لكل كنيسة من الكنائس السابقة وبشىء من الإيجاز إلى موجز عن تاريخها ثم وصفها المعمارى الحالى فى هذا الفصل . والواقع أنه يمكن تقسيم



شكل (٦)
تخطيط الكنيسة القبطية . (نقلا عن سومرز كلارك)

طرازها المعمارى القبطى إلى نوعين ، تميز النوع الأول منها ، بوضوح جوهر العناصر الأساسية للتخطيط البازيليكى المستطيل الشكل والذى يتكون من الواجهة الرئيسية ثم دهليز المدخل المستعرض فالأروقة الرأسية وفى النهاية الشرقية من البناء هياكل الكنيسة بوحداتها ، أو عناصرها المعمارية الثابتة فى الكنيسة القبطية ، ويشمل هذا النوع الأول ، كنائس كبيرة من طابقين هى : أبى سرجة والمعلقة وبربارة والأنبا شنودة وأبى السيفين والمعلقة وبابليون الدرج . كما يشمل هذا النوع الأول أيضا كنيسة العذراء الدمشيرية وكنيسة أباكير ويوحنا ، وقد تميزتا بصغر مساحتيهما واشتمالهما على طابق واحد ، بالإضافة إلى بساطة عمارتيهما .

أما النوع الثانى وهو الكنائس ذات التخطيط المربع ، مع استخدام القباب والأقبية فى تغطية بعض الأجزاء المعمارية وتشمل كنائس هذا النوع كنيسة السيدة العذراء المعروفة بقصرية الريحان وكنيسة الأمير تادرس المشرقى .

كنيسة أبى سرجه :

تقع هذه الكنيسة وسط الحصن الرومانى تقريبا ، ويدخل إليها حاليا من حارة نسطورس الضيقة وسط مجموعة كبيرة من المساكن الصغيرة المتاخمة ، والتى يفصلها عن الكنيسة حارات ضيقة فى الجهات الغربية والشرقية والشمالية ، وتنخفض هذه الكنيسة ، عن مستوى أرضية الحارة ، التى تؤدى إليها بمقدار (١٠٣سم) ، إذ يهبط إليها بواسطة قالب من السلالم الحجرية ، كما يتقدمها سياج حديدى .

والواقع أن تاريخ هذه الكنيسة ، على جانب كبير من الأهمية ، إذا تخذت تسميتها على إسم قديسيين لهما شهرة كبيرة فى تارخ الاستشهاد الدينى المسيحى فى أوائل القرن الرابع الميلادى وهما القديسان سرجيوس وواخيس ، اللذان استشهدا ، بجهة الرصافة بسوريا ، بسبب اعتناقهما للدين المسيحى فى فترة عهد الامبراطور الرومانى مسكيمانوس [1] .

لقد تبوأت هذه الكنيسة ، مكانة دينية خاصة ، بين الكنائس القبطية ، نظرا لما ارتبطت به من قصة مجىء السيدة العذراء والسيد المسيح الطفل ويوسف النجار ، فى رحلة الهروب من وجه هيردوس ملك اليهود ، واحتمائهما بالمغارة ، التى تقع أسفل الكنيسة . يذكر المقريزى عن هذه الكنيسة ، قوله «كنيسة بوسرجة ، بالقرب من بربارة بجوار زاوية إبن النعمان ، فيها مغارة يقال أن المسيح وأمه مريم عليهما السلام جلسا بها» [2] . على أن هذه الكنيسة قد تعرضت للتلف ، بسبب النيران التى اندلعت فى مدينة الفسطاط فى أواخر العصر الأموى ، فى مدينة الفسطاط ، فأصابت مبانيها بأضرار ، ثم أُعيد تجديدها ، فى خلافة هارون الرشيد ، اذ ورد فى سيرة الأنبا مرقس (٧٩٩ - ٨١٩م) ، فى تاريخ البطاركة ، إعادة بناء جميع كنائس المنطقة فى ذلك الوقت ، بناء على طلب هذا البطريرك من الوالى ، كما جُددت عمارتها أيضا فى خلافة العزيز بالله الفاطمى ، حين سمح للبطريرك أفراهام ، بتجديد كل بيع مصر ، وقد أورد ذلك ساويرس وأبو صالح ، ضمن أخبار معجزة أسطورة نقل جبل المقطم فى خلافة العزيز بالله الفاطمى ، كما أُعيد تجديد عمارتها أو ما تشعث من بنائها فى خلافة الظاهر لاعزاز دين الله .

كذلك فإن لهذه الكنيسة من الناحية الدينية أهمية خاصة عند أقباط مصر ، اذ كان يتم فيها إنتخاب بطاركة الكرسى المرقسى ، حتى القرن الثانى عشر الميلادى ، نذكر منهم على سبيل المثال البطريرك شنودة (٨٥٠ - ٨٦١م) والبطريرك أفراهام (٩٤٨ - ٩٦٨م) ، كما كان يتم بها رسامه بعض كبار رجال الدين من الأقباط [٣] .

أما الكنيسة من الناحية المعمارية ، فتتكون من وحدتين أساسيتين ، الكنيسة الكبيرة الرئيسية ومغارة الكنيسة .

١ - الكنيسة الرئيسية : (شكل ٧ ، ٨)

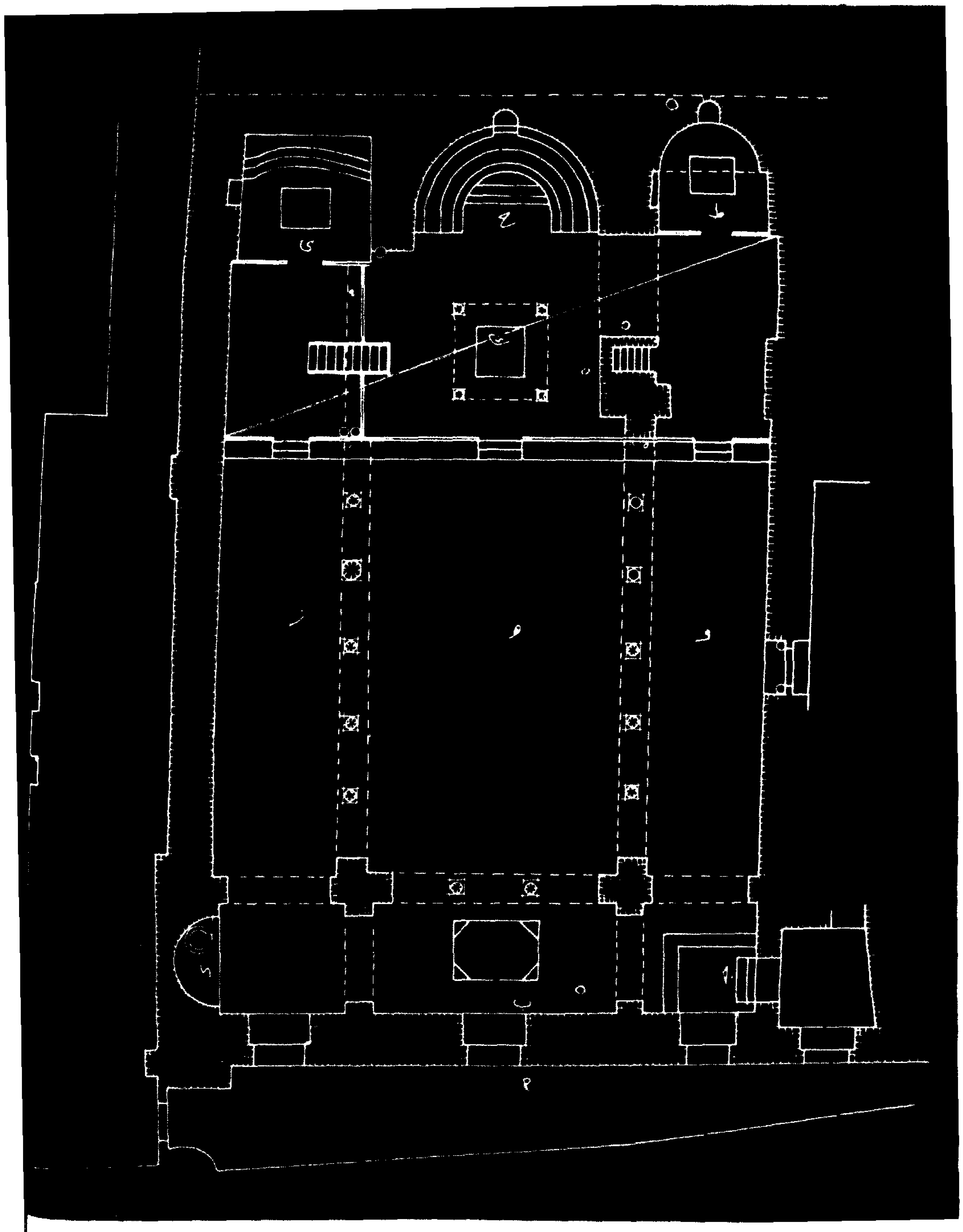
الكنيسة تخطيطها مستطيل الشكل (٢٨٫٤٠م × ١٦٫٤٠ سم تقريبا) ، تتكون من ثلاثة أجزاء معمارية رئيسية هى : الواجهة والأروقة الداخلية الرأسية والمستعرضة ثم فى النهاية الشرقية من البناء حنية الكنيسة الرئيسية ، حيث يكتنفها من الناحيتين الشمالية والجنوبية حجرة صغيرة ، (الهياكل الثلاثة) .

تقع واجهة الكنيسة الرئيسية فى الضلع الغربى من البناء ، حيث يبدو على عمارتها الخلط بين القديم والحديث ، وان كانت الأجزاء القديمة تبدو واضحة عليها فى بقاء خمسة مداميك من الآجر ، ثم يعلوها ميدة خشبية ، ومازالت طبقات الملاط القديمة واضحة على واجهة هذه الكنيسة ، يبلغ طول الواجهة (١٧٫٦٠ × ١٥م إرتفاع تقريبا) ، وتتكون من طابقين وبها ثلاثة أبواب خشبية ، يقع الأوسط منها على نفس محور حنية الكنيسة . ويعلو الأبواب الثلاثة عتب خشبى ممتد (سُمكة ٢٤ سم) ، ويعلو المدخل الأوسط الرئيسى والمدخل الجنوبى ، نافذتان ، تتكون كل منها من فتحة مستطيلة من الرخام المفرغ بالزخارف الهندسية ، ويتوسطها عمود رخامى مندمج ، له تاج وقاعدة هرمية الشكل ، كما يعلوهما عتب خشبى ، يبدأ من عنده الطابق الثانى للكنيسة ، وبواجهته نافذتين كبيرتين مستطيلتى الشكل ، يتوسطهما عمود رخامى كبير .

يهبط إلى الكنيسة بواسطة درجتين من السلالم الحجرية تؤدى إلى الرواق المستعرض (ب) والممتد من الشمال إلى الجنوب على طول إمتداد الواجهة (دهليز المدخل Narthex) : (١٦٫٢٥ طولا × ٣٫٤٠ عرضا × ٦٫٢٤م إرتفاعا تقريبا) ،

مغطى بسقف خشبى مستو ، وينتهى فى الناحية الشمالية بحنية كبيرة مجوفة مضافة حديثا إلى البناء بها معمودية حديثة . يقسم الكنيسة إلى الشرق من الرواق المستعرض السابق ، صفان من البائكات ، إلى ثلاثة أروقة رأسية ، الأوسط أكثرها إتساعا حيث يبلغ سعته حوالى (٦٠ر٨م) ، (هـ) ، بينما فى الرواق الشمالى (ز ٨٠ر٣م) والجنوبى (و ٨٠ر٣م) ، ويتقدم الرواق الأوسط بائكة من دعامتين كبيرتين على شكل صليبى ، تحصران بينهما عمودين من الرخام ، يعلوهما تيجان كورنثية الطراز ويربط تيجان هذه الأعمدة مع الدعامات عارضة خشبية سميكة ، عليها بقايا زخارف من رسوم زيتية ويقوم فوق هذه العارضة ثلاثة عقود صغيرة مدببة الشكل .





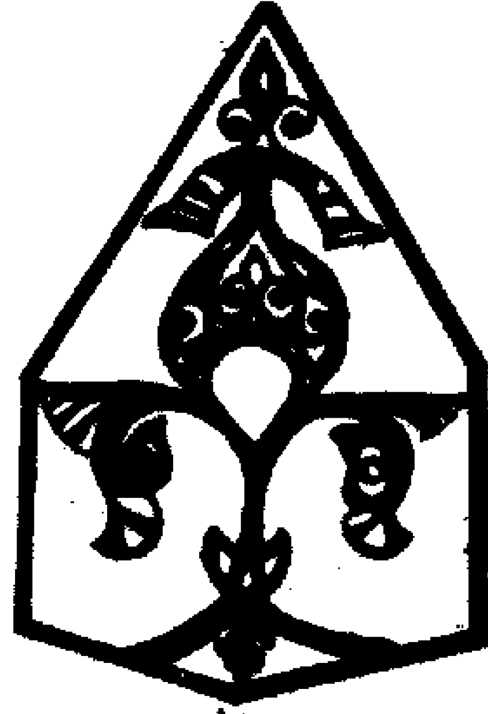
شكل (٧)
المسقط الأفقى لكنيسة أبى سرجة بمنطقة مصر القديمة . (نقلا عن هيئة الآثار المصرية)

وتتكون كل بائكة من بائكات بازيليكا الكنيسة من صف من الأعمدة ، يبلغ عدده خمسة أعمدة ذات تيجان كورنثية الطراز ، تربطها عارضة خشبية ، يقوم فوقها عقود البائكة ، وعددها ستة عقود صغيرة ، مدببة الشكل فى كل ناحية (شكل ٨) وبذلك يصبح عدد أعمدة هذه الكنيسة إثنى عشر عمودا منها عشرة أعمدة من الرخام وعمود من الحجر والأخير من حجر الجرانيت ، وعلى بعض أبدان هذه الأعمدة بقايا من زخارف الفرسكو . أما منبر الكنيسة (حديث) فيوجد بالناحية الشمالية الشرقية من الرواق الأوسط مصنوع من الرخام ، يرتكز على عشر أعمدة رخامية صغيرة ، وتبدو تغطية الرواق الأوسط واضحة فى إستخدام السقف الجمالونى الشكل [٤] بينما استخدمت الأسقف المسطحة للرواقين الجانبيين . وتضم الكنيسة مداخل جانبية ، بالإضافة إلى المداخل الرئيسية فى الواجهة الغربية بالإضافة إلى نوافذ أخرى .

ينتهى الرواق الأوسط الرئيسى للكنيسة فى الناحية الشرقية منه ، بحنية الكنيسة الرئيسية وهى حنية كبيرة (ج) ، سعتها (٦٠ر٥م × ٤٠ر٣م عمقا) ، بوسطها حنية صغيرة ، يعلوها طاقة مستديرة ، ويتوسط جدار الحنية الكبيرة من أعلى نافذة قنديلية مغطاه بالزجاج والجص الملون ، كما يشغل التجويف الرئيسى للحنية ، مدرج رخامى كبير ، يتألف من سبع درجات منها أربع درجات نصف دائرية والباقى مستطيل الشكل . وعلى جانبى الحنية الرئيسية توجد غرفتان صغيرتان ، واحدة فى الناحية الشمالية (ى) والأخرى فى الناحية الجنوبية (ط) . الشمالية مربعة الشكل (٨٧ر٣م) ، يغطيها قبة تقوم على أربع حطات من المقرنصات ، ويتصدر ضلعها الشرقى مدرج رخامى من ثلاث درجات ، بينما يغطى الحجرة الجنوبية سقف مسطح من الخشب ، كما يلاحظ وجود حنية صغيرة تتوسط الجدار الشرقى للحجرة الجنوبية (سعة فتحتها ٦٠سم × ٥٨سم عمقا) . ونعتقد أن الحجرة الجنوبية ، كانت فى الأصل مغطاه بقبة مماثلة للقبة التى تغطى الحجرة الشمالية ، وانما استبدلت بالسقف الخشبى نتيجة الترميمات المتعاقبة ، التى أحدثت بالكنيسة . هذا ويتقدم الحنية الرئيسية وعلى طول امتداد الحجرة الشمالية والحجرة الجنوبية (الهياكل الثلاثة) ، ردهة مستعرضة (ك) طولها حوالى (٦٠ر١٦م × ٥٠ر٥سم عرضا) ، ويفصلها عن سائر الأجزاء الغربية ، من

الكنيسة ، صف متصل من الأحجبة الخشبية ، ويلاحظ أيضا أن هذه الردهة المستعرضة ، ترتفع عن أرضية الكنيسة بمقدار (٤٩سم) ، بواسطة حاجز رخامى ، ممتد من الشمال إلى الجنوب بعرض الكنيسة ، تتكون من درجتين من السلالم الرخامية ، ويغطى هذه الردهة حاليا سقف مسطح من الخشب ، كما أن المساحة الوسطى من هذه الردهة ، قد استقطعت من النواحى الشمالية والجنوبية والغربية بواسطة أحجبة خشبية ، ويطلق عليها حاليا الهيكل الأسط حيث يوجد بها مذبح رخامى يعلوه قبة خشبية ، مقامة على أربعة أعمدة رخامية ، وتتميز هذه الردهة أيضا فى الناحيتين الشمالية والجنوبية منها بوجود سلم هابط من الحجر ، يؤديان إلى مغارة الكنيسة ، التى تشغل تقريبا الجزء الأوسط من أسفل هذه الردهة .

أما الطابق الثانى لهذه الكنيسة ، فإنه يعلو دهليز المدخل (الرواق المستعرض) فى الناحية الغربية والرواق الجنوبى والرواق الشمالى فقط . وهذا الطابق ، عبارة عن دهاليز ، لها نفس امتداد وعرض الأروقة الجانبية ، وقد كانت تستخدم فيما مضى ، لجلوس النساء بها أثناء الخدمة الكنسية ، وهى مغطاه بسقوف خشبية مسطحة ، وتطل هذه الدهاليز على الرواق الأوسط للكنيسة (أنظر القطاع الرأسى) وقد فُتح فى الجدارين الشمالى والجنوبى فتحات نوافذ . ويتم الصعود حاليا إلى هذه الدهاليز العليا عن طريق سلم حجرى ، بداخل مبنى مضاف إلى الكنيسة فى الناحية الجنوبية .







مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل (٨)
قطاع رأسى بكنيسة أبى سرجة . (نقلا عن هيئة الآثار المصرية)

٢ – مغارة الكنيسة :

تقع هذه المغارة على عمق (٩٠ر٣م) ، من مستوى أرضية الردهة السابق الإشارة إليها ، وتخطيطها مستطيل الشكل (٢٠ر٦م × ٣٢ر٥م) وارتفاعها (٤٠ر٢م) ، محفورة فى صخر جبل المنطقة ويغطيها قبو حجرى محدب

وعلى الرغم من صغر حجم هذه المغارة فإن التخطيط البازيليكى يبدو واضحا بها ، فهى مكونة من ثلاثة أروقة رأسية بواسطة صفين من البائكات الرواق الأوسط منهما ، أكثر اتساعا (٣٠ر٢م) من الرواقين الجانبين الشمالى (٤١ر١م) والجنوبى (٣٤ر١م) ، ويتألف صف البائكات الجنوبى من خمسة أعمدة رخامية صغيرة ، ذات تيجان حديثة الشكل ، والبائكة الشمالية ، تتكون من أربعة أعمدة فقط . وتتميز أعمدة هذه المغارة بعدم وجود طراز معين لشكلها باستثناء عمود قديم واحد من الطراز الكورنثى ، كما وأن هذه الأعمدة ، لا ترتكز على قواعد ، باستثناء عمود واحد أيضا يرتكز على تاج كورنثى مقلوب .

ينتهى الرواق الأوسط الرئيسى للمغارة (ج) بتجويف على شكل (كوة) فى الجدار الشرقى ، مدبب الشكل ، يبدأ من ارتفاع (٧١سم) وعمقه (١٠٨سم) وارتفاعه (٦٠سم) ، وبأرضيته لوحة رخامية قديمة ، يتوسطها صليب محفور متساوى الأضلاع ، داخل دائرة قطرها (٢٩سم) ، كما يوجد تجويف آخر بوسط الجدار الجنوبى نصف دائرى ، ينتهى بدائرة محفور على لوحة رخامية ، وبوسط الدائرة صليب محفور ، والتجويف الثالث يتوسط الجدار الشمالى للمغارة وهو نصف دائرى أيضا .

كنيسة المعلقة : (الأشكال ٩ ، ١٠ ، واللوحات ٧ ، ٨) :

تعرف هذه الكنيسة بكنيسة السيدة العذراء بالمعلقة ، وذلك لبنائها على برجين من أبراج الحصن الرومانى ، ارتفاعهما (١٣م) . ولهذه الكنيسة أهمية دينية ، فقد كانت فى فترات كثيرة من العصر الاسلامى يتم فيها رسامة البطاركة كما يُعقد فيها ، كثير من الاحتفالات الدينية المسيحية الكبيرة ، ويحاكم فيها بعض الخارجين على الطقوس الكنسية ، لذلك فقد انعكست هذه الأهمية الدينية على عمارة الكنيسة

وزخارفها حتى أن المقريزى حين ذكرها فى خططه قال «كنيسة المعلقة بمدينة مصر فى خط قصر الشمع ، على اسم السيدة العذراء ، وهى جليلة القدر عندهم» . تجددت عمارة هذه الكنيسة على مر العصور الإسلامية ، حتى أُعيد تجديد عمارتها فى نهاية القرن ١٨م على يد المعلم عبيد أبى خزام عام ١٧٧٥م ، كما هو مدون على حجاب معمودية الكنيسة . وقد كان لأحد أثرياء ووجوه القبط بمصر دور كبير فى إعادة تجديد وترميم الكنائس والأديرة المصرية ، خاصة كنائس منطقة مصر القديمة ، وهو المعلم ابراهيم الجوهرى ، الذى كان يشغل منصب رئيس كتاب البر المصرى ، كما قام أحد أثرياء القبط بإعادة تجديد هذه الكنيسة ، مرة أخرى ، فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى .

ولقد أسهب المؤرخون ، فيما كانت تحويه هذه الكنيسة من النفائس الثمينة ، والتى شملت الأقمشة المذهبة والملابس الحريرية الكهنوتية والأوانى الثمينة والمباخر والتى كانت من الذهب والفضة ، إلا أنها تعرضت للتلف فى العصر المملوكى ، خلال الأحداث التى وقعت فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون (٥) .

وتعتبر الكنيسة من الناحية المعمارية ، غاية فى الأهمية ، ورغم أنها جددت فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، ذلك أن الطراز القبطى واضح بها تماما ، وإن كان التجديد ربما اختلف عن بعض الأجزاء الأولى للكنيسة ، خاصة وأن المرحوم نخلة الباراتى ، الذى جدد عمارتها فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، لم يلتقط أى من المناظر الفوتوغرافية ، التى توضح الحالة التى كان عليها البناء ، قبل التجديد ، وقبل أن توضع الكنائس تحت إشراف لجنة حفظ الآثار العربية فى عام ١٨٩٧م (٦) . على أى حال فلقد أضاف عند تجديده لعمارة هذه الكنيسة ، ثلاثة أجزاء معمارية ، خارج حدود بناء الكنيسة نفسها ، وحتى يتم الوصول إليها .

الكنيسة مستطيلة الشكل (١٠ر٢٤م × ٥٠ر٢٠م عرضا) ، تقع واجهتها فى الضلع الغربى ، وتتكون الواجهة من طابقين (طولها ٨٥ر١٠م × ١٣م إرتفاع) ، ويتقدمها فسقية مياه ، أمامها ثلاثة عقود مدببة ، محمولة على أربعة أعمدة رخامية ، ترتكز على قواعد صغيرة مربعة الشكل ، يكتنفها من الناحيتين الشمالية والجنوبية (ب ، ج) حجرتان ، بهما سلالم حجرية تؤدى إلى الطابق الثانى ، والواقع أن واجهة

الطابق الأول للكنيسة ، على الرغم من أنها حديثة ، إلا أنها مزخرفة بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية على غراز زخارف العصر المملوكى والعثمانى من طراز الأرابسك على الجص ، وقوام هذه الزخرفة ، أنصاف المراوح النخيلية ، والأوراق المتعددة الفصوص ، شديدة التحوير ومتداخلة مع الصلبان والكتابات المستمدة من الانجيل . وبهده الواجهة مدخلان متماثلان ، يحصران بينهما ، تجويف نصف دائرى ، على نفس ارتفاع الأبواب الجانبية وبعمق (٥٥ سم) .

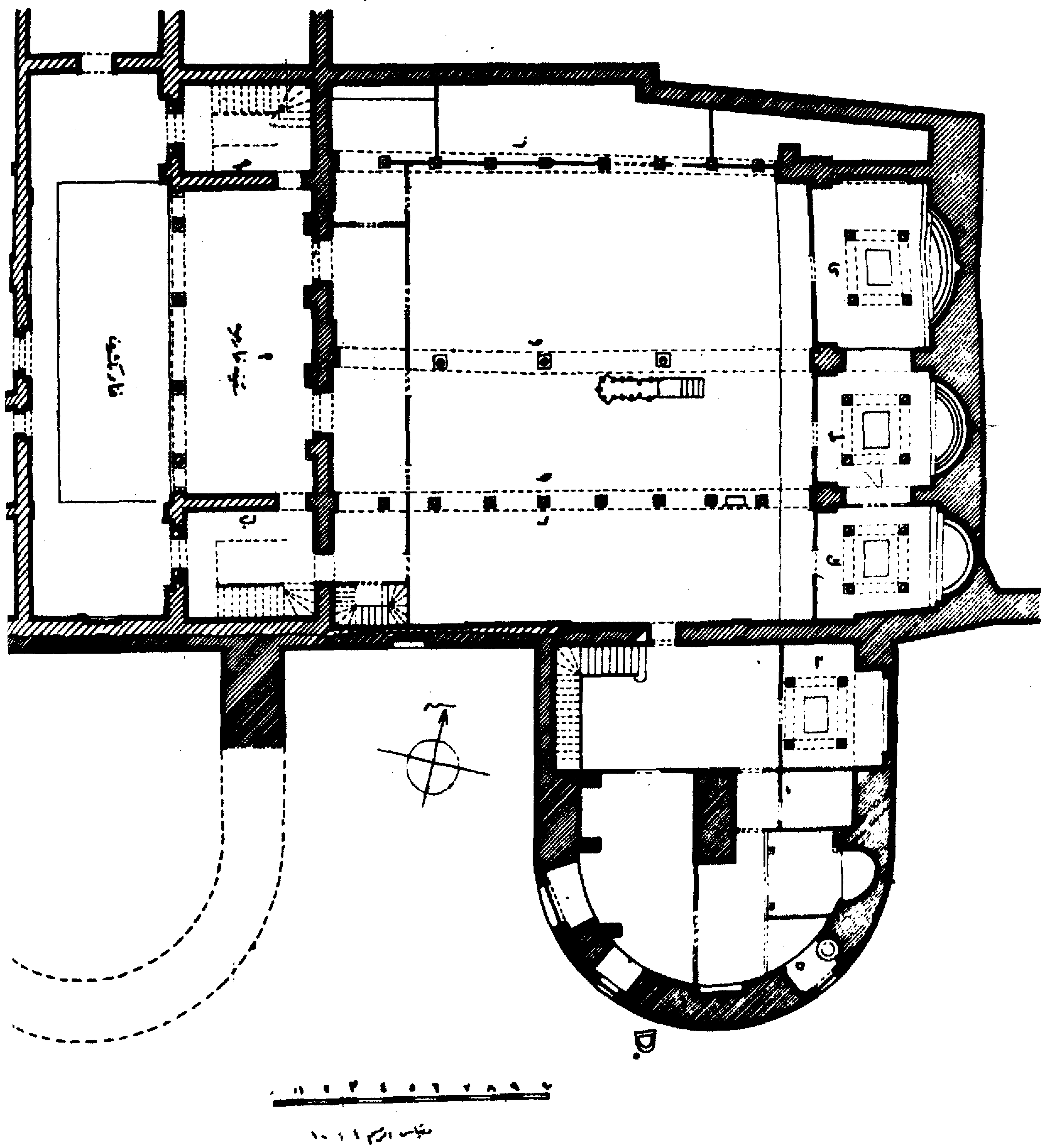
أما الطابق الثانى من هذه الواجهة ، فيحتوى على خمس نوافذ مدببة ، لهما مصاريع من خشب الخرط . ويتم الدخول إلى الكنيسة من المدخل الجنوبى حاليا حيث يقسم مساحتها الداخلية ثلاثة صفوف من البائكات إلى أربعة أروقة رأسية . ويلاحظ أن هذه الكنيسة هى الكنيسة الوحيدة بين كنائس منطقة مصر القديمة والتى يوجد بها ثلاثة صفوف من البائكات ، كما لا يوجد بها أيضا دهليز المدخل أو البلاطة المستعرضة والتى يتم الدخول فيها إلى أروقة الكنيسة ، كما يوجد اختلاف فى تماثل صفوف البائكات من حيث عدد الأعمدة بها ، إذ أن الصفين الشمالى والجنوبى بهما ثمانية أعمدة رخامية ، تيجانها كورنثية الطراز وبعضها على شكل ناقوس مقلوب ، يربطها عارضة خشبية ، يقوم عليها ثمانية عقود (أنظر القطاع الرأسى) ، إلا أنه يعلو عقود البائكة الشمالية ، ثمانى نوافذ مستطيلة الشكل ذات شبابيك ، بعضها من خشب الخرط والآخر من الجص والزجاج الملون .

أما صف البائكات الأوسط فيتكون من ثلاثة عقود كبيرة مدببة الشكل ، يحملها ثلاثة أعمدة رخامية ودعامة صليبية الشكل فى الناحية الشرقية . ورغم أن الأروقة الرأسية الأربعة فى الكنيسة ، متساوية فى أطوالها تقريبا (١٧م : د ، هـ ، و ، ز) ، إلا أن سعة هذه الأروقة ، تختلف من رواق لآخر : (الجنوبى : د : ٩٠ر٣م ، هـ ٧٥ر٤م ، و : ٥٠ر٦م ، الشمالى : ز ٦٠ر٢م) .

ويغطى الأروقة الثلاثة الرئيسية للكنيسة ، أقبية نصف دائرية من الخشب ، فُتح فى سمت كل منها ثلاث نوافذ مستطيلة ذات شبابيك من الزجاج الملون . أما الرواق الشمالى فيغطيه سقف مستو من الخشب ، يوجد منبر الكنيسة فى الناحية الشمالية الشرقية من الرواق (هـ) ، وهو قطعة فنية على جانب كبير من الرقة والمهارة ، إذ أنه مصنوع من الرخام ، المُزين بقطع صغيرة من الفسيفساء ، ويرتكز على خمسة عشر عمودا . (اللوحة ٨) .

تنتهى الأروقة الثلاثة الرئيسية ، فى الناحية الشرقية ، بثلاث حجرات متصلة ، يفصلها عن الأروقة أحجبة خشبية على صف واحد ، أما الرواق الشمالى (ز) ، فينتهى بحجرة مستطيلة الشكل أشبه بدهليز صغير طوله (٥٠ر٤م) وعرضه (٥٠ر١م) ، ويغطيه سقف مسطح من الخشب وفيما يلى وصف موجز للحجرات (الهياكل) الثلاث :





شكل (٩)
المسقط الأفقى للكنيسة المعلقة بمنطقة مصر القديمة . (نقلا عن هيئة الآثار المصرية)



شكل (١٠)
قطاع رأسى بكنيسة المعلقة . (نقلا عن هيئة الآثار المصرية)

الحجرة الوسطى (ط) : مربعة الشكل (٤م) ، تنتهى فى الناحية الشرقية بتجويف كبير عمقه (٣٨ر١م) ويتوسط هذا التجويف ، حنية صغيرة ، عمقها (٢٣سم) . على أنه يشغل هذا التجويف الرئيسى مدرج رخامى من سبع درجات (ثلاثة نصف دائرية ، وأربعة مستطيلة) . يتوسط هذه الحجرة مذبح يعلوه قبة خشبية ، ترتكز على أربع أعمدة رخامية ، ويغطى هذه الحجرة قبو خشبى ، نصف دائرى على امتداد نفس قبو الرواق (هـ) .

الحجرة الجنوبية (ك) : مستطيلة الشكل (٦٠ر٤م × ٨٠ر٣م) ، بها تجويف كبير فى الناحية الشرقية ، عمقه (٧٠ر١م) ، ولا يوجد بها الحنية الصغيرة ، كما فى تجويف الحجرة السابقة (الوسطى) ، وبوسط هذه الحجرة ، مذبح مماثل للحجرة السابقة أيضا ، كما يوجد بالتجويف الرئيسى ، مدرج رخامى مُكون من أربع درجات (درجتان على شكل نصف دائرى ودرجتين مستطيلتى الشكل) .

الحجرة الشمالية (ى) : مستطيلة الشكل أيضا (١٠ر٦م × ٢٠ر٤م) ، وعناصرها المعمارية مماثلة تماما للحجرة الوسطى (ط) .

أما الطابق الثانى للكنيسة ، والمعتاد فيه وجود ثلاثة دهاليز ، تعلو أروقة البازيليكا ، فيما عدا الناحية الشرقية ، التى توجد بها حنية الكنيسة الرئيسية ، فلا توجد بهذه الكنيسة ، باستثناء الجانب الغربى ، حيث يوجد دهليز مساحته ، (٥٥ر١٠م طول × ٨٥ر٤م عرض × ٥٨ر٤م إرتفاع) ويطل على الرواق الأوسط بواسطة عقدين كبيرين على شكل نصف دائرى ، ويغطى هذا الدهليز سقف مستو من الخشب .

على أن هذه الكنيسة الكبيرة ، تتميز أيضا بوجود كنيسة أخرى صغيرة فى الناحية الجنوبية الشرقية منها ، وهذه الكنيسة فى الحقيقة عبارة عن عدة هياكل ، مقامة على أرضية البرج الرومانى ، ويدخل إليها من خلال مدخل يقع وسط الضلع الجنوبى للكنيسة الرئيسية . الكنيسة مُقسمة إلى مساحتين الأولى مستطيلة الشكل (٣٨ر١٠م × ٥٠ر٤م) وفى الناحية الشرقية توجد حجرة مستطيلة (م) مساحتها : (٥٠ر٤م طولا × ٦ر٢م عرضا) ، وبضلعها الشرقى تجويف كبير ، سعة فتحته (٤٣ر٣م × ٢٠ر١٠م عمقا) . أما القسم الثانى من هذه الكنيسة الصغيرة أو مجموعة الهياكل بها ، فيوجد به معمودية الكنيسة من حجر الجرانيت ، (ن) .

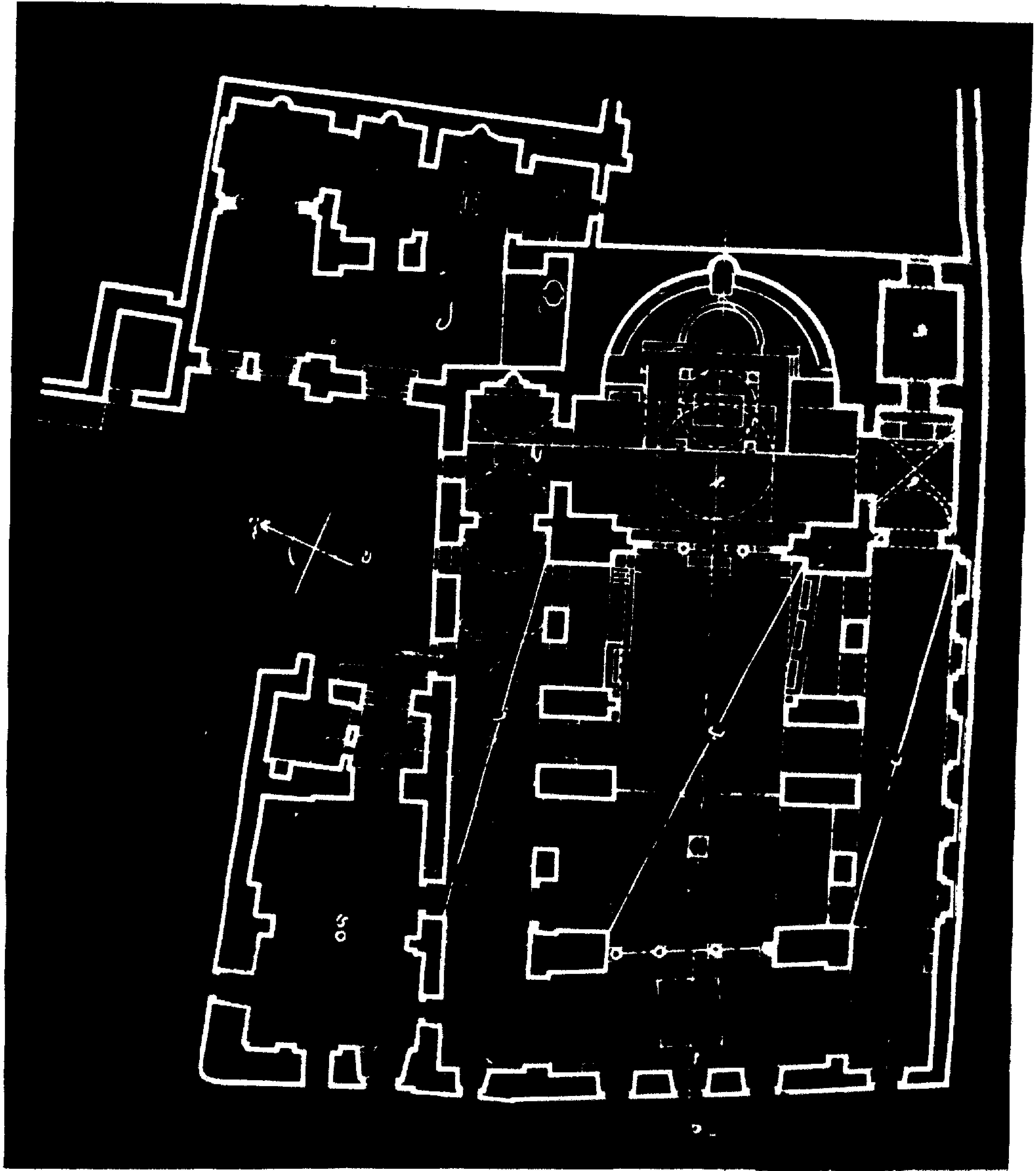
كنيسة أبى السيفين (شكل ١١ ، لوحة ٩)

تقع هذه الكنيسة شمال حصن بابليون وتحمل إسم الشهيد القديس مورقوريوس المعروف بأبى السيفين ، وقد كان ضابطا بالجيش الرومانى واعتنق المسيحية ، واستشهد بسبب ذلك فى عام (٣٦٥م) .

ولقد أسهب المؤرخ الكنسى أبو صالح الأرمنى فى الحديث عن هذه الكنيسة ، دون كنائس المنطقة الأخرى ، حتى أنه يسميها «بيعة الشهيد موروقوريوس الخطيرة» [٧] . بدأت هذه الكنيسة ككنيسة صغيرة على شاطىء النيل فى منطقة مصر القديمة ، إلا أنها هُدمت واستخدمت مساحتها لتشوين القصب ، ثم أُعيد تجديدها فى العصر الفاطمى فى خلافة العزيز بالله وقام بتجديد عمارتها البطريرك أفرام السيريانى ، من ثروة الشيخ أبو اليمن قزمان بن مينا [٨] . وقد تعرضت هذه الكنيسة للتلف فى حريق الفسطاط عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م ، حتى أن أبو صالح يذكر «أنه لم يبق منها سوى جدرانها الخارجية وكنيسة لطيفة بداخلها لم تحرق وهى كنيسة يوحنا المعمدان ، وصار القداس مستمرا بها إلى أن رُسم للنصارى بتجديد عمارة البيعة المذكورة» [٩] . وقد أعاد عمارتها الشيخ أبو البركات بن أبى سعيد هيلان فى عام ١١٧٦م «وتولى عمارتها ثلاثة صناع من بنائين من أكابر صناع مصر [١٠]» ، كما عمر الشيخ أبو الفضل بن يوحنا ابن كييل الأسقف كنيسة صغيرة أعلى بنائها تسمى بكنيسة أبو جرج» ، وقد أعاد تجديد نفس هذه الكنيسة بعد ذلك الشيخ أبو الفضائل بن فروج .

على أنه يتضح فيما ورد فى سيرة البطاركة وفى تاريخ أبى صالح ، أن هذه الكنيسة الكبيرة ، كانت قائمة فى بداية العصر الإسلامى ، إلا أن المقريزى المؤرخ ، فى عرضه لسلسلة بطاركة الأقباط يذكر أن هذه الكنيسة قد أُستحدثت فى الخلافة المستنصرية إذ يذكر : «ثم قدم اليعاقبة خرستودولوس بطركا فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر ، وهو الذى جعل كنيسة بومرقورة بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة فى أيام بطركيته»

ويحتمل أن تكون هذه الكنيسة التى أوردها المقريزى فى خططه ، ولقد صاحب الاهتمام بعمارة هذه الكنيسة وجود العديد من النفائس والأثاث الفخم والأوانى



شكل (١١)
المسقط الأفقي لكنيسة أبي السيفين بمنطقة مصر القديمة . (نقلا عن هيئة الآثار المصرية)

المزخرفة كما حفلت أيضا بكثير من الأحداث الدينية المسيحية خلال العصر الإسلامى .

والواقع أن هذه الكنيسة الكبيرة بتخطيطها المعمارى الحالى ، تتميز بكثير من العناصر والتفاصيل المعمارية والزخرفية والتى تجعلها تختلف عن كثير من كنائس منطقة مصر القديمة ، الكنيسة مستطيلة الشكل (٧٣ر٣٥م × ٣٠ر٢٣م تقريبا) ، وتنخفض عن مستوى الشارع الرئيسى (شارع جامع عمرو بن العاص) بمقدار (٩٠ر١م) ، ويتقدم الجزء الأسفل منها ، خندق مستطيل الشكل مشيد من الحجر (طوله ٧٠ر٢٨م × ٧٠ر١م عرضا) . وتتماثل واجهة هذه الكنيسة تماما مع واجهة كنيسة الأنبا شنودة المجاورة لها ، إذ أن الكنيستين على صف واحد ، ويحيط بهما خندق واحد . وتبدو الواجهة الغربية لكل من الكنيستين مرتفعة ، بها ثلاثة مداخل متماثلة ، ويقابل المدخل الأوسط محور حنية الكنيسة الرئيسية . يعلو المداخل ، الصف الأول من فتحات النوافذ ، حيث يشاهد ثلاثة نوافذ متماثلة ، يتكون كل منها من فتحتين مستطيلتى الشكل ، يتوسطهما عمود رخامى مندمج له تاج وقاعدة ، ويعلوا النوافذ عتب خشبى ، حيث ينتهى الطابق الأول من واجهة الكنيسة ، ويبدأ الطابق الثانى الذى يوجد به نافذتين كبيرتين مستطيلتين ، واحدة تعلو النافذة الجنوبية من الصف الأول ، والأخرى تعلو النافذة الشمالية من نفس الصف وتحصران بينهما ، ثلاث نوافذ مدببة الشكل ، وتتكون كل من النافذتين الشمالية والجنوبية من فتحتين مستطيلتين ، يتوسطهما عمود رخامى له تاج وقاعدة رمانية الشكل ولكل من الفتحتين ، شباك من خشب الخرط وكذلك للنوافذ الثلاث المدببة .

يُهبط إلى هذه الكنيسة بواسطة درجة من الحجر حيث يبدأ دهليز المدخل (أ) ، مساحته (٥ر٢١م طول × ٢٠ر٤م عرض × ٦٣ر٥ إرتفاع) ، مغطى بسقف مستو من الخشب ، ويفتح فى داخل هذا الدهليز المستعرض صف النوافذ الأول بالواجهة . ويقسم الكنيسة بعد هذا الرواق المستعرض ، صفان من الدعائم الضخمة ، مستطيلة الشكل ، إلى ثلاثة أروقة رأسية ، الأوسط منها (ب) أكثر اتساعا (٨٠ر٧م) ، بينما يبلغ إتساع الرواقين الجانبيين (ر ، ز ٦٥ر٣م) .

يتقدم الرواق الأوسط ، بائكة من دعامتين كبيرتين مستطيلتى الشكل ، تحصران بينهما أربعة رخامية ، تيجانها كورنثية الطراز ، ويربط تيجان هذه الأعمدة مع الدعائم ، عارضة خشبية سميكة ، يقوم فوقها ثلاثة عقود صغيرة مدببة الشكل ، ويتكون كل صف من صفى البائكات ، من دعامتين كبيرتين ، تحصران بينهما ، دعامة أقل إرتفاعا . ويلاحظ أن هذه الدعائم الضخمة المطلة على الرواق الأوسط مجوفة الشكل ومدببة من أعلى ويغطى الرواق الأوسط سقف خشبى جمالونى ، بينما يغطى الرواق الجنوبى (د) سقف خشبى مسطح والرواق الشمالى (ز) يغطيه أقبية مروحية الشكل ، ويوجد منبر الكنيسة فى الناحية الشمالية الشرقية من الرواق الأوسط ، مصنوع من الرخام ويرتكز على أعمدة (١٥ عمود) صغير من الرخام أيضا .

هذا وقد فُتح فى الجدار الشمالى للكنيسة مدخلان أحدهما فى الناحية الغربية ، حيث يؤدى إلى قاعة حديثة ملحقة بالناحية الشمالية (ى) والمدخل الثانى وسط هذا الجدار ، حيث يفتح على فناء مكشوف ، كما يوجد بنفس هذا الجدار ثلاث نوافذ من خشب الخرط . أما الجدار الجنوبى للكنيسة فبه خمس نوافذ ولا يوجد به مدخل ، ويعلو كل نافذة دخلة صغيرة بعمق (٢٠ سم) يعلوها عقد صغير مدبب الشكل . وتطل الدهليز العليا للكنيسة وعددها ثلاثة ، على الرواق الأوسط بواسطة نوافذ صغيرة ، لها شبابيك حديثة من خشب الخرط ، كما يختلف شكلها ، إذ أن بعضها مستطيل والآخر مدبب ، كما يوجد أيضا بالضلع الشمالى للكنيسة فى هذا الطابق ثلاثة نوافذ ، أما الضلع الجنوبى فلا يوجد به فتحات للنوافذ وانما توجد طاقات صغيرة مربعة الشكل (٦٠ سم) وبعمق (٣٠ سم) ، وتغطية هذه الدهليز حاليا من سقوف مستوية من الخشب ، ويصعد إليها من خلال سلالم حجرية فى مبنى مضاف ، ملحق بالكنيسة فى الناحية الشمالية الشرقية .

تنتهى أروقة الكنيسة الرأسية الثلاثة فى الناحية الشرقية منها بثلاثة عقود كبيرة ممتدة تفتح على ثلاث حجرات (الهياكل الثلاثة) ، الأوسط منهما هو عقد الحنية الرئيسية ، ويتميز بارتفاعه عن العقدين الجانبيين ، ويرتكز هذا العقد ، على عارضة خشبية سميكة ، تقوم على عمودين رخاميين ، تيجانهما كورنثية الطراز ، وفيما يلى وصف لحجرات الهياكل :

الحجرة الوسطى (جـ) : مستطيلة الشكل مساحتها (١٢م × ٨٠ر٤م) ، يغطى الجزء الأوسط منها قبة عالية [٢٢] ، تقوم على صفين من المقرنصات ، ويحمل هذه القبة ، ثلاث عقود مدببة الشكل فى الجهات الغربية والشمالية والجنوبية ، بينما يرتكز العقد فى الناحية الشرقية ، على تجويف الحنية الرئيسية . والواقع أننا لا نجد نظيرا لحنية هذه الكنيسة ، بين حنايا الكنائس المصرية القديمة ، إذ تتميز بإتساعها وعمقها سعة الفتحة (٥٣ر٩م) وعمقها ٦٠ر٥م) ، ومع ذلك فإنه لا يظهر بروزها من خارج الجدار ، ويشغل جزء كبير من فراغ الحنية من أسفل مدرج رخامى كبير ، مؤلف من سبع درجات رخامية ، ثلاثة منها على شكل نصف دائرى وأربع درجات مستطيلة . على أنه يوجد وسط تجويف الحنية الكبير ، تجويف صغير بعمق (٥٧سم) ، ويتقدم المدرج الرخامى ، مذبح الكنيسة ، حيث يعلوه قبة خشبية ، ترتكز على أربعة أعمدة رخامية .

الحجرة الجنوبية (هـ) : مستطيلة الشكل أيضا ، مساحتها (٩٣ر٤م × ٥٥ر٣م) ، يتصدر زاويتها الجنوبية الشرقية معمودية حديثة ، ويغطى هذه الحجرة قبو مروحى الشكل . يلاحظ وجود مدخل صغير يتوسط الضلع الشرق لهذه الحجرة يؤدى إلى حجرة أخرى (و) إلى الشرق من الحجرة الرئيسية ، وهذه الحجرة مستطيلة الشكل أيضا (٩٨ر٣م × ٣٢ر٣م) ، وتُستغل حاليا كمخزن لأدوات الكنيسة ، ويغطيها سقف مستو من الخشب .

الحجرة الشمالية (ح) : مستطيلة الشكل (٤٢ر٤م × ٧٠ر٣م) ، بوسط ضلعها الشرقى تجويف صغير نصف دائرى بعمق (٣٦سم) ، ويغطيها قبو مروحى الشكل . يفصل الحجرات الثلاث السابقة عن أروقتها أحجبة خشبية ، كما أن هذه الحجرات الثلاث ، يرتفع منسوب أرضيتها عن أرضية الأروقة بمقدار ٤٠ سم من خلال درجتين من السلالم الرخامية .

تتميز هذه الكنيسة أيضا بوجود كنيسة صغيرة (ل)ملحقة بها فى الناحية الشمالية الشرقية تحمل إسم القديس يوحنا المعمدان بها ثلاثة هياكل صغيرة فى الناحية الشرقية منها ويتوسط هذا الجدار تجاويف صغيرة بنصف دائرية ، هذا فضلا عما تميزت به هذه الكنيسة الكبيرة من كثرة الحجرات (الهياكل) فى الطابق العلوى منها ، ودهاليز أخرى عديدة .

كنيسة الأنبا شنودة : (شكل ١٢ ، لوحة ١٠ ، ١١)

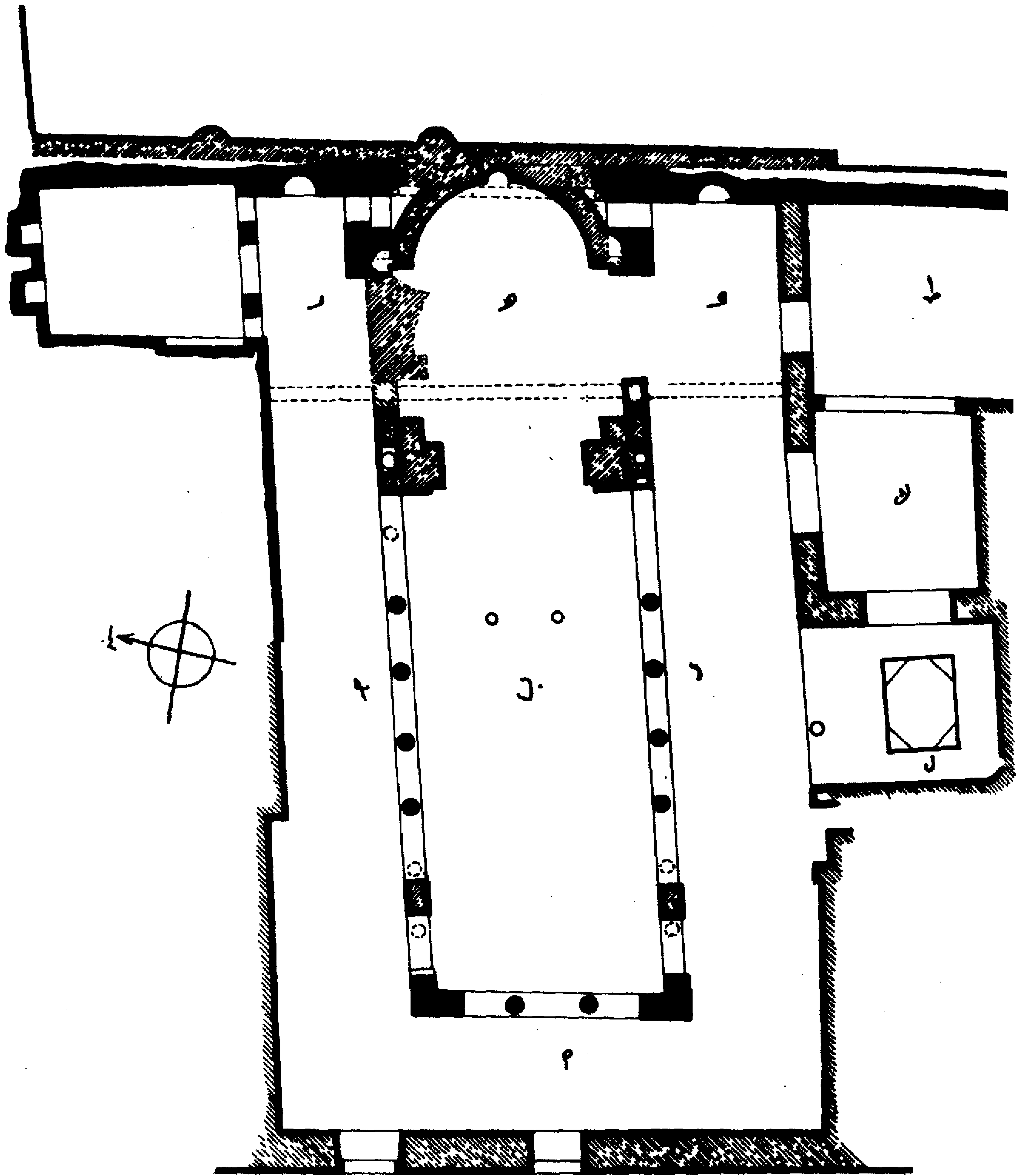
تحمل هذه الكنيسة إسم القديس شنودة ، وهو من أشهر قديسى الكنيسة القبطية ، وتذكر عنه المصادر التاريخية التى تناولت سيرة حياته ، أنه كان يتمتع بعلم كهنوتى واسع (١٣) .

ولقد تعرضت هذه الكنيسة ، شأن معظم كنائس منطقة مصر القديمة لتجديدات عديدة ، لعل من أهمها ما شملها من تجديد ، خلال سلطنة الناصر محمد بن قلاوون ، خلال فترة بطريركية نيامين الثانى (١٣١٩ - ١٣٢٢م) ، إذ عثر على إفريزى خشبى ، فُقد جزء منه ، ويقرأ على الجزء الباقى «بنيامين فى سنة ١٠٤٥ للشهداء الأطهار (١٣٢٨م) ، رزقنا الله شفاعتهم آمين» . هذا وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية ، بعمل كثير من الترميمات والتجديدات ، على غرار أصول عمارة الكنيسة الأولى منذ عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٤٢ (١٤) .

تقع هذه الكنيسة إلى الجنوب من كنيسة أبى السيفين ، وتخطيطها مستطيل الشكل (٣٠ر١٩م × ٥٠ر١٦م) . تشغل واجهتها الرئيسية الضلع الغربى من البناء وهى متماثلة مع واجهة كنيسة أبى السيفين السابق الإشارة إليها .

الكنيسة تخطيطها مشتق من جوهر البازيليكا إذ تتكون من دهليز المدخل والأروقة الرأسية والحجرات أو الهياكل الثلاثة فى الناحية الشرقية والتى يفصلها عن الأروقة الأحجبة الخشبية . تبدأ بالرواق المستعرض ، (دهليز المدخل ، أ ، ٨ر١٦م × ٤٩ر٣م × ١٥ر٦م ارتفاع) ، وهو مغطى بسقف مستو من الخشب ، ويقسم الكنيسة بعد هذا الرواق المستعرض ، صفان من البوائك إلى ثلاثة أروقة رأسية الأوسط (ب) ، أوسعها (٥٥ر٦م × ٧٣ر١٥م طولا) ، ويبلغ إتساع الرواق الشمالى (جـ) (١٩ر٤م) ، والجنوبى (د) ، (٩٤ر٤م) ، ويتقدم الرواق الأوسط ، بائكة تتكون من دعامتين كبيرتين ، تحصران بينهما عمودين من الرخام ، يعلوهما تيجان كورنثية الشكل ويربط التيجان مع الدعامات عارضة خشبية سميكة ، يقوم فوقها ثلاثة عقود ، صغيرة مدببة الشكل ، كما فى كنيستى أبى سرجة وبربارة .

تتكون كل بائكة من دعامتين كبيرتين ، بينهما خمسة أعمدة من الرخام ، وتيجان بعضها من الطراز الكورنثى ، وتتصل الأعمدة بواسطة عارضة خشبية ، يقوم عليها عقود البائكة ، وعددها خمسة عقود صغيرة مدببة الشكل ، ويلاحظ



شكل (١٢)
المسقط الأفقى لكنيسة الأنبا شنودة بمنطقة مصر القديمة . (نقلا عن هيئة الآثار المصرية)

وجود فتحة مستطيلة ، مجاورة للعقود المدببة ، من الناحية الغربية بالإضافة إلى نصف عقد مدبب مدموج ، مع دعامتى البائكتين الموازيتين فى النهاية الشرقية ، ويرتفع على هاتين الدعامتين ، عقد شاهق الارتفاع من النوع المدبب الممتد ، فى مواجهة الحنية الرئيسية .

يغطى الرواق الأوسط لهذه الكنيسة سقف جمالونى الشكل ، بينما يغطى الرواقين الجانبيين سقف مسطح من الخشب . ويضم الجدار الشمالى للكنيسة ست نوافذ حديثة من خشب الخرط ، أما الجدار الجنوبى ، فيوجد به مدخلان . ويقع منبر الكنيسة ، فى مكانه المعتاد فى الجهة الشمالية الشرقية من الرواق الأوسط . ويعلو أروقة الكنيسة فى الناحيتين الشمالية والجنوبية والناحية الغربية من البناء ، الطابق الثانى ، وهو عبارة عن دهاليز ، يغطيها سقوف مسطحة ، ويلاحظ على دهاليز هذا الطابق ، وجود كثير من الأبواب ، التى تؤدى إلى ممرات ، وحجرات صغيرة مبنية حديثا ، كما تتميز الدهاليز العليا ، التى تطل على الرواق الأوسط ، بإختلافها عن مثيلاتها ، فى كنيستى أبى سرجة وبربارة ، اذ نجد سبع دعامات ، فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، يتخللها نوافذ من خشب الخرط ، عددها ست شبابيك متماثلة ، أما فى الناحية الغربية ثلاث نوافذ ، ويصعد إلى هذه الدهاليز حاليا عن طريق سلم حجرى ، يقع فى مبنى خارجى مضاف إلى الكنيسة من الناحية الجنوبية (ك) .

ينتهى الرواق الأوسط (الرئيسى) فى الناحية الشرقية بحنية الكنيسة (هـ) ، بوسطها حنية صغيرة نصف دائرية ، ويشغل الجزء الأسفل من مساحة الحنية ، مدرج رخامى حديث من سبع درجات ، ويتقدم هذه الحنية الرئيسية حجرة مربعة الشكل (١٨ر٥م) تمثل الهيكل الأوسط للكنيسة ، بها مدرج رخامى حديث يعلوه مظلة خشبية ، تقوم على أربع أعمدة رخامية ، ويغطى هذه الحجرة قبة ضحلة ، مقامة على أربع حنايا ركنية . يكتنف الحجرة السابقة ، حجرتان واحدة فى الناحية الشمالية والأخرى فى الناحية الجنوبية :

الحجرة الشمالية (ز) : مستطيلة (٧٠ر٥م × ٣٠ر٣م) ، يتوسطها حنية ، ويغطى الحجرة سقف مسطح من الخشب ، وتفتح فى الناحية الشمالية منها على حجرة جانبية مستطيلة الشكل (ى) .

الحجرة الجنوبية (و) : مستطيلة الشكل أيضا (٦ر٤٠ × ٣ر٧٥م) ، يتوسط جدارها الشرقى حنية صغيرة نصف دائرية . على أنه يلاحظ وجود نافذة حديثة مستطيلة (٢ر٧٤ إرتفاع × ١ر٥٠م عرض) ، ربما كانت فى الأصل بمثابة مدخل يؤدى إلى الحجرة التى تقع إلى الجنوب منها (ط) ، حيث يدخل إليها الآن من الفناء الخارجى (ك) ويغطيهما سقف مسطح من الخشب . ترتفع الحجرات (الهياكل) الثلاث عن مستوى أرضية الأروقة الثلاثة بمقدار (٦٠سم) ، بواسطة ثلاث درجات مستعرضة من السلالم الرخامية ممتدة من الضلع الشمالى إلى الضلع الجنوبى من البناء .

كنيسة القديسة بربارة : (شكل ١٣ ، لوحة ١٢)

تقع هذه الكنيسة داخل أسوار الحصن ، بحارة القديسة بربارة ، وتنخفض عن مستوى أرضية هذه الحارة بمقدار (٤٢ر١م) ، حيث يتم الهبوط إليها من خلال عدد من درجات السلالم الحجرية [١٥] . الكنيسة تحمل إسم القديسة بربارة والتى تذكر عنها المراجع التى تناولت سيرتها ، أنها ولدت فى أوائل القرن الثالث الميلادى من أسرة غنية وثنية ، وقد اعتنقت الدين المسيحى ، على يد العلامة المصرى فى ذلك الوقت «أوريجانس» ، فغضب والدها من ذلك وقتلها ، ويذكرها المقريزى بقوله : «كنيسة بربارة بمصر كبيرة ، جليلة عندهم» [١٦] ، وقد ذكر نفس المؤرخ كنيسة أخرى بالقاهرة تحمل إسم هذه القديسة أيضا ، إلا أنها تعرضت للتلف فى عام ٧١٨هـ / ١٣١٨م واندثرت [١٧] .

الكنيسة تخطيطها مستطيل الشكل أيضا ، إذ تبلغ مساحتها (٢٦ر٦٠م × ١٤ر٤٥م) ، وتتميز بكثرة الإضافات المعمارية الحديثة ، خاصة فى الناحية الشمالية منها ، حيث توجد كنيسة صغيرة حديثة على إسم القديسين أباكير ويوحنا ، بالإضافة إلى بعض الأبنية الحديثة الملحقة بالضلع الجنوبى . وتشبه هذه الكنيسة كنيسة أبى سرجة فى معظم العناصر والتفاصيل المعمارية باستثناء بعض العناصر المعمارية القليلة ، مما جعلا «باتروكلو ومونريه دى فيلارد» يذكرا أن الكنيستين ، قد بنيتا فى وقت واحد وعلى فترتين زمنيتين متلاحقتين فى القرنين ١١ ، ١٢م [١٨] . يبلغ طول واجهة هذه الكنيسة (٢١ر٣٥م × ١٥م إرتفاع) وتتكون من طابقين ، وبطابق الواجهة الأول ثلاثة مداخل ، يعلوهما عتب خشبى ، ويعلو هذا

الصلبان ، ويكتنف الحنية الرئيسية من الناحية الشمالية ، حجرة صغيرة ، (و) ومن الناحية الجنوبية أيضا ، حجرة صغيرة (ز) .

على أنه يتقدم الحنية الرئيسية والحجرتين الجانبيتين ، ردهة مستعرضة (ح) مساحتها (٦٠ر١٤م × ٥٥ر٣م) ، يغطيها سقف مستو من الخشب ، مماثلة للردهة الموجودة بكنيسة أبى سرجة . كذلك يوجد بعض الاختلافات بين الحجرتين السابقتين إذ تتميز الجنوبية (ز) بوجود ثلاث حنايا ، فى الجدران : الشرقية والشمالية والجنوبية ، ويغطى هذه الحجرة نصف قبة تقوم على مقرنصين فى الزاويتين الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية . أما الحجرة الشمالية (و) فهى تشبه الحجرة السابقة فى احتواء كل منها على عمودين رخاميين فى زاويتيهما ، وفى وجود التجويف النصف دائرى الشكل وسط الضلع الشرقى ، وفى تغطيتها بنصف القبة ، وتختلف عنها فى عدم وجود الحنايا السابق الإشارة إليها .

أما الطابق الثانى الذى يعلو الأروقة الشمالية والجنوبية والغربية فيمثل أيضا دهاليز ، مغطاة بسقوف مسطحة من الخشب ، وتطل على الرواق الأوسط كما فى كنيسة أبى سرجة إلى حد كبير ، ويتم الوصول إلى هذا الطابق ، بواسطة سلم حجرى ، يقع داخل مبنى خارجى ، مضاف فى الناحية الجنوبية من الكنيسة ، كما هو الحال فى كنيسة أبى سرجة .

كنيسة بابليون الدرج : (شكل ١٤)

تقع هذه الكنيسة ضمن ثلاث كنائس أخرى ، جنوب الحصن الرومانى ، وتتميز بصغر مساحتهما ، وإحاطتهما بسور كبير من الحجر والطوب اللبن ، وأعتقد أن الكنائس الثلاث ، ربما كانت داخل دير كبير بنى فى بداية العصر الإسلامى ، نظرا لوجود العديد من الحجرات ، التى ربما كانت بمثابة قلالى للرهبان ، وقد أرخ الفريد بتلر هذه الكنائس بالقرن السابع أو الثامن للميلاد [١٩] .

وقد ذكر المقريزى هذه الكنائس الثلاث فى خططه ، فذكر عن هذه الكنيسة أنها فى «قبلى قصر الشمع ، بطريق جسر الأفرم ، وذكر أنها كنيسة قديمة جدا» [٢٠] ، كما ذكر الكنيسة الثانية وهى كنيسة الأمير تادرس المشرقى ، وأورد أن الكنيستين مغلقتين

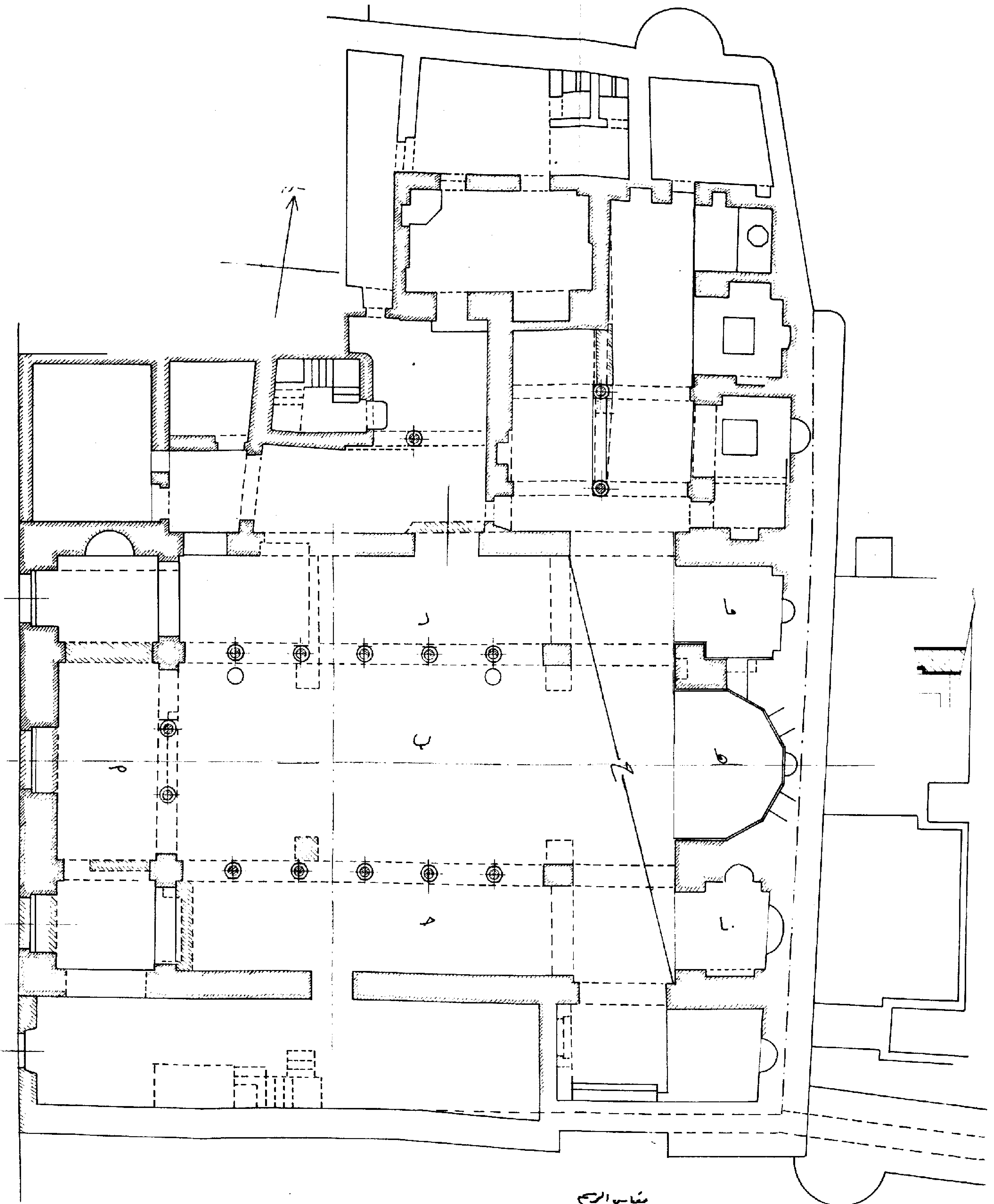
على أيامه لخراب ما حولهما [٢١] ، هذا ومن المعروف أن البطريرك زخاريوس (٩٩٦ - ١٠٢٤م) حين توفى دفن بكنيسة بابليون الدرج [٢٢] . الكنيسة مستطيلة الشكل (١٨٫٥٠م × ١٦٫١٠م) ، ويوجد المدخل الوحيد بها فى الضلع الشمالى (أ) فى واجهتها التى تمتد ١٣٫٣٥م وبارتفاع قدره (١٠٫١٥م) ، وهى محجوبة من الناحية الشرقية بمساكن حديثة . تتكون هذه الواجهة من طابقين ، حيث يضم الطابق الأول المدخل والنوافذ ونجد بالطابق الثانى من الواجهة ثلاث نوافذ . الكنيسة يقسمها من الداخل ، صفان من الدعائم والأعمدة إلى ثلاثة أروقة رأسية أوسعها الرواق الأوسط (جـ) ، ويمتاز هذا الرواق أيضا بامتداده أكثر من الرواقين الجانبيين (١١٫٩٠م) ، ويتكون كل صف من دعامة كبيرة بالوسط ، يكتنفها عمودان من الرخام ، يعلوهما تيجان كورنثية الشكل . والملاحظ على أعمدة هذه الكنيسة ، وجود كتلة بنائية (دعامة صغيرة) ، تعلون (الطبان) ، الذى يقوم عليه تاج العمود ، حتى يتساوى إرتفاع الأعمدة ، مع الدعائم بالوسط ، على أنه يختلف ارتفاع هذه الدعائم الصغيرة من عمود لآخر ، نظرا لإختلاف مقاييس الأعمدة نفسها والتى يبلغ بعضها (١٫٨٧م) والآخر (٢٫٢٥م) ، كما ترتكز هذه الأعمدة على قواعد مربعة ومستطيلة الشكل . يغطى الرواق الأوسط للكنيسة ، قبو نصف دائرى من الحجر وهو القبو الوحيد من هذا النوع بين كنائس منطقة مصر القديمة ، ويغطى الرواقين الشمالى والجنوبى ، سقف مستو من الخشب ، ويبلغ إرتفاع الرواق الشمالى (٣٫٨٠م) والجنوبى (٤٫١٥م) .

ويلاحظ أنه لا يوجد بالضلع الشمالى لهذه الكنيسة فتحات للمداخل أو النوافذ ولا يوجد بها منبر أيضا ، إلا أنها تشتمل على الطابق الثانى ، كما فى الكنائس السابقة ، إلا أن هذا الطابق يتكون من دهليزين فقط فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، ويغطيهما سقف مسطح من الخشب ، ويتم الصعود إليه ، بواسطة سلم حجرى ، ملحق فى بناء صغير يقع فى الناحية الغربية من الكنيسة .

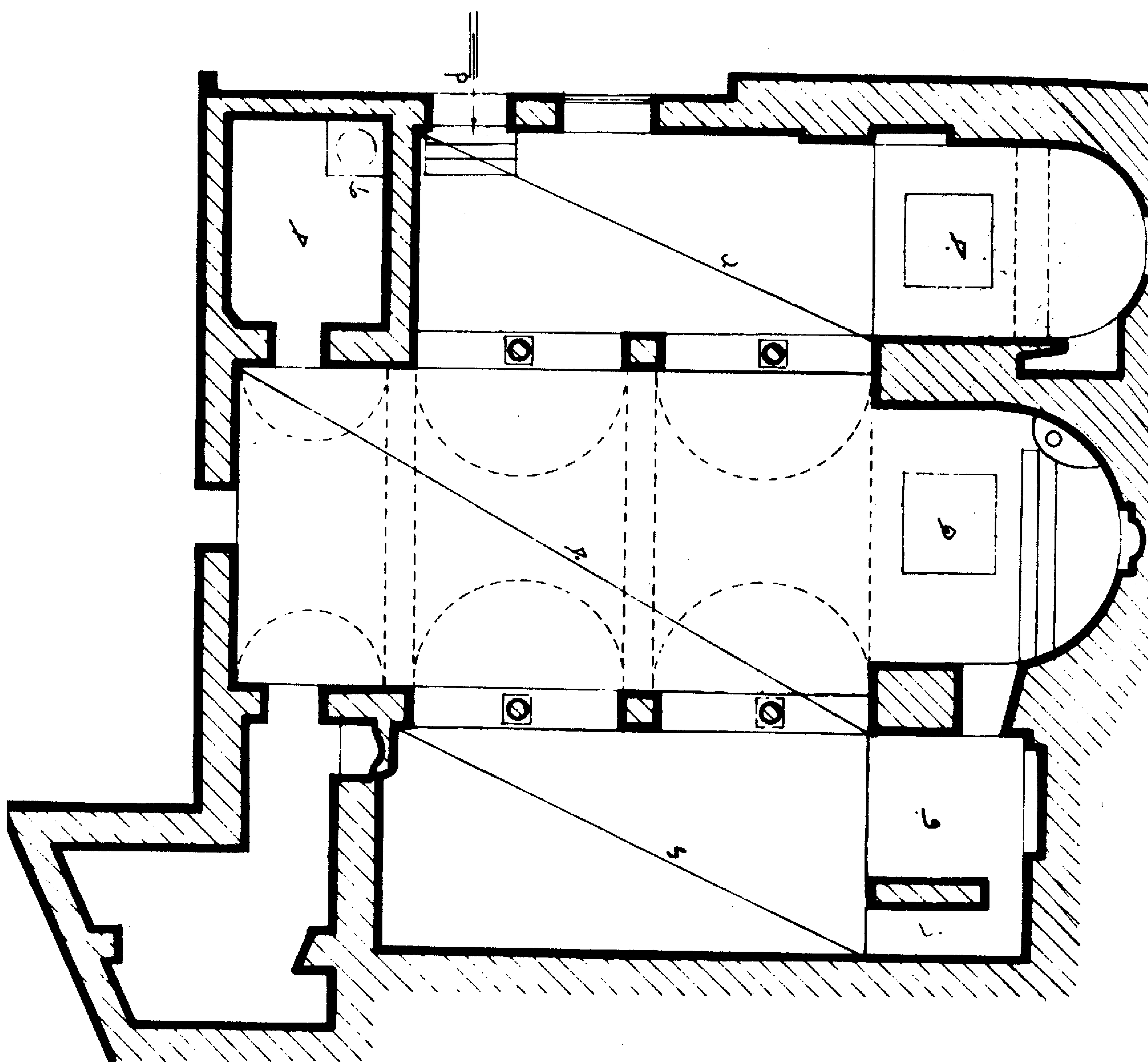
ينتهى الرواق الأوسط بحنية كبيرة نصف دائرية بعمق ٤٫٧٨م ، بوسطها تجويف صغير نصف دائرى ، ويتقدم هذا التجويف ، مدرج حجرى من ثلاث درجات ، وبوسط الحنية الرئيسية مذبح خشبى مربع الشكل ، يعلوه قبة خشبية ضحلة ، مقامة على أربعة أعمدة رخامية .

يكتنف الحنية الرئيسية حجرتان مختلفتان الأولى وهى الشمالية (جـ) مستطيلة الشكل (٧٠ر٣م × ٦٠ر٣م) ، تنتهى فى الناحية الشرقية بتجويف كبير ، يتوسطه حنية صغيرة نصف دائرية ، ويغطى هذه الحجرة سقف مسطح من الخشب . أما الحجرة الجنوبية (و) فتتصل بالحنية الرئيسية للكنيسة بواسطة مدخل صغير ، وتتميز هذه الحجرة بصغر مساحتها (٩٠ر٢م × ٦٠ر٢م) ، وفى نهاية ضلعها الشرقى توجد دعامة مستطيلة بعمق (٣٠سم) ويغطيها أيضا سقف مستو من الخشب . على أن يلاحظ وجود مدخل صغير ، فى نهاية الضلع الجنوبى لهذه الحجرة ، يؤدى إلى حجرة أخرى صغيرة ضيقة مستطيلة الشكل (٩٠ر٢م × ٨٠سم) ، مغطاه بسقف مستو من الخشب ، ويفصل المجموعة السابقة فى الناحية الشرقية ، عن باقى أروقتها ، صف من الأحجبة الخشبية ، كما يكتنف أيضا نهاية الرواق الأوسط من الناحية الغربية حجرتان حديثتان ، ربما أستقطعتا من مساحة الأروقة الجانبية والتى نعتقد أنها كانت على نفس امتداد الرواق الأوسط الرئيسى ، وبالتالى فإن مدخل هذه الكنيسة كان بوسط الضلع الغربى من البناء بدليل وجود فتحة مدخل تقع وسط هذا الضلع وأن كان ذلك قد حدث عند إعادة تجديد أو ترميم الكنيسة مؤخرا .

شكل (١٣)
المسقط الأفقى لكنيسة القديسة بربارة بمنطقة مصر القديمة . (نقلا عن هيئة الآثار المصرية)



مقياس الرسم
١ : ١٠٠



شكل (١٤)
المسقط الأفقى لكنيسة بابليون الدرج . (عمل الباحث)

كنيسة أباكير ويوحنا : (شكل ١٥)

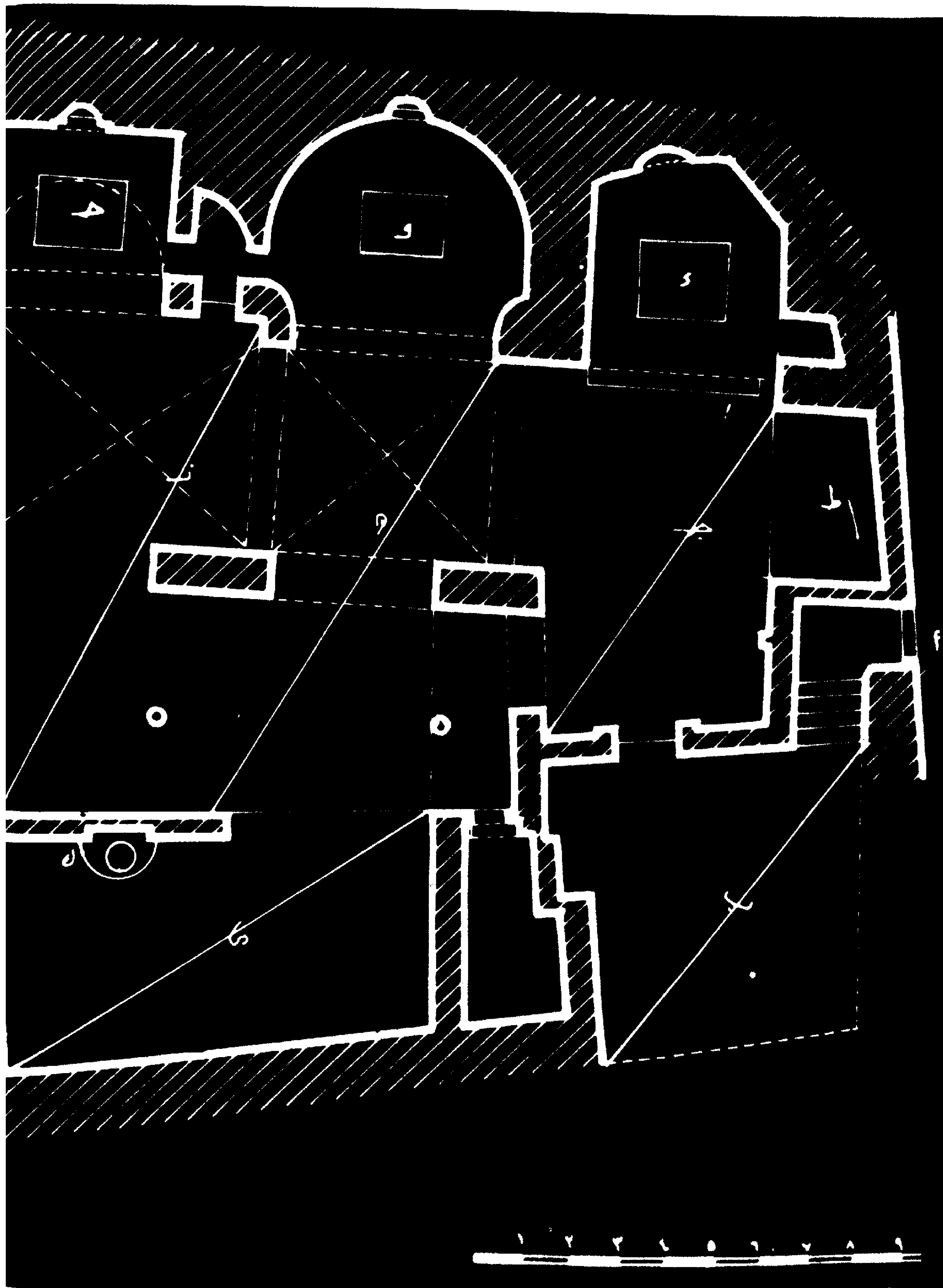
تقع هذه الكنيسة بجوار الكنيسة السابقة فى جنوب الحصن أيضا ، وقد تعرضت لكثير من التجديدات وأعمال الترميم ، التى تمت على غير أساس سليم ، ونتج عن ذلك فعلا إرتباك واضح فى عمارتها الخارجية والداخلية . الكنيسة شكلها غير منتظم ، إذ تبلغ مقاييس جدرانها (الشرقى ١٦٫٥٥ ، والغربى ١٨٫٧٠م والشمالى ١٨٫٦٥م ، والجنوبى ١٩٫٧٠م) والدخول إليها من خلال مدخل (أ) ، حيث يؤدى إلى دهليز صغير مكشوف مستطيل الشكل ، فى نهايته الغربية قالب من السلالم ، يفتح على فناء كبير مكشوف (ب) ، غير منتظم ، حيث يوجد الجزء الجنوبى من الواجهة ، أما الجزء الشمالى منها وهو الرئيسى ، فمحجوب بواسطة ملحقات إضافية ملحقة بالكنيسة .

يوجد مدخل حديث فى الجزء الجنوبى من الواجهة ، يؤدى إلى الكنيسة والتى يقسم مساحتها من الداخل صفان من البائكات إلى ثلاثة أروقة رأسية أقلها إتساعا الرواق الأوسط ، على غير المعتاد (هـ) : إذ يبلغ سعته (٤٫٣٠م × ٩٫٢٣م طولا) ، بينما تبلغ سعة الرواق الجنوبى (جـ : ٥٫١٨ × ٧٫٤٦م طولا) ، والرواق الشمالى (ز : ٥٫١٨م × ٩٫٢٣م طولا) ، وتتكون البائكتين من صف به دعامة كبيرة ، مستطيلة الشكل فى الناحية الشرقية ، وعمود رخامى فى الناحية الغربية ، ويلاحظ على صف البائكة الجنوبى وجود عقدين مدببين الشكل وهو الأمر الذى لا يوجد فى صف البائكة الشمالية ، حيث يوجد دعامة صغيرة ، تعلو تاج العمود ، حتى يتساوى ارتفاع العمود بالدعامة الجانبية . يغطى الجزء الشرقى الذى يتقدم الحجرة الوسطى (و) قبو متقاطع وهى نفس التغطية ، بالنسبة للجزء الشرقى الذى يتقدم الحجرة الشمالية (حـ) ، وقد فتح فى سمت كل منهما ، طاقة مستديرة الشكل ، أما بقية الأجزاء ، فيغطيها سقوف مستوية حديثة من الخشب . ينتهى الرواق الأوسط بحنية كبيرة نصف دائرية (و) ، بوسطها تجويف صغير بعمق (٣٨سم) ، يكتنفها من الناحيتين حجرتان ، الشمالية (حـ) ، غير منتظمة الجدران ، بوسطها تجويف صغير ، وتتصل بالحنية الرئيسية بواسطة ممر قصير مستطيل الشكل (٢٫٥٠م × ١٫١٨م) ، ويغطى هذه الحجرة قبو نصف دائرى من الآخر .

أما الحجرة الجنوبية (د) ، فهى غير منتظمة الأضلاع أيضا ، ويوجد بها التجويف النصف دائرى بوسط الضلع الشرقى ، وفى نهاية ضلعها الجنوبى طاقة صغيرة مستطيلة ، ويغطى هذه الحجرة سقف مستو من الخشب .

ينتهى الرواق الأوسط فى الناحية الغربية بفتحة كبيرة ، يتقدمها مدخل كبير ، يؤدى إلى حجرة كبيرة مستطيلة (ى) ، غير منتظمة الأضلاع ، يغطيها سقف مسطح من الخشب وبها وضعت معمودية الكنيسة ، ولا يوجد بهذه الكنيسة دهاليز الطابق الثانى ، كما فى الكنائس السابقة .



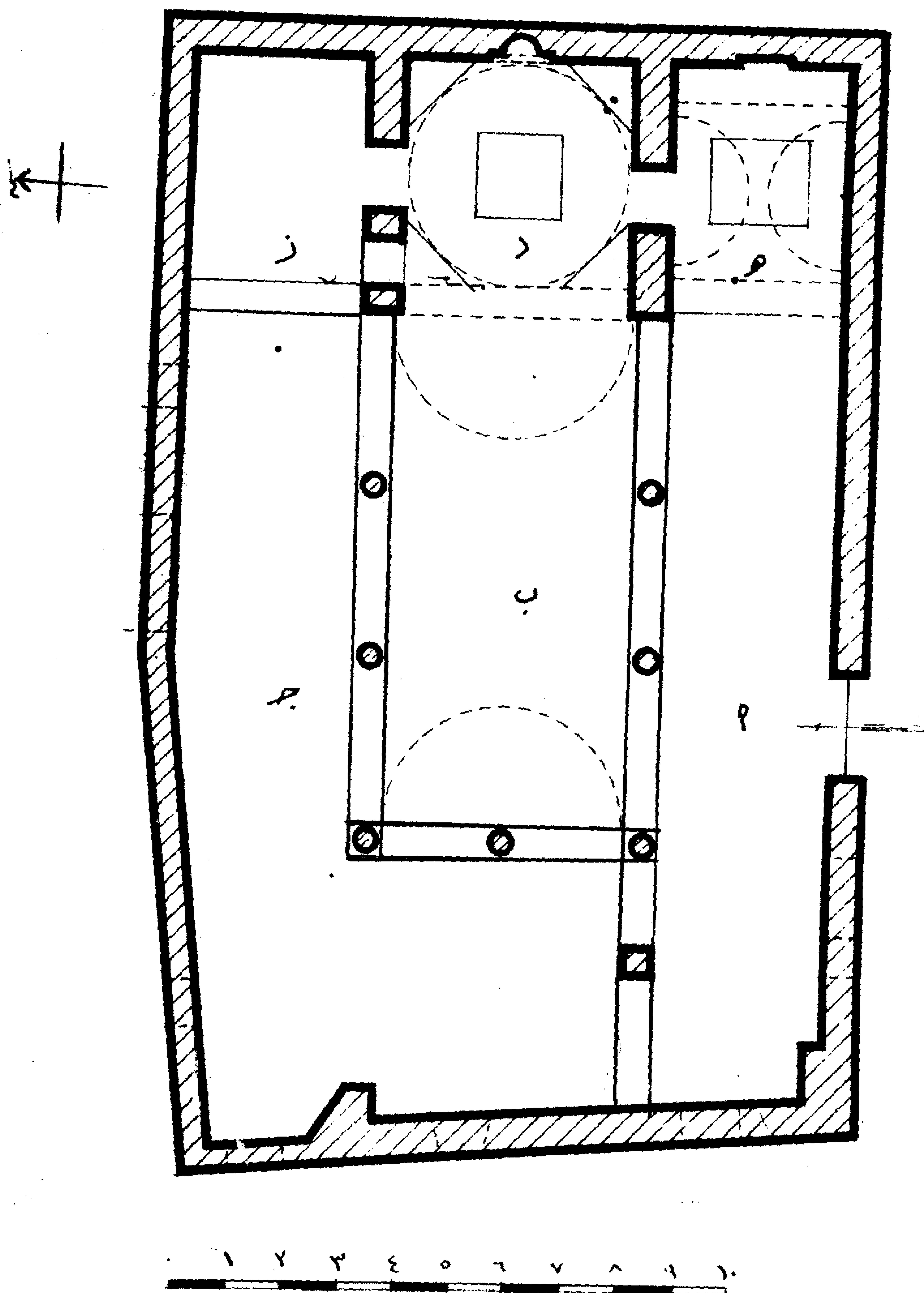


شكل (١٥)
المسقط الأفقى لكنيسة أباكير ويوحنا بمنطقة مصر القديمة . (عمل الباحث)

كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالدمشيرية [٢٣] : (شكل ١٦)

تقع هذه الكنيسة بدير أبى السيفين بشارع جامع عمر بن العاص ، ويدخل إليها من خلال دهليز طويل ، فى الناحية الجنوبية ، يفتح على الفناء مكشوف ، ويؤدى إلى مدخل الكنيسة الوحيد فى الضلع الجنوبى ، حيث تبدو واجهة الكنيسة محجوبة تماما ، بواسطة الملحقات الاضافية ، بمبنى الكنيسة فى الناحية الجنوبية . تخطيطها مستطيل الشكل (٢٠م × ٩٠ر١٢م) وتتكون من طابق واحد ، كما فى الكنيسة السابقة ، ويقسمها من الداخل صفان من الأعمدة إلى ثلاثة أروقة رأسية ، أوسعها الرواق الأوسط . وصفا أعمدة هذه الكنيسة تشبه مثيلاتها بكنيسة بابليون الدرج لا سيما فى وجود الدعائم الصغيرة المرتكزة على تيجان الأعمدة ، ويتكون صف الأعمدة الجنوبى من دعامة وثلاثة أعمدة ، مقابل ثلاثة أعمدة فقط فى صف الأعمدة الشمالى . يغطى الرواق الأوسط (ب) قبو نصف دائرى من الخشب والراق الشمالى والجنوبى تغطيتهما من سقوف مستوية من الخشب أيضا ، ويوجد بالجدراين الشمالى والجنوبى فتحات للنوافذ ، كما يوجد بالضلع الغربى للكنيسة أيضا ، فتحات للنوافذ .

تنتهى الأروقة الثلاثة فى الناحية الشرقية بالهياكل الثلاثة ، التى يفصلها عنها أحجبة خشبية وأهمها الهيكل الأوسط (د) ، عبارة عن حجرة مربعة (٤م) ، يتوسط ضلعها الشرقى حنية نصف دائرية صغيرة بعمق (٣٠ سم) ، ويتوسط هذه الحجرة مذبح حجرى ، يعلوه قبة خشبية ، مرتكزة على عمودين من الخشب ، ويغطى هذه الحجرة قبة تقوم على أربع حطات من المقرنصات ، كما أنها تتصل بالحجرتين الشمالية والجنوبية ، بواسطة مداخل فى ضلعيها الشمالى والجنوبى . أما الحجرة الجنوبية (هـ) ، فهى مستطيلة الشكل ، مساحتها (٤٥ر٤م × ٣م) ، يتوسطها مذبح مماثل للحجرة السابقة ، ويتوسط جدارها الشرقى حنية صغيرة ، كما يغطيها قبو طولى من الآجر ، والحجرة الشمالية (ز) ، مستطيلة الشكل أيضا ، ومساحتها مقاربة لمساحة الحجرة السابقة ، ومغطاة بسقف خشبى مستو ، ولا يوجد بهذه الكنيسة أيضا ، الطابق الثانى والذى يشكل الدهاليز العليا .



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل (١٦)
المسقط الأفقى لكنيسة السيدة العذراء المعروفة بالدمشيرية بمنطقة مصر القديمة . (عمل الباحث)

كنيسة قصرية الريحان : (شكل ١٧ واللوحات ١٣ ، ١٤)

تعرف هذه الكنيسة بكنيسة السيدة العذراء المشهورة بقصرية الريحان ، وذلك لتشبيه السيدة العذراء بإصيص ترعرع فيه نبات ورهر الريحان ذو الرائحة الذكية ، وربما هذا كناية عن الاناء الطاهر الذى خرج منه المسيح [٢٤] .

وقد ورد ذكر هذه الكنيسة فى تاريخ بطاركة الاسكندرية ، زمن البطريرك ، خائيل السادس والخمسون فى العدد (٨٦١ - ٩٠٠م) ، وذلك حين حضر إليها هذا البطريرك ، وعقد بها اجتماعا دينيا ، كما عاش هذا البطريرك نفسه بالكنيسة بعض الوقت ، بقصد التشاور مع أحمد بن طولون والى مصر ، فى ذلك الوقت ، بشأن ما أورده ابن المقفع فى تاريخ البطاركة من أن أحمد بن طولون قد فرض جزية كبيرة على أقباط مصر ، فاضطر هذا البطريرك إلى بيع كنيسة و أوقاف أخرى لتسديد ما طلب منه [٢٥] . هذا وقد احترقت هذه الكنيسة من عدة أعوام [٢٦] .

أما من حيث التخطيط المعمارى لهذه الكنيسة فإنها تختلف عن الكنائس السابقة ، خاصة فى وسيلة التغطية وشكل الكنيسة ، فالكنائس السابقة كانت مستطيلة الشكل ، بينما نجد هذه الكنيسة مربعة الشكل ، وفى الوقت نفسة نجد أن مساحة الكنيسة مقسمة إلى مناطق مربعة يعطيها قباب ضحلة ، غير تغطية الكنائس السابقة بالسقوف الجمالونية الشكل والمسطحة ، وقد شاع هذا النوع من التغطية بالقباب المتجاورة ، فى بعض كنائس النوبة والوجه القبلى ، وتوجد كنيسة أخرى بنفس المنطقة ، تمثل فيها التغطية بالقباب المتجاورة ، هى كنيسة الأمير تادرس المشرقى ، ضمن الكنائس الثلاثة جنوب حصن بابليون .

تقع هذه الكنيسة بعطفة القديس جرجس ، ويتم الوصول إليها ، من خلال ممر طويل ضيق ، على جانبيه مجموعة من المساكن ، وتنخفض الكنيسة عن مستوى العطفة المؤدية إليها بمقدار حوالى (٣م) ، حيث توجد الكنيسة فى الناحية الشمالية من فناء كبير مكشوف ، يحيطه من الناحية الشرقية ، مقابر الأقباط الحديثة . الكنيسة تخطيطها مربع الشكل ، طول ضلعه (١٤٫٥٠م) ، ولها مدخلان : الأول (ا) ، وهو المدخل الرئيسى الذى يقع فى النهاية الغربية للضلع الجنوبى للكنيسة ، وهو مدخل حديث مضاف ، ويكتنف هذا المدخل عمودان رخاميان ، يعلوهما

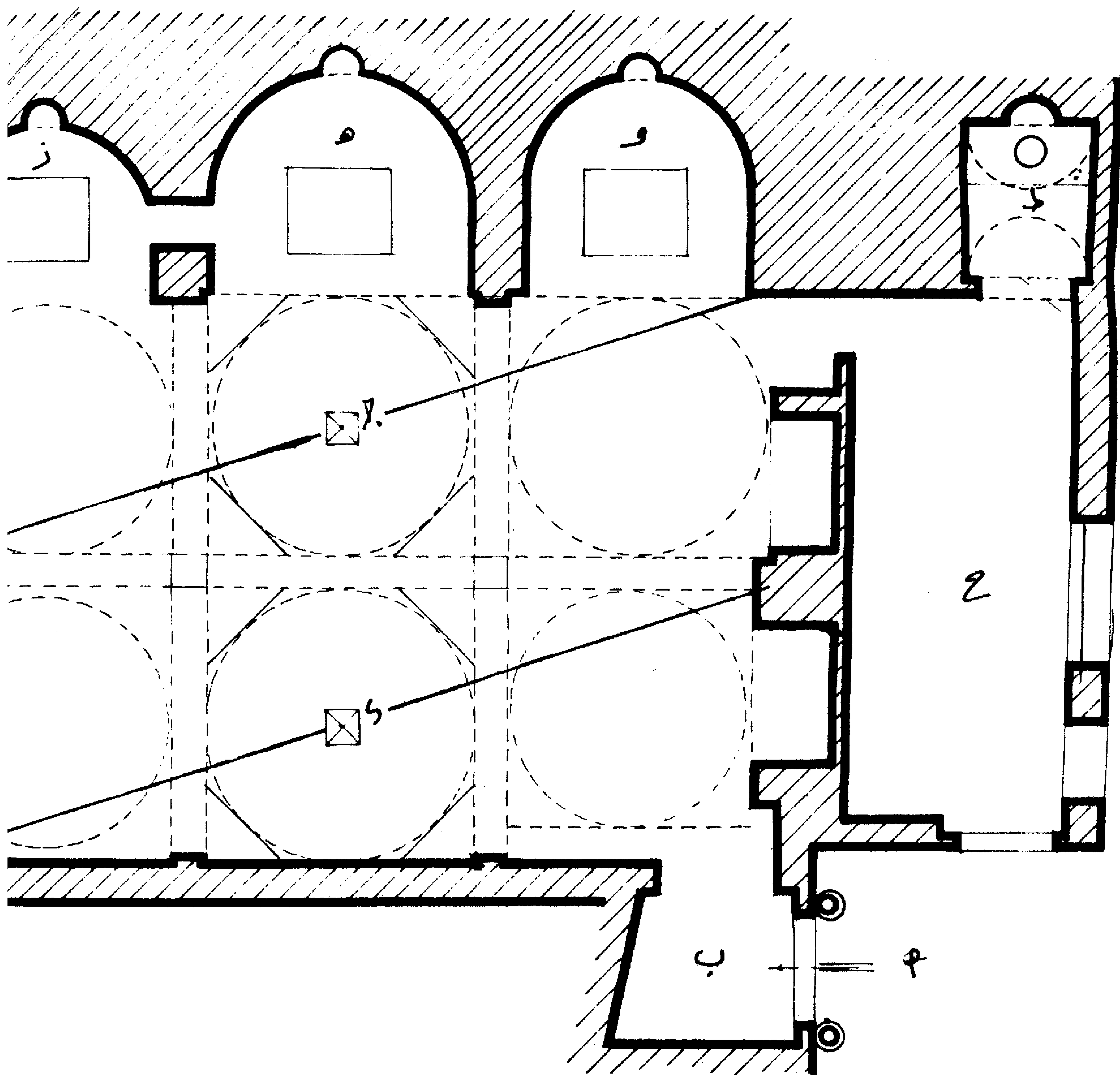
عقد نصف دائرى الشكل ، ويرتكز العمودان على مكسلتين صغيرتين بجانبى الباب مستطيلتى الشكل (٤٢ر١م × ٣٥ سم × ٥٠ سم إرتفاع) ، ويؤدى هذا الباب إلى حجرة صغيرة ، غير منتظمة الجدران (ب) ، ويغطيها سقف مستو من الخشب ، وتفتح هذه الحجرة فى نهايتها الشرقية مباشرة على الكنيسة من الداخل .

أما المدخل الثانى للكنيسة فيوجد فى النهاية الغربية ، من الجزء المضاف على طولى امتداد الضلع الجنوبى للكنيسة ، والواقع أن واجهة هذا الجزء ، غنية بالزخارف الحجرية ، خاصة الزخارف الهندسية ، ويؤدى هذا المدخل إلى ردهة كبيرة مستطيلة الشكل ، ترتفع أرضيتها عن مستوى أرضية الكنيسة بمقدار (٤٠ سم) ، وتبلغ مساحة هذه الردهة الكبيرة (٢٥ر٨ × ٦٥ر٣م × ٤٥ر٣ إرتفاعا) ، كما يغطى هذه الردهة (ج) سقف مسطح من الخشب . تنتهى فى الناحية الجنوبية الشرقية منها ، بمدخل على شكل عقد نصف دائرى ، يفتح على حجرة مستطيلة الشكل (ط) ، مساحتها (٦٥ر٣م × ٦٥ر٢م) ، ويتصدر الضلع الشرقى تجويف صغير نصف دائرى بعمق (٤٦ سم) ، يكتنفه من الجانبين ، عمودان من الجص ، ويعلو هذا التجويف فتحة نافذة مربعة الشكل ، طول ضلعها ٨٠ سم من الزجاج الملون ، كما يغطى هذه الحجرة قبو طولى من الآجر .

الكنيسة من الداخل بها عمودان من الرخام يقسمانها إلى قسمين رئيسيين مستطيلى الشكل (ج ، د) ، يبلغ طول كل منهما (٣٥ر١٤م × ٧٣ر٤م) ، وينقسم كل قسم إلى ثلاثة مربعات متساوية المساحة ويغطى كل مربع قبة ضحلة ، ما عدا القبتين اللتين يتقدمان حنية الكنيسة الرئيسية ، إذ أنهما أكثر عمقا . يحيط بكل مربع من المربعات السابقة ، ثلاثة عقود نصف دائرية ممتدة ، والضلع الرابع تُكونه حنية الكنيسة ، وذلك فيما عدا المربع الذى يتقدم الحنية الوسطى أو هيكل الكنيسة الرئيسى ، إذ يحيط به أربعة عقود نصف دائرية ممتدة أيضا . ويلاحظ أنه قد فُتح فى القباب فتحات صغيرة للتهوية . أما القباب العميقة فإنها ترتكز على مقرنص كبير (فى منطقة الانتقال) ، فى ركن المربع بداخله مقرنصات أخرىً صغيرة ، كما فُتح فى سمت القبة فتحة نافذة للإضاءة أو التهوية وغُطيت بحاجز خشبى على شكل الملقف ..

تنتهى الكنيسة فى الناحية الشرقية بثلاثة حنايا عميقة ، يفصلها عن أروقة الكنيسة ، ثلاثة أحجبة خشبية . ويبلغ سعة فتحة الحنية الوسطى (هـ) (٨٠ر٣م) ، والشمالية (ز : ٩٠ر٢م) والجنوبية (و ٧٠ر٣م) ، وبرغم عُمق هذه الحنايا ، فإن بروزها لا يظهر من خارج الجدار ، كما يتوسطهما تجويفات صغيرة . وتمثل الحنايا الثلاث هياكل الكنيسة ، بحيث يوجد فى كل هيكل مذبح ، تميز الأوسط بوجود مظلة خشبية عليه ، محمولة على أربعة أعمدة رخامية ، ويوجد مدخل فى الضلع الجنوبى للكنيسة يؤدى إلى الردهة الحديثة ، الممتدة على طول هذا الضلع ، ويعلو هذا الباب شباك من خشب الخرط مستطيل الشكل ، كما فُتح بهذا الضلع أيضا نافذتان . على أنه يلاحظ أيضا وجود تجويف فى الناحية الشرقية من الجدار الجنوبى للكنيسة (سعة فتحته ٢٢ر٢م × ٩٥ سم عمقا × ١٠ر٣م إرتفاعا) ، يتقدمه إفريز عريض من خشب الخرط وتجويف آخر فى الناحية الغربية من نفس الجدار ، يتقدمه عقد نصف دائرى وإفريز من خشب الخرط . ومن المرجح أن عمارة هذه الكنيسة ، تعود إلى العصر العثمانى ، لا سيما فى استخدام القباب الضحلة فى تغطية المساحات الصغيرة المربعة ، وان كان أيضا هذا النوع من التغطية ، معروف قبل ذلك العصر فى كنائس مصر العليا .





شكل (١٧)
المسقط الأفقى لكنيسة السيدة العذراء المعروفة بقصرية الريحان بمنطقة مصر القديمة . (عمل الباحث)

كنيسة الأمير تادرس المشرق : (شكل ١٨)

لا تختلف هذه الكنيسة كثيرا فى عناصرها المعمارية عن الكنيسة السابقة ، إذ أن التخطيط واحد ، ووسيلة التغطية واحدة لكليهما .

الكنيسة مربعة الشكل طول ضلعها (٤٠ر١٧م) ، وتبرز واجهتها فى الناحية الجنوبية على غير المعتاد إذ أن الواجهة عادة ما تكون فى الناحية الغربية ، وتبرز هذه الواجهة عن سمت الجدار بمقدار أربعة أمتار ويبلغ طولها (٣٠ر٨م) وارتفاعها (٤٨ر٨م) ، وهى من طابقين ، يضم الطابق الأول المدخل الرئيسى فى الناحية الغربية منها ، إلى الغرب منه فتحة صغيرة ، أما الطابق الثانى فيه أربع نوافذ مختلفة الأشكال .

يؤدى المدخل إلى قالب من السلالم الحجرية ، حيث يُهبط إلى دهليز ضيق مستطيل الشكل (ب) ، مغطى بسقف مستو من الخشب ، ويفتح فى نهايته الشمالية ، على الجزء الغربى من الكنيسة ، وهذا الجزء عبارة عن رواق مستعرض (جـ) ، يغطيه قبوان متقاطعان .

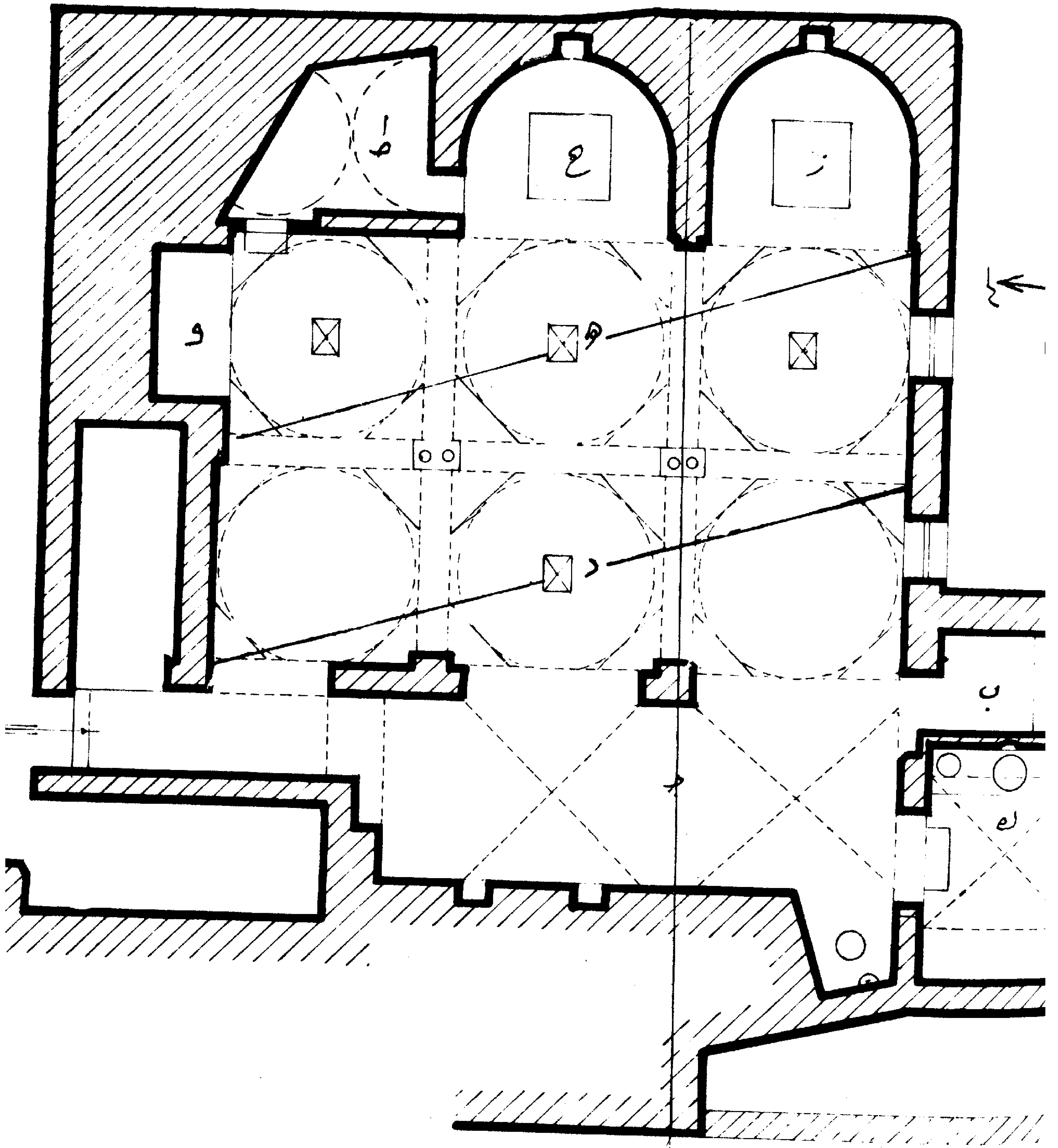
الكنيسة من الداخل بها قاعدتان كبيرتان من الطوب الأحمر المكسو بطبقة من الأسمنت ، يرتكز على كل منها عمودان متجاوران من الرخام ، يقسمانها إلى قسمين رئيسيين مستطيلى الشكل (د ، هـ) كما فى تخطيط الكنيسة السابقة (قصرية الريحان) ، يبلغ مساحة كل منهما (٣٥ر١٣م × ٥٣ر٣م) ، وينقسم كل قسم منها إلى ثلاثة مربعات متساوية فى المساحة ، ويعلو كل مربع من المربعات السابقة ، ثلاثة عقود كبيرة نصف دائرية ممتدة ، مماثلة لمثيلاتها بالكنيسة السابقة ، أما الضلع الرابع فتُكونه حنية الكنيسة ، وذلك فيما عدا المربع ، الذى يتقدم الحنية الوسطى أو هيكل الكنيسة الرئيسى ، اذ يحيط به أربعة عقود نصف دائرية .

على أنه يلاحظ أن القباب العميقة ، التى تتقدم الحنية الرئيسية ، كل منها يرتكز على ثلاث حطات من المقرنصات ، بينما ترتكز القباب الجانبية ، على مقرنص واحد كبير فى ركن المربع ، كما فُتح فى سمت القباب الثلاثة الشرقية ، والقبة الوسطى الغربية العميقة فتحة نافذة للإضاءة والتهوية وغطيت بحاجز خشبى على شكل الملقف .

تنتهى الكنيسة فى الناحية الشرقية منها بحنيتين عميقتين ، الوسطى والجنوبية ، أما فى الناحية الشمالية ، فتوجد حجرة غير منتظمة الأضلاع ، يغطيها قبو نصف دائرى من الآجر (ط) ويفصل هذا الجزء الشرقى عن بقية الكنيسة فى الناحية الغربية ، صف من الأحجبة الخشبية .

على أن الروان المستعرض (جـ) ، يلاحظ أنه يفتح فى نهايته على حجرة كبيرة (ك) وهى حجرة مستطيلة الشكل ، مغطاه بسقف مسطح من الخشب ويتصدر زواياتها الشرقية معمودية الكنيسة .





شكل (١٨)
المسقط الأفقى لكنيسة الأمير تادرس الشرقى بمنطقة مصر القديمة . (عمل الباحث) .

الفصل الثانى
زخارف الأخشاب والفرسكو

أولا : زخارف الأخشاب

لقد جرى إستخدام مادة الخشب وزخرفتها ، فى الكنيسة القبطية بكثرة دون غيرها من المواد ، فالكنيسة القبطية تبدو مكتظة من الداخل بأعمال النجارة ، تلبية لاحتياجات البناء من مقاعد وأحجبة ونوافذ وأبواب ومذابح وأيقونات ومنابر وأربطة خشبية تربط بين العقود أو الدعائم ، فضلا من استخدام المادة نفسها فى عمل الأسقف الجمالونية الشكل أو المسطحة ، وغير ذلك من المشغولات الخشبية داخل البناء .

وقد تميزت الكنيسة القبطية خاصة بالبراعة ، فى إستخدام مادة الأخشاب الجيدة فى صنع وزخرفة ما يعرف بالأحجبة الخشبية ، التى تفصل الهياكل الثلاثة ، عادة فى الناحية الشرقية من البناء عن الأروقة الرأسية الطولية فى الناحية الغربية ، وهى بذلك قد إنفردت فى هذا العنصر المعمارى الزخرفى عن الكنائس المسيحية الأخرى .

والحق أنه يبدو العمل الزخرفى واضحا فى أحجبة الكنائس القبطية ، وعلى درجة كبيرة من المهارة والدقة والجودة ، بحيث أصبح وجود هذا الحجاب الخشبى (Screen) ، أو الحاجز من الخصائص الواضحة فى بناء الكنيسة المصرية ، رغم أن معظم كنائس الوجه القبلى إستخدمت مادتى الآجر والطوب اللبن فى فصل الهياكل عن إمتداداتها فى الناحية الغربية .

على أنه يرجح عدم استخدام الحجاب الخشبى ، فى الكنيسة القبطية قبل العصر الإسلامى ، إذ أن أقدم حجاب خشبى عثر عليه ومعروف حتى الآن ، هو الحجاب الذى عثر عليه المهندس الانجليزى ألفريد بتلر ، والذى قام بدراسة معمارية طيبة لكنائس مصر القديمة على الأخص فى نهاية القرن الماضى ، وقد وجده فى كنيسة السيدة العذراء بدير السيريان ، بوادى النطرون حيث يرجع تاريخه إلى عام (٧٠٠م) [١] .

أما أقدم الأحجبة الخشبية المزخرفة والباقية بكنيسة منطقة مصر القديمة ، فهو حجاب كنيسة أبى سرجه ، الذى يؤرخ بالقرن الرابع الهجرى / ١٠م ، إلا أنه للأسف لم يتبق من حشواته الزخرفية سوى خمس حشوات ذات زخارف آدمية .

على أنه يمكن تقسيم الحجاب فى كنيسة مصر القديمة إلى نوعين رئيسيين تبعا لشكله وأسلوبه الزخرفى وتمشيا مع التسلسل الزمنى ، النوع الأول هو طراز الحجاب فى العصر الفاطمى والنوع الثانى وهو طراز الحجاب فى العصر المملوكى .

١ - الحجاب فى العصر الفاطمى (أنظر اللوحات : ١٥ - ٢٠)

تبقى من أحجبة كنائس المنطقة ، التى ترجع إلى العصر الفاطمى عدد لابأس به ، مازال معظمه باقيا فى مواضعه بتلك الكنائس ، بخلاف الحجاب الهام المنقول إلى المتحف القبطى [٢] بالمنطقة نفسها ، وقبل أن نتعرض لدراسة هذه الأحجبة بإيجاز فإنه يجب الإشارة إلى الشكل الفنى والأسلوب الصناعى لحجاب الكنيسة فى هذا العصر ، فهو يتكون من جانبين يحصران بينهما المدخل (باب الحجاب) ، يعلوه عادة عقد على شكل حدوة الفرس ، ويتألف كل جانب من صفوف أفقية ، من الحشوات الرأسية والأفقية يختلف عدد صفوفها من حجاب

لآخر ، ويتوسط عادة جانبى الحجاب ، شباك صغير ، فيما عدا حجاب بربارة المحفوظ فى المتحف القبطى فإنه خلا من وجود الشباكين الصغيرين .

زخرف الفنان كل الحشوات الخشبية على مسطح الحجاب ، بواسطة الحفر البارز العميق ، الذى يؤلف أشكالا زخرفية بارزة وأحيانا من عدة مستويات بمهارة فائقة ، وتميزت زخارف هذا العصر بتنوعها الشديد اذ شملت الزخارف الآدمية والحيوانية وأشكال الطير والزخرفة النباتية والهندسية ، والتى جاءت عليها واضحة تماما . على أنه يمكن القول بإن الطراز الفنى للزخارف السابق الاشارة إليها ، تُعد من السمات الواضحة لأنماط الزخرفة عامة فى العصر الفاطمى ، لاسيما على مادة الخشب وإنما يكمن الفرق الجوهرى بين هذه التحف الكنسية والتحف الأخرى التى تنسب إلى أماكن إسلامية فى العصر نفسه ، هو أن الفنان فى الكنيسة ، لم يتحرج من رسم المناظر الآدمية والحيوانية وأشكال الطير ، عكس الفنان فى المبانى الدينية الإسلامية ، التى لم يُقبل فيهما على استخدام نفس المناظر ، ومن ثم نجده يتجه إلى طراز الزخارف النباتية والهندسية والكتابية بأنماطها المختلفة ، كما أن استخدام الزخارف الآدمية والحيوانية وأشكال الطير فى المنشآت الدينية القبطية ، كان بقصد توضيح العقيدة ودور شهداء الكنيسة فيها بالاضافة إلى ما عُرف فى الفن القبطى من استخدام الرمزية ولاسيما فى أشكال الحيوانات والطيور .

على أننا نعتقد تماما بأهمية دراسة التحف الخشبية الكنسية فى العصر الفاطمى ، خاصة فى ضوء استكمال دراسة الزخارف الخشبية فى العصر الفاطمى وكذلك أسلوبها الصناعى ، وهو الأمر الذى لا يلتفت إليه كثير من دارسى الفنون فى هذا العصر (الفاطمى) ، إذ أن بدراستها يمكن الخروج بصورة واضحة عن طابع الزخارف الفاطمية عامة وعلى مادة الخشب خاصة [٣] .

لقد حفلت التحف الخشبية بكنيسة مصر القديمة بكثير من الموضوعات التصويرية والعناصر الزخرفية ، ولعل الحشوات الخمس ، التى لا تزال على جانبى حجاب الهيكل الأوسط بكنيسة أبى سرجة والمؤرخة بالقرن العاشر الميلادى ، توضح هذا الأمر وهى حشوات الميلاد والعشاء الأخير والقديس مورقوريوس والقديس مارجرجس والقديس ديمتريوس . ولقد تميزت أحجبة هذا العصر ، بوجود كثير من الموضوعات الاجتماعية كمناظر الموسيقى والرقص والشراب ومناظر الصيد والحمالين

والجالسين والواقفين ومناظر الصراع ، فضلا عن رسوم أشكال الحيوانات والطيور المختلفة بمعظم أنواعها .

وسنحاول فى عُجالة إلقاء الضوء على العناصر الزخرفية المتنوعة والتى حفلت بها أحجبة هذا العصر وأبوابه فى كنيسة مصر القديمة ، من خلال التعرض للزخرفة **النباتية والآدمية والحيوانية وأشكال الطيور** وكذلك الزخرفة **الهندسية والكتابية** .

(أ) الزخرفة النباتية :

من المعروف أن الزخرفة النباتية ، تعد من أهم المميزات الرئيسية والتى انتشرت فى الفن الاسلامى خاصة ، وقد إتسمت هذه الزخرفة بطابع التحوير والتجريد ، لا سيما ، اعتبارا من القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادى ، وذلك بظهور الأساليب الفنية ، والتى عرفت بطرز سامرا الثلاثة [٤] ، والتى إنتقلت إلى الزخارف الخشبية فى مصر فى العصر الطولونى ، حيث تميز الأخير منها بالتحوير الشديد فى العناصر النباتية ، مع اختفاء الأرضيات التى تقوم عليها الوحدات الزخرفية ، واستخدام أسلوب «الشطف» [٥] فى الحفر ويبدو هذا الأسلوب الزخرفى واضحا ، فى حشوتين مستطيلتين على الجدارين الشمالى والجنوبى للدهليز الأول بكنيسة المعلقة ، (اللوحة ٢١ ، ٢٢) وقوام عناصرها الزخرفية الأوراق الجناحية [٦] ، ويمكن تأريخهما بالقرن الرابع الهجرى / ١٠م .

ويتضح ظهور الأوراق النباتية المختلفة كالورقة ذات الفص الواحد والفصين وأوراق العنب الثلاثية والخماسية والمحاطة بتفريعات نباتية والمراوح النخيلية وانصافها ، لاسيما على كوشات عقود الأحجبة الفاطمية ، كذلك الأوراق التى تظهر بها التعرقات النخيلية والمثقوب فصها الأوسط والورقة الكأسية الثلاثية والأوراق الرمحية وثمرة الرمان وشجرة الحياه ، وغير ذلك من العناصر النباتية العديدة والتى تظهر على حشوات الأحجبة والأبواب التى ترجع إلى العصر الفاطمى فى كنيسة منطقة مصر القديمة [٧] ، (أنظر الأشكال ١٩ – ٢٥) .

(ب) **الزخرفية الآدمية والحيوانية :**

يأتى فى مقدمة العناصر الزخرفية الآدمية ، تلك الحشوات الخمس على جانبى حجاب كنيسة أبى سرجة الأوسط ، والتى تؤرخ بالقرن الرابع الهجرى / ١٠م [٨] ، وقد شملت هذه الحشوات الخمس عدة موضوعات تمثل شخصيات دينية ذات تاريخ هام ، يتضح فيها عدم مراعاة النسب التشريحية لجسم الانسان ، وحفر الشخصيات الرئيسية ، بحجم أكبر من الشخصيات الثانوية وهذه الحشوات هى :

حشوة الميلاد : تمثل هذه الحشوة [٩] قصة ميلاد السيد المسيح وهو موضوع شاع وجوده على التحف المختلفة إذ يوجد على بعض قطع المنسوجات وعلى شمعدان ينسب إلى العصر الأيوبى ، محفوظ بمتحف الفنون الزخرفية بباريس [١٠] ، وعلى مبخرة من البرونز أيضا ، تؤرخ بالقرن ١٣م محفوظة بالمتحف القبطى بالقاهرة [١١] .

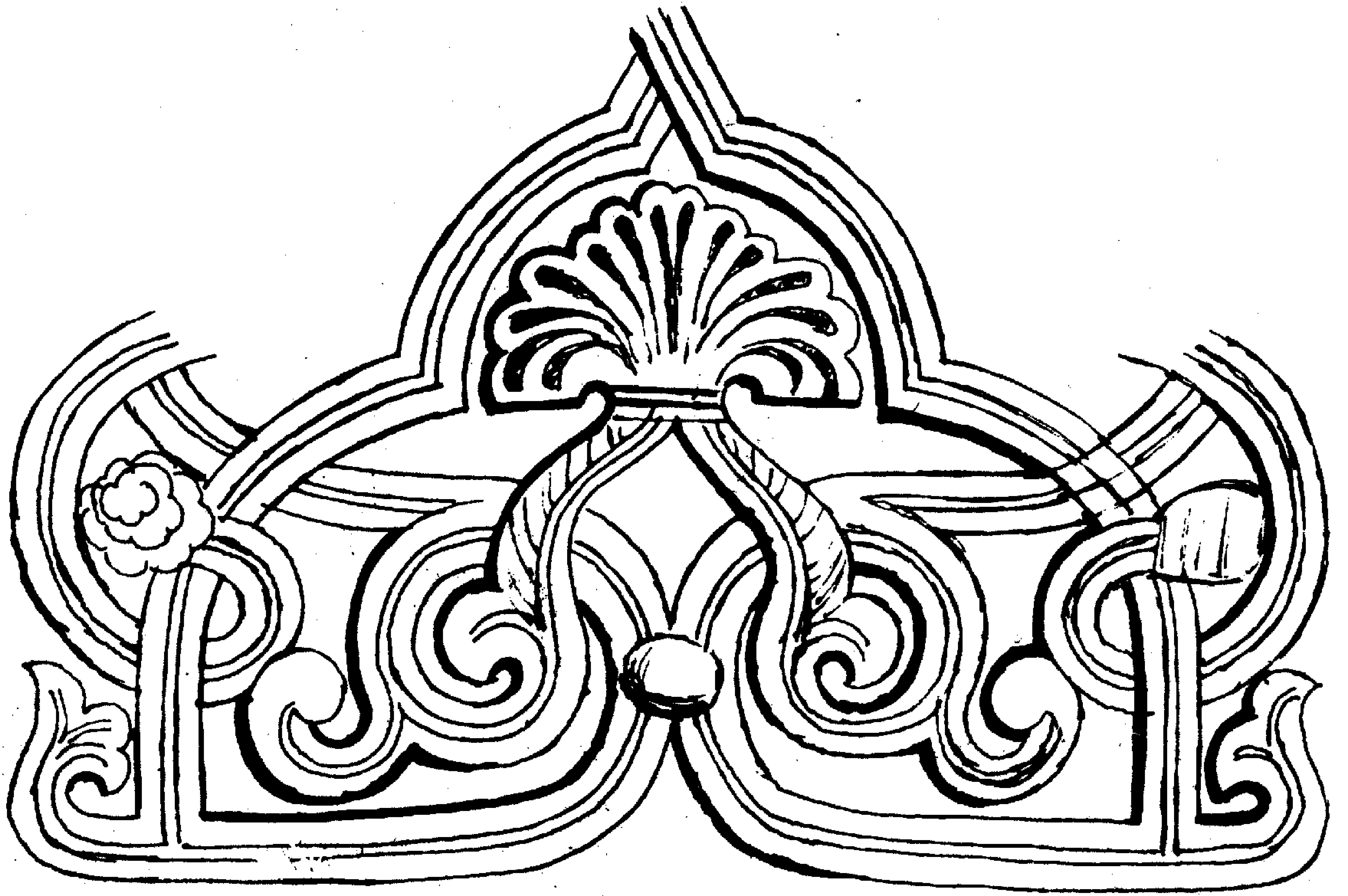
حشوة العشاء الأخير : يتعلق موضوع هذه الحشوة بالمشهد الأخير من حياة السيد المسيح ، الذى يشغل الركن الأيمن فى أسفل الحشوة بحجم كبير ، ويبدو جالسا على قدميه فى مواجهة يوسف النجار ، مرتديا عباءة ، ويتوسط الحشوة منضدة كبيرة اسطوانية الشكل ، زخرف اطارها بدوائر صغيرة ، ويتوسطها (صحن) مستدير ، وضعت به سمكة كبيرة ، يشير إليها المسيح بيده اليمنى ، وحولها ثلاثة عشر رغيفا ، ويُكمل بقية المشهد ، أحد عشر وجها ادميا ، كما يضم المنظر عرشا محمولا على عمودين وأعلى كل عمود مثلث يتدلى منه زوج من الستائر ، وبين كل مثلثين دائرة يتوسطها صليب كبير ، وهذا المنظر شاع وجوده على تحف أخرى [١٢] .

أما الحشوات الثلاث الباقية ، فعليها موضوع زخرفى واحد ، يتكون فى كل منها من قديس على صهوة جواده مع وجود بعض الاختلافات البسيطة ، وهى تمثل على أى حال القديس الفارس كإنتصار المسيحية على الوثنية وتخليد ذكرى بعضهم ممن كان له دور كبير فى الاستشهاد المسيحى . والواقع أن هذا الموضوع الدينى من الموضوعات التى تكرر وجودها فى زخرفة حشوات كثيرة من الأحجبة

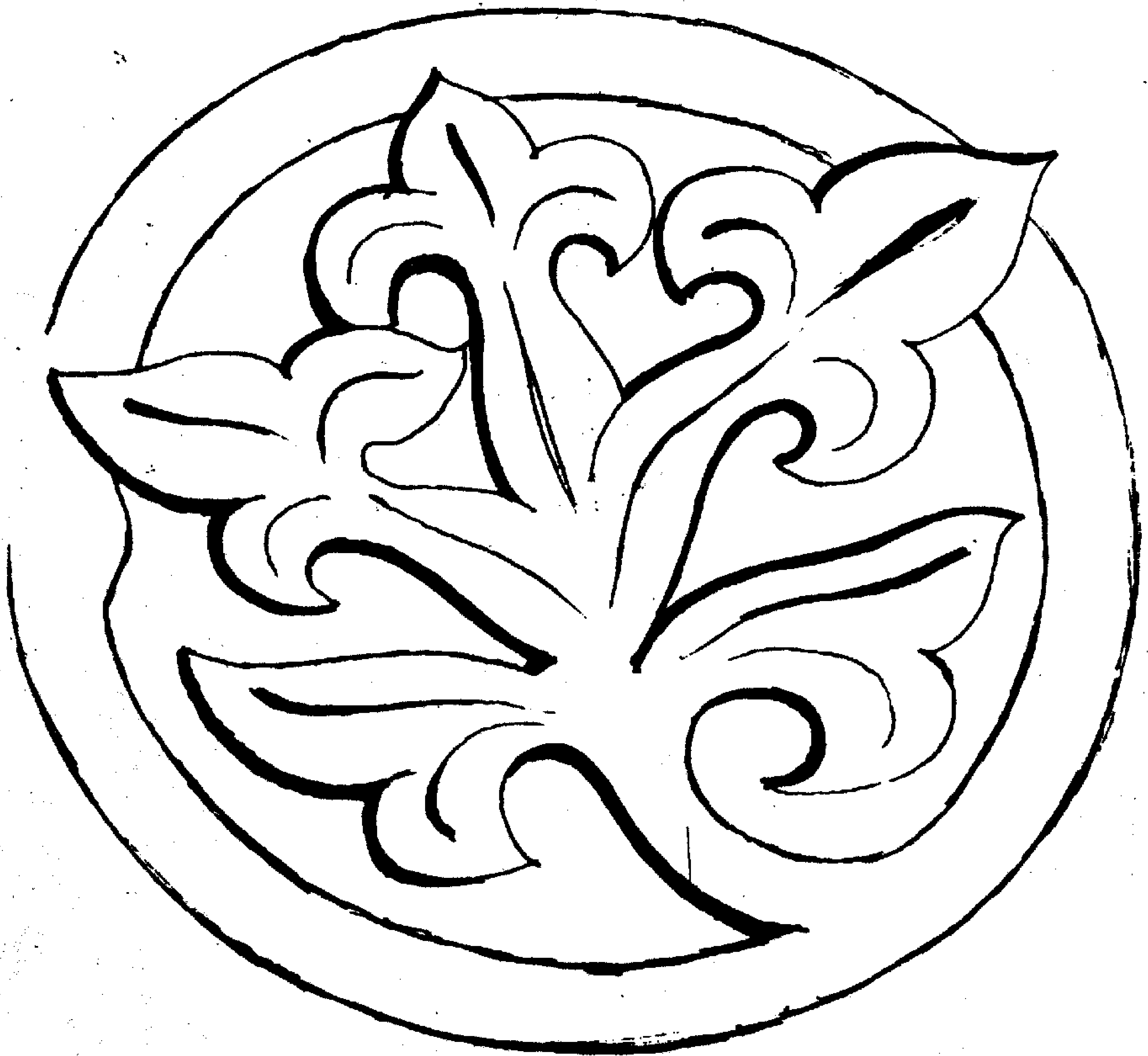
الفاطمية ، بكنيسة مصر القديمة ، إذ يوجد من هذا الموضوع ، ثمان حشوات مستقلة بذاتها على جانبي حجاب أبى السيفين (لوحة ١٩) ، مع وجود بعض التفاصيل الفنية المختلفة بينهما ، هذا بالإضافة إلى وجود بعض الحشوات التي تمثل القديسين وقوفا على نفس الحجاب السابق ، (اللوحة ٢٠) ، وهم يحملون بأيديهم اليمنى الانجيل ، ويرتدون ثيابا كهنوتية طويلة ، وقد تكرر هذا المنظر ، على عشرين حشوة صغيرة ، بالحجاب الآخر المحفوظ بنفس الكنيسة .

كذلك فإن هناك مشاهد دينية أخرى للملائكة على حجاب كنيسة أبى السيفين (اللوحة ١٩) ولعل من أكثر المناظر الإجتماعية ذيوعا على حشوات الأحجبة منها ، منظر الصياد يصطاد بالباز ، لا سيما على باب حجاب كنيسة بربارة المحفوظ بالمتحف القبطى ، وهو موضوع مألوف على التحف الأخرى التطبيقية فى الفن الإسلامى (١٣) ، (اللوحة ١٥) كما أن هناك موضوعات أخرى على نفس حشوات أحجبة كنيسة مصر القديمة ، والتى ترجع إلى العصر الفاطمى ، تمثل فيها موضوعات الصراع بين الانسان والحيوان ومناظر الموسيقى والرقص ومناظر الحمالين ، وغير ذلك من المناظر ذات الطابع الاجتماعى التى ذاعت فى هذا العصر .

أما الزخارف الحيوانية وأشكال الطيور ، فقد كثر وجودها على زخارف الأحجبة ، وقد تميزت بنفس الأسلوب الفنى المعروف فى المنتجات الإسلامية الأخرى ، أو بطابع الفن الإسلامى عامة من تحوير وتجريد وقد شملت مناظر الأحجبة أشكال الحيوانات والطيور ، مجتمعة ومنفردة ومتقابلة ومتدابرة ، ومناظر الانقضاض بين الحيوانات المفترسة والأليفة (١٤) .



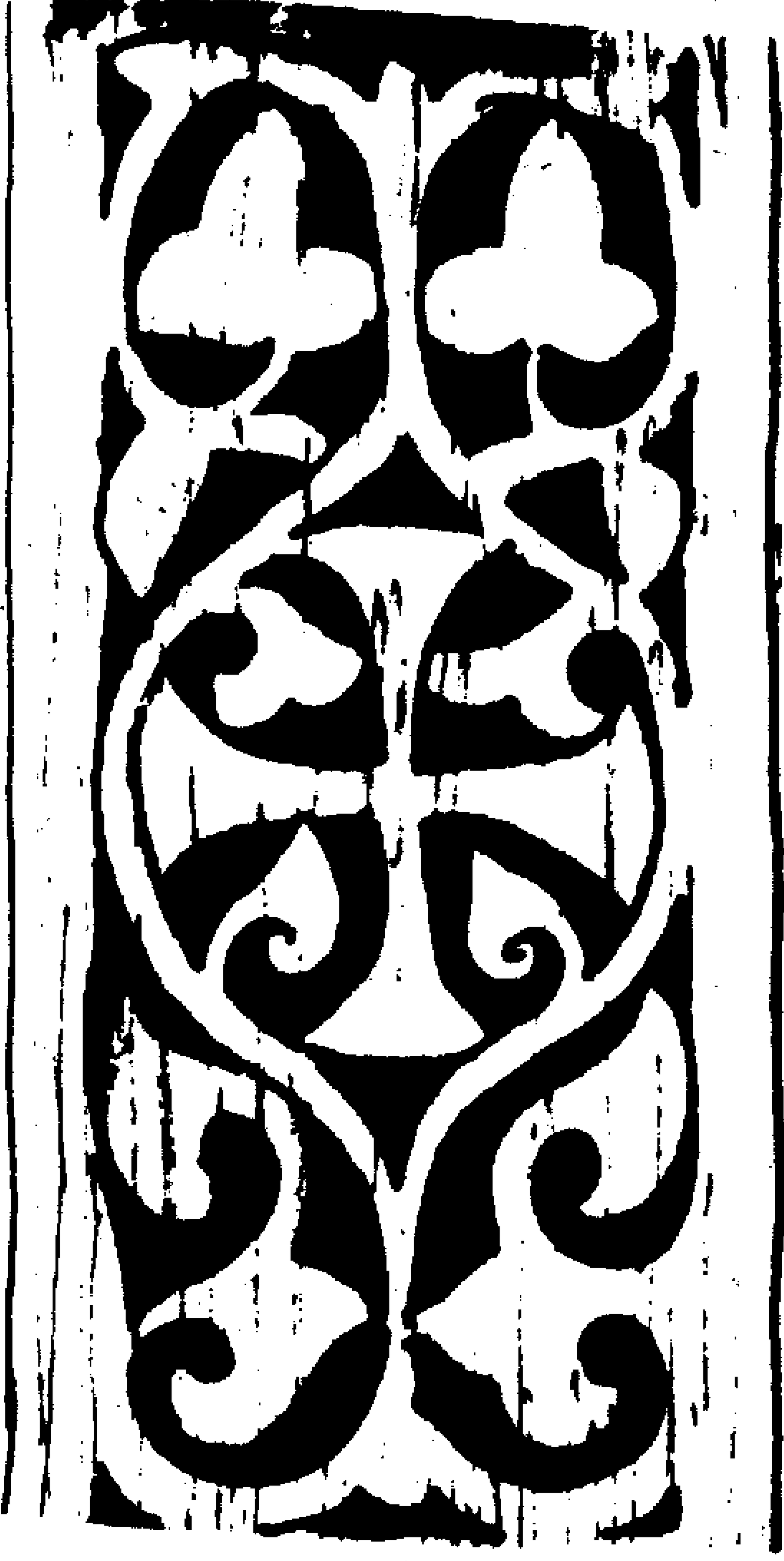
شكل (١٩)
وحدة نباتية مركبة ، حجاب برباره المحفوظ بالمتحف القبطى . (عمل الباحث)



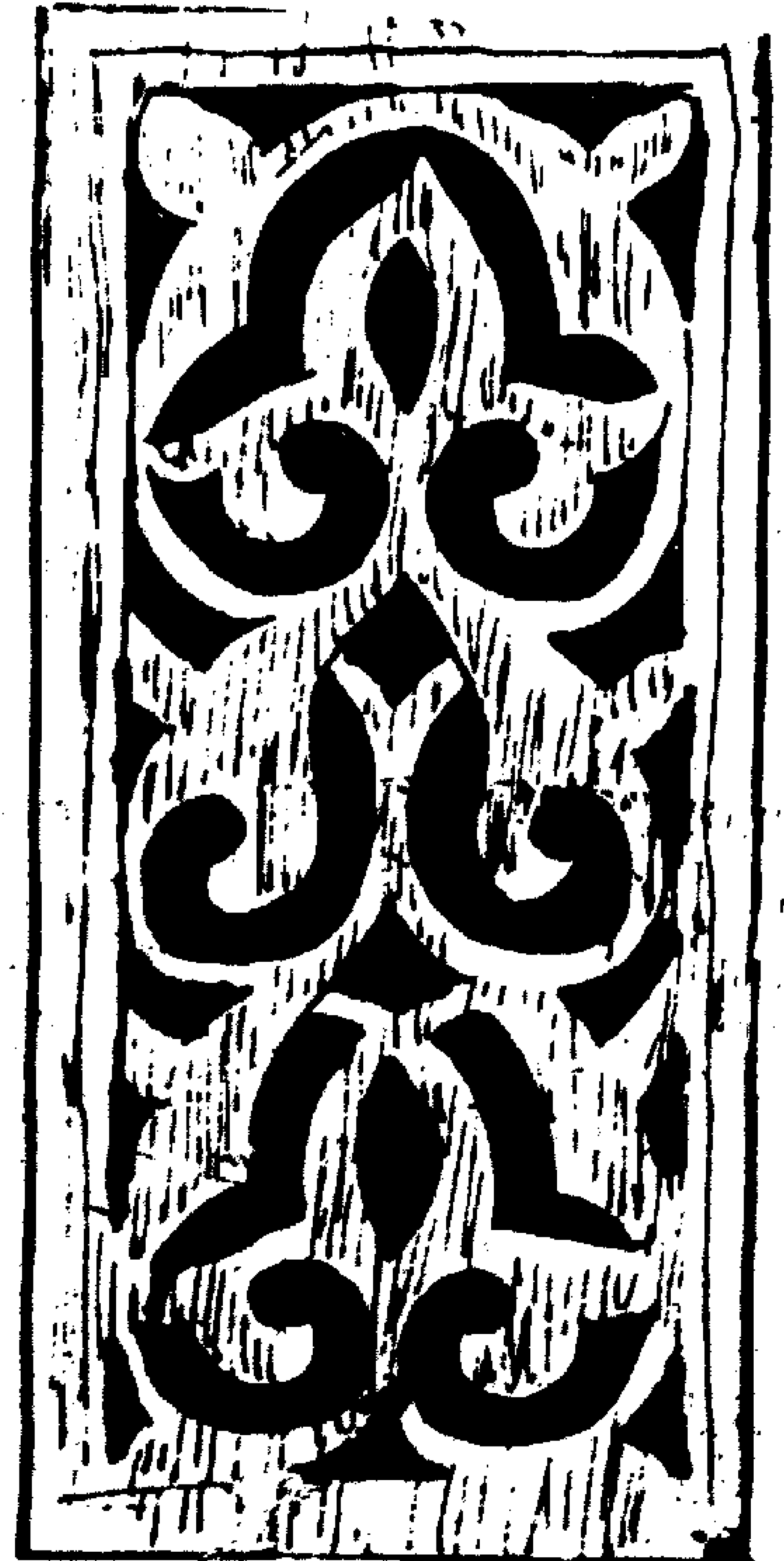
شكل (٢٠)
وحدة نباتية من الحجاب السابق . (عمل الباحث)



شكل (٢١)
مروحة نخيلية . (حجاب بربارة)



شكل (٢٢)
صليب داخل جاوة ، متحدة مع أوراق متعددة الفصوص من حجاب مار يوحنا المعمدان .



شكل (٢٣)
أوراق نباتية ثلاثية وخماسية وبعضها مثقوب ، من حجاب مار يوحنا المعمدان .



شكل (٢٤)
أوراق العنب الخماسية المتحدة مع أشكال الصلبان . (عمل الباحث)

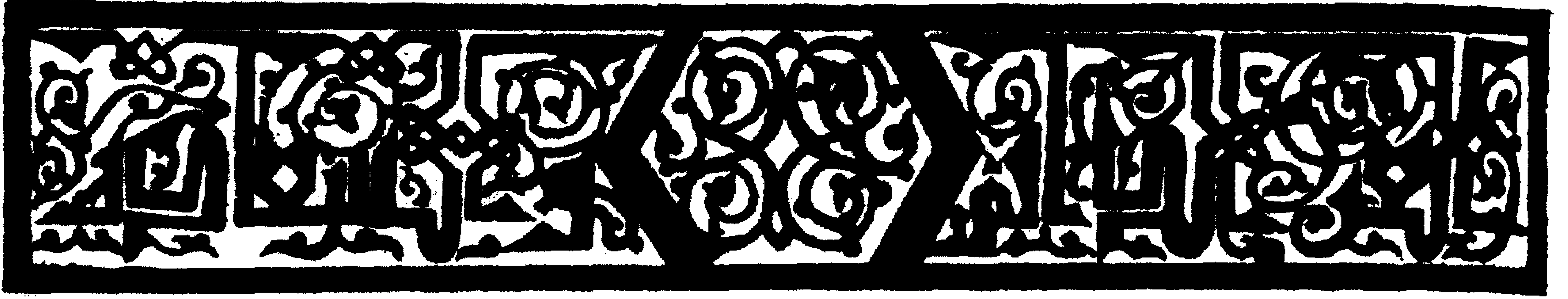
شكل (٢٥)
حشوة خشبية على شكل صليب ، حجاب ماريوحنا المعمدان – كنيسة أبى السيفين . (عمل الباحث)

الزخرفة الهندسية والكتابية :

من المعروف أن الفن القبطى يأتى فى مقدمة الفنون التى تميزت بوضوح الزخرفة الهندسية ، إلى حد كبير ، ولقد إتسمت زخارف حشوات الأبواب والأحجبة فى كنيسة مصر القديمة بظهور هذا الطابع من الزخرفة ، حيث تظهر عليها زخارف الدوائر وأنصافها ، والمربعات والمعينات والمستطيلات والأشكال الخماسية والسداسية والتهشيرات الهندسية والجامات المختلفة والمراكز التى يشع منها خطوط مختلفة ، وأشكال العقود بأنواعها المختلفة والأشكال النجمية والمتعددة الرؤوس وأشكال الأوانى والزهريات ، بالإضافة إلى استخدام عنصر الصليب فى الزخرفة [١٥] (انظر اللوحات ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ والأشكال : ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥) .

أما الزخارف الكتابية ، فهى تعد أيضا من أبرز مميزات الفن الإسلامى ، فقد برع الفنان فى هذا المضمار إلى أبعد الحدود ، ساعده على ذلك أنماط الكتابات العربية وليونة حروفها .

والواقع أن الكنيسة عامة ، تمتاز كتاباتها بوضوح الطابع الكنسى سواء فى الكتابات العربية أو القبطية ، إذ أنها مستمدة من الانجيل ، كما أن لها طابع خاص فى الأدعية . ومن بين الكتابات الكوفية الأثرية الهامة فى كنيسة مصر القديمة ، نص من الكتابة الكوفية على حشوتين ، أسفل باب كنيسة المعلقة والذى يعرف بالباب العاجى الشفاف (لوحة ٢٣ ، ٢٤ وشكل ٢٦ ، ٢٧) ، يقرأ على الحشوة اليمنى «العز الدائم والسعادة» وعلى اليسرى «الدائمة لصاحبة» . وتتميز حروف هذا النص بوضوح التطور فى نمط الكتابات الكوفية المزهرة ، حيث تمثل فى حروف هذا النص الدقة والاتقان معا ، خاصة فى تشابك حرف الألف واللام على شكل «مقص» فى كلمة «العز» وفى انتهاء حرف الألف واللام من أعلى وأسفل ، بورقة نباتية من فصين ، وظهور حرف العين على شكل معين كبير ، يتصل به من أعلى فرع نباتى مورق ، دائرى ينتهى فى الوسط بورقة ثنائية الفصوص ، أما كلمة الدائم ، فقد اتخذت شكلا هندسيا ، وان اختلف حرفا الألف واللام فيها عن مثيلهما فى الكلمة السابقة وبشكل زخرفى ، يقترب من أسلوب تضفير الحروف فى الوسط ، هذا بالإضافة إلى أن الحروف نفسها تنتهى بأوراق نباتية ، كما أن النص على مهاد نباتى .



شكل (٢٦)
حشوة خشبية عليها كتابة كوفية تقرأ «العز الدائم والسعادة» بالباب العاجى الشفاف بكنيسة المعلقة ، العصر الفاطمى . (عمل الباحث) .

شكل (٢٧)
بقية النص السابق «الدائمة لصاحبها» على باب كنيسة المعلقة الشفاف .



أما الحشوة الثانية والمكملة للنص «الدائمة لصاحبه» فإنها تشبه تماما الزخرفة فى الحشوة السابقة .

وتتفق هذه العبارة الدعائية مع بعض العبارات الدعائية على محراب السيدة رقية ، كما تتفق أسلوب الكتابات والزخرفة ، مع نص كتابى آخر وجد على باب من مدينة «شلا» بمراكش ينسب إلى القرن السادس الهجرى ، مما نرجح معه نسبة حشوات هذا الباب (العاجى الشفاف) إلى القرن الثانى عشر الميلادى ، بدلا من القرن العاشر الميلادى ، كما كان يؤرخ [١٦] .

٢ - الحجاب فى العصر المملوكى :

تبقى فى كنيسة منطقة مصر القديمة عدد لابأس به من أحجبة هذا العصر ، وقد تميزت أحجبة هذا العصر بجودة مادتها الخام عن مثيلاتها فى العصر الفاطمى ، إذ أنها صنعت من مواد قيمة من الأخشاب المستوردة ، كخشب الجوز وخشب الأبنوس وخشب الساج الهندى وخشب الصنوبر ، وزاد من روعة هذه الأحجاب ، ماطعمت به من مواد قيمة أخرى كالأبنوس والعاج والصدف وغير ذلك .

كما أن أحجبة هذا العصر ، قد تمثل فيها الأسلوب الصناعى الجديد المعروف بأسلوب الحشوات المجمعة ، والذى كان قد بدأ يظهر فى نهاية العصر الفاطمى ، على محراب السيدة رقية بحشوات كبيرة مجمعة إلى حد ما ، ثم بدأت مساحة هذه الحشوات ، تصغر تدريجيا ، حتى وصلت إلى قطع صغيرة دقيقة إلى الغاية ، كان يتم تجميعها ، وفق أسلوب صناعى فنى [١٧] . ولقد صاحب هذا الأسلوب الصناعى ما عرف بإسلوب التطعيم على مادة الخشب ، وهو أسلوب فنى ، معروف منذ أقدم العصور ، حيث توضع قطع صغيرة من مواد قيمة ، أقيم من مادة الخشب المراد تطعيمها ، بجانب بعضها عن طريق لصقها مباشرة على سطح الخشب كما فى الفسيفساء الزجاجية أو الخزفية ، وأحيانا ما تلصق تلك القطع وترتب ترتيبا هندسيا وزخرفيا وتملأ الفراغات بينها بمعجون ملون . وفى أحيان أخرى ، تحفر أمكنة فى الخشب ، حسب الشكل الزخرفى المطلوب ، وتنزل فيه قطع من المواد السابقة ، مشكلة حسب الأشكال الزخرفية وتترك فى أمكنتها فتملأها تماما [١٨] .

على أن هذا الأسلوب الصناعى قد ازدهر إلى حد كبير خلال العصر المملوكى ، لاسيما فيما عرف بزخارف الأطباق النجمية ذات الوحدات الهندسية المختلفة ، وقد أضحت من أهم مميزات صناعة وزخرفة الأخشاب فى العصر المملوكى ، التى تجلت فى صناعة المنابر فى المساجد الإسلامية التى ترجع إلى هذا العصر .

والواقع أن أحجبة كنائس منطقة مصر القديمة ، التى ترجع إلى هذا الأسلوب الصناعى ، يمكن تقسيمها إلى نوعين ، النوع الأول ، تم تجميع حشواته على شكل الأطباق النجمية وأنصافها وأرباعها وبعض الحشوات الأخرى والمنتشرة على سطح الحجاب ، والنوع الآخر ، جُمعت حشواته على أشكال الصلبان ، إلا أن النوعين يتفقان فى أسلوب حفر وإبراز الزخارف على عدة مستويات ، وصلت فى بعض الأحيان إلى أربعة مستويات .

ومن أمثلة الحشوات التى تم تجميعها على شكل الأطباق النجمية حجاب الهيكل الأوسط فى كنيسة أبى سرجة وكنيسة المعلقة ، وحجاب هيمانوت الحبشى بالكنيسة الصغيرة بالمعلقة ، ومن أمثلة الحشوات الصلبانية ما يوجد أيضا فى كنيسة المعلقة وأبى السيفين .

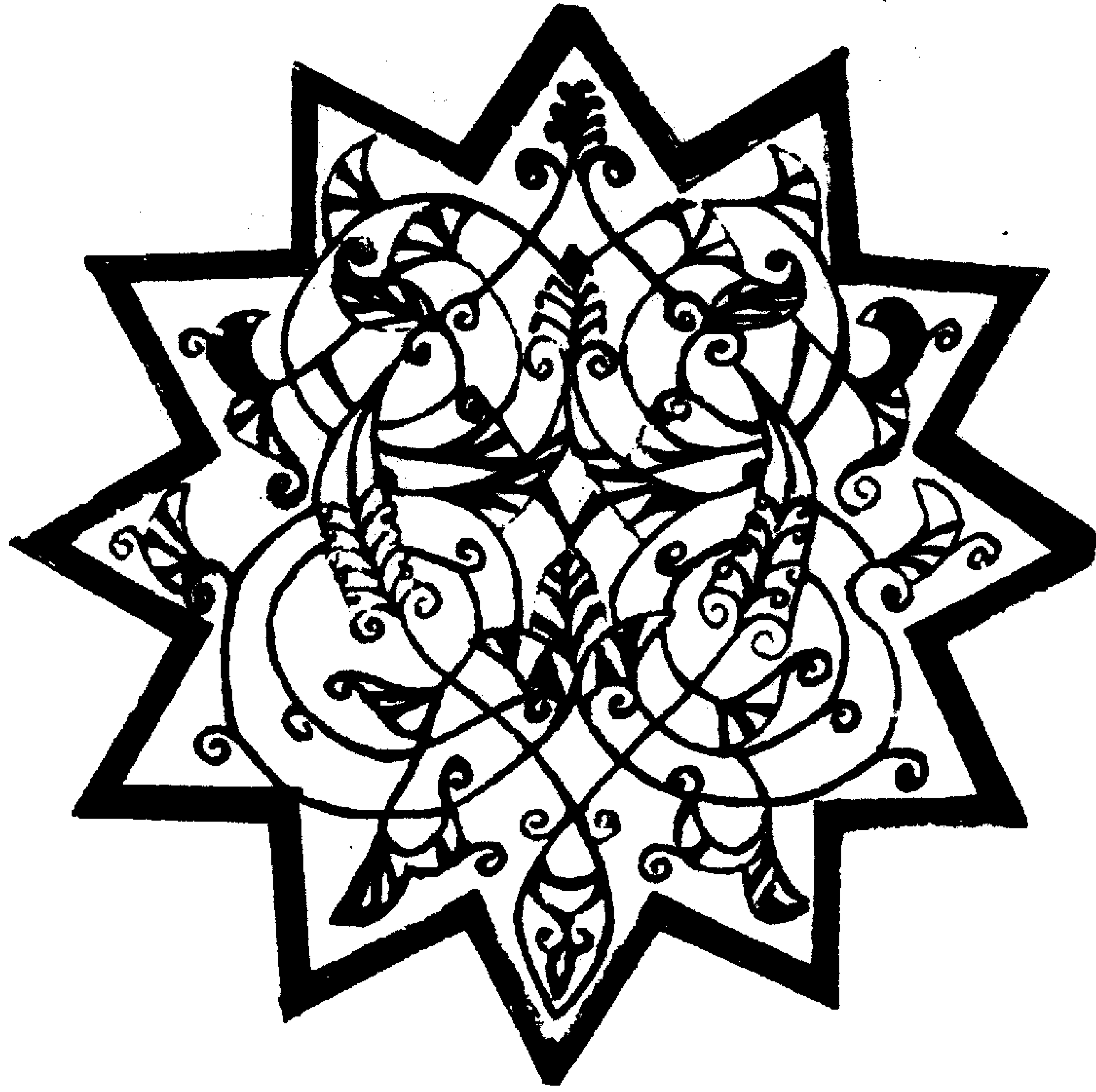
أما عن الموضوعات الزخرفية والتى جاءت على أحجبة هذا العصر ، فإنها تختلف اختلافا جوهريا عن طابع الزخارف السابقة على أحجبة العصر الفاطمى ، ذلك أنها اقتصرت على طابع الزخارف النباتية والهندسية والكتابية ، ولا تضم زخارف أحجبة الطراز المملوكى ، زخارف آدمية أو حيوانية أو حتى أشكال الطير .

على أن العناصر الزخرفية النباتية هى الأكثر شيوعا على زخارف هذه الأحجبة والتى جاءت جميعا من طراز الزخرفة النباتية المورقة وشديدة التحوير والمعرفة بزخارف الأرابيسك ، بالاضافة إلى الزخارف الهندسية المتطورة والزخارف الكتابية والتى شملت كتابات عربية وأخرى قبطية .

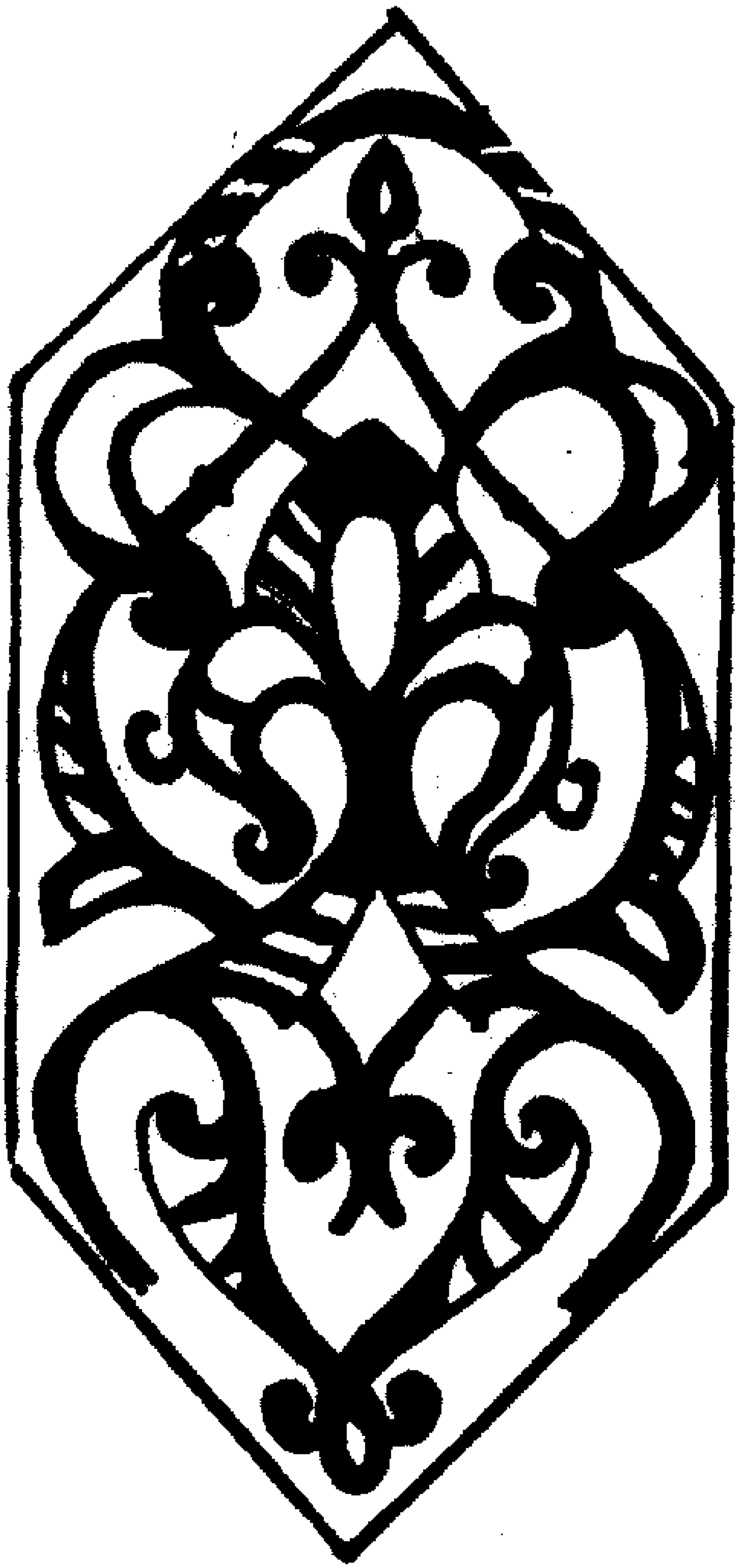
وقبل أن نتعرض بإيجاز إلى أمثلة من هذه الزخارف ، فإنه يجب الإشارة إلى أنه بدراسة هذه الأحجبة ، وجُد أن هناك نوع من الترميم قامت به لجنة حفظ الآثار العربية ، تم على غرار أصوله الأولى وترميم آخر ، تم على غير غرار أصوله الأولى .

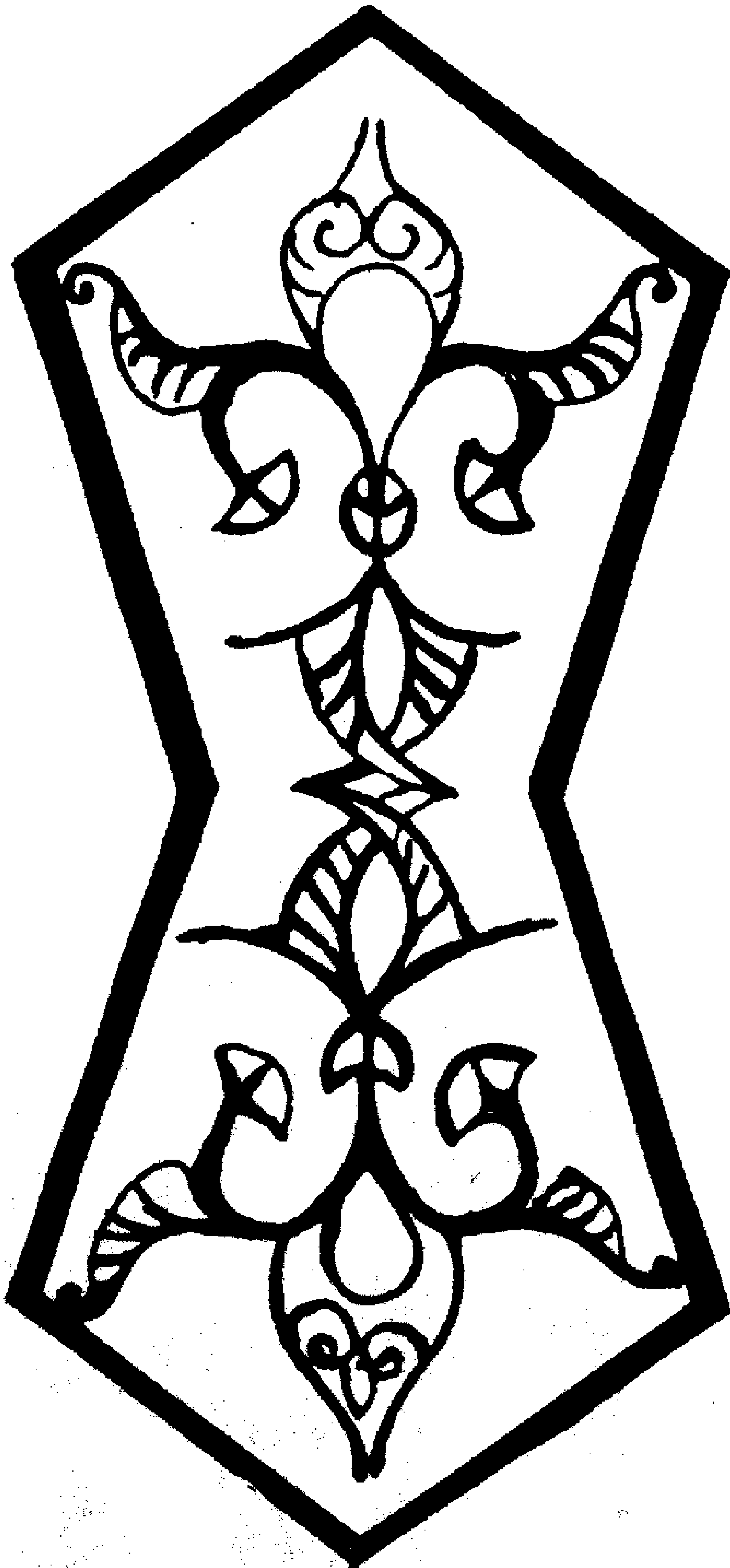


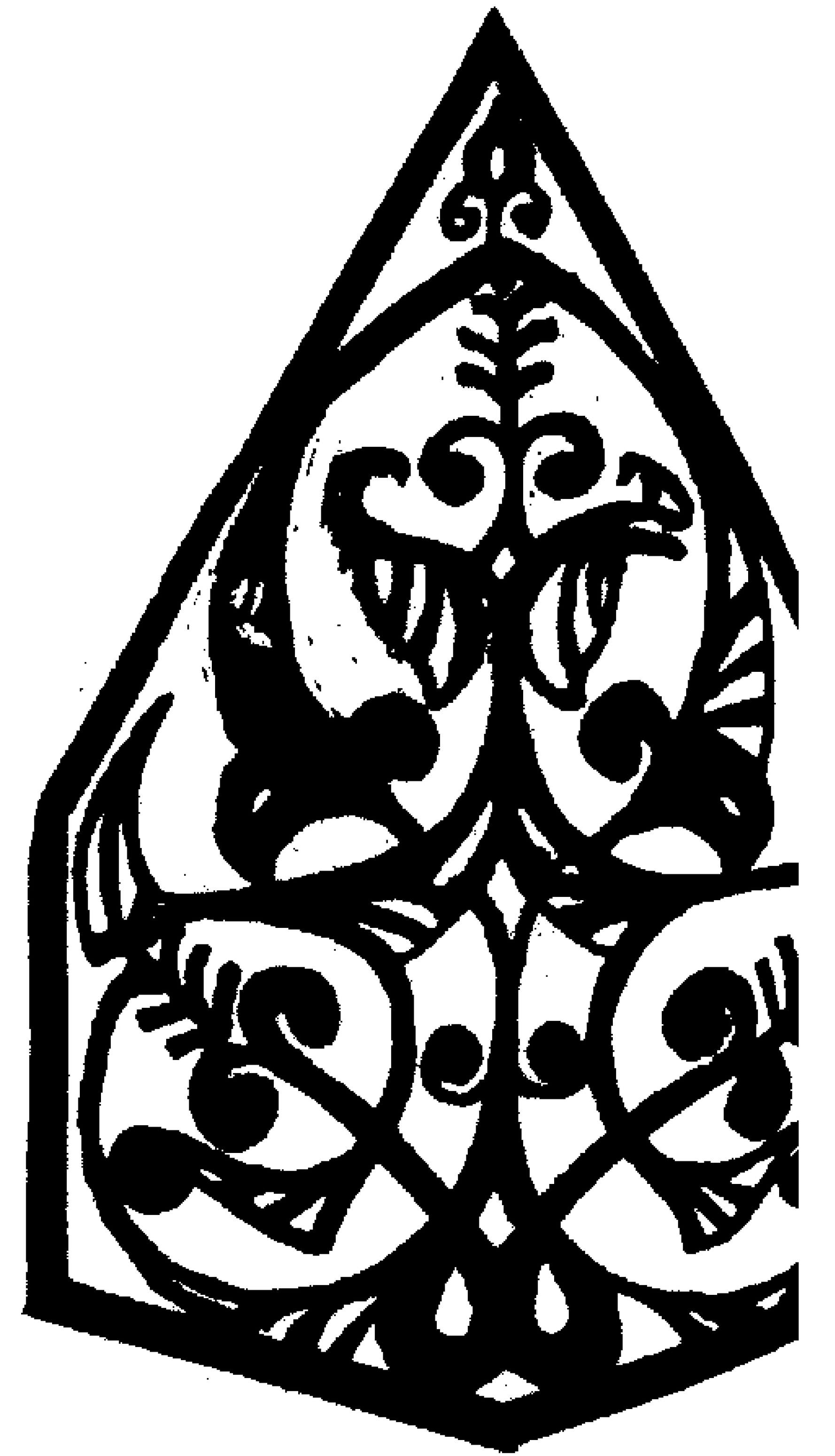
شكل (٢٨)
صليب متعدد الرؤوس على شكل حشوة خشبية من حجاب مارمرقس بكنيسة المعلقة . (عمل الباحث)



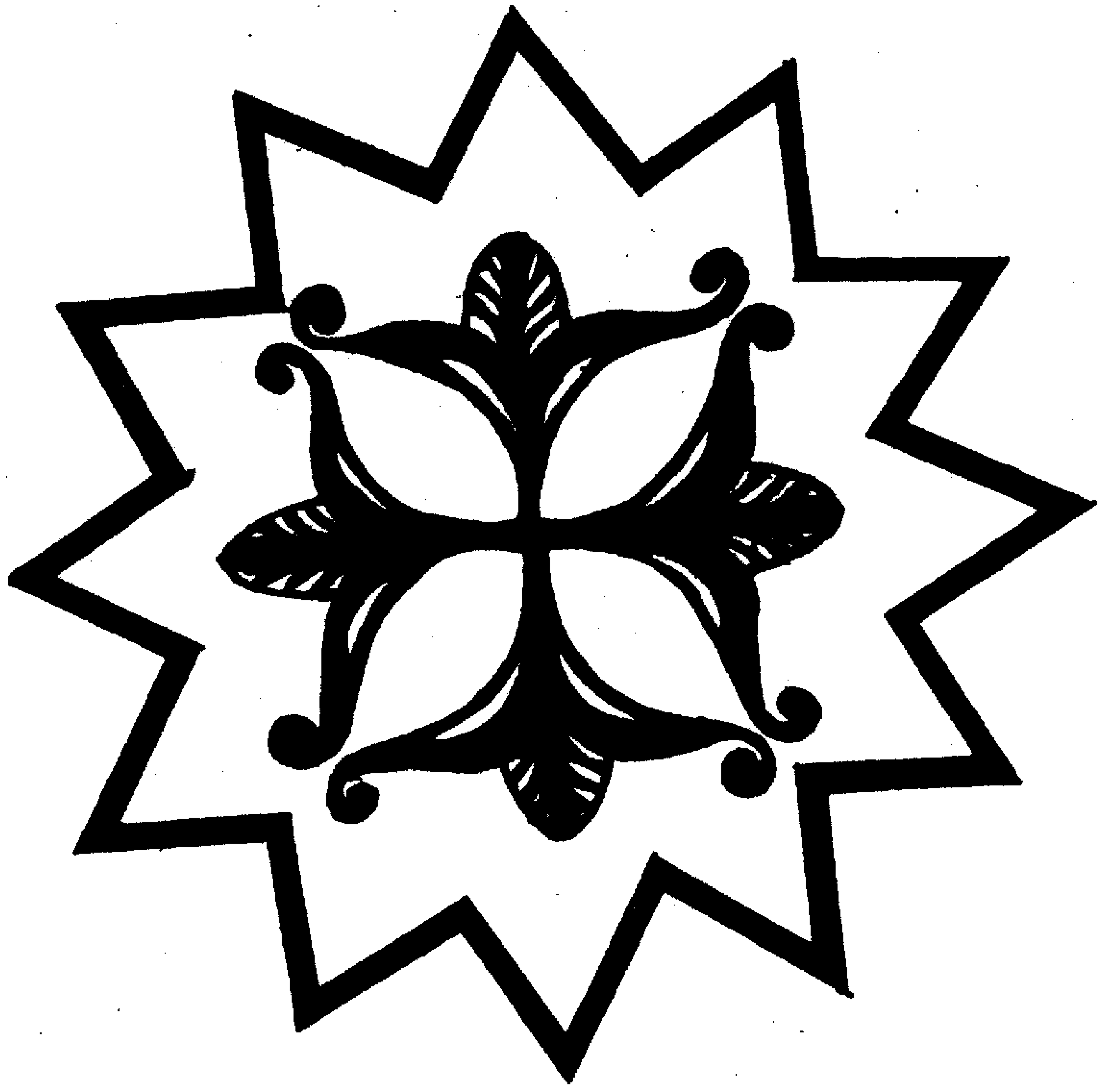
شكل (٢٩)
زخارف نباتية محورة من حشوات أخشاب الأحجبة المملوكية والعثمانية فى كنائس منطقة مصر القديمة .
(عمل الباحث)



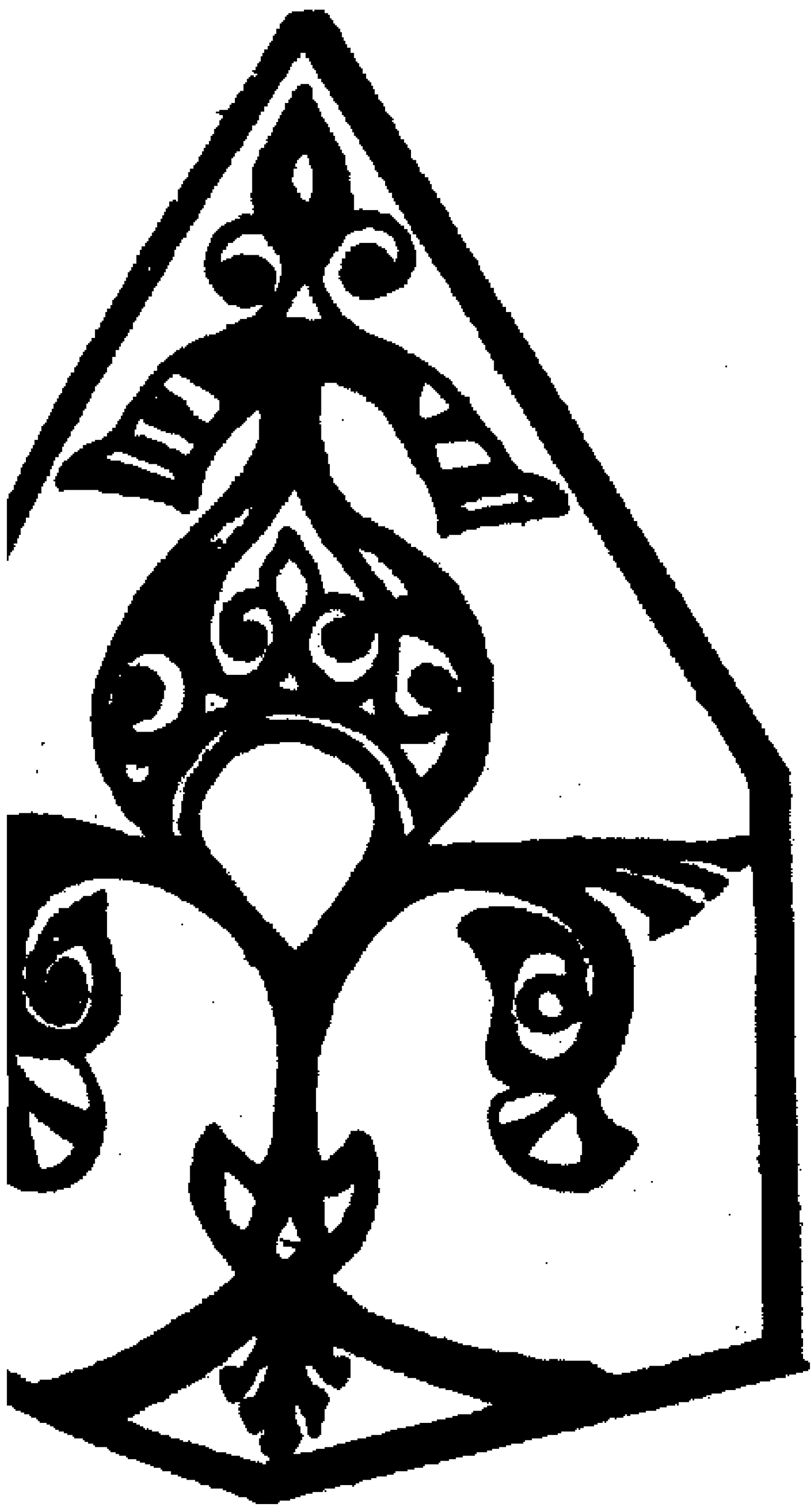


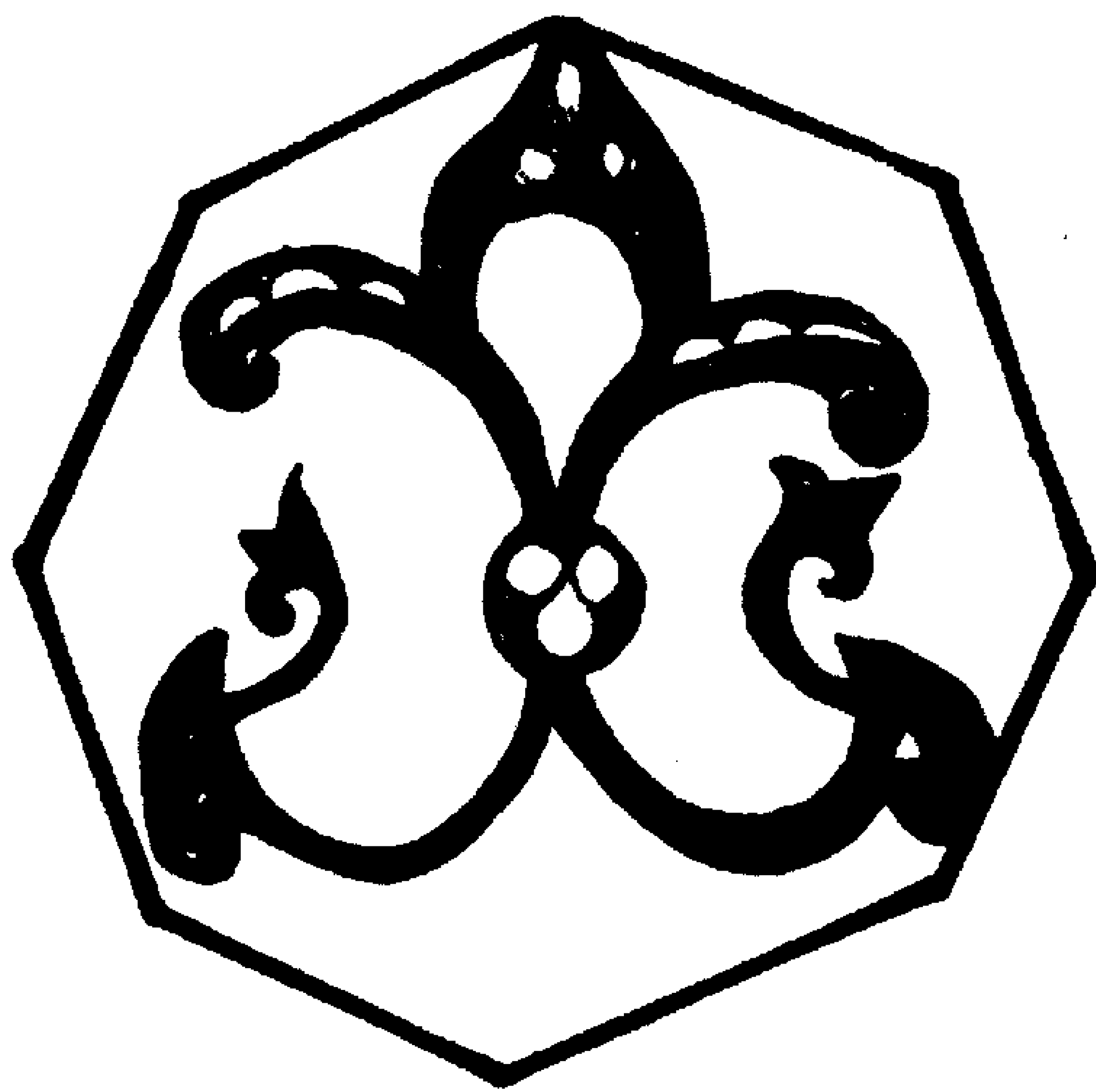


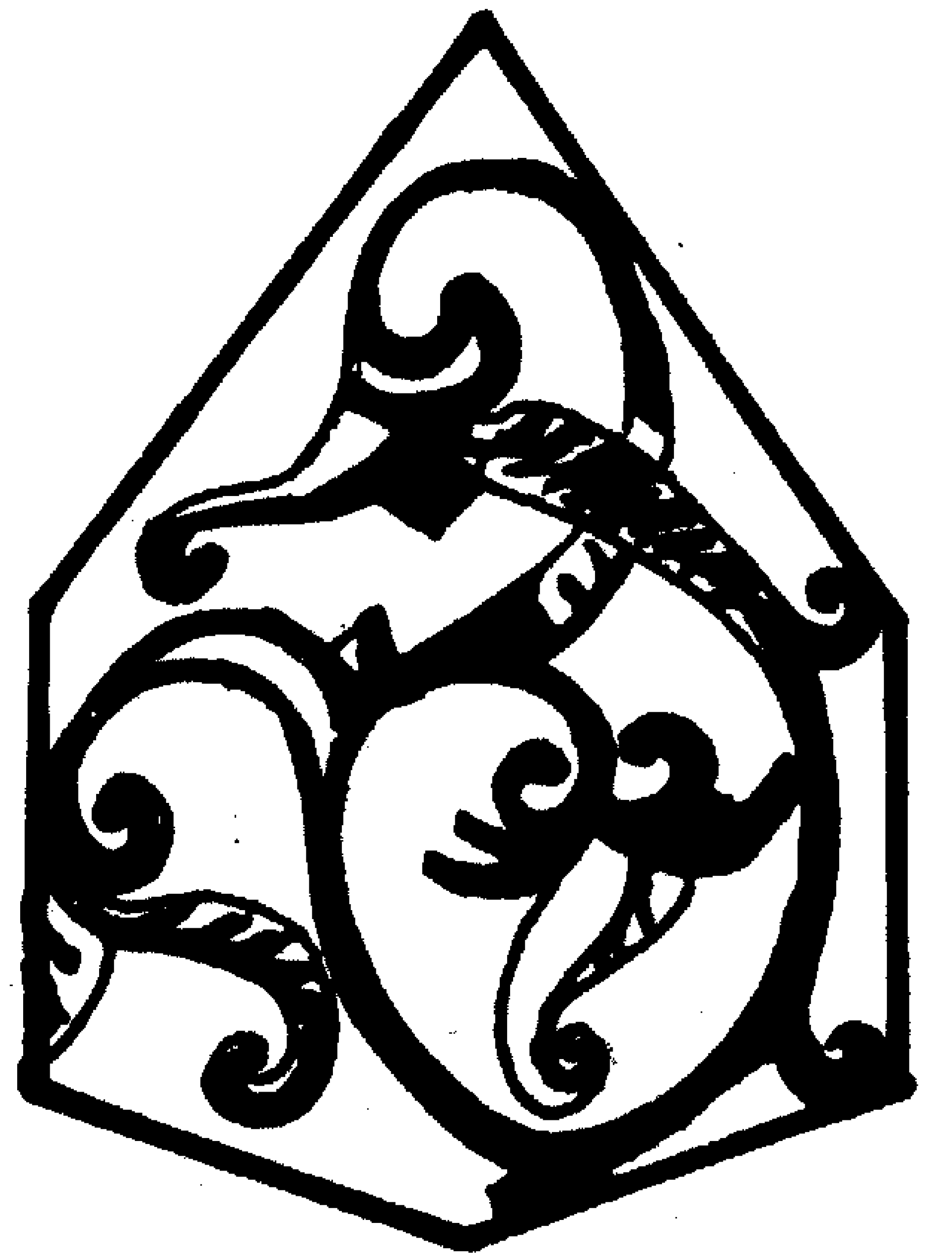


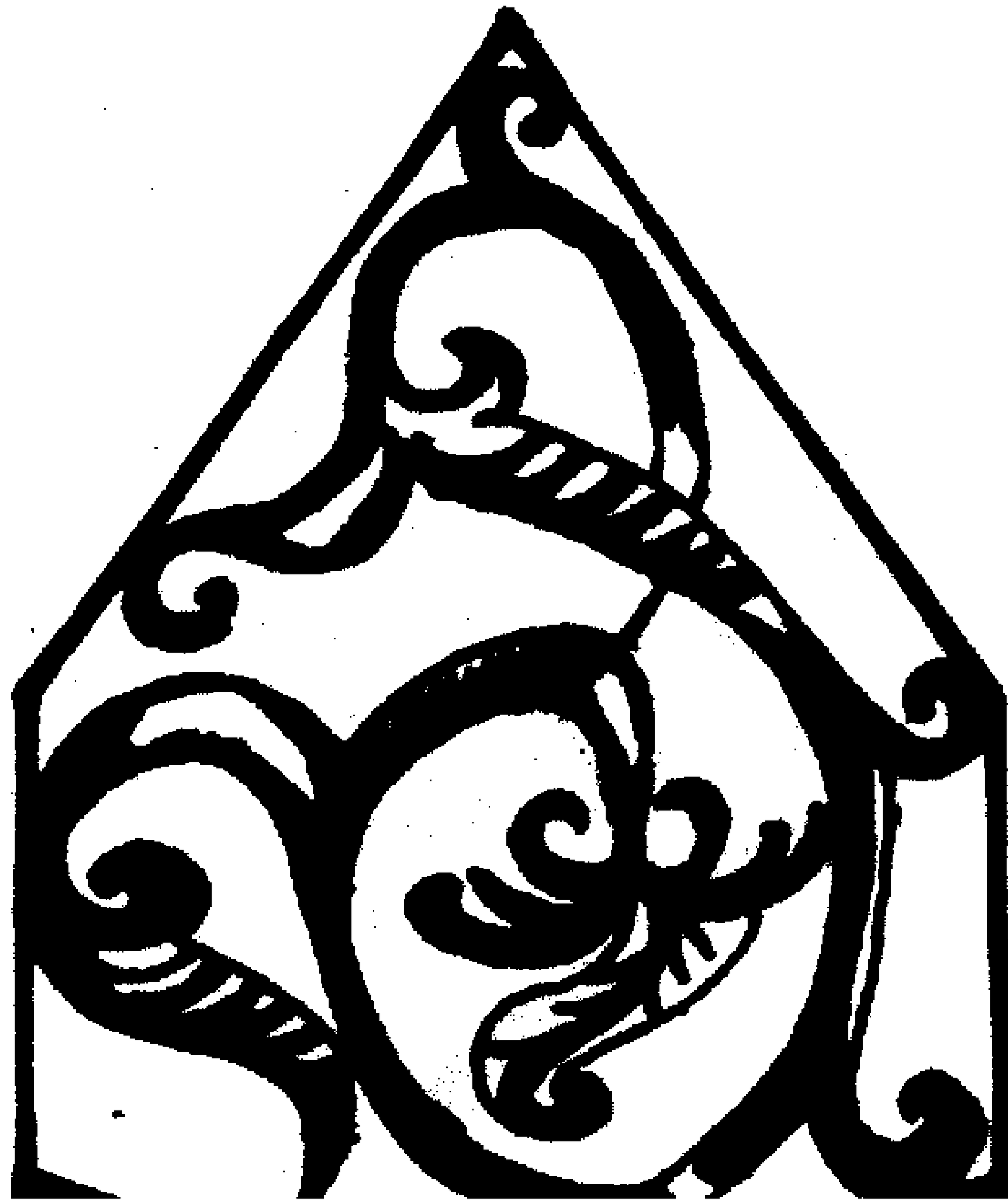


شكل (٣٠)
عناصر زخرفية نباتية وهندسية محفورة على حشوات أحجبة كنيسة مصر القديمة فى العصرين المملوكى والعثمانى .
(عمل الباحث)









أما عن الزخارف النباتية على هذه الأحجبة فإنها اتسمت ، كما سبقت الإشارة إلى وضوح زخارف الأرابيسك والتى نجد لها أمثلة على حشوات الأحجبة تقريبا (أنظر اللوحات أرقام : ٢٥ – ٣٠ ، الأشكال أرقام ٢٨ – ٣٠) ، وهى تشبه فى ذلك العديد من التحف الخشبية والحجرية والرخامية والجصية المنتشرة على العمائر الإسلامية فى هذا العصر .

وفى مجال التشكيلات الهندسية فإنه يبدو شكل الطبق النجمى بواحداته العديدة المنتشرة ، وكذلك فى استخدام شكل الصليب بكثرة وقد اتخذ عدة أشكال مختلفة زخرفية ، ففى بعض الأحيان ، تنتهى أضلاع الصليب ، بورقة نباتية ثلاثية الفصوص ، أو بثلاثة رؤوس صغيرة بحيث ترمز إلى الحواريين الاثنا عشر ، وفى بعض الأحيان ، تتعدد أضلاع الصليب ، بحيث يصعب تحديدها .

ومن حيث الزخارف الكتابية فإننا نشير إلى نص هام ، مكتوب بالخط النسخى ، على حشوة بحجاب الهيكل الشمالى بكنيسة أبى السيفين ، بحروف عاجية بارزة غليظة وعلى مهاد نباتى ، يقرأ : «يارب أذكر عبدك أبو الفرج ابن أبى المنصور ، ابن الكردوس وأولاده وأهل بيته بالرحمة والمغفرة ولا تدخلهم التجارب آمين» .

والواقع أنه يوجد عدد كبير من أحجبة كنائس منطقة مصر القديمة ترجع فى تاريخها إلى العصر العثمانى إلا أنها لا تصل فى جودتها إلى أحجبة العصر المملوكى من حيث الصناعة والزخرفة ، إلا أنه يلاحظ أن الفنان ، قد جمع فى طراز أحجبة هذا العصر بين حشوات الأطباق النجمية والحشوات الصلبانية الشكل فى تناسب تام على مسطح الحجاب ، بحيث أصبح توزيع الحشوات ، يتكون من مناطق مربعة الشكل ، على زواياها الأربعة ، صلبان متساوية الأضلاع ، ويتوسط كل منطقة من هذه المناطق المربعة ، طبق نجمى كبير ، متعدد الكندات ، ويلاحظ أيضا أن الفنان لم يُفرغ كندات الأطباق بالزخارف وإن كانت من مواد مطعمة قيمة ، وانما إقتصرت أنواع الزخرفة على تطعيم كوشات العقود بطراز الزخارف النباتية والحيوانية وفى بعض الأحيان من أشكال آدمية ، هذا بالإضافة إل طابع صناعة الأخشاب فى هذا العصر ، والذى اختلف إلى حد كبير عن العصر المملوكى السابق .

ثانيا : زخرفة الفرسكو : (Fresco)

تعتبر زخارف الفرسكو من الأساليب الزخرفية الهامة ، فى الكنائس والأديرة المصرية وبخاصة خلال العصر الفاطمى ، إذ ازدانت حنايا وجدران الهياكل الداخلية والدعائم والأعمدة ، فضلا عن بعض الأجزاء الأخرى فى جدران الكنيسة ، بمناظر مختلفة من القصص الدينى المسيحى ، شأنها فى ذلك شأن الكنائس الرومانية الأولى ، التى زخرفت بالزخارف المائية المختلفة وبأسلوب تميز بتنوعه تماما عن رسوم الأبنية الوثنية الأولى السابق عليها (١٩) .

ويتميز هذا الأسلوب الفنى المعروف بالفرسكو بخلط الألوان مباشرة ، مع الماء ، دون استخدام لأى وسيط ، ثم يرسم بالألوان على الحائط ، قبل أن يجف ، ويختلف عن الرسم فى أسلوب التامبرا Tempera ، حيث تخلط الألوان بمزيج لزج مثل الغراء ، ثم يرسم على الحائط ، بعد تغطيته بطبقة من الجير ، تكون قد جفت تماما ، وكذلك يختلف عن أسلوب الأنكوزاتا «Encaustic» ، حيث تخلط الألوان بالشمع ، ويضاف إليها فى بعض الأحيان مقدار بسيط من الزيت ، مما يكسب الرسوم بريقا ، بحيث تبدو وكأنها مرسومة بالزيت (٢٠) . ويتميز أسلوب الرسم بالفرسكو بسهولته وقلة تكاليفه وبقاؤه على مر الزمن ، وإن كان هذا الأسلوب قد أخذ فى الزوال من الكنيسة القبطية تدريجيا ، بينما استمر فى الكنائس الأوربية . ومما لاشك فيه أن الفنان القبطى ، استطاع ان يستغل هذا النوع من الزخرفة فى زخرفة عمائره الدينية ، إلى حد كبير فى خدمة قضية الدين ، ويذكر «جورج إيفرى» فى كتابه عن الأساطير المسيحية ، أن وجود مثل هذه الموضوعات الدينية فى الكنيسة المسيحية ، لها دلالاتها الهامة ، إذ أنها تُذكر بالمعاناه والاستشهاد ، خاصة فى عصور الاضطهاد الأولى (٢١) ، ويذكر «جربار» أيضا أن أقدم أمثلة زخارف الفرسكو ، قد عثر عليها فى منزل مسيحى صغير فى «Dura Europos» فى مدينة الصالحية بغرب آسيا به معمودية ، يزخرفها زخارف دينية بأسلوب الفرسكو ، وان كانت لا تحتوى على تاريخ يمكن التأكد منه ، ربما كان القرن الثالث الميلادى (٢٢) .

ويرى البعض أيضا أن الأمثلة الأولى للرسم بالفرسكو يرجع فى أصوله إلى حضارة جزيرة كريت من عصر الحضارة ، فى جزر بحر الأرخبيل ، ويحتفظ متحف (Palace of Cnossu) بثلاثة أمثلة للرسم بأسلوب الفرسكو ، تمثل على التوالى لوحة

حاملة الكأس ولوحة رأس فتاة كريتية ولوحة مصارع الثيران ، وتؤرخ اللوحات الثلاث بعام (١٥٠٠ق.م) [٢٣]

وتعتبر الدكتورة سعاد ماهر مقابر البجوات بالواحة الخارجة بمصر ، من أهم المناطق التى تحتفظ بكمية كبيرة من المناظر الدينية المسيحية والتى استخدم أسلوب الفرسكو فى رسمها ، إذ يمتد تاريخها ما بين القرن الثانى للميلاد والسابع الميلادى ، فهى تمثل أقدم ما عثر عليه من رسوم الفرسكو فى مصر [٢٤] .

والواقع أن رسوم هذه الجبانة تمثل موضوعات دينية مسيحية بحتة ، أتاحت لها الظروف أن تُرسم بعيدا عن أعين الحكام فى العصرين الرومانى والبيزنطى ، بحيث كونت رسوم هذه المقابر البداية الأولى لنشأة الفن القبطى ، الذى تميز بالبعد عن تقليد ومحاكاة الطبيعة [٢٥] . ويذكر الدكتور أحمد فخرى أيضا ، أنه على الرغم من نشأة الفن البيزنطى ، وما قدمه من نظريات وموضوعات جديدة للفن المسيحى فإن الفن القبطى بمدرسته الشعبية ورسومه التخطيطية ، استطاع أن يحافظ على خصائصه حتى القرن السابع الميلادى [٢٦] .

على أى حال فإن فن التصوير القبطى الذى وجد فى الكنائس والأديرة المصرية ، هو فن الكنيسة المصرية والذى يمكن القول بأنه نشأ فى القرن الرابع الميلادى ، غداة الإعتراف بالدين المسيحى ، إذ سرعان ما قام الأقباط بطمس الرسوم الوثنية على جدران المعابد الوثنية ، وأحلوا محلها رسوم الفرسكو ذات الموضوعات الدينية المسيحية الجديدة والتى ترضى فى الوقت نفسه ملكتهم الفنية [٢٧] ، وإن كات يعتبر «دالتون» أيضا ، الفترة التى تقع بين نشأة الفن القبطى ، فى القرن الرابع الميلادى ، وحتى السابع الميلادى ، إنما هى فترة ، تشبع فيها الفن القبطى بالأساليب الفنية الشرقية ، التى دخلت فى عناصره الزخرفية ، ثم تم صهرها فى أسلوب خاص تميز به هذا الفن [٢٨] ، وهو الأمر الذى يمكن ملاحظته فى رسوم الفرسكو ، التى عثر عليها فى دير القديس أرميا بسقارة ، والتى تؤرخ بالقرن السادس الميلادى [٢٩] . ويذكر الدكتور حسن الباشا ، أن تقاليد التصوير القبطى ، قد شكلت أحد السمات البارزة الثلاث فى أسس التصوير المصرى الإسلامى ، بجانب الروح الإسلامية والطابع العربى ، بما قدمته من الطابع الشعبى الزخرفى وروح الفكاهة وفى ممارسة أساليب معينة تميزت فى الفن القبطى [٣٠] .

على أننى أعتقد بأهمية رسوم الفرسكو فى الكنيسة القبطية ، خاصة فى العصر الفاطمى ، والتى توضح الصورة تماما بالنسبة لهذا النوع من الرسم خلال هذا العصر ، ذلك أن الأمثلة منه ، التى توجد فى أماكن إسلامية ، قليلة للغاية ، عكس الرسوم الكثيرة فى الكنائس والأديرة ، بحيث يمكن بدراستها تحقيق المدرسة التصويرية فى الفرسكو خلال هذا العصر فى ثقة واطمئنان ، وهو الأمر أيضا الذى لا يلتفت إليه كثير من دارسى جوانب الزخرفة والموضوعات التصويرية فى العصر الفاطمى .

هذا فضلا عن الرسوم القبطية التى اندثرت ويرجع تاريخها إلى العصر الفاطمى أو قبله ، وقد ورد ذكرها فى بعض كتب المؤرخين .

لقد كان من شأن التجديدات والترميمات الكثيرة التى حدثت فى كنائس منطقة مصر القديمة ، أن زالت وتلفت الرسوم على جدران الكنائس وأن ما تبقى منها حاليا ، إنما هو قليل للغاية ويمكن رؤيته بصعوبة ، ويذكر ألفريد تبلر مشاهداته الكثيرة من زخارف الفرسكو بكنائس هذه المنطقة ، والتى ظلت قائمة بحالة طيبة ، حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ولكن لا وجود لها الآن ، بل أنه يذكر أنه شاهد بقايا بعض زخارف الفرسكو ، فى بعض كنائس المنطقة عام ١٨٨٤م وحين عاد بعد ذلك بعدة سنوات لم يجد لهذه الزخارف أى أثر ، ومن أمثلة ذلك أحد المناظر التى تمثل السيد المسيح على العرش وقد كان ماثلا بشرقية الهيكل بكنيسة بابليون الدرج ، وأيضا نفس الموضوع بكنيسة أباكير ويوحنا ، كما يذكر أيضا أنه كشف عن رسوم حائطية هامة ، كانت قائمة بالدهليز العلوى لكنيسة القديسة بربارة ، قام بدراستها العالم مونيه Munier ، أمين مكتبة المتحف المصرى ، فى نهاية القرن ١٩م وقد أسفرت عن ظهور تواريخ هامة ، منها تاريخ لعام ٨٤٠م وتاريخ آخر رجحة بعام ١١١٤م ، كما نسب معظم الزخارف إلى العصر الفاطمى [٣١] . ويمكن تقسيم الزخارف المائية الباقية حاليا فى كنائس منطقة مصر القديمة إلى مجموعتين رئيسيتين ، ينحصر وجودها فى كنائس المعلقة وأبى سرجة والأنبا شنودة وأبى السيفين ، وتضم المجموعة الأولى ، تلك المناظر التصويرية ، على جدران الحنايا والهياكل وعلى بعض جدران الدهاليز العليا ، أما المجموعة الثانية ، فهى على أسطح أبدان الأعمدة وعلى الدعامات .

أما من حيث أسلوبها الفنى ، فيتضح فيها المميزات العامة للتصوير الجدارى فى العصر الفاطمى حيث تمثل فيها التحوير والتجريد والميل نحو الزخرفة واستخدام الخطوط والتهشيرات الهندسية خاصة فى رسوم الثياب والبعد عن الواقع والمنطق والتسطح والنفور من التجسيم والتعبير عن العمق (٣٢) .

تتميز رسوم المجموعة الأولى من المناظر التصويرية بإحتوائها على مناظر دينية مستمدة من القصص الدينى المسيحى ، وكذلك مناظر القديسيين المحاربين ، وتسجيل بعض الأحداث الدينية المسيحية (٣٣) . ومن هذه المناظر ، ما يوجد على الجدار الشرقى لهيكل تكلا هيمانوت الحبشى بكنيسة المعلقة ، حيث يمثل هذا المنظر ، أربعة وعشرين قديسا وهم وقوف فى صف واحد ، يرتدون الأردية الكهنوتية وتحيط برؤوسهم الهالات ، ويعلو رؤوس سبعة منهم كتابة قبطية ترجمتها «فرحت بالقائلين لى ، إلى بيت الرب ننطلق – وقفت أرجلنا فى ديار أورشليم» ، وقد رسمت هذه المناظر باللون الأحمر على أرضية باللون البرتقالى ، هذا وقد أرخ المرحوم مرقس سميكة هذه المناظر بالقرن الخامس الميلادى (٣٤) ، بينما أرجعها «ميناردوس» إلى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى ، وبالذات فى الفترة التى سمح فيها الخليفة العزيز بالله (٩٧٥ – ٩٩٦هـ) ، للبطريرك أفراهام بتجديد عمارة الكنائس (٣٥) ، أو الفترة التى تم فيها إختيار البطريرك «خريستودولس» بطريركا عام ١٠٤٧م ، إذ حضر حفل تنصيبه بطريركا ، أربعة وعشرون قديسا ، مما جعله يرجع أن يكون هذا المشهد ، وثيقة سجلت بالرسوم المائية ذلك الحدث (٣٦) . والواقع أن هذا المنظر من المناظر المعروفة فى الزخارف المائية فى الكنيسة القبطية عامة ، اذ يوجد فى حنية هيكل كنيسة القديس سمعان بأسوان وهيكل الأربعة والعشرين قديسا بكنيسة دير القديس بولس بالبحر الأحمر وحنية الهيكل الرئيسى للقديس أنطونيوس بكنيسة السيدة العذراء بحارة الروم (٣٧) . على أنه يعلو المنظر السابق بنفس الهيكل زخرفة مائية تمثل السيدة العذراء والطفل ، وان كان لم يبق منه الآن ، سوى الخطوط الخارجية ، ويتكرر وجود المنظر نفسه على حنية هيكل القديس يوحنا بالدور العلوى بكنيسة الأنبا شنودة ، حيث تبدو العذراء ، تحمل الطفل على صدرها ، ويحيط بوجهها الهالة المقدسة ، وقد شبهه ميناردوس بتأثير فنى مقتبس من رسوم الفرسكو البيزنطية فى القرنين ١٢ ، ١٣م (٣٨) . كما تبقى من مناظر الفرسكو الكثيرة ، التى كانت تزين الهيكل الرئيسى بكنيسة أبى سرجة بقايا بعض المناظر التالفة والتى رسمت

على طبقتين ، فى فترتين زمنيتين مختلفتين ، منها آثار طفيفة بالألوان لرؤوس بعض القديسين ، وقد أعطى بتلر وصفا طيبا لهذه الرسوم فى وقته فى أواخر القرن الماضى ، وكانت فى حالة لا بأس بها ، وذكر أنه كان ضمن هذه المناظر منظر للسيد المسيح وهو واقف ، يومىء بإشارة البركة بيده اليمنى ويقبض بيسراه على فرع نباتى به كتابة قبطية .

هذا وقد تخلف بكنيسة أبى السيفين ، مجموعة من رسوم الفرسكو ، بعضها فى حالة طيبة من الحفظ ، منها منظر يغطى حنية كنيسة السيدة العذراء بالدور الثانى ، غاية فى الأهمية ، ينقسم إلى قسمين فى أعلاه منظر المسيح على العرش ، حيث يبدو وهو جالس على كرسى ، به زخارف هندسية محفورة وملونة بالألوان الحمراء والخضراء ، وجهه مستدير يحيط به هالة ويقبض بيسراه على الانجيل ، ويرفع يده اليمنى بإشارة البركة ويرتدى ثيابا ، تغطى جسده كله ، بها زخارف من تهشيرات وخطوط أفقية ورأسية ويحيط به من الناحيتين ملاكان ، واحد فى كل ناحية ، ويجمع المنظر كله إكليل كبير بيضاوى الشكل ، ويكمل هذا المنظر ، منظر آخر ، يقع خارج دائرة الاكليل ، يمثل المخلوقات الأربعة ، اذ يظهر فى الركن العلوى يوحنا المعمدان وتحته شكلا لحيوان لعله الثور ، رمز القديس لوقا ، وفى الركن الأيسر رسما لأسد رمز القديس مرقس ويعلو هذه الرموز رسوم أخرى بالألوان ، إلا أنها غير واضحة ، ويحيط بالمناظر السابقة ، اطار دائرى يلتف حول إطار الحنية الرئيسية ، به اثنا عشرة جامة ، بداخل كل منها رسما لوجه قديس ، وتمثل الجامات الاثنا عشر ، وبما تضمه من رسوم رؤوس القديسيين الحواريين الاثنا عشر ، ويتضح فى وجوههم السحنة القبطية .

أما المنظر الثانى الذى يلى المنظر السابق (القسم الأسفل) ، فيمثل السيدة العذراء ، يحيط بها عشرة قديسيين ، خمسة منهم فى كل جانب ، وهم يرتدون الأردية الكهنوتية ، التى تغطى أجسادهم ويزخرفها زخارف هندسية ، من خطوط رأسية ، وتحيط برؤوسهم الهالات ، ويذكرنا هذا الرسم بشرقية باويط المحفوظة بالمتحف القبطى بالقاهرة ، رغم الاختلاف فى بعض التفاصيل .

كما أن هذا المنظر الذى يمثل المسيح على العرش ، يتكرر بنفس الكنيسة ، على حنية هيكل القديس مارجرجس بالدور العلوى من البناء ، حيث يبدو السيد

المسيح داخل إكليل كبير ، يحمل بيسراه الانجيل ويده اليمنى مرفوعة باشارة البركة . هذا ويوجد على جدار البائكة الشمالية رسم للملاك ميخائيل ، كما يوجد بنفس الكنيسة أيضا رسم مائى يمثل قديس محارب ذى لحية بيضاء ، يرفع يده اليمنى بإشارة البركة . كما رسم أيضا بمعمودية كنيسة القديس يوحنا الصغيرة والملحقة بالكنيسة نفسها ، موضوع تعميد المسيح ، وان كان هذا المنظر يؤرخ بالقرن ١٨ أو ١٩م ، حيث يبدو القديس يوحنا المعمدان ، واقفا على صخرة مرتفعة وهو يصب الماء على رأس السيد المسيح ، ويشاهد فى أعلى المنظر ما يشبه الحمامة ، تنبت منها أشعة من الضوء باللون الأبيض ويشاهد فى الجانب الأيمن من المنظر شجرة كبيرة محملة بثمار الرمان وشجرة أخرى لنبات الصبار وكليهما من الرموز المسيحية .

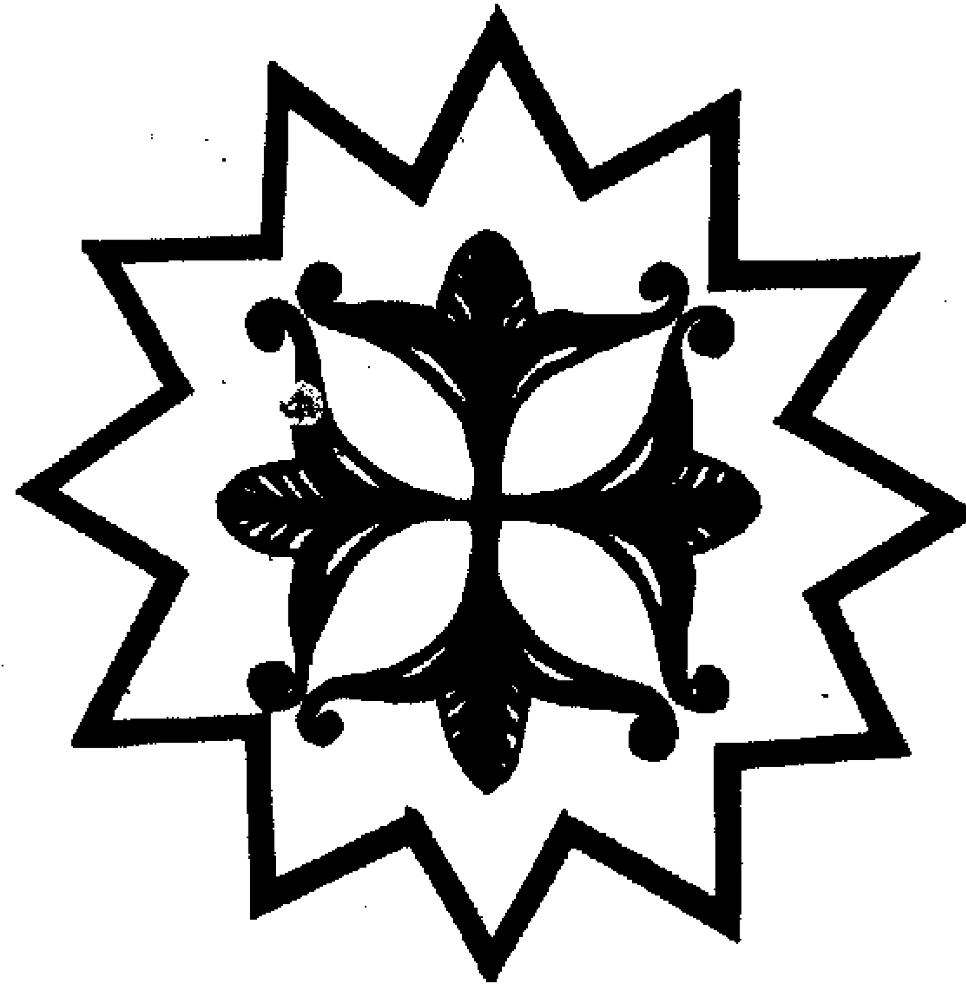
والواقع أن رسوم الملائكة والقديسيين ، هى من أكثر المناظر الدينية شيوعا فى الكنيسة المسيحية عامة .

أما النوع الثانى من الزخارف المائية ، بكنائس منطقة مصر القديمة ، فيشمل تلك الزخارف التى رسمت على أبدان الأعمدة والدعائم بالكنيسة ، بحيث تعتبر من المميزات الخاصة للزخارف المائية فى الكنيسة القبطية ، وهى وان كانت عبارة عن رسوم آدمية وعناصر نباتية ، إلا أنها أضفت على الكنيسة زخرفة واضحة ، بجانب أهميتها الدينية ، إذ أن معظمها أيضا لرجال دين ، خاصة تلك التى رسمت على الأجزاء العليا من أبدان الأعمدة والدعائم ، إلا أن كثيرا من هذه الرسوم قد إختفت الآن ، ويرجع ذلك إلى عمليات «الجلخ» المستمرة والتى كانت تحدث بقصد المحافظة على نظافة الأعمدة ، على مر العصور المختلفة ، بحيث لم يتبق منها الآن سوى نماذج قليلة بكنائس أبى سرجة والمعلقة وأبى السيفين والأنبا شنودة ، ومع ذلك فإنها تعطى فكرة طيبة عن طراز زخرفة أبدان الأعمدة فى الكنيسة المصرية .

وتمتاز أعمدة كنيسة أبى سرجة الاثنا عشر ، ببقاء بعض آثار هذه الرسوم ، باستثناء عمود واحد . وتبدو مناظر القديسين وهم وقوفا ، متكررة على أبدان أسطح هذه الأعمدة ويحيط بوجوههم الهالات ، وقد نفذ الرسم بالألوان الحمراء والخضراء والسوداء بتنوع درجاتها .

وقد تبقى من مناظر الأعمدة فى كنيسة المعلقة ، أحد المناظر التى تمثل قديسا أو أميرا بحيث يبدو وهو يقبض بيده اليمنى ، على فرع نباتى ، وتحيط الهالة بوجهه المستدير ، إلا أن وجه هذا الشخص ، يختلف إلى حد كبير عن سائر وجوه الآدميين ، فى مناظر الفرسكات بالكنيسة القبطية ، فى كنائس منطقة مصر القديمة ، والتى تميزت بوضوح المسحة القبطية فى الوجوه ، بينما ، وجه الشخص على العمود السابق ، يعتبر شبيه برسوم الآدميين فى المدرسة الفاطمية عامة كما فى رسوم حمام أبى السعود أو على الخزف الفاطمى من النوع ذى البريق المعدنى أو حتى فى رسوم الآدميين بكنيسة الكابلا بلاتينا فى بليرمو بصقلية ، فالوجه مستدير تحيط به الهالة والثياب غنية والزخارف الهندسية ، المؤلفة من وحدات متكررة رأسيا على شكل دوائر متصلة ، من الأسلوب الهندسى الذى ذاع فى العصر الفاطمى ، (أنظر اللوحة رقم ٣١) .

هذا بخلاف الرسوم الأخرى المتبقية فى كنيستى القديسة بربارة وأبى السيفين ، والتى يمكن للزائر لهذه الكنائس رؤيتها .



الباب الرابع

تاريخ الأديرة الباقية بمحافظة قنا

الفصل الأول : أديرة نقادة
الفصل الثانى : أديرة إسنا

يتناول هذا الباب بفصليه أديرة مركز إسنا محافظة قنا ، ذلك أن هذه المحافظة قد تميزت بكثرة عمائرها الدينية الإسلامية والمسيحية (أنظر شكل ٣١) .

والواقع أن مدينة قنا نشأت فى العصور الفرعونى ، فقد ذكرها «جوتيه Gauthier» فى قاموسه تحت إسم «شابت chabt» ، ويبدو أن اسمها قد تغير فى القرن الثالث الميلادى ، إذ أوردها جورج القبرصى ، ضمن أقسام أبروشيه طيبة الوسطى باسم «Maximianoplis» ، بين مدينتى دندرة وطيبة ، نسبة إلى الامبراطور مسكيمان ، وذكرها أميلينو فى جغرافيته ، على أنها وردت فى كشوف الأبروشيات باسم «قونة» ، وبالقبطية باسم «Kouni» وبالرومية «Kainipolis» [١] .

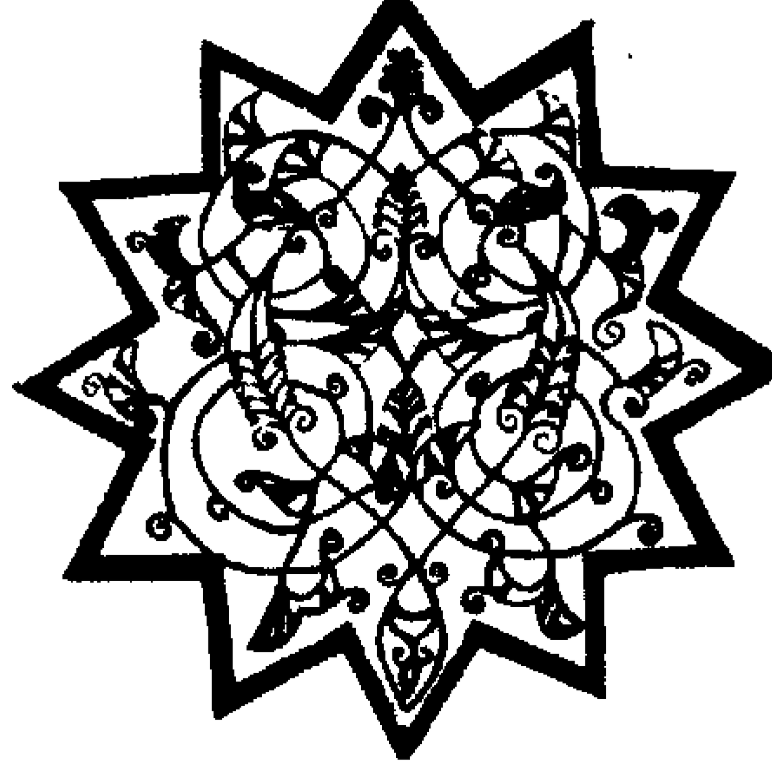
هذا وقد وردت قنا فى مصادر العصر الإسلامى ، على أنها مدينة مصرية شهيرة بالصعيد الأعلى [٢] ، على الشاطىء الشرقى للنيل [٣] ، وكانت منذ عهد الدولة الفاطمية ، وحتى نهاية العصر المملوكى ، من أعمال مدينة القوصية ، حتى ألغى نظام الكور ، وأنشأ بدلا منه الأقسام الادارية الكبيرة .

وردت مدينة قنا فى مصادر العصر الإسلامى بأسماء مختلفة ، فقد ذكرها ابن خرداذبة باسم «قنى» [٤] ، مع كورة «هو» ، ووردت فى خطط أبو صالح الأرمنى باسم «قناه» [٥] ، كما ذكرها القلقشندى أيضا باسم «قناة» ، ضمن كورة «هو ودندرة» وقال عنها : «مدينة تقع شرق النيل ، وفيها ضريح السيد الجليل عبد الرحيم القنائى ، المعروف بالبركة وإجابة الدعاء عنه» [٦] ، ويذكر أيضا ابن دقماق عنها «بلدة كبيرة فى ضفة النيل الشرقية ، خرج منها جماعة من العلماء والرؤساء ، وأرباب مقامات وأحوال ومكاشفات وجبانتها عليها بهجة ووضاءة ، يقصدها الزوار من كل الأقطار» [٧] .

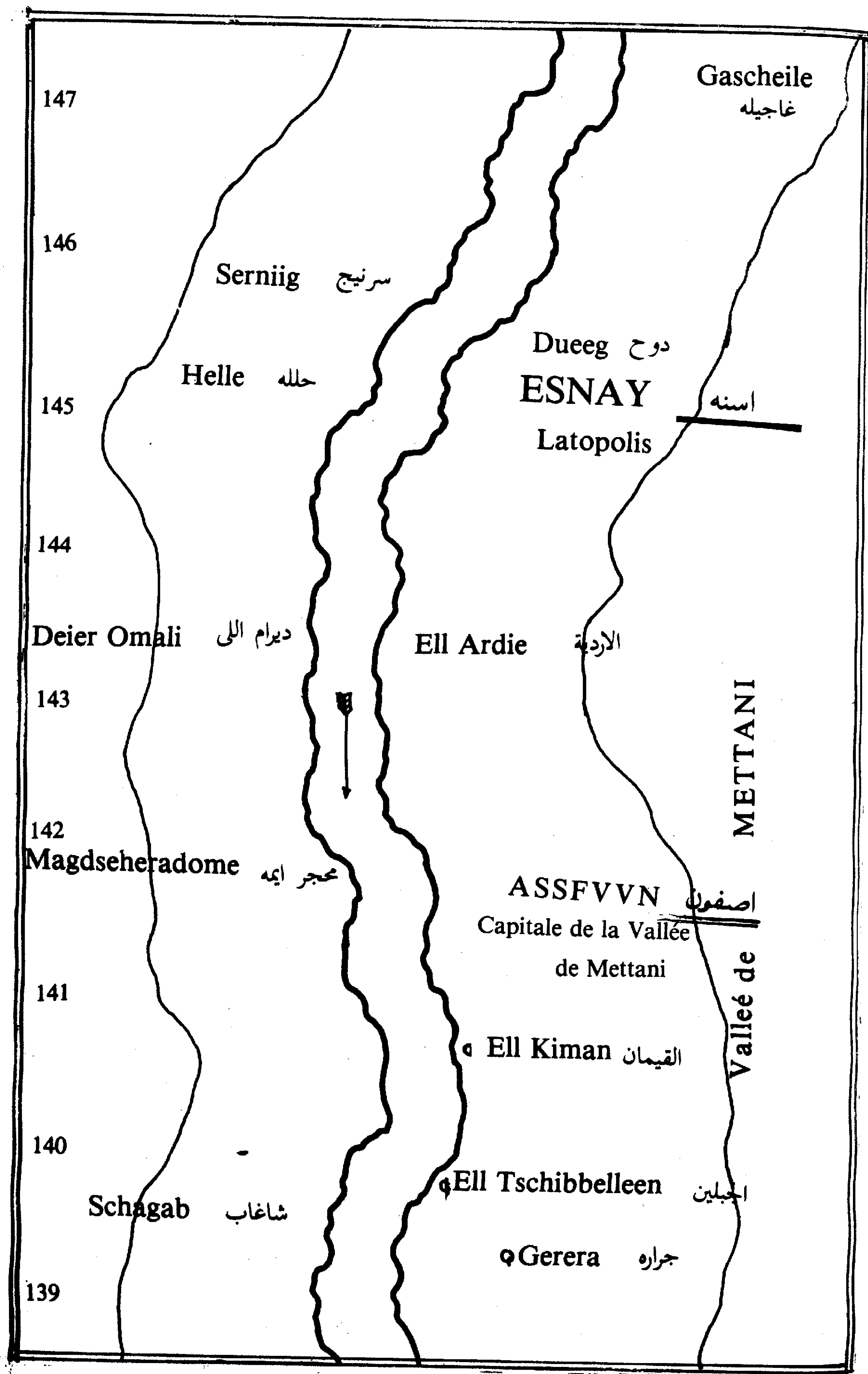
ورغم أن قنا كانت تتبع مدينة قوص من الناحية الادارية ، إلا أنه يُستفاد مما أورده ابن جبير عنها ، أنها كانت من المدن الهامة ، التى تميزت بعمارتها الأنيقة

وخاصة منازلها ، التى شيدت من طابقين وبنيت من الآجر والطوب اللبن فى ذلك الوقت (٨) . كما كان بها أيضا ، طريق يوصل إلى القصير ، يمر أولا بين الجبل والساحل ، متجها إلى الجنوب ، حتى يصل إلى بئر عند شرقى قفط ، ثم يستقيم إلى جهة الشرق حتى يصل إلى القصير .

والواقع أن محافظة قنا (٩) ، بما تضمه الآن فى نطاق حدودها الجغرافية ، وتقسيمها الادارى الحالى تضم الكثير من الآثار التى ترجع إلى أقدم العصور فى مصر . ولما كانت العمائر القبطية الباقية حاليا فى هذه المحافظة ، تنحصر فى منطقتين أساسيتين : مركز نقادة ومركز إسنا ، فإننا سنشير إلى تاريخ هذه العمائر بإيجاز فى الفصلين التاليين .



شكل (٣١)
خريطة توضح بعض البلاد القديمة جهة مركز نقادة . (نقلا عن الرحالة نوردن Norden)



Gascheile
غاجيله
147
146
Serniig سرنيج
Dueeg دوح
Helle حلله
ESNAY اسنه
145
Latopolis
144
Deier Omali ديرام اللى
Ell Ardie الاردية
143
METTANI
142
Magdseheradome محجر ايمه
ASSFVVN اصفون
Capitale de la Vallée
de Mettani
141
Vallée de
Ell Kiman القيمان
140
Ell Tschibbelleen الجبلين
Schagab شاغاب
Gerera جراره
139

الفصل الأول

أديرة وكنائس مركز نقادة

تبقى من عمائر الأديرة والكنائس فى مركز نقادة [1] ، حاليا سبعة أديرة ، حيث تقع فى الناحية الغربية ، وتكاد تكون على محور واحد من الشمال إلى الجنوب فى الصحراء الشاسعة ، وفى جبل عُرف عند الأقباط باسم جبل الأساس المقدس . لقد حدد «أميلينو» فى جغرافيته هذا الجبل ، على أنه يتكون من سلسلة الجبال ، الواقعة غرب نقادة ، بحيث يبدأ من شمالها وينتهى غربا فى اتجاه مدينة الأقصر ، كما وردت أيضا نفس التسمية (جبل الأساس المقدس) فى السنكسار القبطى [2] عند وصفه لسير القديسين والشهداء ، فى الكنيسة القبطية ، من خلال تحركاتهم فى الصحراء ، من منطقة لأخرى فى هذا الجبل الشاسع .

والواقع أن الأديرة السبعة الباقية بنقادة ، لم يرد ذكرها كثيرا فى المصادر المختلفة ، إلا أن أبا صالح الأرمنى ، قد تحدث عنها فى عبارات قليلة موجزة ، وفى بعض الأحيان تكاد تكون مبهمة ، وان كان قد أشار إليها الرحالة الأجانب فى القرون الثلاثة الأخيرة ، أمثال «فانسليب وموري» وغيرهما ، هذا وقد ذكر «بتلر» فى

عبارات موجزة قليلة قوله «أنها تقع على بُعد ١٢ ميلا ، شمال طيبة على الضفة اليسرى من النيل ، وهى هامة جدا ، ولكنها غير معلومة فى المؤلفات» (٣) ، بينما ذكر عنها ميناردوس ، أنها تقع على حافة الصحراء ، فى جبل الأساس القديم ، على الضفة الغربية للنيل ، بين قرى نقادة وقامولا ، وهى تعتبر بالنسبة لدارسى الآثار المسيحية ، ذات أهمية كبيرة (٤) ، فقد كانت هذه الصحراء فى وقت ما مأهولة بنساك ومتعبدين ، مثل القديس إيلياس ، قديس جبل ببشواو (٥) ، والأنبا صمويل قديس جبل بنهدب (٦) . وسنعرض فيما يلى لكل دير من هذه الأديرة بموجز تاريخى ، حسب مواقع هذه الأديرة من الشمال إلى الجنوب .

١ - دير الملاك ميخائيل :

الواقع أن هذا الدير ، قد تهدمت كنائسه وملحقاته المعمارية ، ولم يبق منه سوى بقايا قليلة للغاية ، لا تساعد على تكوين فكرة معمارية ، عما كانت عليه عمارته فى العصور الوسطى . ورد ذكره ضمن الأديرة التى جاءت فى خطط أبو صالح الأرمنى ، ضمن كنائس وأديرة محافظة قنا (٧) ومن المعروف أن هناك العديد من الكنائس القبطية المكرسة على اسم الملاك ميخائيل .

٢ - دير الصليب

يقع هذا الدير حاليا فى قرية حاجر دنفيق (٨) ، احدى قرى مركز نقادة ، ورغم قدم هذا الدير فإنه لم يرد فى خطط أبو صالح الأرمنى ، مما يجعلنا نعتقد بأن تسمية الدير بالصليب ، قد تكون من الأسماء المستحدثة للدير ، والتى ربما يكون قد أطلقت عليه ، بعد العصر الفاطمى . ذكره الرحالة ڤانسليب فى القرن السابع عشر الميلادى ، كما ذكره مورى بنفس الإسم أيضا (٩) .

ويذكر نبيل سليم فى كتابه عن قديسى جبل الأساس ، أنه هو الدير الوحيد المعروف فى مصر بهذه التسمية ، وان كان أبو صالح الأرمنى قد أشار إلى دير آخر بنفس الأسم ، كان قائما فى العصر الفاطمى ، بقرية فانو بمحافظة الفيوم ، وربما أن نفس المؤرخ ، قد ذكر هذا الدير باسم كنيسته الرئيسية ، التى مازالت حتى اليوم

تحمل إسم الأنبا شنودة ، فقد ذكر ضمن ما أورده عن كنائس نقادة «بيعتين للقديسين الجليلين «أبو شنودة» و«يوحنا» ، ومازال هذا الدير حتى اليوم يضم ثلاث كنائس [١٠] .

أما عن تاريخ إنشاء هذا الدير فمن المرجح أن يكون قد بني فى القرن السابع الميلادى ، فى زمن القديس بيسنتناؤس ، أسقف مدينة قفط ، اذ يستفاد من نص ورد فى سيرة هذا القديس حققه العالم «لورى» ، بوجوده فى القرن السابع الميلادى ، إذ ورد فى النص ، و«قام عشر سنين هاربا من قدام البربر ، الذين هم الفرس ، وكان يقيم ، ثلث السنة ، أربعة أشهر مختفيا ، ولا يعلم أحد أين مكانه ، سوى القس مويسياس وأنبا ايلياس الذى من دير السند وأبو يحنس تلميذه الذى من جيل شامه [١١] ومرارا كثيرة كان يظهر للقس أنبا اندراس رئيس دير الصليب المقدس» [١٢] .

٣ - دير القديس أندراس الملقب بأبى الليف

يجاور هذا الدير دير الصليب السابق الإشارة إليه بقرية دنفيق بمسافة لا تتعدى مائة متر ، ويحمل اسم اندراس ، والذى عرف فى المصادر المختلفة باسم القديس أبى الليف ، وقد تتلمذ على يد القديس المشهور بيسنتاؤس ، صاحب دير آخر بنفس المنطقة . وردت ترجمة حياته كاملة ضمن مانشره «لورى» عن معجزاته ، والتى يستفاد منها ، أنه ولد بقرية شنهور [١٣] ، من أعمال قنا بصعيد مصر ، وكان منذ طفولته محبا للوحدة والخلوة ، وعندما بلغ عمره عشرون عاما ، تاقت نفسه للرهبنة ، فعبر النيل إلى البر الغربى ، إلى دير الأنبا صمويل ، الذى كان قائما بمنطقة نقادة ، وتُسهب المخطوطات التى تناولت سيرته ، فى ذكر حروبه مع الشياطين ، والتى تعتبر بمثابة مرحلة هامة من مراحل البدء ، فى حياة الرهبنة ، وبعد أن إجتاز هذه المرحلة ، رحل مع الأنبا بيسنتاؤس إلى الصحراء بقصد الانفراد مرة أخرى فى البرية ، وتذكر الرواية التاريخية أنه أثناء ذلك ، إشتد عليه المرض ، مما جعله يطلب منه أن يُكفنه بعد وفاته بليف النخيل ، وقد فعل ذلك ، ودفنه فى مقبرة صغيرة ، أقيم عليها الدير فيما بعد [١٤] ، هذا وقد أشار «جاييه Gayet» ، إلى كنيسة هذا الدير ، واعتبرها من كنائس منطقة نقادة الهامة ، والتى يتمثل فيها خصائص العمارة البازيلكية المبكرة [١٥] .

٤ - دير القديس مارجرجس المعروف بدير المجمع

الواقع أن هذا الدير ، يعتبر من أهم أديرة مركز نقادة من الناحيتين التاريخية والمعمارية . عُرف هذا الدير فى المصادر التاريخية بدير القديس (مار) جرجس ، كما أطلق عليه أبو صالح الأرمنى والمقريزى (١٦) ، ولعل تسميته بدير المجمع تسمية حديثة ، ربما لأنه الدير الوحيد بالمنطقة والذى يوجد به خمس كنائس قديمة ، على جانب كبير من الأهمية ، وقد اختصت هذه الكنائس ببعض الظواهر المعمارية الفريدة فى الكنيسة المصرية ، هذا بجانب وجود القلالى والمنشآت المتعددة واللازمة لعمارة الدير ، كما أن هذا الدير ، يتوسط أديرة جبل الأساس بنقادة ، وفيه كان يتم تجميع المؤن الخاصة بهذه الأديرة وتوزيعها عليها ، ذلك أننا نجد إلى الشمال منه مباشرة أديرة : الملاك ميخائيل والصليب وأبى الليف ، وإلى الجنوب منه أديرة : القديس بيسنتاؤس ومار بقطر والملاك ميخائيل بقامولا .

وقد ذكر أبو صالح الأرمنى هذا الدير فى العصر الفاطمى على إسم كنائسه فقد أورد «بيعتين للملاكين الجليلين ، ميخائيل وغبريال ، وبيعتين للقديسين الجليلين مارجرجس ويوحنا (١٧)» . ومن الواضح أن الكنيسة الكبيرة والرئيسية بالدير مكرسة ، على إسم القديس (مار) جرجس ، والذى يعتبر من أشهر قديسى الكنيسة المصرية ، إذ ذكر نفس المؤرخ ما يزيد على ثلاثين كنيسة مصرية تحمل اسمه (١٨) ، فضلا عن عدد كبير من الهياكل المخصصة بالكنائس لنفس الاسم ، والذى يطلق عليه أيضا القديس مورقوريوس الملقب بأبى السيفين .

وردت سيرته فى السنكسار القبطى ضمن حوادث ٢٥ هاتور ، على أنه ولد بمدينة رومية فى أيام الملك الرومانى الوثنى داكسيوس ، من أبوين مسيحيين فأسمياه «فيلوباتير» ، ولما كبر انتظم فى سلك الجندية حيث اشتهر بشجاعته ، فاطلق عليه رؤساؤه ، لقب «مورقوريوس» ، وتذكر الرواية التاريخية ، أنه ظهر له الملاك بعد ذلك وأعطاه سيفا قائلا له «إذا ما غلبت أعداءك فاذكر الرب الهك» ، ثم مالبث أن اعتنق الدين المسيحى ، مما جعل الامبراطور الرومانى ، يحاول أن يثنيه عن ذلك ، ولكنه رفض العودة إلى الوثنية ، فأمر بقطع رأسه (١٩)

أما الكنيسة الثانية فهى على إسم القديس يوحنا والذى يقول عنه المقريزى «من أهل أنطاكيا ، ذوى الأموال فزهد وفرق ماله كله على الفقراء ، وساح وهو على دين النصرانية ، فعمل أبواه عزاؤه ، وظنا أنه قد مات ، ثم قدم ، أنطاكيا فى حالة لا يعرف فيها . وأقام فى كوخ فى مزبلة ، وأقام رمقه ، بما يلقى عليها حتى مات ، فلما عُملت جنازته ، كان ممن حضرها أبوه ، فعرف غلاف إنجيله ، ففحص فيه حتى عرف أنه إبنه ، فدفنه وبنى عليه كنيسة أنطاكيا [٢٠] .

على أن هذا الدير ، كان آهلا بالرهبان فى العصر الفاطمى ، وهو ما يظهر من بقايا القلالى التى إندثرت مع كثير من وحدات الدير ، وقد ذكر «جاييه Gayet» عن مشاهداته لزخارف الفرسكو التى كانت لا تزال موجودة حتى القرن الماضى ، التى تنسب إلى العصر الفاطمى [٢١] .

٥ – دير القديس بيسنتاؤس

يبعد هذا الدير عن دير المجمع السابق بحوالى مائتى متر ، إلى الجنوب الشرق منه . ويعد القديس بيسنتاؤس والمسمى على اسمه الدير ، من أشهر القديسين بمصر العليا عامة ومنطقة نقادة خاصة ، فقد كان أسقفا لمدينة قفط فى القرن السابع الميلادى .

بدأ حياته بحبه للوحدة والخلوة وعزوفة عن الناس ، وتذكر المخطوطات التى تناولت سيرة حياته ، أنه ذهب إلى جبل الأساس ليترهب فيه ، إذ تذكر «إمضى بنا إلى جبل الأساس ، وسنجد هناك برية شهيت أخرى جديدة ، إذ كان رهبانها نساكا متعبدين إلى الله عبادة ملائكية لطهارتهم ، وليس هناك من يقدر أن يصف نسكهم وعبادتهم ، التى ليس لها حد ولا قياس ، اذ هم شيوخ قديسون وملائكة متجسدون [٢٢]» . على أن المؤرخ أبا صالح الأرمنى ، قد ذكر هذا الدير فى خططه باسم «الدير المعروف بأبو بسنده أسقف قفط وبيعته على إسم السيدة الطاهرة» [٢٣] . هذا وقد أُعيد تجديد كنيسته القديمة مؤخرا ، على غرار التخطيط القديم ، كما تبقى من ملحقاته القديمة ، بئر الساقية وبعض الأسوار القليلة المتهدمة .

٦ – دير مار بقطر بقامولا [٢٤] :

يقع هذا الدير فى صحراء نقادة ، إلى الجنوب الغربى من دير القديس بيسنتاؤس فى منطقة قامولا الأوسط . ويحتل هذا الدير موقعا جغرافيا جيدا ، اذ بُنى على ربوة عالية من الرمال يبلغ إرتفاعها حوالى ثمانية أمتار ، من مستوى منسوب الأرض المحيطة بالدير . صاحب هذا الدير هو مار بقطر من القديسين ذوى الشهرة الكبيرة فى الكنيسة المصرية ، وردت سيرته فى السنكسار القبطى ، والتى يستفاد منها أنه عاصر جزءا من حياة الملك الرومانى الوثنى دقلديانوس فى القرن الثالث الميلادى ، حيث تدرج خلالها فى عدد من المناصب العسكرية فى ذلك الوقت ، حتى وصل إلى منصب وزير الملك نفسه ، ويسهب السنكسار القبطى فى الحديث عن معجزاته ، ذلك أنه اعتنق الدين المسيحى سرا ، إلا أن أباه الوثنى ، وشى به عند الإمبراطور دقلديانوس ، الذى استدعاه وطلب منه العودة إلى الوثنية ، فلم يجبه لطلبه ، فغضب عليه الملك وأمر بتعذيبه وأرسله إلى مدينة الأسكندرية ، حيث أُودع فى سجونها ، ثم بعثه بعد ذلك إلى منطقة أنصنا ، وتعرض هناك لتعذيب أشد قُطع فيه لسانه وفقئت عيناه ، حيث إنتهى الأمر بإستشهاده [٢٥] .
يُعزى بناء هذا الدير إلى الإمبراطورة هيلانة ، والدة الإمبراطور قنسطنطين ، وان كان ذلك من الصعب التسليم به . على أى حال فقد كان هذا الدير قائما فى القرن السابع الميلادى ، إذ يستفاد من نص ورد فى أحد المخطوطات القديمة عن القديس بيسنتاؤوس ، أسقف مدينة قفط ، فيذكر النص : «بيسنتاؤس أما تعلم أن هذا يوم عيد ، وتذكار الشهيد المجيد بقطر بن رومانوس وهو الذى سأل الله ، فأرسل هؤلاء الأبرار والقديسين ، ليأتوا إلى بيعته ويعبدوا ، ويجعلك أنت أيضا ، مستحقا مشاهدتهم وتنال بركاتهم [٢٦]» .

كما ورد ذكر هذا الدير فى خطط أبو صالح الأرمنى بذكر كنيسته «قمولا : فيها بيعة على اسم الشهيد الجليل تادرس ، بيعتين للشهيدين الجليلين القديس مار جرجس والقديس بقطر بن رومانيوس» .

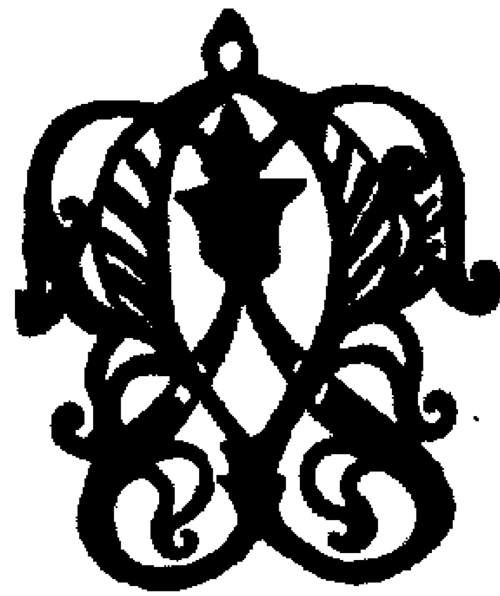
والواقع أن تسمية أبى صالح الدير بكنيسته ، يعتبر أمرا شائعا ، فى ذكره لكثير من كنائس الأديرة المصرية ، والتى أوردها فى خططه ، ذلك أنه من المتعذر

أن تبنى كنيسة بمفردها فى الصحراء ، لاسيما فى هذه المنطقة بالذات ، الشاسعة والمترامية الأطراف ، والتى عرفت بجبل الأساس ، وسكنها كثير من الرهبان والنساك ، كما أنه فى الوقت نفسه من حيث المشاهدات المعمارية ، قد تبقى الكثير من ملحقات هذا الدير ، وان كانت هذه الملحقات متهدمة حاليا خارج أسوار الدير ، يضاف إلى ذلك أن المؤرخ المقريزى قد ذكر هذا الدير فى القرن ١٥م ، وذكر ديرا آخرا بمصر العليا «لمار بقطر» [٢٧] .

٧ - دير الملاك ميخائيل بقامولا :

يعتبر هذا الدير ، آخر أديرة مركز نقاده ، الباقية فى الناحية الجنوبية ، ويبعد عن الدير السابق بحوالى كيلو مترين ، إلى الجنوب الشرقى منه . والواقع أن هذا الدير ربما قد يكون اختلط على المؤرخ أبو صالح الأرمنى ، اذ ذكره مرتين ، فى موضعين مختلفين فى كتابه الأولى ، على أن «دير العين» إذ يذكر : «قمولا : دير على إسم الملاك الجليل ميخائيل ويعرف بدير العين ، وبقربه عين ماء ، يشرب منها الخاطر بتلك الناحية ، وفيه جوسق وعليه سور دائر» [٢٨] والمرة الثانية التى ذكر فيها هذا الدير «قمولا : بيعتين للملاكين الجليلين ميخائيل وغبريال» [٢٩] .

ومما يفسر لنا هذا الخلط الذى وقع فيه هذا المؤرخ هو أن دير العين ودير الملاك ميخائيل باقيان إلى اليوم ، وان كان دير العين متهدما للغاية ، وتقع خرائبه الباقية على مسافة ثمانية كيلو مترات ، من دير الملاك ميخائيل الحالى بقامولا ، وأيضا ربما يكون الخلط مصدره ، وجود البئر القديم الكبير والذى يقع فى الناحية الشرقية من سور الدير الحديث الحالى ، والذى ربما اعتقد هذا المؤرخ أنه العين التى ذكرها بالدير الأول وربما لم يقم بزيارة الديرين والتحقق منهما ؟؟ .



الفصل الثانى
أديرة إسنا

تُعد مدينة إسنا من المدن القديمة الهامة بمصر العليا ، أوردها جوتيه فى قاموسه فقال ، اسمها المصرى القديم المقدس «Hat Khowmou» بمعنى قصر الإله خنومو وإسمها مذنى Aount أو Tasan ، وهو الاسم الذى استمر يطلق عليها ، فى العصرين اليونانى الرومانى ، ومنه اسمها القبطى «Seni» أو «Esni» ، والذى جاء منه الاسم العربى «إسنا» (١) .

كذلك أورد الاصطخرى ، فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، أن هذه المدينة ، كانت تشبه مدينة أخميم ، إذ أنها كانت متقاربة معها فى العمارة و«صغيرة عامرة بالنخيل والزرع» (٢) وذكر عنها إبن خرداذبة ، فى كتابة المسالك والممالك ، على أنها من كور مصر العليا ، مع أرمنت وسبانة (٣) ، ووصفها ياقوت فى معجمه ، على أنها مدينة بأقصى الصعيد ، واقعة على الضفة الغربية للنيل بين ثيبة والشلال الأول ووراءها إدفوا وأسوان وبلاد النوبة ، وذكر أن بها جملة أسواق وعدة حمامات وآثار قديمة ومعامل عديدة (٤) .

ويذكر أيضا عنها الادفوى فى كتابه الطالع السعيد : «إسنا لها منايل كثيرة ، من البر الغربى والبر الشرقى ، بلد كبيرة ، حسنة العمارة ، مرتفعة الأبنية ، مشتملة على ما يقارب ، ثلاثة عشر ألف منزل ومدرستين وحمامين وأسواق ، وخرج منها جمع كبير من أهل العلم والأدب» [٥] . ويذكرها القلقشندى أيضا على أنها مدينة حسنة ، بالبر الغربى من النيل مع كورة أرمنت [٦] . هذا وقد ذكر المقريزى أن هذه المدينة كانت تشتمل ، على ما يقارب من ثلاثة عشر ألف منزل [٧] .

كما يذكر أيضاً أبو صالح الأرمنى ، أن تفسير كلمة إسنا ، يعنى الشجر ، إذ كان بها شجرة من الهند [٨] ؛ هذا وقد تبقى بإسنا حاليا ديران ، دير الآنبا ميتاؤوس المعروف بدير القديس الفاخورى بأصفون [٩] ، ودير القديس أمونيوس المعروف بدير الشهداء .

اولا : دير الأنبا ميتاؤس ، المعروف بدير القديس الفاخورى :

الواقع أن هذا الدير يعتبر من الأديرة الهامة الباقية من الناحية المعمارية ، فى محافظة قنا ، إذ أن كثيرا من أجزاء الدير المعمارية الباقية ، يمكن نسبتها إلى العصر الفاطمى بوضوح تام ، يقع هذا الدير على مسافة (١٨ كم) من مدينة إسنا ، بالقرب من قرية أصفون ، التى تتبع مركز إسنا ، فوق ربوة عالية من الرمال ، يشرف من عليها على القرية .

على أنه من الغريب أن نجد قلة الإشارات التاريخية ، عن هذا الدير ، فى المصادر المختلفة ، وكذلك عن مؤسسه الأنبا ميتاؤس ، ورغم قلتها ، فقد جاءت مبهمة أيضا فى كثير من الأحيان .

ذكر أبو صالح الأرمنى هذا الدير فى خططه ، فى موضعين مختلفين ، الأول مع أديرة وكنائس محافظة أسيوط «الدير الكبير بالجبل ، أنشأه متياس الراهب بأنصنا ، وترهب فيه جماعة من الرهبان» [١٠] ، وفى الموضع الثانى يذكره ، ضمن كنائس هذه المحافظة وأديرتها «وبأنصنا دير متياس بالجبل ، اهتم بمرمته وتجديده القس المبارك الصياد ، وترهب فيه جماعة كثيرة» [١١] .

والواقع أن «إيفتس وبتلر Evett, Butler» ، عند تحقيقهما ، لموقع هذا الدير ، لم يتمكنا من الجزم ، بأن هذا المؤرخ ، يقصد إسنا أو أنصنا [١٢] ، إلا أننى أرجح أن أبا صالح الأرمنى ، يقصد فعلا هذا الدير الموجود بإسنا ، على وجه التجديد ، فالدير عمارته كبيرة ، وترجع إلى العصر الفاطمى ، وربما جاء الخطأ (فى المخطوطة) فى كتابة أنصنا بدلا من إسنا ، كما أن المؤرخ المقريزى ، ذكر هذا الدير فى خططه ، فى العصر المملوكى بقوله «وكان بأصفون دير كبير ، وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر ، واكثر نواحى الصعيد فواكه ، وكان رهبان ديره معروفين بالعلم والمهارة ، فخربت أصفون وخرب ديرها وهى كلها متلاشية آيلة إلى الإندثار ، بعد كثرة عمارتها ، ووفور أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يحمل إليها» [١٣] ، كما كانت مدينة أنصنا فى حالة خراب فى العصر نفسه [١٤] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ورد فى السنكسار القبطى ، ما يفيد بنسبة الدير إلى اسنا بدلا من أنصنا ، فى ترجمة حياته : «القديس متى المسكين ، كان رئيس دير جبل من أسوان وكان يعمل فضائل عظيمة ويخرج الشياطين» [١٥] .

بدأ الأنبا متياس حياته فى سلك الرهبنة ، بالقرب من إسنا ، حيث دخل راهبا فى أحد الأديرة التى كانت توجد بإسنا ، ثم رحل منه ، واستقر به المطاف فى أصفون ، حيث أسس ديره فى القرن السابع أو الثامن الميلادى ، فى أيام البطريرك الاسكندروس الثانى ، وأقبل عليه كثير من الرهبان [١٦] .

كما أسس هو أيضا ديرا آخرا ، على إسم القديس باخوم ، بالقرب من مدينة إسنا ، اندثر فيما مضى . وتذكر بعض المصادر أن حاكم إسنا كان يأنس إليه ، وكثيرا ما يستشيره فى بعض الأمور لعلمه وسعة إطلاعه ، وكثيرا ما كان يبعث له بالهدايا المختلفة [١٧] .

على أن هذا الدير قد تخرب فى القرن العاشر الميلادى / الرابع الهجرى ، ثم أعيد تجديده بعد ذلك بقليل ، حتى بلغ درجة كبيرة من العمارة الحسنة فى العصر الفاطمى [١٨] ، يدل على ذلك بقاء كنيسته التى ترجع إلى العصر الفاطمى ، بزخارفها المرسومة بأسلوب الفرسكو وبقاء كثير من وحداته المعمارية المختلفة . هذا وقد أشار الرحاله نوردن «Norden» ، إلى هذا الدير إشارة عابرة ، خلال الرحلة

التى قام بها فى النيل عام ١٧٣٧م ، اذ ذكر عنه «أصفون لها مظهر جميل ، على الضفة الغربية من النيل ، وعلى بُعد قليل منها ، وعلى ارتفاع متوسط ، رأينا على بعد من الشاطىء ، دير قبطى» [١٩] لعله هذا الدير .

دير القديس آمونيوس المعروف بدير الشهداء بإسنا :

يعرف هذا الدير أيضا بدير إسنا [٢٠] ، وهو دير يمكن تأريخ عمارته حاليا أو ما تبقى من عمارته الأولى إلى ما قبل العصر الفاطمى ، رغم أن معظم عمارة كنيسته الباقية تحمل الخصائص المعمارية للعمارة فى العصر الفاطمى . يُطلق على هذا الدير أيضا ، دير الثلاثة آلاف وستمائة شهيد [٢١] ، إذ أنه إرتبط بتاريخ الشهداء فى إسنا .

يحمل هذا الدير اسم القديس آمونيوس ، الذى وردت ترجمته فى السنكسار القبطى ، ضمن حوادث (١٤ كيهك) ، وهو اليوم الذى أستشهد فيه . ويستفاد من هذه الترجمة ، أنه كان أسقفا على مدينة إسنا ، فى نهاية القرن الثالث الميلادى ، فقد رسمه البطريرك بطرس (خاتم الشهداء) ، أسقفا ، لحسن سيرته ونُسكه ، ولكن نظرا إلى الوحدة ، بنى لنفسه ديرا على حافة الجبل ، بجوار عين ماء ، وعمل له مغارة ، يقيم فيها كل الأسبوع ، وينزل كل يوم السبت إلى الكنيسة ، والأرجح أنه بنى مغارة أو دخل فى مغارة ليتعبد فيها ، ذلك أن بناء الأديرة ، أمر صعب فى نهاية القرن الثالث الميلادى .

على أى حال إقترن اسم هذا القديس باسم الحاكم الرومانى فى مصر «إيليوس ٢٩٩ - ٣٠٣م» والذى شق طريقه إلى الصعيد ، ليبحث عن المسيحيين ، فى ذلك الوقت ، ليرتدوا إلى الوثنية ، أو يقتلهم ، حسب تعليمات الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) ، وحين علم آمونيوس بمقدمه ووصوله إلى إسنا ، أسرع إلى المدينة ، وجمع من الناس من اعتنق الدين المسيحى ، وشرح لهم ما سيلاقونه من اضطهاد ، وتعذيب على يد هذا الوالى ، يصل إلى حد القتل ، إلا أنه تمكن من القبض عليه واقتاده معه إلى أسوان ، مقيدا خلف الخيل ، كما يورد السنكسار القبطى ، وفى طريق عودته من أسوان إلى النيل ، وضعه فى مؤخرة

المركب ، وكان يطلب منه من وقت لآخر القيام بعمل البخور للآلهة ، وكان يرفض دائما ، وفى نهاية المطاف أمر بحرقة [٢٢] .

ويذكر السنكسار أنه بعد ذلك ، وبعد إنتهاء زمن الاضطهاد الدينى ، نُقل جسده إلى ديره ، وإن كان قد ورد فى بعض المراجع أنه دفن فى أنصنا ، هذا وقد ذكر الرحالة «Pocecke» أن تسمية هذا الدير بالشهداء ، إنما ترجع إلى وجوده فى مكان ، يحيطه جبانة شاسعة ، هى جبانة الشهداء ، التى لا تزال قائمة إلى اليوم [٢٣] .

ويقع هذا الدير حاليا على مسافة خمسة كيلو مترات ، إلى الجنوب الغربى من إسنا بقليل فى قرية قديمة تُعرف باسم القرايا [٢٤] . كما أشار بعض الرحالة إلى عمارته فى فترات مختلفة مثل نوردن (Norden) [٢٥] وPocecke وفلاديمير دى بوك : (Waldimir de Bock) وان جاءت هذه الإشارات موجزة ، إلا أنها تعد هامة لمتابعة بعض التغييرات المعمارية التى حدثت بالدير .

وتعتبر الدراسة التى أجراها سومرز كلارك ، على كنيسة الدير ، من أفضل الدراسات الأثرية المعمارية حتى الآن [٢٨] .

الباب الخامس

التخطيط المعمارى لكنائس أديرة نقادة ونجع حمادى والأقصر

الفصل الأول : كنائس أديرة نقادة

الفصل الثانى : كنائس أديرة نجع حمادى والأقصر

يشمل هذا الباب التخطيط المعمارى لكنائس الأديرة التى تبقت من وحدات الدير المتعددة وذلك فى كل من منطقة نقادة ومنطقة الأقصر ونجع حمادى . والواقع أن كنيسة مصر العليا عامة قد تميزت ببعض الخصائص المعمارية المميزة ، لذلك فإننا نشير فى مقدمة هذا الباب إلى أنواع الكنائس بمصر العليا ، حتى يتضح تخطيط كنيسة محافظة قنا ، على ضوء تخطيط الكنيسة فى صعيد مصر عامة .

لقد قسم «سومرز كلارك» ، كنيسة مصر العليا إلى ثلاثة أنواع ، الأول ، اعتبرة تخطيطا بازيليكيا حقيقيا ، والذى يتكون من الصحن والجناحين : (الأروقة الرأسية الثلاثة) ، حيث تنتهى الكنيسة فى الناحية الشرقية ، بثلاثة هياكل ، على شكل حنية رئيسية مجوفة ، يحيطها حجرتان ، ويعلو الجناحين ممران ويغطى كل هذه الأجزاء أقبية طولية [١] ، وقد ذكر عدة أمثلة من هذا التخطيط ، بكنائس منطقة سرة ببلاد النوبة وأدندان وجبل عدة وقصر إبريم ، وكنيسة دير القديس سمعان بأسوان ، (أنظر شكل ٦) مع وجود البلاطة المرتدة (Retutn aisle) ، وهى التى تشكل دهليز المدخل فى الكنيسة ، وتبدو أهميتها فى الطابق الثانى للكنيسة حيث تعتبر بمثابة الوصل بين الدهليز الشمالى العلوى والآخر الجنوبى ، وتظهر أقدم الأمثلة لهذا الدهليز فى كنيستى شمس الدين والشيخ عبادة من القرن الرابع الميلادى [٢] . ورغم أن هذه البلاطة المستعرضة لا توجد فى كنائس القرن الرابع الميلادى ، إلا أن بعض العلماء ، يرى أن وجود هذا العنصر المعمارى فى جسم الكنيسة ، ربما كان من تأثير عمارة شمال افريقيا على العمارة القبطية ، وأنها ظهرت فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، ثم أعيد استخدام البلاطة المرتدة فى القرنين السابع والثامن الميلاديين [٣] .

على أن كنائس مصر العليا تميزت بصفة خاصة عن الكنائس المصرية الأخرى ، بوجود عدة أعمدة تتقدم هيكل الكنيسة الرئيسى ، اعتبارا من القرن السادس الميلادى ، كما فى الكنيسة الصغيرة التى تتقدم البوابة الشرقية لمعبد مدينة هابو ، وأيضا فى كنيسة الفراز ، حيث يوجد زوج من الأعمدة مدموج ، مع نهايتى الحجاب الأوسط . وقد اعتبر «جروسمان» هذه الظاهرة المعمارية ، من مميزات العمارة القبطية فى مصر ، والتى ظهرت فى البداية فى بازيليكا النوبة ، ثم انتشرت بعد ذلك فى كنائس مصر العليا [٤] .

أما النوع الثانى من تخطيط كنيسة مصر العليا ، فإنه لا يختلف فى جوهره عن النوع الأول ، وإنما يميزه تغطية أقسام الأروقة الداخلية فى الكنيسة بقبة واحدة رئيسية أو قباب متجاورة ، مما يشكل تطورا ، طرأ على عمارة النوع الأول ، كما كان فى الكنائس المندثرة فى منطقة النوبة .

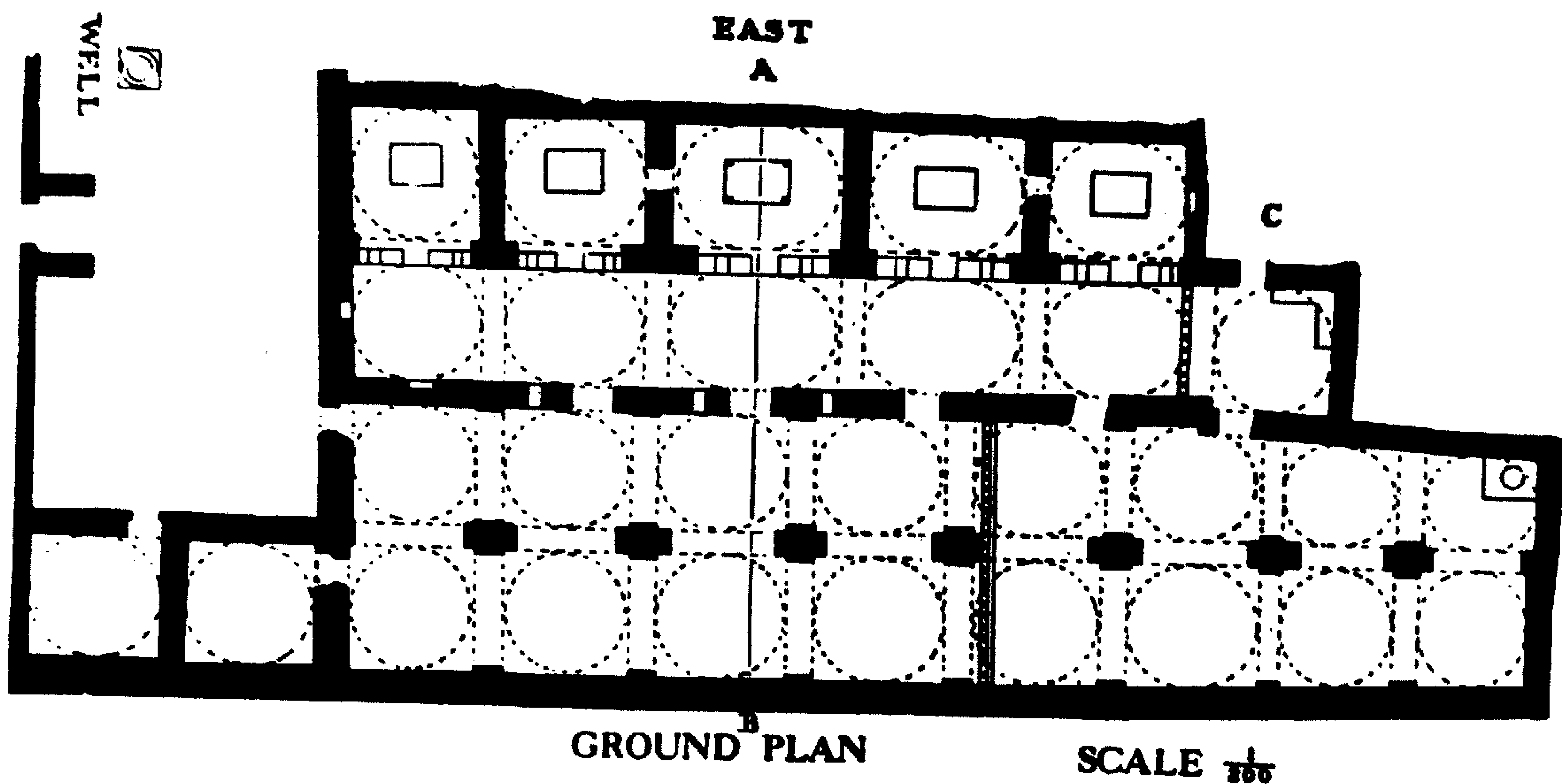
والنوع الثالث والأخير ، فيمثل تطورا أكثر من النوعين السابقين ، إذ أصبح يغطى كل مساحة أجزاء الكنيسة الداخلية ، سلسلة من القباب المتجاورة مثل كنيسة القديس سمعان بأسوان وكنيسة دير مارجرجس بإخميم ونجع الدير بجرجا وتيودور بمدينة هابو والمدامود (أنظر الأشكال : ٣٢ ، ٣٣) .

والواقع أن الأنواع الثلاثة والتى أوردها سومرز كلارك فى تخطيطه لكنيسة مصر العليا يوجد فى كنائس محافظة قنا ، رغم أننا نختلف معه فيما أورده من أسباب هذ التنوع ، فالنوع الأول الذى يتمثل فيه وسيلة التغطية بقبة مركزية ، تغطى المساحة الرئيسية من الرواق الأوسط ، ويحيط بهذه القبة المرتفعة ، مجموعة من القباب أقل حجما وارتفاعا من القبة الرئيسية ، يوجد فى كنيسة دير الفاخورى بأصفون (شكل ٤٩) وكنيسة دير مار بقطر بقامولا (شكل ٤٤) وكنيسة يوحنا ضمن كنائس دير المجمع (شكل ٤٠) ، بحيث يبدو مسقط القباب من أعلى على شكل أضلاع الصليب ، رغم أنه لم يعثر فى مصر حتى الآن على كنيسة تخطيطها أو مسقطها الأفقى على شكل الصليب [٥] باستثناء كنيسة أركاديوس بمريوط والتى يقترب تخطيطها إلى حد ما من شكل الصليب [٦] ، والمعروف فى تخطيط عمائر الكنسية البيزنطية [٧] .

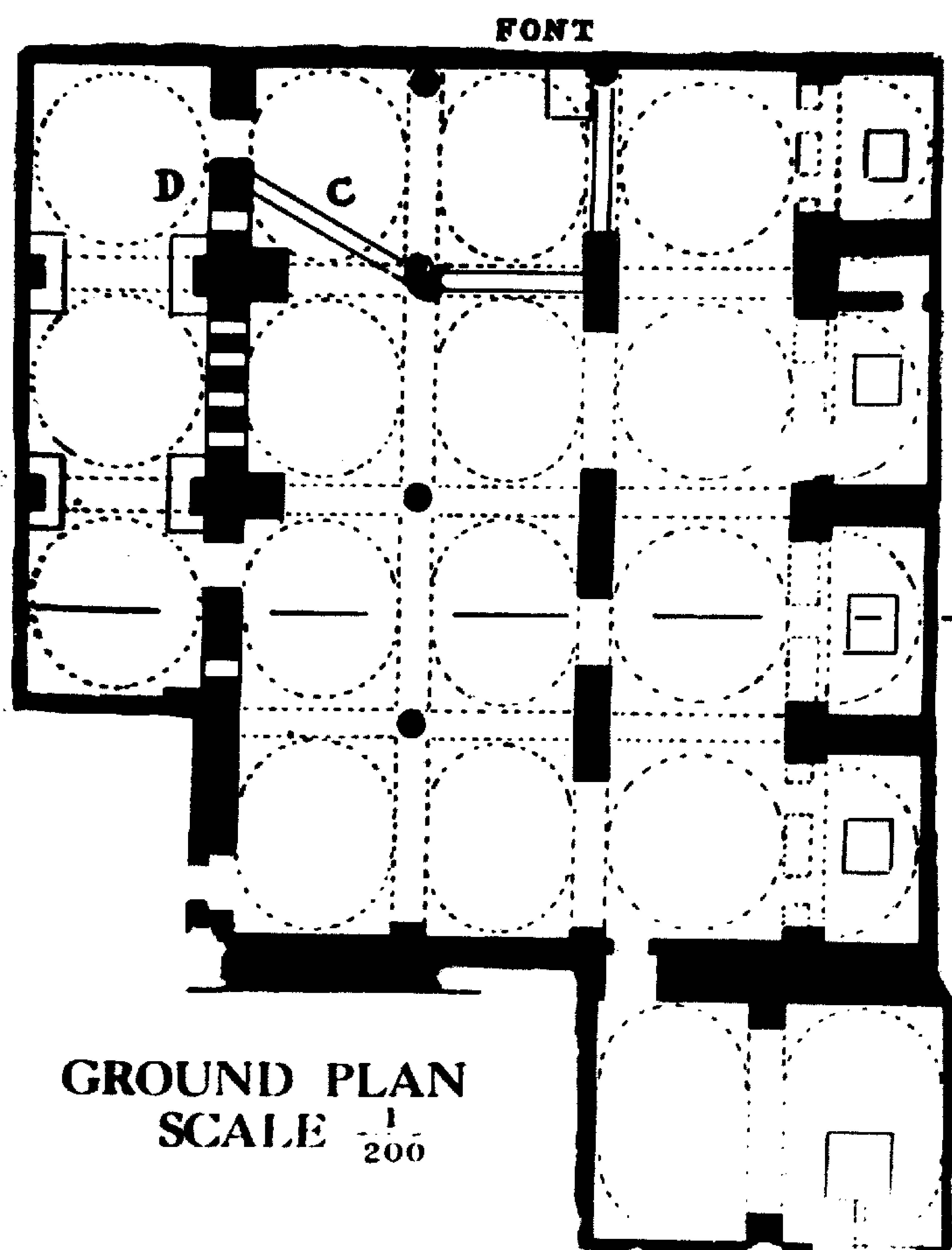
على أن كنيسة القديس سمعان بأسوان ، يتميز رواقها الأوسط بوجود قبتين كبيرتين متجاورتين . ويحيط بالقبة الرئيسية قباب صغيرة فى أركانها ، ويعتقد مونريه دى فيلارد ، أن هذا الأسلوب المكون من القباب الرئيسية ، المحاطة فى زواياها الأربع بقباب صغيرة ، مشتق أساسا من العمائر اليونانية القديمة ، وفى نفس الوقت ، يمثل طرازا دوليا ، فى بلاد ما بين النهرين ، اذ وجد فى كنيسة : Amida بديار بكر وانتشر فى ايطاليا ، مثل كنيسة «Santa Fosca» ، ووجد فى مصر فى كنيسة سمعان والتى تؤرخ بعام (٩٩١م) [٨] . كما أن كنيسة دير الشهداء بإسنا يقترب تخطيطها إلى هذا النوع ، والذى سبق وجوده فى كنائس النوبة (كنيسة المدينة وسد جينيا والجندل والشيخ عبد القادر وكنائس منطقة سرة» [٩] .

أما النوع الثانى وهو الكنائس التى تغطيها ، سلسلة من القباب المتجاورة ، فإنه يُعد أكثر الأنواع انتشارا فى كنائس مصر العليا ، إذ يغطى مساحة الأروقة المختلفة وهياكلها ، قباب متجاورة ومتشابهة ، حتى وإن كانت القباب غير منتظمة الشكل ، كما فى كنيسة دير الملاك ميخائيل (شكل ٤٥ واللوحة ٤٣) ، وكنائس أديرة القديس بيسنتاؤس والصليب والملاك ميخائيل بشمال نقادة ، ويبدو فيها البائكات تقسم ، مساحة الكنيسة الداخلية إلى مساحات صغيرة مربعة الشكل ، يغطيها قباب متجاورة . هذا وقد إعتبر «جاييه» مثل هذه الظاهرة المعمارية فى أسلوب التغطية ، مشتق من أنواع العمائر البدائية ذات القباب المتعددة ، والتى دخلت على عمارة الكنيسة المصرية فى العصر الإسلامى [١٠] ، بينما أرجع السبب فى ذلك سومرز كلارك إلى كثرة ما كانت تتعرض له الكنيسة من حرق وتدمير ، حيث كان يسهل حرق سقوفها الخشبية [١١] ، واعتبر أيضا مرحلة الانتقال بين استخدام السقوف المسطحة وظهور القباب المتجاورة ، قد ظهرت فى كنيستى أبى حنس والدير الأبيض بسوهاج [١٢] ، واعتمد فى ذلك الرأى على ما أورده المؤرخ أبو صالح الأرمنى من استبدال السقوف الخشبية بالسقوف المقببة والأقبية .

والواقع أننا لا نتفق مع الرأى الذى ساقه سومرز كلارك بشأن تدمير الكنائس وحرقها بواسطة حرق سقوفها الخشبية ، ذلك أنه من المعروف أن مصر فقيرة فى انتاج الأخشاب الجيدة لاسيما التى تغطى السقوف حيث كانت هذه السقوف الخشبية تزخرف إما بالحفر أو بالرسم وهو الأمر الذى يتطلب أجود أنواع



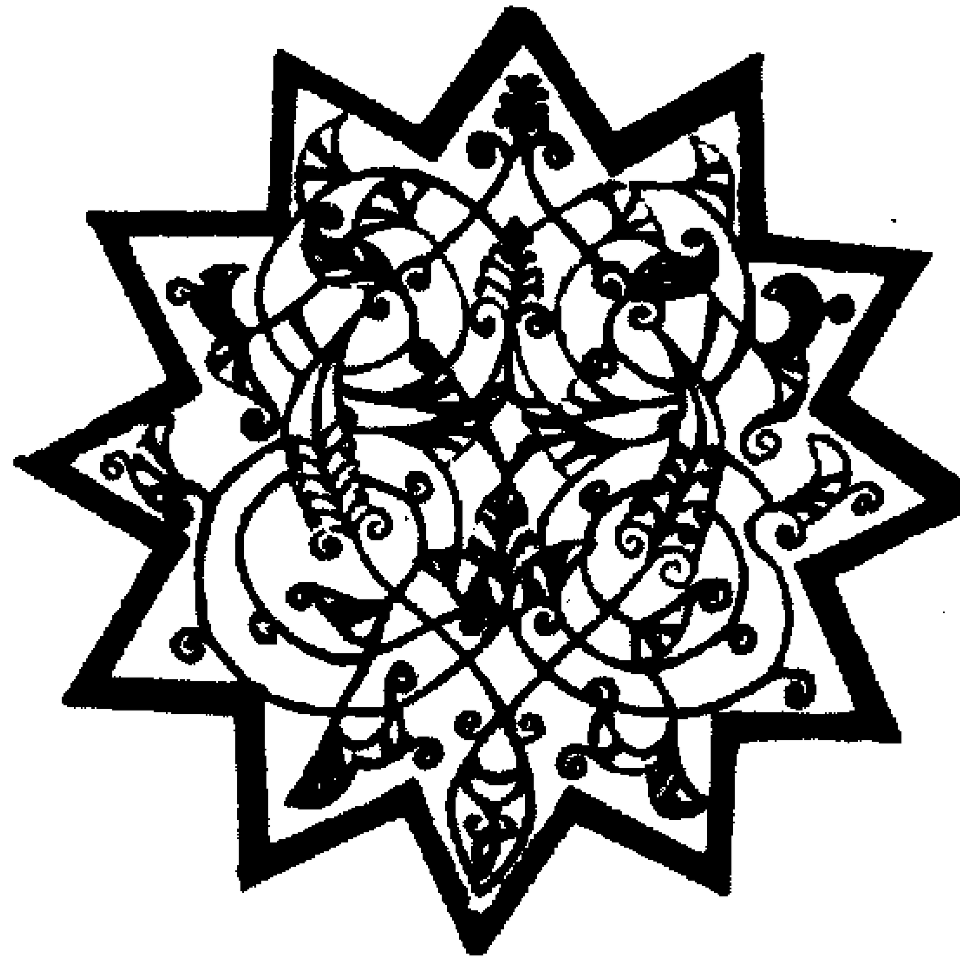
شكل (٣٢)
المسقط الأفقى لكنيسة المداموود . (نقلا عن سومرز كلارك)



شكل (٣٣)
المسقط الأفقى لكنيسة يتودور بمدينة هابو . (نقلا عن سومرز كلارك)

مواد الأخشاب ، وأيضا لوجود هذه الكنائس فى مصر العليا فى الصحراء حيث الحرارة الشديدة والتى يُخفف من حدتها استخدام الآجر والطوب اللبن فى عمل القباب والأقبية ، كما أن وجود حشرة النمل الأبيض والتى لا تزال موجودة ، ومعروف عنها إلتهام الأخشاب بدرجة سريعة تكثر فى مصر العليا ، لاسيما فى كثير من بلاد محافظة قنا ، وأيضا من المعروف أن الفنان القبطى أقبل على زخرفة بواطن القباب بالكنائس بزخارف الفرسكو ، حيث يكون التركيز على الطابع الجمالى للكنيسة المصرية من الداخل وليس من الخارج ، وهو الأمر الذى لا يتوافر لها إذا كانت التغطية بسقوف خشبية مسطحة ، وأخيرا فإن الأدلة التى اعتمد عليها كلارك واقتبسها من المؤرخ أبو صالح كانت لكنائس فى منطقتى القاهرة والجيزة وليست فى مصر العليا . لذلك فإن تغطية جسم الكنيسة بالسقوف المقببة واستخدام الأقبية ، إنما هو أمر فرضته ظروف البيئة نفسها ، حتى أن كثيرا من منازل ريف مصر العليا لا تزال تغطيها القباب والأقبية ، سواء كانت من الآجر أو من الطوب اللبن .

ونتناول فى الفصل الأول من هذا الباب كنائس أديرة نقادة ، ورغم أنه أُعيد مؤخرا تجديد عمارتها ، إلا أن هذه العمارة قد جاءت فى بعض الأحيان على غرار التخطيط المعمارى الأصلى ، بالإضافة إلى وجود بعض الشواهد المعمارية والزخرفية فيها من عمارتها الأولى .



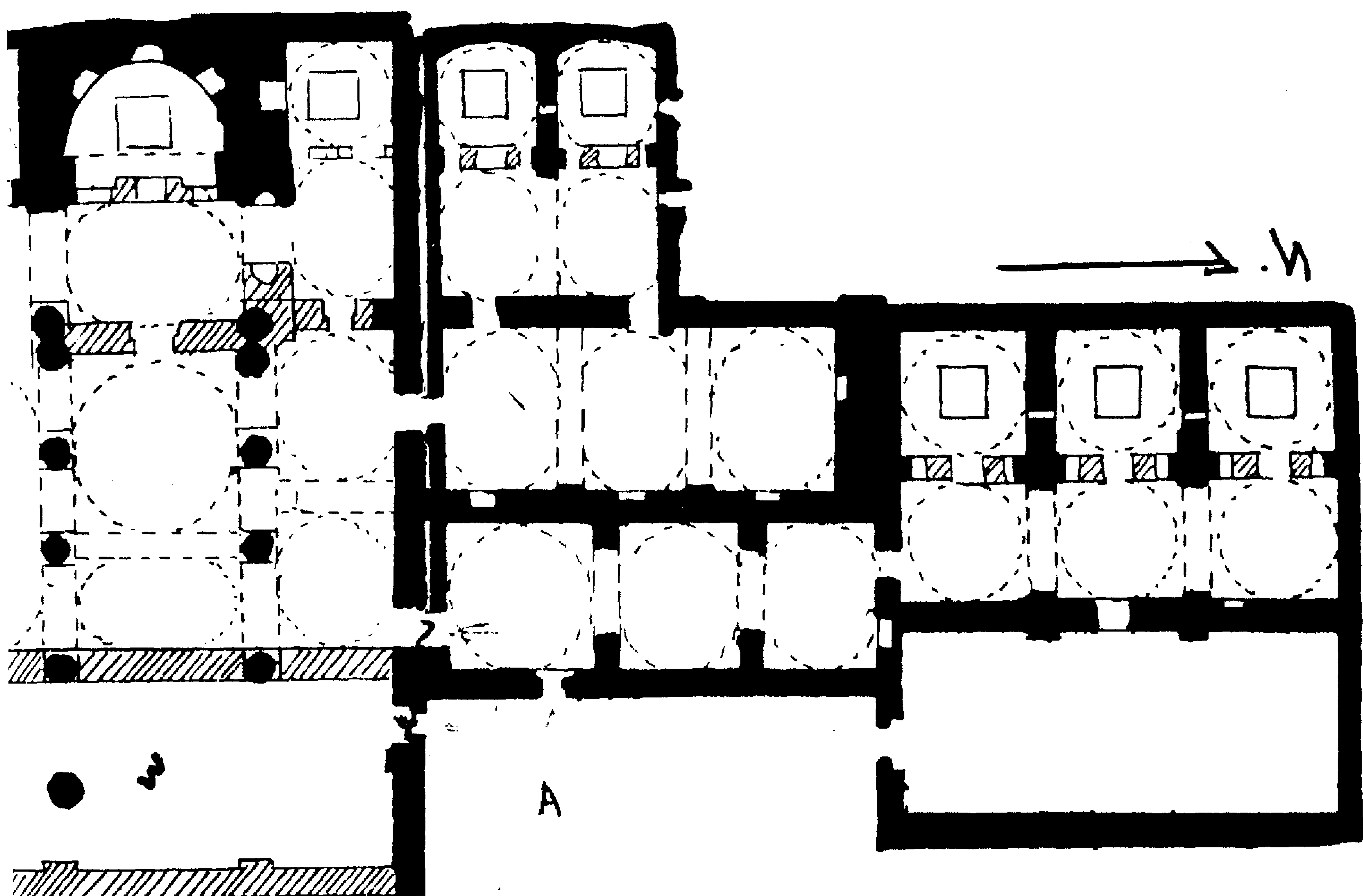
الفصل الأول
كنائس أديرة نقادة

أولا : كنائس دير الصليب :

لاشك أن التخطيطات المعمارية القيمة التى نشرها كلارك ، عن كنائس هذا الدير القديمة ، عام (١٩٠٣) ، تُعد حاليا هى المصدر الوحيد ، الذى يمكن الإعتماد علية ، فى معرفة ما كانت عليه هذه الكنائس والتى اندثرت حاليا (شكل ٣٤) .

إمتاز هذا الدير بوجود ثلاث كنائس على صف واحد فى الناحية الشرقية من سوره القديم ، أهمها الكنيسة الجنوبية [(١)] ، والتى بنى عليها كلارك ، نظريته المعمارية عن مرحلة الإنتقال من السقوف المسطحة إلى المقببة والمقبية ، فى كنائس مصر العليا ، والتى ناقشناها ، فى مقدمة هذا الباب .

والواضح من تخطيط سومرز كلارك لهذه الكنيسة الجنوبية ، أنها مستطيلة الشكل (٦٠ر١٨م × ٤٠ر١١م) ، مُقسمة إلى ثلاثة أروقة رأسية ، الأوسط أكثرها إتساعا ، وتنتهى فى الناحية الشرقية بثلاثة هياكل ، أهمها الهيكل الأوسط ، الذى إتسم ببعض المميزات المعمارية ، هذا فضلا عن ذكره لمشاهدته لبقايا بعض



شكل (٣٤)
كنائس دير الصليب القديمة . (نقلا عن سومرز كلارك)

الزخارف المرسومة بأسلوب الفرسكو ، على ما تبقى من جدران الكنيسة وقت زيارته لها ، هذا وقد ذكر أيضا أن تغطيه الهيكل الرئيسى للكنيسة كان بواسطة قبة ، ويتقدمه حجاب أصلى من نوع أحجبة مصر العليا والذى ينتهى طرفاه ، بمدخلين يحصران بينهما طاقا معقودا ، شبيه بحجاب هيكل كنيسة دير الشهداء ، بينما كان يغطى الهيكل الجنوبى قبو والشمالى قبة .

يقسم أروقة هذه الكنيسة صفان من البائكات إلى ثلاثة هياكل ، بكل صف مجموعة من الأعمدة الحجرية ، حيث يقوم فوقها عقود حجرية ، نصف دائرية الشكل تحمل قباب الكنيسة . ويتضح من التخطيط المعمارى وجود قبة رئيسية وسطى ، بينما يغطى باقى الأجزاء قباب غير منتظمة الشكل ، بإستثناء الرواق الجنوبى والذى كان يغطيه قبوا طوليا ، وان كان يرجح سوموز كلارك أن هذه التغطية الأخيرة حدثت مؤخرا ، إذ أن التغطية الأصلية ، كانت بقباب مماثلة لما فى الرواق الشمالى .

أما الكنيسة الثانية وهى الوسطى ، فإن الوصول لها يتم بواسطة مدخل يتوسط ضلعها الغربى تقريبا ، كما يوجد بها مدخل آخر مشترك مع الكنيسة السابقة ، وذكر كلارك أن قباب هذه الكنيسة الأصلية ، كانت على وشك الانهيار وقت زيارته لها فى عام (١٩٠٣م) . أما الكنيسة الثالثة ، فكانت تتكون فى الأصل من ثلاثة أجزاء رئيسية ، أولا المساحة الغربية ، عبارة عن ردهة مستطيلة الشكل يقسمها عقدان إلى ثلاثة أقسام مربعة ، يغطى كل منها قبة ، وكانت هذه القباب متهدمة وقت زيارته ، والمساحة الوسطى مماثلة لها والقسم الشرقى الذى يوجد به الهياكل الثلاثة .

والواقع أن الكنائس السابقة والتي أمدنا بتخطيطها ، ووصفها المعمارى المهندس سومرز كلارك قد اندثرت تماما الآن ، وبنى على أنقاضها كنائس جديدة ، مازال واضحا بها آثار من الكنائس الأولى ، لذلك فإننا نتناولها بالوصف المعمارى الموجز .

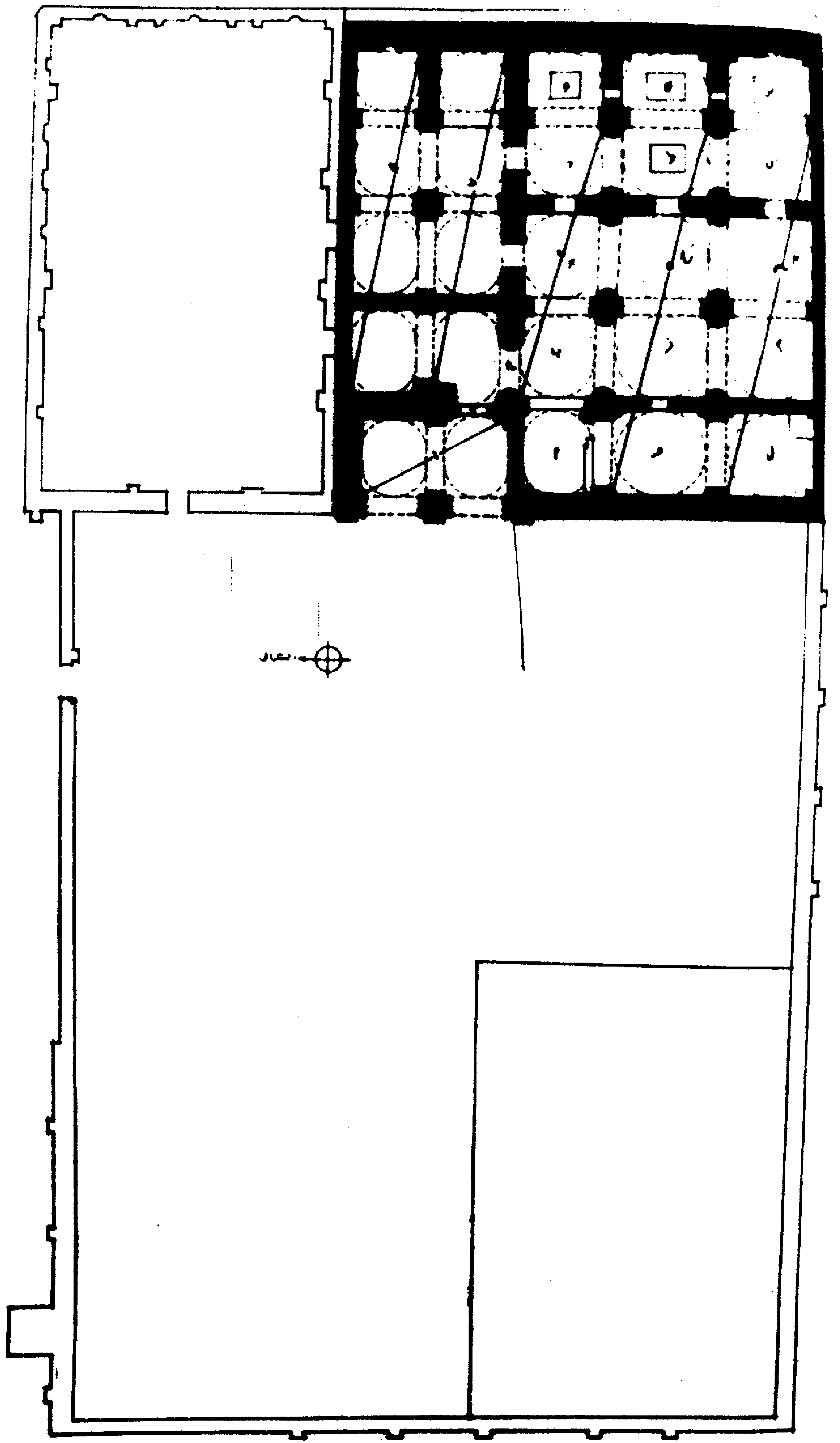
كنائس الدير الحالية (شكل ٣٥)

يضم كنائس الدير حاليا سور متهدم من الطوب اللبن ، بنى فى فترة متأخرة ربما فى عام ١٩٢٧ إذ أن هذا التاريخ ، هو تاريخ بناء الكنائس الجديدة ، على شكل مستطيل مساحته (٥٥م × ٢٠ر٢٧م) ، وبهذا السور المدخل الوحيد المؤدى للدير وسط الضلع الشمالى ، عبر مدخل صغير معقود بعقد نصف دائرى الشكل ، ويتوسط مساحة السور من الداخل بئر الدير القديم (لوحة ٣٢) ، المبنى من الآجر حيث تبعد الكنائس الحالية عنه بحوالى (١٣م) ، كما يوجد فى الناحية الجنوبية الغربية من سور الدير كنيسة قديمة أعيد تجديدها تماما وتعرف بكنيسة أبى شنودة .

الكنيسة الجنوبية الرئيسية ، تبلغ مساحتها حاليا (٧٥ر١٩م × ٨٥ر١١م) ، بنيت من قوالب صغيرة الحجم من الآجر ، يقسمها بائكتان متماثلتان ، بكل صف أربع دعائم ضخمة صليبية الشكل ، دمج فى كل منها فى الناحيتين الشرقية والغربية ، عمود من الأعمدة القديمة ، التى كانت مستخدمة فى بناء الكنيسة الأولى ، ويقوم فوق هذه البائكات ، عقود مدببة ونصف دائرية الشكل واسعة ممتدة تحمل قباب الكنيسة ، التى يبلغ عددها خمس عشرة قبة .

ويلاحظ حدوث تعديل عن التخطيط الأصلى ، بواجهة الكنيسة حاليا ، إذ أن المدخل الأصلى الذى ورد بتخطيطه ، كان يقع فى النهاية الغربية من جدارها الشمالى ، وقد تمثل هذا التغير فى بناء دهليز مدخل (٧٥ر٥م × ٢٥ر٣) ، يتقدم الكنيسة الثانية الشمالية ، ويفتح على بناء الكنيسة بواسطة عقدين من شكل مدبب ممتد ، يشبه إلى حد كبير دهليز المدخل ، الذى يتقدم كنيسة المعلقة بمنطقة مصر القديمة ، ويُقسم هذا الدهليز عقد نصف دائرى إلى مربعين ، يغطى كل مربع قبة ضحلة ، ارتفاعها (٣٠ر٥م) ، وبذلك يتم الوصول إلى هذه الكنيسة الجنوبية (الأصلية) .

الكنيسة [٣] كما تقدم ، يغطيها خمس عشرة قبة ، استخدم فى مناطق انتقالها المثلثات الكروية ، وفتح فى سمت كل منها فتحة صغيرة للإضاءة والتهوية ، يحيط بها



شكل (٣٥)
كنائس دير الصليب الحالية بنقادة . (عمل الباحث)

فتحات صغيرة للإضاءة والتهوية أيضا ، تشبه إلى حد كبير القباب التى بنيت فى العمائر العثمانية فى مصر ، كما تشبه أيضا قباب كنيستى الأمير تادرس المشرق وكنيسة السيدة العذراء المعروفة بكنيسة قصرية الريحان ضمن كنائس منطقة مصر القديمة .

أما الكنيسة الثانية ، فقد تبقى بها حاليا رواقان فقط ، وهى الكنيسة التى يتقدمها فى الناحية الغربية دهليز المدخل السابق الاشارة إليه ، يفصل الرواقين بائكة من أربع دعائم صليبية الشكل ، يقوم فوقها عقود مدببة ممتدة ، وفى الوقت نفسه تقسم مساحة الرواقين بالاشتراك مع جدران الكنيسة إلى مساحات صغيرة مربعة الشكل ، يغطى كل منها قبة ، مماثلة لقباب الكنيسة الرئيسية السابقة .

على أنه يلاحظ وجود العقود القديمة ، بالجدار الشمالى لهذه الكنيسة ، إلا أنها مصمتة حاليا ، كما يظهر على نفس هذا الجدار بقايا من طبقات الملاط القديم .

على أن الكنيسة القديمة الثالثة ، والتى كانت قائمة فى الناحية الشمالية ، اندثرت الآن تماما ، ولم يبق منها سوى مساحتها الخالية من أى مبانى .

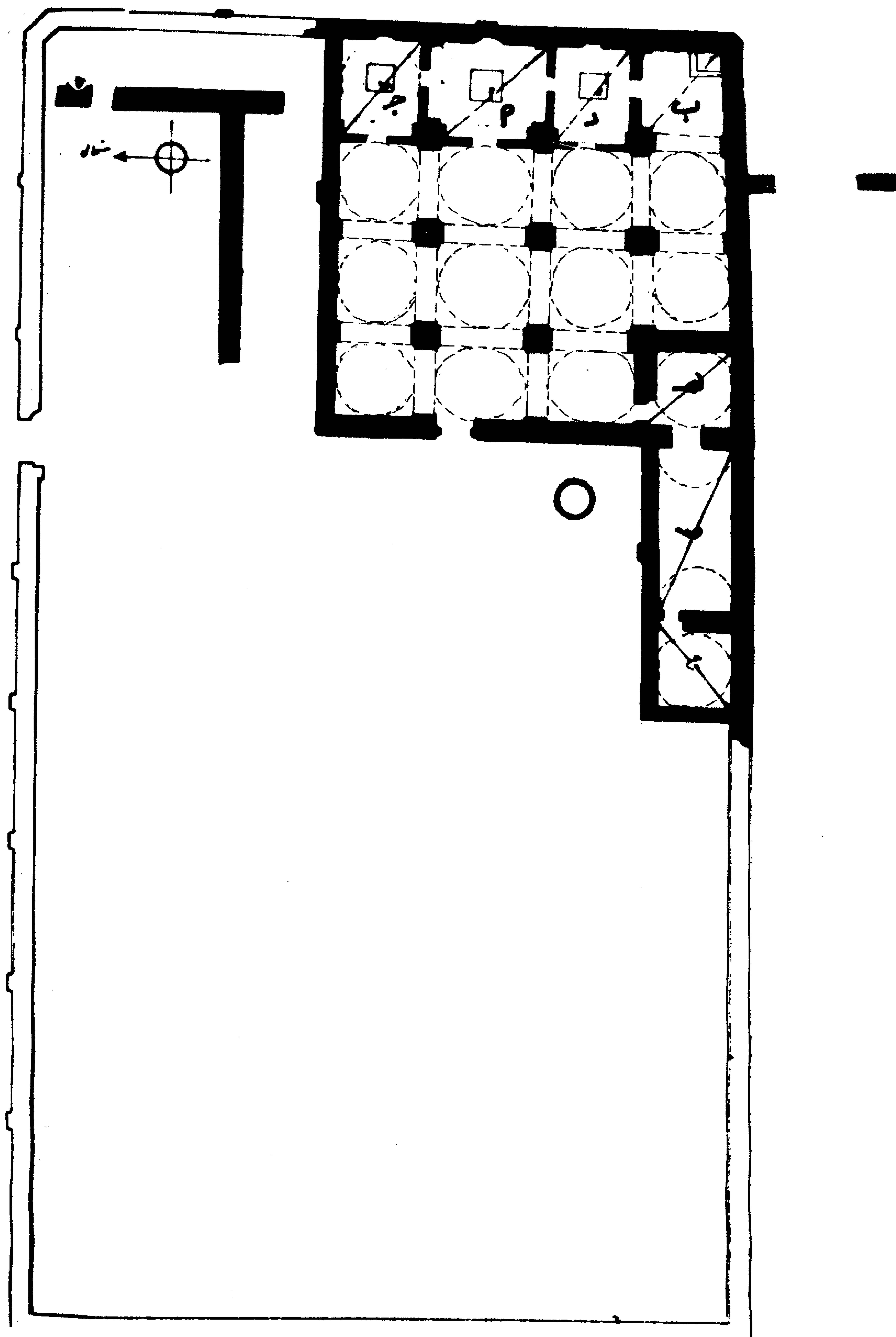
ثانيا : كنيسة القديس أندراس الملقب بأبى الليف : (شكل ٣٦)

تقع هذه الكنيسة ، بالقرب من كنائس دير الصليب السابقة ، على مسافة حوالى مائة متر إلى الشرق من هذه الكنائس . يضم مبانى الدير القائمة حاليا ، سور قديم من الطوب اللبن ، متهدم وطوله (٣٠ر٤٧م) وعرضه (٣٠ر٢٥م) ، مدعم من الخارج بأكتاف مستطيلة الشكل من الطوب اللبن أيضا ، وتشمل هذه الأبنية ، كنيسة مجددة فى الناحية الشرقية ، وبقايا أخرى أعيد تجديدها إلى الجنوب الغربى منها وبئر الدير القديم ، وقد استطعت من خلال الدراسة الميدانية بالدير ، تحديد بقايا لعقد كبير ممتد ، يقع خارج سور الدير الحالى فى الزاوية الجنوبية الشرقية (اللوحة ٣٣) ، متداخل مع بعض المنازل الحديثة ، والتى زحفت حاليا على مساحة الدير ، بالإضافة إلى تحديد بعض الجدران فى الناحية الشمالية مباشرة من كنيسة الدير .

الكنيسة : فحص العالم الفرنسى «جاييه Gayet» ، كنيسة هذا الدير فى عام ١٩٠٠م دون أن يرسم لها تخطيطا ، ونسب عمارتها إلى القرن السابع أو الثامن الميلادى [٤] ، إلا أنه أعيد مؤخرا تجديد عمارة هذه الكنيسة [٥] ، بحيث لم تخرج على الأرجح فى شكلها العام عن عمارة الكنائس فى محافظة قنا ، فهى وثيقة الشبه إلى حد كبير مع الكنيسة الجنوبية لدير الصليب ، وكنيسة دير القديس بيسنتاؤس وكنيسة الأمير تادرس المشرقى فى منطقة مصر القديمة والتى ترجع عمارتها إلى طراز الأبنية فى العصر العثمانى . تخطيط الكنيسة مربع الشكل (١٤٫٩٠م) ، تقع واجهتها فى الناحية الغربية ، (اللوحة ٣٤) ، يتوسطها المدخل الوحيد ، حيث يعلوه عتب خشبى ، متوج بعقد ثلاثى الفصوص ، فى وسطه صليب ، كما يتخلل جدار الواجهة من أعلى فتحات نوافذ صغيرة مستطيلة الشكل .

الكنيسة من الداخل ، مقسمة إلى أربعة أروقة رأسية ، بواسطة ثلاثة صفوف من البائكات تتكون كل منها من ثلاث دعائم صليبية الشكل ، يقوم عليها عقود الكنيسة المدببة ، وتقسم هذه العقود مساحة أروقة الكنيسة إلى مساحات مربعة ، يغطى كل منها قبة (عددها ست عشرة قبة) متماثلة ، فى سمت كل منها فتحة صغيرة ، محاطة بأربع فتخات صغيرة ، وفى النهاية الشرقية ، يوجد أربعة هياكل ، الأوسط الرئيسى (أ) ، يتوسط جداره الشرقى حنية معقودة بعقد نصف دائرى ، يعلوها نافذتان ، على شكل فتحات السهام ، ويتوسطه مذبح من الآجر ، مربع الشكل (١٫٥م) وارتفاعه (٩٧سم) وقد حُجب هذا الهيكل عن الهيكلين الجانبين بواسطة جدار مرتفع (٢٫٧م) ، ويتوسطه جداريه الشمالى والجنوبى مدخلان

أما الهيكل الجنوبى (ب) ، فيميزه وجود معمودية حديثة ، شغلت الزاوية الجنوبية الشرقية ، عبارة عن إناء من الفخار يتوسط بناء مربع الشكل بارتفاع (١٫٧٥م) ، وقد تهدم حجاب هذا الهيكل ، ولم يبق منه سوى جدار قصير بارتفاع (٥٠سم) ، كذلك فإن الهيكل الشمالى (جـ) يتوسطه مذبح من الآجر مربع الشكل (٩٥سم) وارتفاعه (١٫٣٠م) ، وبالجدار الشمالى فتحة من أعلى لإدخال الضوء والهواء على شكل فتحة السهام ، ويتقدم هذا الهيكل ، جدار بإرتفاع (١٫٨٥م) يتوسطه فتحة مدخل . أما الهيكل (د) فيقع بين الهيكلين الشمالى والأوسط ، وهو مماثل تماما للهيكل الجنوبى (ب) فيما عدا وجود المعمودية .



شكل (٣٦)
المسقط الأفقى لدير القديس أندراس الملقب بأبى الليف . (عمل الباحث)

ويلاحظ أن الهياكل جميعها ، قد فصلت عن بعضها بواسطة جدران قصيرة ، بوسطها مداخل يتوجها عقود نصف دائرية كذلك تبدو المساحة التى تقع فى نهاية الرواق الجنوبى محجوبة بالنسبة للكنيسة باستثناء فتحة مدخل تقع فى نهاية الضلع الشمالى من الناحية الغربية لهذه المساحة (هـ) ، ومن هذه المساحة يتم الدخول إلى وحدة معمارية مستطيلة الشكل ، على امتداد نفس الرواق ، حيث يبدو على هذه الوحدة (و) مظاهر القدم ، وهى عبارة عن حجرة كبيرة مستطيلة الشكل (٨٦ر٥م × ٧٠ر٢م) ، مغطاه بقبو طولى متصدع ، به عدة فتحات مصفوفة فى ثلاثة صفوف ، ويوجد بجدارها الغربى فتحات (تجويفات) مستطيلة الشكل ، وملحق بها حجرة مربعة الشكل فى النهاية الغربية ، يغطيها قبة ضحلة من الآجر متصدعة ، كما أنه يقع إلى الغرب من الحجرة السابقة بقايا من عقدين كبيرين على شكل مدبب .

والواقع أنه توجد بقايا معمارية أخرى من عمارة الدير فى الناحية الشمالية مباشرة من الكنيسة حيث يظهر على سطح الأرض جدران بنيت من الآجر ، وتمتد خارج سور الدير الحالى فى الامتداد الشمالى ، بينما يبدو لها امتداد فى الناحية الجنوبية أيضا ، أسفل جدران الكنيسة ، لعلها كانت تمثل جزءا هاما من عمائر الدير القديم فى العصر الفاطمى . كما يبدو أيضا من خارج سور الدير الحالى ، فى الناحية الجنوبية الشرقية وجود كتفين صغيرين ناتئين ، فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، كان يرتكز عليهما فى الأصل عقد قديم ، مما يدل على وجود إمتداد لأبنية الدير ، خارج سوره الحالى ، خاصة فى الناحية الجنوبية التى يوجد بها بعض المساكن ، التى تتاخم الدير حاليا فى هذه الناحية .

ثالثا : كنيسة دير القديس بيسنتاؤس (شكل ٣٧)

تعتبر كنيسة هذا الدير ، هى الأثر الوحيد الباقى حاليا من آثار عمارة الدير القديم (لوحة ٣٥) ، بالإضافة إلى بئر الدير القديم ، ورغم أن هذه الكنيسة ، قد أعيد تجديد عمارتها مؤخرا ، فإنها جاءت تماما على غرار أبنية الكنائس فى محافظة قنا ، كما أنها وثيقة الشبه بكنيسة دير الملاك ميخائيل بقامولا . يحيط بالكنيسة مجموعة متهدمة من الأسوار ، ويقع المدخل المؤدى إلى الدير فى الناحية الغربية من ضلع السور الشمالى المتهدم حاليا .

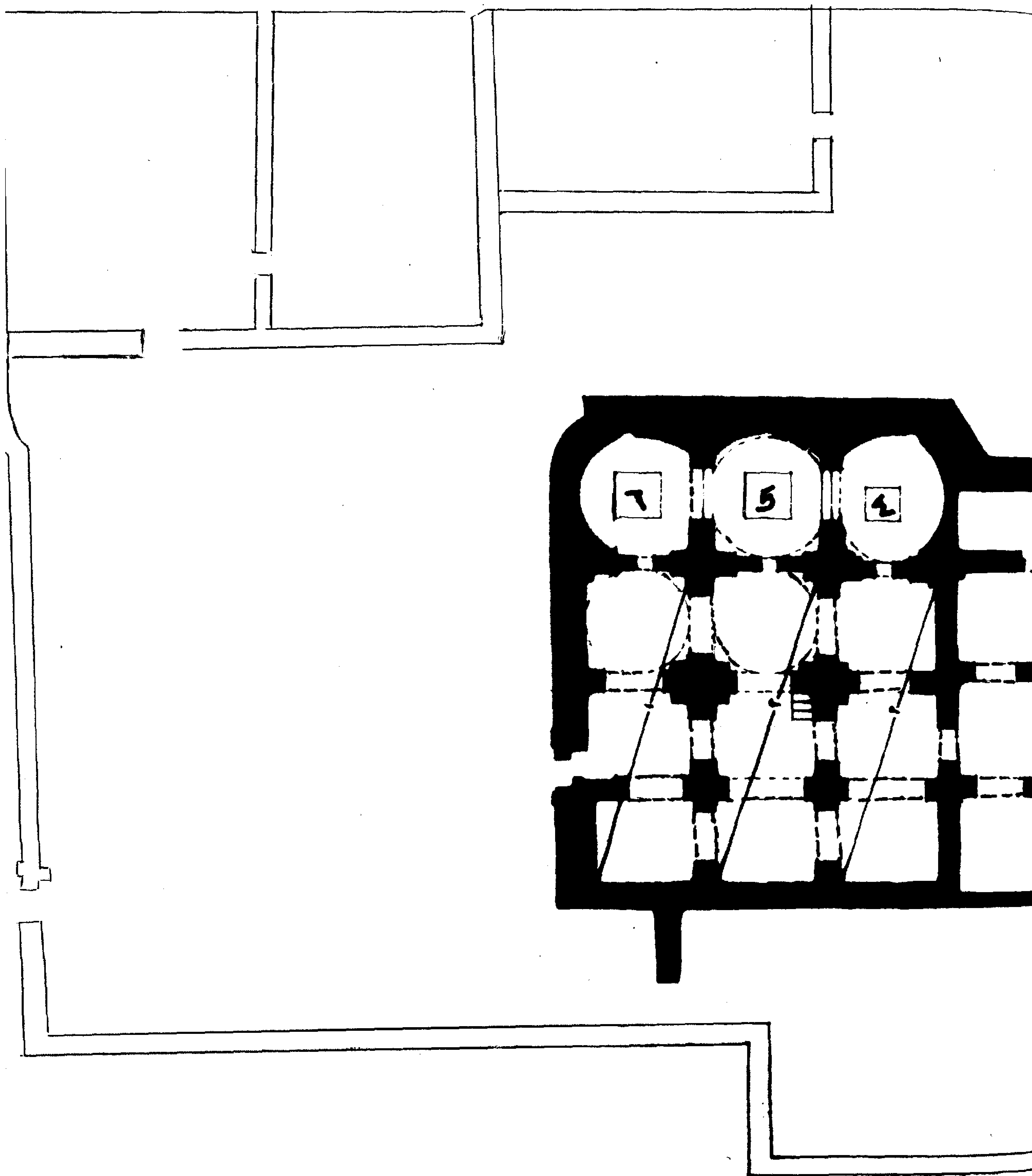
تقع واجهة كنيسة هذا الدير فى الناحية الشمالية ، ويبلغ طولها ١٨٫٤٠م ، خالية من أى زخارف ، ويوجد المدخل فى النهاية الغربية من ضلع هذه الواجهة ، حيث يعلوه حجر ضخم من الجرانيت ويكتنفه من الناحيتين الشرقية والغربية كتفان صغيران ناتئان إلى الخارج قليلا . يعلو المدخل نافذتان صغيرتان على شكل فتحات السهام ، كما يشاهد أعلى العتب ، صليب متساوى الأضلاع من الآجر ، كما يوجد عتب آخر من الجرانيت أسفل المدخل عليه بقايا من حروف اللغة المصرية القديمة .

الكنيسة من الداخل مقسمة إلى ثلاثة أروقة رأسية ، تنتهى فى الناحية الشرقية منها بثلاثة هياكل متميزة ، يضاف إليها ، مساحة مستطيلة أشبه برواق رأسى رابع فى الناحية الجنوبية ، واضح به مظاهر القدم ، فجدرانه متصدعة ، وعلى بعض أجزاء منها بقايا من الملاط القديم .

يقسم مساحة الكنيسة من الداخل ، بائكتان إلى ثلاثة أروقة رأسية (١ ، ٢ ، ٣) ، وتتكون كل بائكة من ثلاث دعائم ضخمة على شكل صليبى ، باستثناء الدعامة الوسطى ، التى يظهر بها بعض الاضافات ، وتحمل هذه الدعائم عقودا متماثلة مدببة الشكل ممتدة بحيث تُقسم مساحة الكنيسة إلى مساحات مربعة ، يغطى كل منها قبة ، وقد بنيت القباب من الطوب اللبن ، بينما بنيت الجدران من الآجر . يوجد بالجدار الغربى ، ثلاث دخلات متماثلة ويُتوج كل منها عقد مدبب صغير ، ويلاحظ وجود بقايا من منبر من الطوب اللبن ، تبقى منه حاليا ثلاث درجات ملتصقة بالدعامة الوسطى ، بصف البائكة الجنوبى [٦] .

ولما كانت هياكل هذه الكنيسة ذات خصائص معمارية متميزة ، فإننا سنتناولها بالوصف على حده :

الهيكل الأوسط (رقم ٥) : يتميز هذا الهيكل بسُمك جدرانه فى الناحية الشرقية والذى يصل إلى حوالى (٢م) ، كما أنه غير منتظم وأقرب إلى الشكل المجوف المدبب ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى تجديد الكنيسة ، إذ يلاحظ وجود جدارين فى هذه الناحية ملتصقين ، يمكن رؤيتهما من خارج الكنيسة ، وقد فصل هذا الهيكل عن الهيكلين الجانبين فى الشمال (رقم ٦) وفى الجنوب رقم (٤) ، بواسطة جدران قصيرة لا يتعدى ارتفاعهما (١٫٣٠م) وزخرفت بأشكال هندسية مفرغة مستطيلة ومربعة فى صفوف أفقية .



شكل (٣٧)
المسقط الأفقى لدير القديس بيسنتاؤس . (عمل الباحث)

الهيكل عبارة عن حجرة متسعة مجوفة الشكل فى الناحية الشرقية ، يتوسطه حنية صغيرة بعمق ٢٥سم ، ومفتوح من الجانبين بواسطة عقدين مدببين من أعلى ، ويغطى الهيكل قبة عالية ، منطقة انتقالها من أربع مقرنصات . يتقدم الهيكل حجاب من الطوب اللبن (لوحة ٣٦) ، من نوع الأحجبة المبنية فى كنائس مصر العليا (ارتفاعه ٢٫٥م وسُمكه ٤٥سم) ويتوسطه فتحة مدخل سعتها (٧٢سم) ، معقودة بعقد نصف مستدير ، ويكتنف فتحة المدخل من الناحيتين نافذتان متماثلتان من شكل مستطيل (٣١سم × ٢٦سم) ، ويشاهد أسفل فتحة المدخل ، عتب ضخم من الجرانيت ، عليه بقايا من حروف اللغة المصرية القديمة ، كما زخرفت واجهة عقد الهيكل ، بقوالب بارزة من الطوب اللبن مصفوفة حول صنج العقد .

الهيكل الشمالى رقم (٦) : يميز هذا الهيكل تجويف جداريه الشرقى والشمالى ، ويتوسط الجدار الشرقى حنية مماثلة لحنية الهيكل الأوسط ، كما يغطيه قبة مماثلة أيضا ، إلا أنه يلاحظ وجود تجويف صغير معقود بعقد مدبب فى الناحية الشمالية . يتوسط الهيكل مذبح من الطوب اللبن ، مربع الشكل (١٫٦٥م) ويبلغ إرتفاعه (١٫٢٠م) ، ويتقدمه حجاب مماثل لحجاب الهيكل السابق .

الهيكل الجنوبى رقم (٤) : يشبه إلى حد كبير الهيكل الشمالى السابق ، إلا أنه يوجد مدخل قديم مصمت حتى ارتفاع (٧٥سم) ، كان يعلوه فى الأصل عقد نصف دائرى الشكل ، وذلك فى الجدار الجنوبى ، وقد كان يؤدى هذا المدخل إلى الجزء الجنوبى الملحق بالكنيسة ، ويغطى هذا الهيكل أيضا قبة مماثلة للقبتين السابقتين ، ويتقدمه حجاب من الطوب اللبن ، بوسطه فتحة مدخل معقودة بعقد نصف دائرى ، يعلوها عتب مستطيل من حجر الجرانيت .

أما القسم الملحق بالكنيسة فى الناحية الجنوبية فنرجح أنه يرجع إلى فترة سابقة على بناء هذه الكنيسة ، رغم أن له نفس إمتداد الأروقة الرأسية فى الكنيسة ، وهو مُقسم حاليا إلى أربعة أقسام متصلة بواسطة مداخل صغيرة معقودة ، ويلاحظ فى تغطية هذا القسم وجود قبو يغطى الجزء الشرقى ، بينما يغطى الأجزاء الثلاثة الأخرى قباب مماثلة لقباب الكنيسة .

أما بئر الدير القديم [٧] ، فتقع فى الناحية الجنوبية الشرقية ، بالنسبة لكنيسة الدير ، وهى بئر واسعة ، يبلغ قطر فوهتها حوالى (٤م) ، ويتوسطها عقد قديم من الآجر ، نصف دائرى ، وتشبه هذه البئر فى سعتها البئر الموجودة فى الناحية الشرقية ، خارج سور دير الملاك ميخائيل فى قامولا .



الفصل الثانى

كنائس أديرة نجع حمادى والأقصر

أولا : منطقة نجع حمادى

تميزت منطقة نجع حمادى ، بما تضمه من مدن وقرى بأهميتها خلال العصر القبطى وبداية العصر الاسلامى ، إذ أن هذه المنطقة قد شهدت حركة كثيفة من التجمع الرهبانى ، منذ بداية القرن الرابع الميلادى ، حيث كان قدوم القديس باخوم ، الذى قاد فى هذه المنطقة حركة متميزة من حياة الرهبنة ، والتى تركت تأثيرها ، على نظام الرهبنة فى مصر خاصة ، وفى العالم كله عامة ، وقد وصفه الأنبا إغريغوريس أسقف البحث العلمى فى الكنيسة القبطية بقوله «الأنبا باخوم هو واضع نظام الاشتراكية التعاونية ، فى الحياة الرهبانية ، وهو صاحب فكرة التصنيع فى الأديرة المصرية ، وهو الذى وجه الرهبنة وجهة جديدة لم تعرف من قبله ، وعنه أخذ الرهبان ، فى كل العالم شرقا وغربا [١]» .

لقد تركزت الآثار القبطية تقريبا فى منطقتين هامتين فى هذه المنطقة : منطقة فاو ومنطقة القصر والصياد ، وقد ربط بينهما ، حياة الأنبا باخوم والأنبا بلامون .

تتبع منطقة القصر والصياد حاليا مركز نجع حمادى ، وقد ورد أن الأنبا باخوم ، بنى أول دير للأقباط اليعاقبة بها [٢] ، كما كانت هذه القرية تقع على حافة نهر النيل ، كما ورد ذكرها فى المراجع المختلفة بتسميات عديدة . هذا وقد إستطاع شامبليون وكاترمير ، التعرف عليها وتحديدها ، وذلك فى المكان المحدد لها حاليا والمعروف باسم القصر والصياد ، حيث كانت موقعا حربيا وحامية لجنود الفرسان فى العصر الرومانى [٣] . كما حاول أيضا شامبليون ، أن يُصحح خطأً وقع فيه العالم الجغرافى إنفيل «Anville» ، على اعتبار أنها قرية فاو الحالية ، ولكنه أخطأ ، ذلك أن موقع القصر والصياد ، كان وما زال إلى الشمال من فاو . هذا وقد وردت هذه القرية ، فى مراجع العصر الاسلامى بأسماء مختلفة ، فوردت فى معجم البلدان باسم قصر كليب ويقال قصر بنى كليب : قرية بالصعيد ، على شرقى النيل ، قرب فاو ، ووردت فى قوانين ابن مماتى ، بقصر بنى كليب أيضا ووردت فى دفاتر الروزنامة القديمة وتاريخ سنة ١٢٣١هـ باسم القصر والصياد [٤] .

على أنه ورد فى ترجمة حياة القديس باخوم ، أنه لجأ إلى هذه القرية ، غداه أن أفرجت عنه السلطات الرومانية الحاكمة فى مصر ، فى الوقت الذى كانت تشتعل فيه النيران فى هذه القرية ، والذى أتى على كل ما فيها ، ومن ثم لم يجد رجالا بها ، فتوجه على مسافة قليلة ، من ضفاف النهر حيث معبد صغير ، كان يسمى سيرابيس ، وبجانبه النباتات لا سيما نبات الصبار .

أما قرية فاو ، فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بحياة هذا القديس وبمنشآته الديرية ، وظلت أهميتها الدينية ، حتى أحرق الخليفة الحاكم بأمر الله دير هذا القديس ، الذى كان قائما فى العصر الفاطمى . ويروى لنا التاريخ أن باخوم توجه إلى هذه القرية ، تلبية لرؤيا : رآها تقول : «إنهض وإذهب إلى الشمال من ناحية هذه القرية الجرداء ، وأقم فى هذا المكان منشآتك الديرية ، لأنه سيكون لك أساس واسم مجيد للأبد» [٥] ، فنهض فى الحال وسارع مع بعض رفاقه ، شمال هذه القرية ، ومكث بها بضعة أيام ، حتى تم عمل أسوار المنشأة ، وبمرور الزمن ، أصبحت هذه المنشأة الكبيرة ، قاعدة كبيرة تحمل اسم هذا القديس .

على أن إسم القرية فاو ، ورد مختلفا بين النصوص العربية والأخرى القبطية ، نتيجة الوقوع فى الخلط بينها وبين إدفو (محافظة أسوان) ، ولعل ذلك قد جاء لتشابه الحرف الأخير بينهما ، كما أنها وردت مختلفة أيضا ، فى التراجم المختلفة للقديس باخوم نفسه بين (بافو ، ادفو ، فاو) ، وإن كان الاسم الأخير ، لازال يطلق عليها إلى الآن [٦] . كما حددها شامبليون شمال القصر والصياد ، وحددها كاترمير بموقعها الحالى .

وردت فاو فى معجم البلدان «قرية بالصعيد شرق النيل ، تعرف بابن شاكر أمير من أمراء العرب» ، ووردت فى دفاتر الروزنامه القديمة باسم «فاو بعس» ، وهى تتبع حاليا مركز دشنا ، كما قسمت عام ١٢٥٦م ، إلى ناحيتين ، عرفت هذه الأصلية بفاو قبلى ، بالنسبة لموقعها وفاو بحرى ، وهى المستجدة [٧] .

دير القديس باخوم :

الواقع أن هذا الدير كان بطبيعة الحال ، من أكبر أديرة محافظة قنا ، إن لم يكن أهمها نظرا لما ارتبط به الدير من إسم صاحبه ومؤسسه ، وما أضيف على عمارته من إضافات وتجديدات وإصلاح على مر العصور اللاحقة لعمارته الأولى وقد كان هذا الدير كبيرا وعامرا بالرهبان ، حتى هُدم فى خلافة الحاكم بأمر الله ، وهو ما يتضح من الوصف الهام الذى أمدنا به المؤرخ أبو صالح الأرمنى ، فى نهاية العصر الفاطمى تقريبا ، ورغم أن كنيسة الدير الرئيسية ، كانت متهدمة ، فى ذلك الوقت ، إلا أن الوصف المعمارى ، الذى أمدنا به هذا المؤرخ غاية فى الدقة ، حيث أثبتت الحفائر التى أُجريت حديثا ، دقة ذلك الوصف والذى يقول فيه «فاو الناحية المعروفة بالصعيد الأعلى ، بها دير وبيعته على إسم القديس باخوم ، وهذه البيعة كبيرة ومتسعة ، طولها مائة وخمسون ذراعا وعرضها خمسة وسبعون ذراعا ، وهى الآن قد تشعثت ، وجميع الصور التى فيها ، كانت فص زجاج مذهب وعمدها رخام ، هدمها الحاكم» [٨] .

ولقد ظل هذا الدير مهدما ، خلال العصور الإسلامية المختلفة ، ولم ترد إشارات عنه فى كتب المؤرخين والرحالة ، حتى زاره فى مطلع هذا القرن بعض العلماء والرحالة الأجانب أمثال : «جوليان» [٩] ، الذى ترك صورة عن خرائبه

القليلة ، مع تقرير صغير عنه وماسيجونن [10] ولفرت [11] ودارس [12] . ورغم ذلك فقد ظلت الخرائب ، على ما هى عليه حتى عام ١٩٦٨م ، حين أجرى العالم «دى بونو Debono» أول حفائر علمية لحساب ، المعهد البابوى فى روما ، فى موقع هذا الدير ، وقد نشر دى بونو مقالة صغيرة تضمنت التقرير المبدئى ، عما انتهى إليه الحفر فى هذا الموقع الهام ، إذ كشفت «المجسات» ، التى قامت البعثة بعملها عن أجزاء طفيفة فى منشآت الدير شملت ظهور بعض طبقات الملاط ، وبعض القطع الصغيرة من الخزف القبطى ، فضلا عن كشف قناطر كانت تمد الدير بالمياه ، كما ذكر فى تقريره المبدئى أيضا ، أن كنيسة الدير كانت من خمسة أروقة بالإضافة إلى دهليز المدخل ، والحنية التى ربما كانت على غرار مثيلاتها فى كنيستى الدير الأبيض والأحمر بسوهاج [13] .

هذا وقد قام العالم «جيمس روبنسون» بحفائر جادة فى هذا الموقع ، زاد من أهميتها ، ما كشف من وثائق قبطية تتعلق بالغنوصية [14] ، وذلك فى عام ١٩٧٥ ، وأسفر الحفر عن ظهور عدد من الحجرات ، كانت بطبيعة الحال ، ضمن منشآت الدير ، بالإضافة إلى العثور على عملات برونزية من عصر إنستاسيوس الأول (٤٩١ – ٥١٨م) ، وخلال الموسم الثانى للحفر (١٩٧٦م) ، تم تحديد أجزاء هامة من عمارة الدير ، شملت أجزاء من جدران الكنيسة الرئيسية ، والتى أشار إليها المؤرخ أبو صالح الأرمنى من قبل ، بل أنه تم تحديد الرواق الجنوبى والأوسط والدهليز المرتد ، هذا بالإضافة إلى ظهور كثير من قطع الفخار والخزف القبطى ، مما يساعد على تأريخ الكنيسة على وجه الدقة .

هذا وقد رجحا إلدرن وروبنسون ، أن يكون طول كنيسة هذا الدير (٧٥م) وعرضها يتراوح بين (٣٥م ، ٤٠م) ، وهذا ما يتفق إلى حد كبير ، مع ما ذكره أبو صالح الأرمنى من أن طولها كان مائة وخمسين ذراعا وعرضها خمسة وسبعون ذراعا [15] .

على أنه قد ورد أيضا ذكر بعض الكنائس ، التى كانت قائمة قديما فى منطقة نجع حمادى ، وردت فى قائمة سومر زكلارك [16] ومرقس سميكة [17] ، مثل كنيسة دير أنبا بلامون بالقصر والصياد وكنيسة السيدة العذراء بالسلمية وكنيسة مارمينا العجائبى ، بحاجر هو مركز نجع حمادى ، إلا أن هذه الكنائس مجددة تماما .

ثانيا : منطقة الأقصر :

الأقصر [١٨] من المناطق الفرعونية القديمة الهامة فى التاريخ المصرى القديم ، وقد ظلت هذه المدينة لها نفس الأهمية ، فى العصور المتعاقبة وقد تركزت الآثار القبطية فى مدينتين رئيسيتين تقريبا : مدينة هابو ومدينة المدامود .

١ – مدينة هابو : وردت عدة إشارات تاريخية هامة ، تشير إلى وجود آثار معمارية قبطية دينية ومدنية بهذه المدنية ، دلت على وجود مدينة قبطية بها فى العصور الوسطى ، ظلت عامرة آهله بسكانها من الأقباط ، حتى القرن التاسع الميلادى ، ويعتبر الرحالة فانسليب ، من أهم الذين أشاروا إلى هذه المدينة القبطية ، إذ ذكر وجود مبانى قديمة قبطية بها ، مهجورة ومتهدمة ، ويتضح من وصفه ، أنها كانت مرتفعة ، بما يقارب حوالى (١٥م) ، مما يدل على أنها كانت مكونة من عدة طوابق [١٩] . وبطبيعة الحال فإن المبانى ، كانت تضم كثيرا من المنشآت التى تتوافر عادة للحياة السكنية من مصانع وأفران وحمامات وشوارع وحارات ، وغير ذلك من الأبنية التى تتطلبها ظروف الحياة فى المدن أو القرى فى العصور الوسطى . كذلك أشار الرحالة نوردن إلى آثار تلك المدنية إشارة بسيطة [٢٠] ، كما ذكرها أيضا الرحالة «كورزون» فأشار إلى وجود دير قديم متهدم بها ، وذكر أيضا طبقا لما شاهده هو فى القرن ١٩م ، أن أقباط مصر قد حولوا جزءا من معبد المدينة إلى كنيسة ، وغطوا مناظر رمسيس الثانى ، بطبقة من الملاط وأحلوا محلها صورة كبيرة للقديس يوحنا ، وبعض رهبان مصر ، كما ذكر أيضا بعض مشاهداته لبعض المخطوطات القبطية القديمة ، التى كانت مدفونة فى هذه الكنيسة [٢١] . وقد شغلت هذه المدينة القبطية القديمة ، بعض أجزاء من معبد مدينة هابو فى الناحية الشمالية ، وامتدت فى الإتجاه الشمالى [٢٢] .

على أن الاهتمام بدراسة هذه المدينة القبطية ، يرجع إلى تلك الحفائر ، التى أجرتها بعثة جامعة شيكاغو والتى قامت بالحفر فى مواسم مختلفة بقيادة العالم «هولشر Holscher» والذى ذكر أن امتداد هذه المدينة ، كان يتجه فى الناحية

الشرقية ، خلال الفترة الممتدة من القرن الأول الميلادى ، وحتى القرن الرابع الميلادى ، وفى رأيه أيضا أن الحياة توقفت تماما فى هذه المدينة فى القرن ٩م ٣هـ [٢٣] ، ربما لإنتشار وباء معين بها ، أخذ فى الازدياد فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلادى [٢٤] .

ولقد أعطى هذا العالم ، قبل إجراء ، حفائره فى هذه المدينة وصفا دقيقا لأبنية السطح ، فذكر أن المنازل كانت ضيقة ومرتفعة ، وكانت تملأ المساحة الأولى لأفنية المعبد وكانت فى الاتجاهين الشمالى والشرقى ، بالنسبة للمعبد ، هذا وقد أرجع هذه المنشآت ، إلى القرون الأولى من المسيحية ، وذكر أن تسمية المدينة كانت (Jemé) ، كما قدر عد سكانها أيضا بعشرات الألوف [٢٥] .

وفيما يلى ذكر للكنائس **المندثرة** بهذه المدينة :

أ - **كنيسة شامه** : نسبها هولشر إلى القرن ٥م [٢٦] ، وأرجعها حشمت مسيحه إلى القرن السابع أو الثامن الميلادى [٢٧] وبها ثلاثة أروقة تنتهى بثلاثة هياكل .

ب - **الكنيسة الثانية** : تقع فى الجهة الشمالية من المعبد الصغير بمدينة هابو ، ولم تحدد بدقة أجزاء الكنيسة ، بواسطة بعثة المعهد .

ج - **الكنيسة الثالثة** : تقع هذه الكنيسة فى نطاق معبد الملك «آى حور محب» ، جنوب غرب الصرح الثالث ، وجزء منها ، يقع فى مكان قصر الملك آى .

د - **الكنيسة الرابعة** : تقع هذه الكنيسة خارج البوابة الكبيرة الشرقية لمعبد مدينة هابو ولم تعثر بعثة المعهد إلا على أساس الجدران القديمة فقط وكانت من ثلاثة أروقة تنتهى فى الناحية الشرقية بثلاثة هياكل .

هـ - **كنيسة القديس جيم** : عثر على أساس هذه الكنيسة فقط ، وهى كنيسة كبيرة ، تضم خمسة أروقة ، أكثرهم اتساعا الرواق الأوسط ، يفصلها بائكات من الأعمدة ، وفى النهاية الشرقية الهيكل الرئيسى وهو مجوف الشكل .
هذا وقد أزيلت هذه الكنائس فى طبقة الحفائر الأولى والتى أجراها هولشر .

دير الشهيد تادرس المحارب بمدينة هابو (شكل ٣٣)

بقى من عمارة هذا الدير كنيسته والتى توجد فى الصحراء ، وهى كنيسة تخطيطها مستطيل الشكل ، ممتدة من الغرب إلى الشرق ، يغطيها سلسلة من القباب المتجاورة ، تقوم على عقود قليلة الارتفاع (٧٥ر١م) عن منسوب الأرضية الحالية للكنيسة ، بها أربعة هياكل فى الناحية الشرقية ، ويغطى كل منها نصف قبة ، وأحجبتها مختلفة ، إذ يميز إثنين منهما وجود المدخل الأوسط ، والآخران بهما مدخلان جانبيان . هذا وقد أضيف الجزء الغربى حديثا لمبنى الكنيسة ، إذ يستخدم حاليا كمكان لجلوس النساء ، أثناء الخدمة الكنسية بالكنيسة [٢٨] .

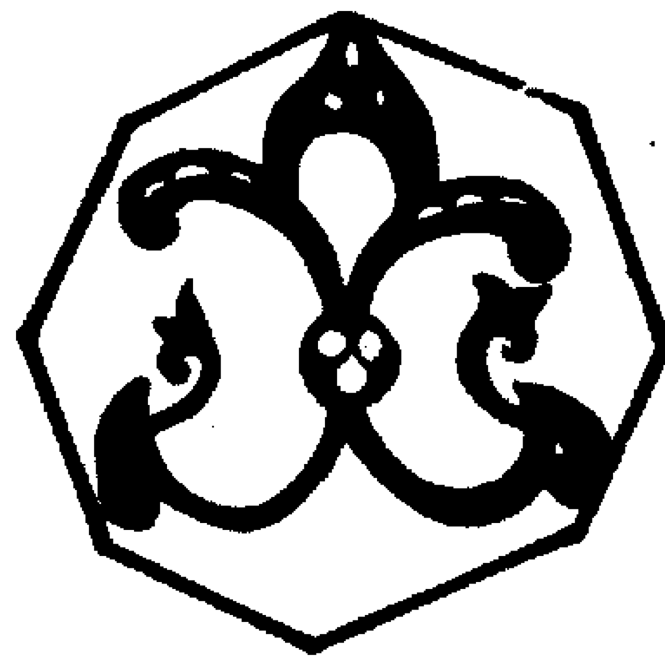
٢ - قرية المدامود :

تقع قرية المدامود ، على مسافة قريبة إلى الشمال من مدينة الأقصر ، واسمها قديم [٢٩] ، وقد تبقى من عمارة الدير القديم بها (دير باخوم) كنيسته ، (شكل ٣٢) ، إلى الشمال الشرقى قليلا من معبد الكرنك ، وتُعد هذه الكنيسة ، نموذجا فريداً لعمارة الكنيسة القبطية فى مصر للأسباب التالية :

أ - تميزت هذه الكنيسة بوجود خمسة مذابح فى النهاية الشرقية ، يفصلها عن أروقتها أحجبة من نوع الأحجبة المبنية ذات المدخل الواحد .

(ب) يغطى جميع أجزاء الكنيسة قباب ضحلة متجاورة (عددها ٢٩ قبة) ، وهو عدد كبير من القباب ، ونادر فى الوقت نفسه ، بالنسبة لتغطية الكنائس ، وترتكز هذه القباب على عقود نصف دائرية ، تقوم على دعائم صليبية الشكل .

(جـ) بالكنيسة مدخلان ، أحدهما للنساء فى الناحية الجنوبية الشرقية ، والآخر فى الناحية الشرقية من الجدار الشمالى ويستخدم لدخول الرجال فى الكنيسة .



الباب السادس

التخطيط المعمارى لأديرة نقادة

الفصل الأول دير مار جرجس المعروف بدير المجمع

الفصل الثانى أديرة قامولا

نعرض فى فصلى هذه الباب إلى ثلاثة أديرة هامة ، باقية فى محافظة قنا ، الأول وهو دير مارجس المعروف بدير المجمع ، وهو الدير الذى أشار إليه بعض العلماء والباحثين فى مجال الآثار القبطية ، وقد إتسم هذا الدير بعدة ظواهر معمارية هامة فى عمارة الكنائس المصرية ، وقد أفردنا الفصل الأول لهذا الدير بوضعه الحالى .

أما الفصل الثانى فيتعرض لديرين من أديرة نقادة أيضا ، فى منطقة قامولا ، بقى من ملحقاتهما المعمارية القديمة ، بعض الوحدات الهامة : دير مار بقطر ودير الملاك ميخائيل .

الفصل الأول

دير القديس مار جرجس المعروف بدير المجمع

يحتل دير القديس (مار) جرجس المعروف بدير المجمع ، موقعا ممتاز بالنسبة لأديرة مركز نقادة ، فهو يقع فوق منطقة عالية من الرمال بإرتفاع حوالى ٦م ، تسمح بموقعها المرتفع أن يشرف هذا الدير على أديرة نقادة المنتشرة فى الصحراء ، إلى الشمال والجنوب من هذا الدير .

ويعتقد بعض الباحثين من العلماء الأجانب ، أن هذا الدير من أهم أديرة مصر العليا ، بل أنه من أهم الأديرة المصرية ، وذلك لما إعتبره الفريد بتلر من وجود مميزات خاصة فى بناء كنائسه [١] ، وأطلق عليه جاييه ، دير الخمس كنائس ، واعتبره أيضا من أهم العمائر المسيحية بمصر [٢] ، وذكر عنه سومرز كلارك ، بأنه دير هام يجمع بداخله ، كنائس وأبنية مختلفة ، تشبه فى تفاصيلها المعمارية إلى حد كبير ، دير القديس سمعان بأسوان ، وإن كان يقل عنه من حيث جودة البناء ، كما أن هذا الدير يتفق إلى حد كبير أيضا وأبنية الدير الأبيض بسوهاج وكذلك الدير الأحمر [٣] .

الواقع أن تخطيط هذا الدير حاليا ، يختلف تماما عما ورد بالتخطيطات الهامة التى نشرها بتلر (شكل ٣٨) ، جاييه (شكل ٣٩) وسومرز كلارك (شكل ٤٠) ، وعن التخطيط الذى قمنا بعمله حاليا ، ولذلك نشير أولا إلى التخطيطات المعمارية السابقة الثلاثة ثم نتعرض بعد ذلك لتخطيط الدير الحالى . وتعد هذه التخطيطات الثلاثة والتى قام بعملها للدير العلماء الأجانب ، وثائق هامة ، خاصة أن كثيرا من أبنية الدير قد تهدمت وزالت فى الربع الأول من هذا القرن ، إذ أن الكنائس الثلاث التى ، كانت مصطفة بجوار بعضها ، فى الناحية الشرقية قد حل محلها كنيسة كبيرة ، بنيت عام ١٩٢٥م ، على الأرجح ، وأن كان قد أستخدم فى عمارتها كثير من الأعمدة والتيجان ذات الطراز الكورنثى . وقد تبقى من عمارة الدير القديمة ، كنيسة متهدمة فى الناحية الجنوبية الشرقية (اللوحة ٣٧ ، ٣٨) ، تعرف بكنيسة القديس يوحنا المعمدان ، هذا وقد تمكنت فى التخطيط الذى قمت بعمله لهذا الدير من إضافة صف من القلالى ، لم يشر إليه العلماء الثلاثة فى تخطيطاتهم ، بالإضافة إلى بعض الأبنية الخارجية القديمة للدير .

(أ) تخطيط بتلر : (شكل ٣٨)

ذكر بتلر أن هذا الدير يتكون من مجموعة هامة من الكنائس : فالكنيسة الرئيسية ، على اسم الملاك ميخائيل ، إلى الشمال منها كنيسة وأخرى إلى الجنوب منها ، وذكر أنه يُميز الكنيستين الوسطى والشمالية ، بروز تجويف حنيتيهما من الخارج ، وهو ما لم يوجد من قبل فى تخطيط الكنيسة المصرية ، وعلى ذلك فتمثلا ، خروجا عن القاعدة العامة ، المعتاد وجودها فى الكنائس المصرية ، وهى عدم بروز تجويف الحنية من الخارج ، ونسب ذلك التأثير إلى العمارة السورية . كذلك فإن الكنيسة الرئيسية لهذا الدير ، لم يسبق لها مثيل فى عمارة الكنائس المصرية أيضا ، حيث يوجد فناء خارجى (أتريوم) ، يحيطه صف من البائكات ، يتقدمه فى الناحية الغربية ، برج مستطيل الشكل ، وأرجع ذلك أيضا إلى تأثيرات العمارة المسيحية السورية على العمارة القبطية فى مصر [٤] .

كما أشار أيضا إلى أن الحجاب الرئيسى الذى رآه ، كان له مدخلان ، واعتبر ذلك إضافة معمارية متأخرة ، وان كان قد جانبه الصواب فى هذا الرأى الأخير ، ذلك أن الطراز القديم المعتاد من أحجبة كنائس مصر العليا المبنية ، هو نفسه .

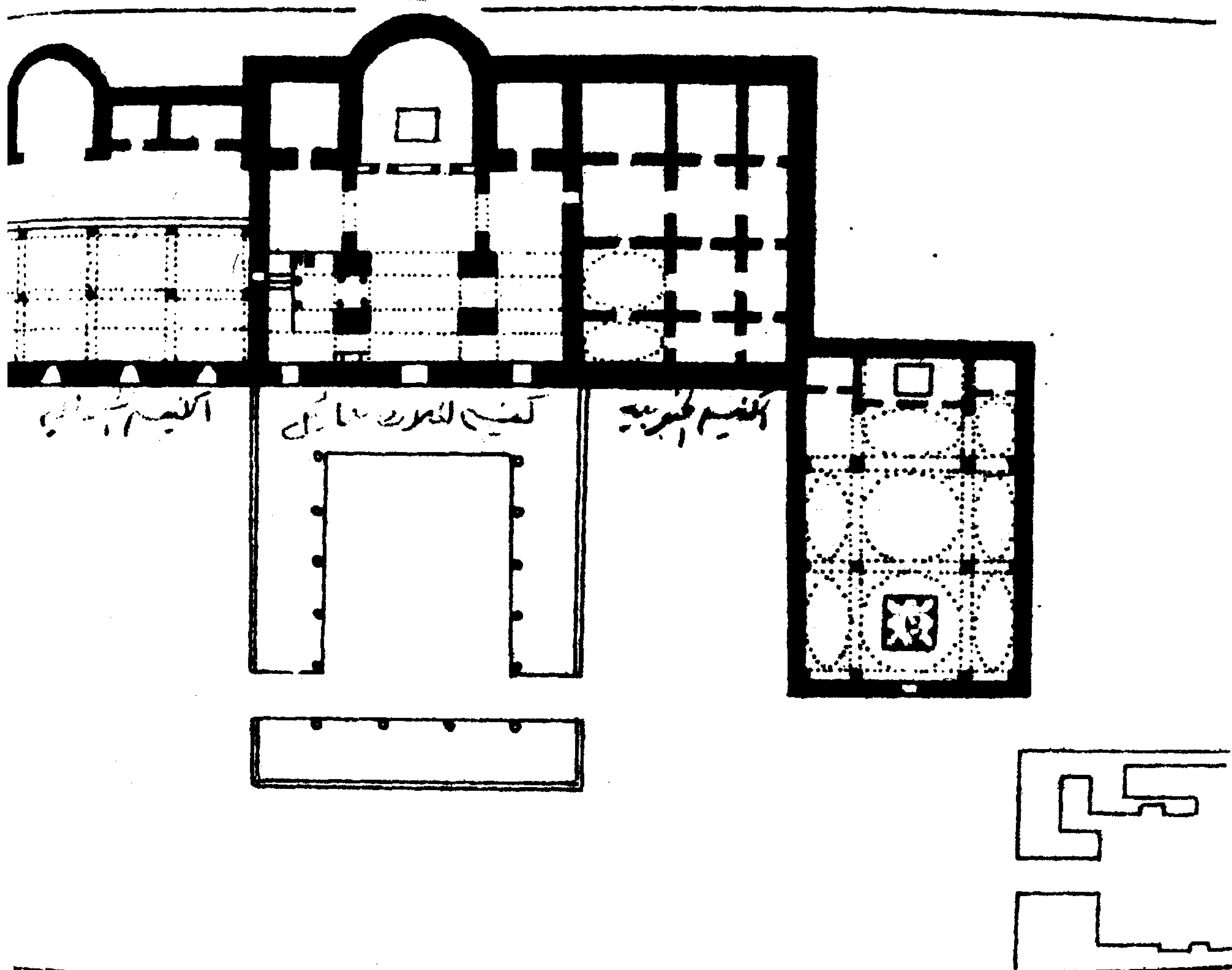
وأخيرا أشار بتلر إلى خاصية أخرى ، تمثلت فى وجود أربعة هياكل فى الناحية الشرقية ، بدلا من وجود الهياكل الثلاثة ، خاصة وأن الرواق الشمالى أكثر اتساعا من بقية الأروقة ، على أنه المفروض أن يكون الأوسط فى الهياكل الثلاثة ، وإن كانت هذه السمة المعمارية ، موجودة فى بعض الكنائس المصرية ولا تشكل خاصية فريدة فى نوعها .

(ب) **تخطيط جاييه** : (شكل ٣٩)

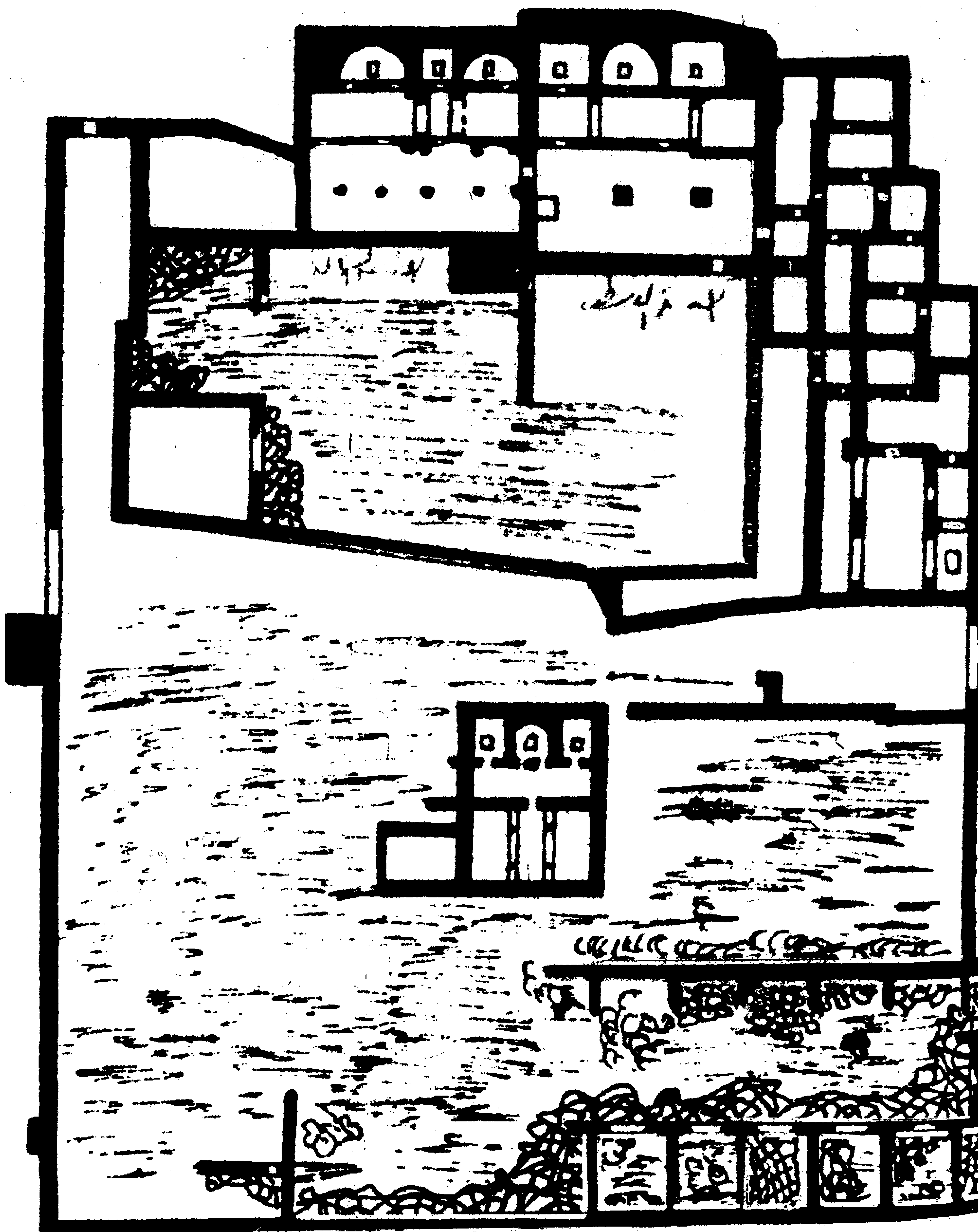
يلاحظ على التخطيط الذى نشره جاييه فى عام ١٩٠٢م ، اختلاف كبير عن تخطيط بتلر الذى نُشر فى أواخر القرن الماضى ، إذ يتضح حدوث تعديلات ، بالكنيسة الرئيسية الوسطى وكذلك فى الكنيستين الشمالية والجنوبية . والواقع أنه أهم ما جاء بتخطيطه هو رسمه لكنيسة ، تقع إلى الغرب من الكنائس السابقة ، وهى كنيسة السيدة العذراء ، التى اندثرت حاليا ، وإن كان يمكن متابعة جدرانها حاليا من مستوى سطح الكيمان بالدير ، وقد نشر سومرز كلارك فى مطلع هذا القرن أيضا ، تخطيط هذه الكنيسة ، يضاف إلى ذلك ما أشار إليه ، «جاييه» ، من وجود صف من القلالى بالناحية الغربية من الدير .

(جـ) **تخطيط سومرز كلارك** : (شكل ٤٠)

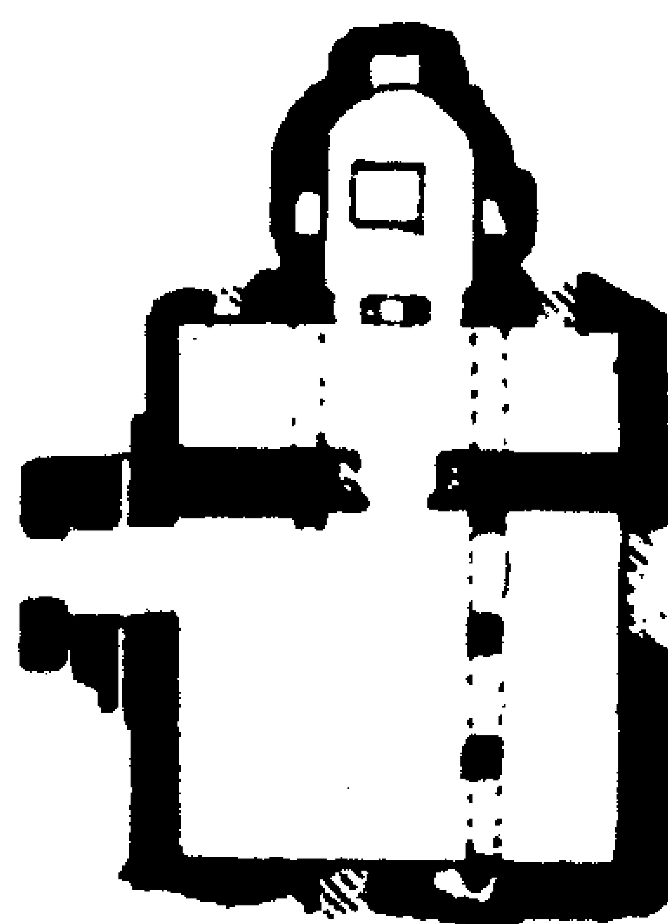
لاشك أن الدراسة التى أجراها سومرز كلارك [٦] ، على خرائب هذا الدير ، تُعد من أحسن الدراسات المعمارية التى نُشرت عنه ، إذ أنه أسهب فى وصف العناصر المعمارية ، التى كانت لا تزال باقية ، وقت زيارته للدير ، فى بداية هذا القرن ، كما أمدنا بتسميات واضحة لأسماء كنائس الدير ، وإن كان يتضح فى تخطيطه ايضا ، اختلاف عن التخطيطين السابقين ، وفيما يلى وصف موجز لكنائس الدير المندثرة :



شكل (٣٨)
تخطيط الفرهد بتلر لكنائس دير المجمع بنقادة .



شكل (٣٩)
تخطيط جاييه لكنائس وقلايا دير المجمع .



شكل (٤٠)
تخطيط سومرز كلارك لكنائس دير المجمع .

الكنيسة الرئيسية : (كنيسة مار جرجس) :

تتكون كما هو واضح من تخطيط سومرز كلارك ، من ثلاثة أروقة رأسية ، أكثرهم إتساعا الرواق الأوسط ، الذى ينتهى فى الناحية الشرقية بهيكل مجوف الشكل ، يكتنفه من الناحيتين حجرة فى الناحية الشمالية وأخرى فى الناحية الجنوبية ، ومادة البناء الآجر والطوب اللبن ، إذ استخدم الآجر فى بناء الدعامات والعقود ومادة الطوب اللبن فى حوائط الكنيسة والقباب والأقبية النصف دائرية ، وذكر أنه كان لايزال بالكنيسة وضوح بعض الزخارف الجدارية ، منها أحد المناظر التى تمثل السيد المسيح وأمامه شخص جاث على ركبته .

الكنيسة الشمالية : كنيسة القديس ميخائيل :

تتكون من ثلاثة أروقة رأسية ، وتحمل أعمدتها عقودا مختلفة الأشكال ، يقوم عليها قباب متعددة ، وتغطى هذه القباب ، المساحات الصغيرة المربعة لأقسام الكنيسة الداخلية ، ويتميز هيكلها السمالى بوجود خمسة تجويفات صغيرة ، ليست لها وظيفة معمارية ، وانما لوضع الكتب بداخلها ، وقد أشار مونريه دى فيلارد إلى هذه التجويفات الخمسه ، وذكر أنها مماثلة لما هو باق بهيكل كنيسة الدير الأبيض وكنيسة دندرة ، واعتبرها من التأثيرات المعمارية المقتبسة من شمال افريقيا التى اشتقتها أساسا ، من نماذج العمارة البيزنطية (٧) .

كنيسة القديس يوحنا

الواقع أن هذه الكنيسة هى الأثر الوحيد القائم من عمارة الدير القديمة ، وهى وإن كانت متهدمه حاليا ، فإنها تعد هامة تماما ، نظرا لبقاء تخطيطها المعمارى وكثير من تفاصيلها المعمارية أيضا . ومن ثم فإننا نتعرض للوصف المعمارى للدير بوضعه الحالى من خلال التخطيط الذى قمنا بعمله لكل العناصر المعمارية بالدير من الداخل والخارج (شكل ٤١) :

يحيط بهذا الدير حاليا ، سور حديث بنى فى فترة متأخرة من الطوب اللبن كبير الحجم ، يبلغ مقاييسه فى الناحية الشرقية (٣٠ر٦٦م) وفى الناحية الغربية (٥٤م) ، والشمالية (٨٠ر٤٥م) ، أما فى الناحية الجنوبية ، فإن الجدار يمتد منحرفا

إلى الداخل حيث يبلغ طوله ، (٧٠م) ، ويلاحظ أنه تم تدعيم جدار السور فى هذه الناحية بدعائم مستطيلة ونصف دائرية الشكل من الطوب اللبن أيضا .

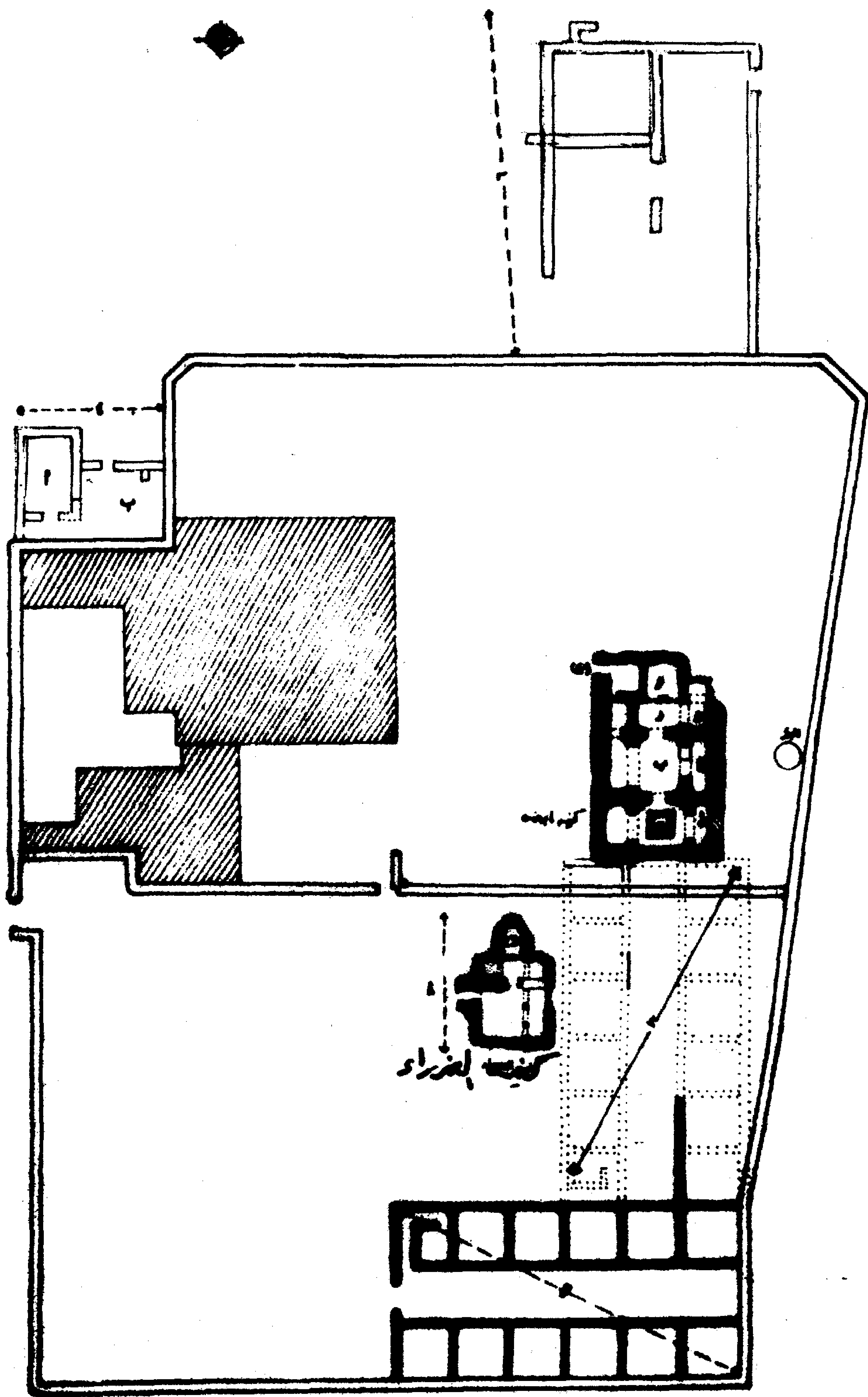
يقع مدخل الدير الوحيد وسط الجدار الشمالى تقريبا ، حيث نجد الدير من الداخل ، ينقسم إلى جزءين رئيسيين ، مساحتيهما متقاربة ، على شكل مستطيل ، بواسطة جدار مستعرض من الشمال إلى الجنوب ويتصلان بواسطة هذا الجدار .

أولا : القسم الغربى :

يبلغ طول هذه المساحة (٥٨م × ٣٧م) تقريبا ، وهى مساحة خالية من الأبنية ، إذ أنها عبارة عن رديم من بقايا أنقاض العمائر ، التى تهدمت ، من قوالب الآجر والطوب اللبن معا ، ومع ذلك فإنه يمكن تحديد الجدران الخارجية للكنيسة الخامسة والتى كانت متهدمة وقت زيارة «كلارك» للدير ، وهى معزولة عن كنائس الدير الأربع السابقة ، بالإضافة إلى أنه مازال فى الإمكان ، تحديد صف القلالى الذى نشره بتلر وجاييه ، وقد إستطعت تحديد صف آخر من حجرات ، بجانب الصف السابق ، لعله كان صف من قلالى هذا الدير الكبير :

(أ) كنيسة السيدة العذراء :

كنيسة صغيرة ، تتكون من ثلاثة أروقة ، متساوية فى إتساعها تقريبا ، بها هيكل واحد (الرئيسى) على شكل مجوف ، وقد ذكر سومرز كلارك ، أن مذبح هذه الكنيسة ، كان مغطى بالتراب وأن حجاب الهيكل كان به مدخلان ، وإلى القرب منه يوجد مايشبه المجاز ، وكان الهيكل يفتح على أروقة الكنيسة الثلاثة بواسطة عقد واحد ، كما أن البائكتين ، كان بكل منها ثلاثة عقود تقوم على أعمدة قصيرة ، وكان يتم الدخول إلى الكنيسة من خلال مدخل يقع فى الناحية الشرقية من جدار الرواق الشمالى .



شكل (٤١)
تخطيط دير المجمع حاليا . (عمل الباحث)

(ب) القلالى :

أشار بتلر وجاييه وسومرز كلارك إلى بقاء أبنية كانت ملحقة فى الزاوية الجنوبية الغربية ، من هذه المساحة ، إذ ورد فى تخطيطاتهما (شكل ٣٨ ، ٣٩) ردهة مستطيلة يكتنفها من الناحيتين الشرقية والغربية ، صف من حجرات القلالى القديمة والتى ترجع إلى العصر الفاطمى ، وقد اعتبر سومرز كلارك أنها بمثابة حجرات الحصن القديم [٨] ، وان كنت اعتقد أنها من مجموعة قلالى الدير ، نظرا لتشابههما مع مجموعة القلالى بدير القديس سمعان بأسوان [٩] وحجرات القلالى الباقية بدير الأنبا ميتاؤس الفاخورى بأصفون (شكل ٤٩) .

ثانيا : القسم الشرقى

يضم فى الجانب الشمالى منه كنيسة حديثة [١٠] ، بنيت على أنقاض الكنائس الثلاث السابقة والتى كانت قائمة داخل هذه المساحة فى الناحية الشرقية ، وبهذه الكنيسة أفاريز وتيجان أعمدة قديمة قبطية من الطرز الكورنثى ، والذى يمكن تأريخه بالقرنين السادس والسابع الميلاديين .

وتعتبر **كنيسة القديس يوحنا** (شكل ٤١) ، أهم أثر قديم باق حاليا ، داخل كل عمائر أبنية هذا الدير ، حيث تشغل المساحة الجنوبية الغربية من هذا القسم .

الكنيسة متهدمة حاليا وفى درجة سيئة من الحفظ ، فقد تساقط معظم ما كان يغطيها من قباب (اللوحة ٣٧ ، ٣٩) وأقبية ، وتهدم كثير من جدرانها وما زالت عرضة للانهيار الكامل فى أى وقت ما لم تتدارك هيئة الآثار المصرية ذلك الأمر ليشمل إعادة ترميمها ، إذ أنها تعد الأثر الوحيد الباق لعمائر هذا الدير الهام والذى ترجع معظم مبانيه القديمة إلى العصر الفاطمى .

الكنيسة مستطيلة الشكل طولها (٦٠ر١٤م) وعرضها (٥٠ر٨م) ، بنيت من الطوب اللبن ومكونة من ثلاثة أروقة رأسية ، أكثرها اتساعا الرواق الأوسط (٩٥ر٢م) عن الرواقين الشمالى (٢٥ر١م) والجنوبى (١٧ر١م) . وقد ذكر عنها سومرز كلارك ، أنها كانت متصلة فى الزاوية الشمالية الغربية منها بالجدار الغربى

للكنيسة الجنوبية ، ضمن مجموعة الكنائس المندثرة بالدير ، كما هو واضح من تخطيطه (شكل ٤٠) ، أما الآن فتبعد هذه الكنيسة عن الأخرى الحديثة بمسافة (٣٠ر١٥م) .

يقع مدخلها فى الناحية الشرقية من الجدار الشمالى ، وأُستخدمت القبة الوسطى الرئيسية المحاطة بقباب أصغر حجما فى تغطية الأجزاء المعمارية بها بالإضافة إلى ستخدام الأقبية أيضا ، وما زال متبقيا ، ضمن أنقاض الكنيسة العقد الشرقى ، الذى كان يشترك ضمن العقود الحاملة لهذه القبة ، على شكل مدبب (لوحة ٣٨) وكذلك العقد الجنوبى . ولقدم استخدام فى مناطق إنتقال هذه القبة الرئيسية ، أربع حنايا ركنية ، تبقى منها حاليا ، حنية الزاوية الجنوبية الشرقية ، كما تبقى بها أيضا ، بعض طبقات الملاط القديم . على أننا نعتقد بحدوث تعديل فى فترة متأخرة من عمارة هذه الكنيسة ، لا سيما فى المساحة الغربية منها ، إذ كان يغطيها فى الأصل قبة كبيرة ، تبقى من منطقة انتقالها مقرنص فى الزاوية الجنوبية الغربية ، والدليل على ذلك هو ارتفاع الحنية السابقة عن المقرنص وربما حدث هذا التعديل خلال العصر المملوكى ، والذى ترتب عليه بناء قبة فى هذا الجزء أكثر ارتفاعا من كل قباب الكنيسة .

كذلك تبقى من مجموعة العقود الأربعة التى كانت تحمل هذه القبة ، العقد الجنوبى ، وهو نصف دائرى الشكل والغربى وهو مصمت حاليا ، بينما سقط العقدان الشمالى والشرقى ، ويضم هذا القسم أيضا حوض غائر [١١] .

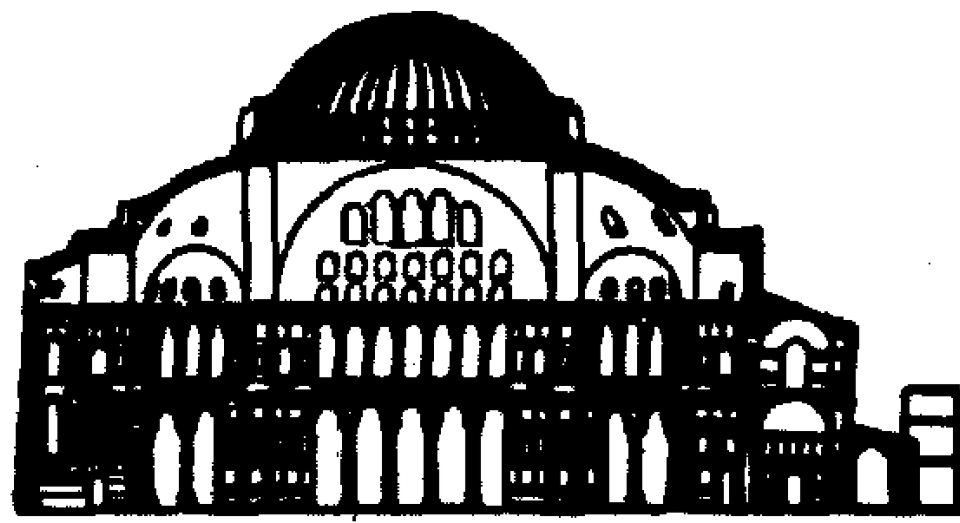
خرائب الدير الخارجية (شكل ٤١)

يبدو ظهور جدران متهدمه من الطوب اللبن (اللوحة ٤٠) ، تقع فى الناحية الشمالية الشرقية خارج سور الدير الحالى ، أشار إليها سومرز كلارك ، إشارة عابرة على أنها مربعة الشكل فقط ، دون أن يحدد وظيفتها المعمارية [١٢] ، أو أن يقوم يرفع هذه الجدران ، والواقع أنه بعد الرفع المعمارى لهذه الجدران المتخربة ، إتضح أنها كانت فى رأينا على الأرجح بمثابة حجرات من حصن الدير ، وهذا الحصن كان بطبيعة الحال مرتفعا لعمارة الدير الكبيرة•لقد بقى من خرائب هذا الجزء حجرة مستطيلة الشكل (٩٥ر٥م × ١٠ر٤م) ، ولازال متبقيا من جدارها الغربى ، جدار

قصير بارتفاع (٧٠ سم) والجنوبى بإتفاع (١٫٥٠م) ، كما أن الجدار الشمالى ممتد أسفل جدار السور الحديث إلى داخل الدير ، ويتقدم الحجرة السابقة ، ردهة مستطيلة الشكل بها فتحة مدخل تتوسط الجدار الشرقى .

كذلك فإنه لا تقتصر خرائب هذا الدير ، على هذه الأبنية المتهدمة ، وإنما يلاحظ فى الناحية الشرقية ، بعيداً عن السور الحديث الشرقى للدير أنقاض من المبانى (أقصى ارتفاع ٢٠ سم) تُشكل كتلة معمارية كبيرة مُقسمة إلى جزءين رئيسيين بواسطة جدار مستعرض ، لا شك أنها تمثل إحدى وحدات عمائر الدير المندثرة ، كما يلاحظ رؤية بعض طبقات الملاط القديمة ، خارج الضلع الشمالى لسور الدير وعلى مسافة (٤٣م) تقريبا ، يحيط بها قطع صغيرة من الفخار والخزف الإسلامى .

مما سبق عرضه بإيجاز عن عمائر هذا الدير المندثرة ، يتضح مدى مساحة هذا الدير الكبيرة ، وماضمته هذه المساحة من أبنية هامة بالنسبة لعمارة الدير ، الذى احتل موقعا جغرافيا جيدا ، يشرف منه على أديرة مركز نقادة فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، ومن تسميته أيضا ، بدير المجمع حيث ، كان به مجموعة كبيرة من الرهبان فى هذه المنطقة



الفصل الثانى
أديرة قامولا

أولا : دير القديس (مار) بقطر (شكل ٤٢) ، (اللوحة ٤١)

يعتبر هذا الدير من الأديرة الهامة فى منطقة قامولا ، وقد بقى من عمارته القديمة كنيسة أثرية قديمة ، نشر تخطيطا لها «سومرز كلارك» ، لنا عليه بعض الملاحظات ، بالإضافة إلى بعض الأبنية المتهدمة ، خارج سور الدير الحالى الحديث ، لم يشر إليها أحد من قبل ، رغم ما تمثله هذه الخرائب ، من أهمية كبيرة بالنسبة لعمارة الدير القديمة ، ومن ثم تم رفع كل أبنية الدير وملحقاته فى تخطيط جديد (شكل ٤٢ ، ٤٣) .

١ - عمائر الدير الداخلية :

يحيط عمائر الدير حاليا سور حديث من الطوب اللبن ، غير منتظم الشكل ، حيث يتوسطه من الداخل الكنيسة القديمة ، يجاورها فى الناحية الجنوبية كنيسة حديثة ، بُنيت على رواق مستقطع فى الناحية الشمالية منها ، ويقع المدخل الوحيد لهذا الدير فى الناحية الشمالية ، من الضلع الشرقى للسور الحديث .

كنيسة الدير : (شكل ٤٢ ، ٤٤)

الواقع أن كنيسة هذا الدير معقدة إلى حد كبير ، بما شملته من بعض العناصر المعمارية والتى أغفل ذكرها سومرز كلارك فيما نشره عنها . الكنيسة مستطيلة المسقط ، تبلغ مساحتها الداخلية (١٨ر٢٠م × ١٠ر٢٥م) ، يقسمها صفان من البائكات ، إلى ثلاثة أروقة رأسية ، اكثرها إتساعا وارتفاعا الرواق الأوسط ، وتوجد الهياكل الثلاثة فى الناحية الشرقية كالمعتاد ، ويغطى مساحة الكنيسة ، مجموعة من القباب غير المنتظمة الشكل ، تقوم على عقود مختلفة ، تحملها دعائم صليبية الشكل ، بالإضافة إلى جدران الكنيسة .

يقع مدخل الكنيسة فى النهاية الغربية من الضلع الشمالى ، وهو مدخل غير معتاد فى الكنائس ، إذ أن المعتاد ، عادة وجود هذا المدخل فى الضلع الغربى من البناء ، هذا وقد أشار سومرز كلارك إشارة عابرة إلى أن الكنيسة كان لها إمتداد فى الناحية الغربية ، أكثر من الآن ولعل هذا الإمتداد كان مهدما ، وقت زيارته للكنيسة فى عام ١٩٠٢م ، وبالتالى لم يتمكن من فحص هذا الجزء على وجه الدقة.

والواقع أن هذا الجزء يشكل مساحة مستطيلة الشكل ، تمتد بعرض الكنيسة فى الناحية الغربية ، ويدخل إليه حاليا من فتحة مدخل ، تتوسط الضلع الغربى للكنيسة ، حيث يعلو هذه الفتحة مباشرة ، بقايا من آثار عقد قديم مصمت حاليا ، يقع على نفس ، محور الحنية الرئيسية ، بالهيكل الأوسط تقريبا ، والعقد مدبب الشكل ، يماثل فى نوعه ، كثيرا من العقود القديمة بالكنيسة (ارتفاعه ١ر٧٠م) ، تؤدى فتحة المدخل السابقة إلى الجزء الغربى من الكنيسة (رقم ١٨) حيث تبلغ مساحته (٥ر٤٥م × ٢ر٨م) ، مغطى بقبو من الطوب اللبن ، يقع إلى الجنوب منه مباشرة ، حجرة مصمتة حاليا من جميع الجهات (رقم ١٩) ، كما يلاحظ وجود «طرفى رباط» ، فى الزاويتين الشمالية الغربية والجنوبية الغربية ، مما يدل على وجود إمتداد ، يتجاوز حدود الجزء الغربى السابق وهو الأمر الذى يجعلنا نعتقد بوجود فناء خارجى أشبه بالأتريوم ، الذى كان يتقدم ، الكنيسة الرئيسية بدير المجمع ، والذى وضح فى التخطيط الذى نشره بتلر ، نقلا عن «سير آرثر جوردن» ، (شكل ٣٨) ، وهو الأمر الذى لا نستبعد وجوده فى كنيسة كبيرة بهذا الدير ، خاصة وأنها كانت فى الأصل تتكون من خمسة أروقة رأسية ، كما أنها ليست

بعيدة عن كنائس دير المجمع بنقادة . وعلى هذا الأساس فإننا نعتقد بوجود المدخل الرئيسى لها قديما فى الضلع الغربى من البناء .

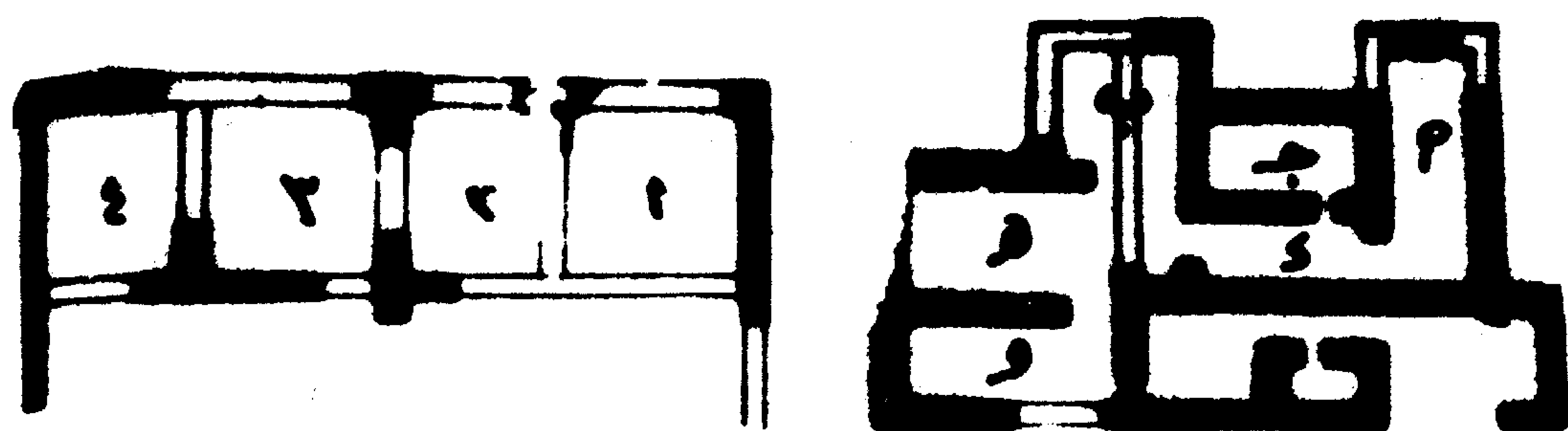
بائكات الكنيسة :

يتكون كل صف من البائكتين الباقيتين حاليا من دعائم ضخمة صليبية الشكل ، بنيت من الآجر من قوالب صغيرة الحجم ، تقوم فوقها عقود الكنيسة ، وهى عبارة عن ثلاثة عقود كبيرة واسعة ، بعضها مدبب والآخر نصف دائرى الشكل ، وقد دُعم بعضها نتيجة حدوث تصدع بواسطة بناء دعائم صغيرة حديثة مربعة (٧٨سم) فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، بنى فوقها عقدان صغيران من شكل مدبب ، بقصد تخفيف الضغط عن العقد الرئيسى فى كل ناحية ، وقد جُعلت فتحة العقد الرئيسى مصمتة بواسطة مداميك من الطوب اللبن لتحمل ثقل القباب ، كما يلاحظ أيضا أن العقد الغربى للقبة الرئيسية ، ترتكز رجلاه فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، على عمودين قصيرين ، من حجر الجرانيت ، كتدعيم له ، بينما لا يزال العقد الشرقى فى حالة طيبة .

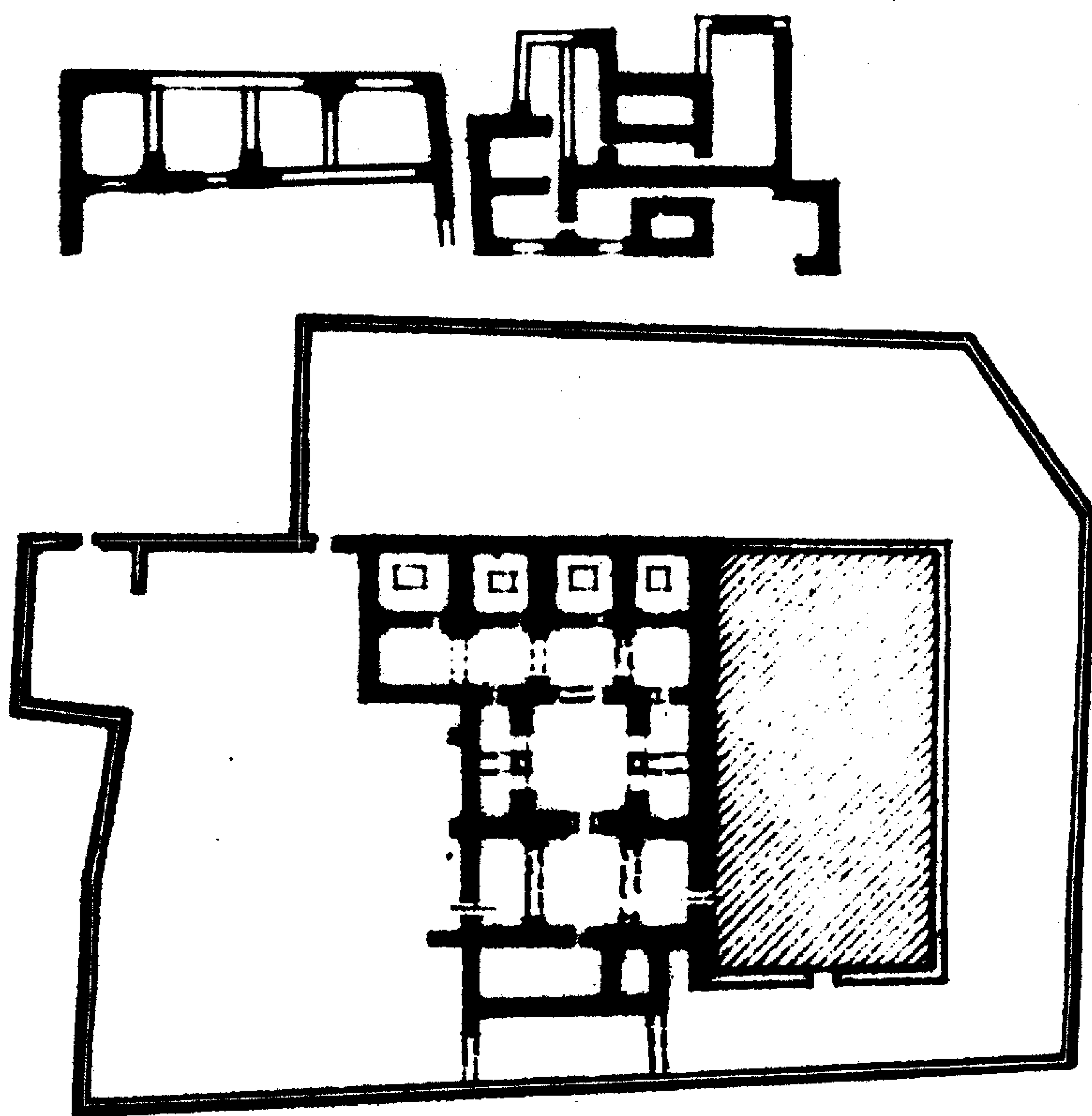
قباب الكنيسة :

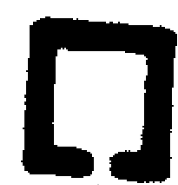
يغطى أقسام الأروقة الثلاثة للكنيسة ، قباب غير منتظمة الشكل ، فيما عدا القبة الرئيسية ، التى تغطى المساحة الوسطى من الرواق الأوسط (رقم ١٠) ، إذ أنها قبة كبيرة بيضاوية الشكل ، أُقيمت على مربع طول ضلعه (٤٫٧٣م) ، كما تتميز قباب الرواق الأوسط ، بأنها اكثر إرتفاعا من القباب الأُخرى التى تغطى أقسام الهياكل الجنوبية والشمالية . ويلاحظ أيضا أن مناطق الانتقال للقبه الرئيسية على شكل الحنايا الركنية ، بينما مناطق الانتقال فى قباب الكنيسة الباقية من أشكال المثلثات الكروية . هذا وقد أُعيد تجديد القبة الرئيسية ، فى فترة متأخرة ، لعلها فى العصر العثمانى .





شكل (٤٢)
المسقط الأفقى لدير مار بقطر بقامولا . (عمل الباحث)



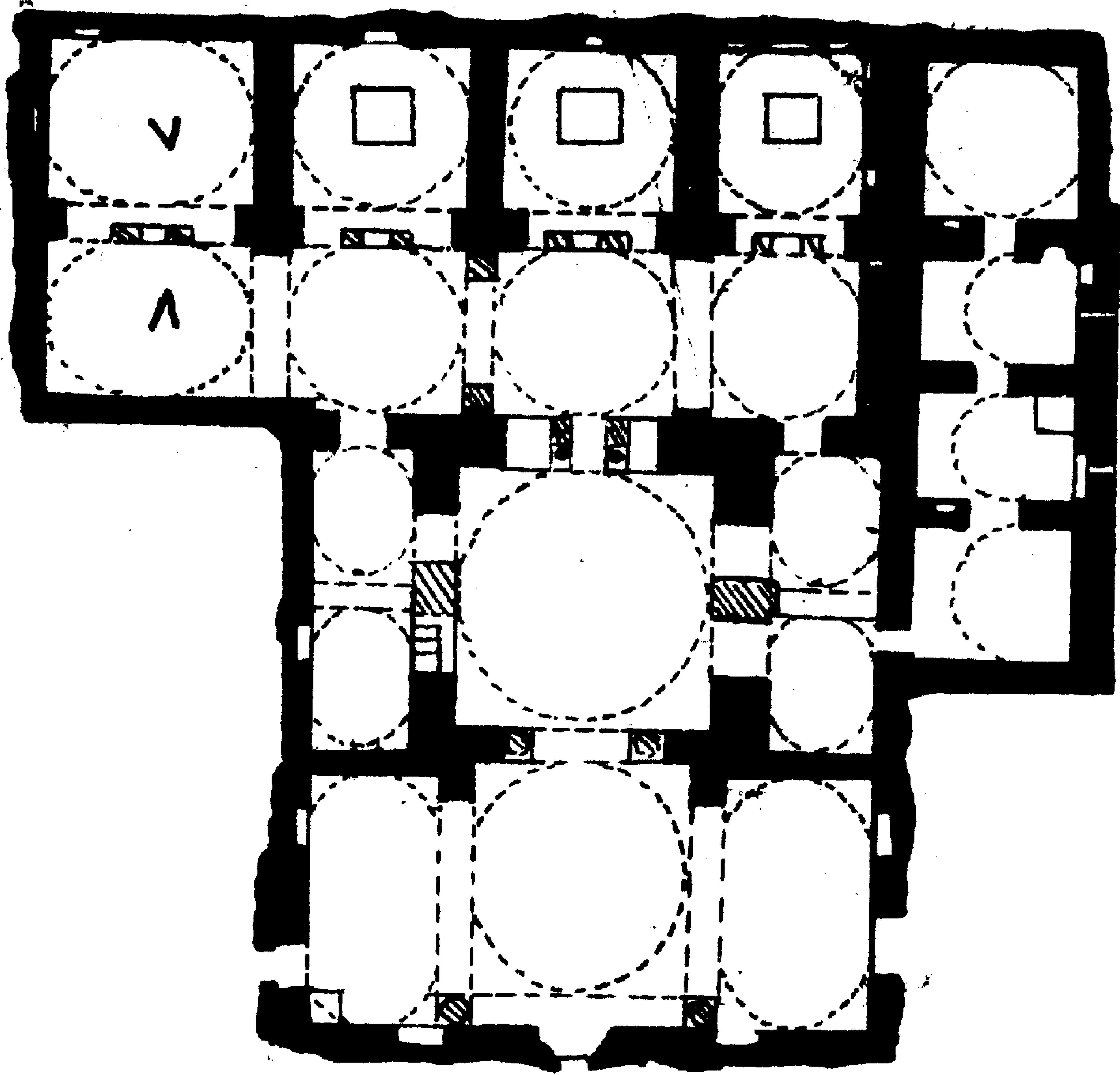








شكل (٤٣)
المسقط الأفقي لدير مار بقطر (السابق) وملحقاته الخارجية . (عمل الباحث)



شكل (٤٤)
المسقط الأفقى لكنيسة مار بقطر . (نقلا عن سومرز كلارك)

هياكل الكنيسة :

تنتهى الكنيسة فى الناحية الشرقية ، بالهياكل الثلاثة ، يفصلها عن الأروقة ، أحجبة ، بُنيت من الآجر والطوب اللبن . الهيكل الأوسط : مربع الشكل (رقم ١٢) ، مغطى بقبة ، ويتوسطه مذبح من الطوب اللبن ، به فتحة صغيرة أسفل الضلع الشرقى ، معقودة بعقد نصف دائرى . على أنه يوجد تجويف صغير بجدران هذا الهيكل المصمت ، فى الناحية الغربية من الجدار الشمالى ، هذا وقد أزيل تجويف الشرقية فى هذا الهيكل ، إذ أنه يظهر فى تخطيط سومرز كلارك السابق (شكل ٤٤) .

والواقع أن حجاب هذا الهيكل ، يُعتبر من طراز الأحجبة المبنية ، والمنتشرة فى صعيد مصر (لوحة ٤٢) ، مبنى من الآجر ، ويوجد به مدخلان بطرفيه ، يحصران بينهما ، فتحة نافذة معقودة . الهيكل الشمالى : (رقم ٦) : عبارة عن حجرة مربعة أيضا ، يغطيها قبة ضحلة ، فُتح فى سمتها ، فتحة صغيرة مستديرة الشكل ، ويتقدم الهيكل حجاب ، مماثل للحجاب السابق . تتميز جدران هذا الهيكل ، بوجود عدة دخلات فى الجدران ، بعضها معقود فى أعلاه .

الهيكل الجنوبى : (رقم ١٧) : مربع الشكل ، مغطى بقبو مخروطى الشكل ، وبوسط الجدار الشرقى حنية مستطيلة ، يكتنفها من الناحيتين ، طاقان متماثلان ، كما يوجد بالجدار الجنوبى طاقان صغيران متماثلان أيضا ، ويتوسط هذا الهيكل مذبح مربع من الطوب اللبن .

الأروقة المضافة إلى الكنيسة : (شكل ٤٤)

يلاحظ على التخطيط الذى رسمه سومرز كلارك لكنيسة هذا الدير ، وجود حجرتين ملحقتين فى الناحية الشمالية الشرقية للبناء (رقم ٧ ، ٨ بشكل ٤٤) ، بالإضافة إلى وجود رواق آخر يكاد يكون متكاملا فى الناحية الجنوبية ، وقد دثر تماما هذا الرواق وأُدمج مع أبنية الكنيسة الجديدة التى لم تكتمل (حاليا) . وعليه فإنه يُعتقد ، أن الكنيسة كانت فى الأصل ، من خمسة أروقة رأسية ، على إعتبار أنها

كنيسة كبيرة بالدير . والواقع أن الحجرتين الباقيتين من هذا الرواق ، فى الناحية الشمالية الشرقية ، لهما نفس طبيعة أبنية الكنيسة ، مما يدل على أن البناء واحد ، وليس من الإضافات المعمارية المتأخرة للبناء .

٢ - عمائر الدير الخارجية :

يتميز هذا الدير خاصة بوجود أبنية كثيرة متهدمة ، من الطوب اللبن ، تمتد خارج واجهة الضلع الشرقى من السور الحديث ، على طول امتداده من الناحيتين الشمالية إلى الجنوبية ، بالإضافة إلى وجود أبنية متهدمة فى الناحية الجنوبية من ضلعه الجنوبى ، لعلها مقابر قديمة .

ويبدو أنه لم يُلتفت إلى خرائب هذا الدير من قبل الرحالة أو غيرهم والذين لم يشر أحد منهم إليها ، وربما كانت هذه الخرائب من العمارة القديمة الأولى للدير .

خرائب الدير فى الناحية الشرقية : (شكل ٤٢)

تنقسم هذه المبانى المتهدمة إلى قسمين الأول يقع فى الناحية الجنوبية والثانى فى الناحية الشمالية . أما المبانى الأولى (الجنوبية) فمن المرجح أنها ربما كانت تمثل حصن الدير ، أو برجين من أبراجه ، فهذه المبانى عبارة عن كتلة مستطيلة كبيرة ، استخدم فى بنائها مادة الطوب اللبن ، تتكون من برجين كبيرين من شكل مستطيل (أ ، ب) ، يحصران بينهما غرفة مستطيلة الشكل (جـ) ، ويتصل البرجان والحجرة من النهاية الغربية ، لهما بواسطة ممر مستطيل الشكل مستعرض (د) ، ويمتد على نهاياتهما الغربية . ويلاحظ أن البرج (ب) يتصل به فى الناحية الشمالية حجرتان (هـ ، و) ، وفى نهاية هذه الكتلة تقريبا أبنية أخرى متهدمة تماما . كما أنه من الواضح وجود إضافات أخرى متأخرة طرأت على هذا الجزء المعمارى ، الذى ما زال يمكن مشاهدة كثير من الدخلات أو التجويفات المعقودة بعقود مختلفة الأشكال ، لا تزال باقية به إلى الآن ، بالإضافة إلى بقاء بعض طبقات الملاط القديمة المكونة من أكثر من طبقة واحدة ، بلغت فى بعض الأحيان خمس طبقات . وعليه طبقا لما أرجح أنه كان بمثابة حصن الدير ، كما أننى لا أستبعد أن يكون من نوع الحصون المشيدة من ثلاثة طوابق ، وأن المتبقى منها حاليا ، إنما هو أنقاض الطابق الأول .

أما أبنية القسم الشمالى المتاخم للقسم الجنوبى السابق ، فقد تمكنا بصعوبة بالغة من متابعة هذه الجدران من سطح مستوى الأرض ، وعلى أساس ما تبقى من مداميك بسيطة ، من قوالب الطوب اللبن البارزة على السطح ، حيث يبدو أنها تمثل على الأرجح ، صف واحد من الحجرات المتجاورة (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) والتى نعتقد أنها كانت قلالى لرهبان هذا الدير ، ضمن مجموعة أخرى من الحجرات المندثرة بالدير .

والواقع أن هذه الحجرات أو القلالى ، تشبه إلى حد كبير ، مثيلاتها من قلالى الرهبان بدير الأنبا ميتاؤس الفاخورى بأصفون ، وكذلك قلالى دير المجمع الدارسة بنقادة ، وفى كل منها تتكون القلالى من مجموعتين رئيسيتين ، يفصل بينهما ردهة كبيرة مستطيلة بقبو طولى كبير .

وبالرغم من هذا الترجيح الذى يظل قائما حتى يؤيده أو يلغيه حفائر علمية تُجرى بهذا الدير والتى نعتقد فى «كلتا الحالتين» ، ستضيف شيئا جديدا وهاما عن عمارة هذا الدير والتى تقع حاليا إلى الشرق من واجهة سوره الحديث وتمتد أسفل هذا السور إلى داخل الدير .

الأبنية خارج الضلع الجنوبى : (شكل ٤٣)

يوجد على مسافة بعيدة خارج الضلع الجنوبى للسور الحالى ، الذى يحيط بهذا الدير مجموعة من الأبنية المتهدمة أيضا ، هى عبارة عن حجرات مربعة الشكل لها مدخل واحد ، ويقع أسفلها طابق ثان ، يغطيه على الأرجح ، أقبية متقاطعة وهى فى الواقع أحد إحتمالين ، إما أن تكون مقابر تحيط بهذا الدير ، خاصة وأنه يحيط به جبانة شاسعة ، لا تزال تستخدم حاليا فى الدفن ، أو أن تكون هذه الحجرات فى الأصل قلالى قديمة تقع خارج الدير ، يمضى فيها رهبان الدير ، بعض الوقت فى خلوات بعيدة عن الدير إلى حد ما ، ويؤكد هذا الاحتمال الثانى إذا ما صح ما أورده المؤرخ الكنسى أبا صالح الأرمنى ، من ذكر لبعض الأديرة فى العصر الفاطمى ، كان لها قلالى ، تقع خارج أسوارها ، يمضى فيها الرهبان جزءا كبيرا من أوقاتهم خلال النهار ، كما فى دير نهيا بالجيزة ، ثم أعيد أستخدامها بعد ذلك فى فترة متأخرة كمقابر أو غير ذلك من الاحتمالات الأخرى ؟؟

والواقع أن هذا الدير بما اشتمله من مبانى قائمة حاليا فى داخل السور ، فى مقدمتها الكنيسة الأثرية القديمة والأخرى التى تبنى (حاليا) ، أو خارج أسواره ، يعتبر من الأديرة الكبيرة ، التى كانت قائمة فى العصر الفاطمى فى منطقة صحراء نقادة ، وتحتاج الخرائب المتبقية خارج الأسوار جميعها إلى إجراء حفائر علمية كاملة ، حتى يتحقق وظيفة هذه الأبنية على وجه التحديد فى منشآت الدير [1] .

ثانيا : دير الملاك ميخائيل : (اللوحة ٤٤)

يعتبر هذا الدير آخر أديرة مركز نقادة فى ناحيتها الجنوبية ، وقد بقى من عمارته الداخلية كنيسة قديمة ، يؤرخ بناؤها فى العصر الفاطمى [2] ، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الأبنية يمكن تأريخها ، بفترات لاحقة على العصر الفاطمى .

يضم هذه الأبنية الداخلية ، سور حديث من الطوب اللبن غير منتظم الشكل (شكل ٤٥) ، مدعم من الخارج ، بدعائم ساندة من أشكال مربعة ومستطيلة ومخروطية الشكل . يقع المدخل الوحيد المؤدى إلى هذا الدير فى النهاية الشمالية ، من الضلع الشرقى للسور ، عبر فتحة مدخل معقودة بعقد نصف دائرى ، حيث يُفضى إلى ردهة مكشوفة (رقم ١) ، مستطيلة الشكل (مساحتها ١٠ر١٣م × ٩٥ر٧م) ، فى جدارها الجنوبى فتحة مدخل ، تؤدى إلى ردهة ثانية (رقم ٢) مكشوفة ، يقع إلى الشرق منها حجرتان ، لكل منها فتحة مدخل فى الجدار الغربى ، ويغطى كل منهما قبة ضحلة ، منطقة انتقالها من المثلثات الكروية .

تؤدى الردهة السابقة (رقم ٢) إلى فناء مكشوف (رقم ٥) ، مستطيل الشكل ، مساحته (٤٠ر١١م × ٢٥ر٣م) ، ويرتفع منسوب أرضيته عن مستوى أرضية الردهة السابقة بمقدار (٤٥سم) ، حيث يصطف فى الناحية الشرقية من هذا الفناء ، ممر طويل مستطيل الشكل (١١م × ٤٠ر٢م) ، يقسمه من الداخل عقدان كبيران ، على شكل نصف دائرى إلى ثلاث حجرات (أرقام ٦ ، ٧ ، ٨) ، كان يغطيها قبو نصف دارى ، سقط حاليا كثير من مداميكه .

على أنه يلاحظ وجود فجوة كبيرة ، فى أرضية الحجرة رقم (٧) ، يمكن منها رؤية قبو طولى يغطى حجرة تقع أسلفها مباشرة ، تجعلنا نعتقد بوجود حجرات أخرى مماثلة ، أسفل حجرات هذا الطابق من العمارة القديمة فى الدير ، والتى



شكل (٤٥)
المسقط الأفقى لدير الملاك ميخائيل بقامولا . (عمل الباحث)

كانت ربما تستخدم فى حفظ المؤن لفترات طويلة بالدير ، وتشبه هذه الحجرات إلى حد كبير مثيلاتها الباقية بالفناء رقم (٣) بدير الأنبا ميتاؤس الفاخورى بأصفون (شكل ٤٩) .

لقد كان هذا الدير يضم فى الأصل كنيستين ، أحدهما الجنوبية ، وهى الرئيسية الباقية الآن بالدير ، وكنيسة أخرى بنيت فى فترة متأخرة عن الكنيسة السابقة والتى شيدت فى العصر الفاطمى ، ومع ذلك فقد تهدمت ، ولم يبق منها حاليا سوى حجرة فى الناحية الشمالية الشرقية ، بالنسبة للكنيسة الرئيسية ، ذلك أنه يستفاد من تخطيط سومرز كلارك ، الذى رسمه عام (١٩٠٣) لكنيسة الدير (شكل ٤٦) أنه كان لا يزال باقيا جزءا كبيرا من الكنيسة الثانية شمل الهياكل الثلاثة فى الناحية الشرقية بالإضافة إلى بقايا من مساحات الأروقة الممتدة على هذه الهياكل ، ولكن لم يتبق سوى الحجرة السابق الاشارة إليها رقم ١٢ (شكل ٤٥) ، وهى حجرة مربعة الشكل ، يغطيها قبة ضحلة ، ويتقدمها حجاب ، يختلف عن أحجبة الكنيسة الرئيسية ، إذ يتوسطه فتحة مدخل ، بدلا من وجود مدخلين بطرفيه ، كما فى الكنيسة الأصلية وكنيسة دير القديس بقطر وكنيسة دير الشهداء بإسنا .

هذا وقد رجح سومرز كلارك أن هذه الكنيسة متهدمة ، قد بنيت فى فترة لاحقة ، إعتمادا على وجود مدخل ، عبارة عن ثقب صغير فى الضلع الشمالى للكنيسة الرئيسية ، كان يؤدى إليها ، وكان فى الأصل مدخل معقود ثم سُد فى فترة متأخرة [٣] ، وان كان هذا الرأى ، يصعب الاعتماد عليه ، دلك أن الأجزاء الباقية وقت زيارته ، لم يكن تتعدى سوى النصف الشرقى تقريبا من جسم الكنيسة ، وبالتالى لم يكن باقيا إمتداد الأروقة فى الناحية الغربية ، والتى نرجح معها وجود مدخل أو عدة مداخل فى الجدار الغربى لها ، كما هو معتاد فى معظم الكنائس المصرية .

الكنيسة القديمة : (شكل ٤٥)

يتم الدخول إلى هذه الكنيسة بواسطة فتحة مدخل تتوسط الجدار الغربى للفناء السابق رقم (١) حيث يُفضى هذا المدخل إلى فناء آخر مكشوف (رقم ٩) ،

غير منتظم الشكل ، يقع فى نهايته الجنوبية قلبة من درجات السلالم ، من قوالب الطوب اللبن ، يُهبط بواسطتها إلى ردهة صغيرة مكشوفة رقم (١٠) ، تمثل دهليز المدخل المؤدى إلى الكنيسة ، إلى الجنوب منها حجرة صغيرة ، رقم (١١) ، يغطيها قبة غير منتظمة الشكل ، ومن المرجح أنها حجرة حديثة ، إذ أن القسمين (١٠ ، ١١) ، كانا فى الأصل ضمن النهاية الغربية لهذه الكنيسة .

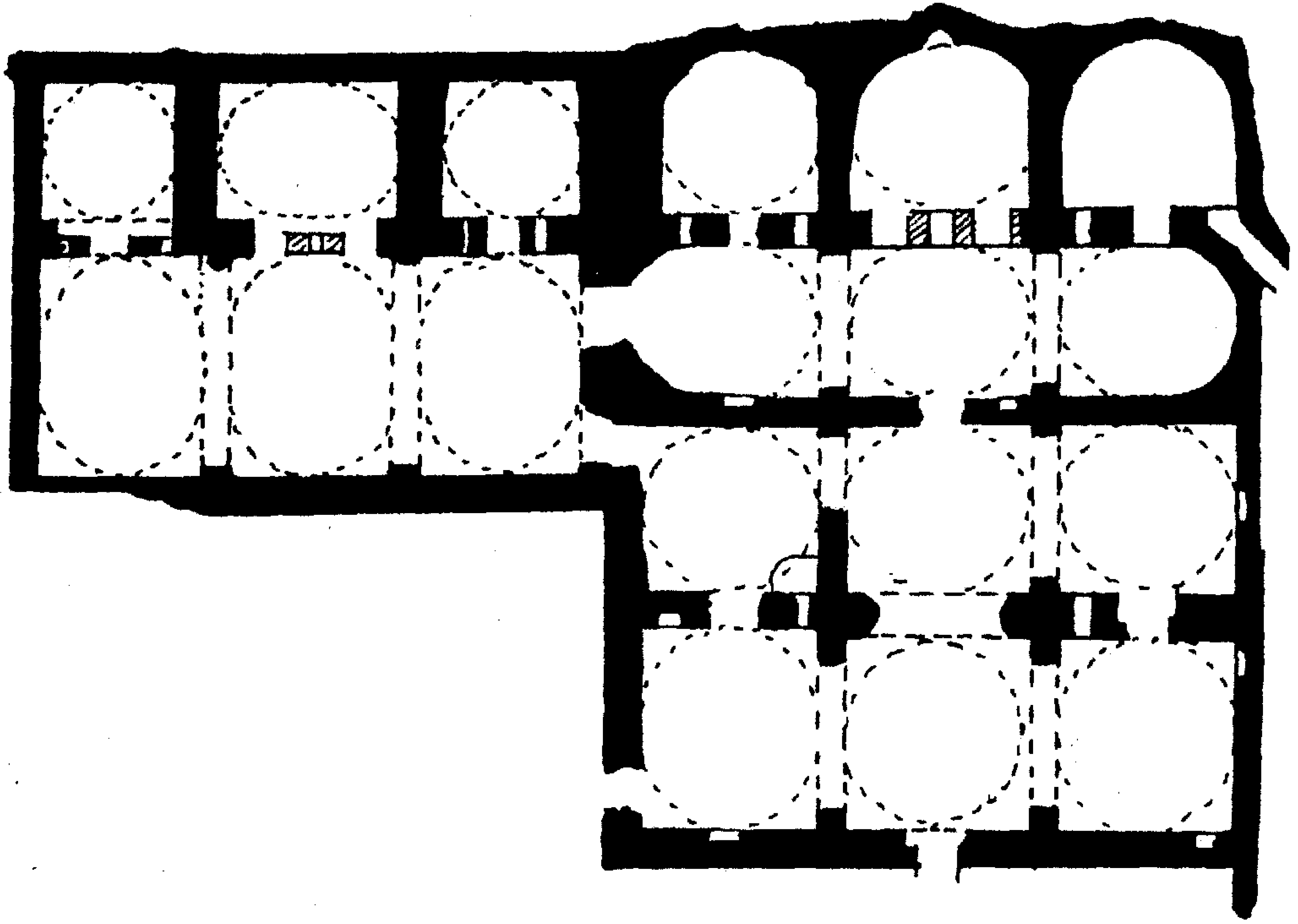
واجهة الكنيسة :

تقع واجهتها فى الناحية الغربية ، من طابق واحد ، ولايوجد بها سوى مدخل واحد ، يتوسط هذا الضلع ، ويعلوه عقد نصف دائرى الشكل .

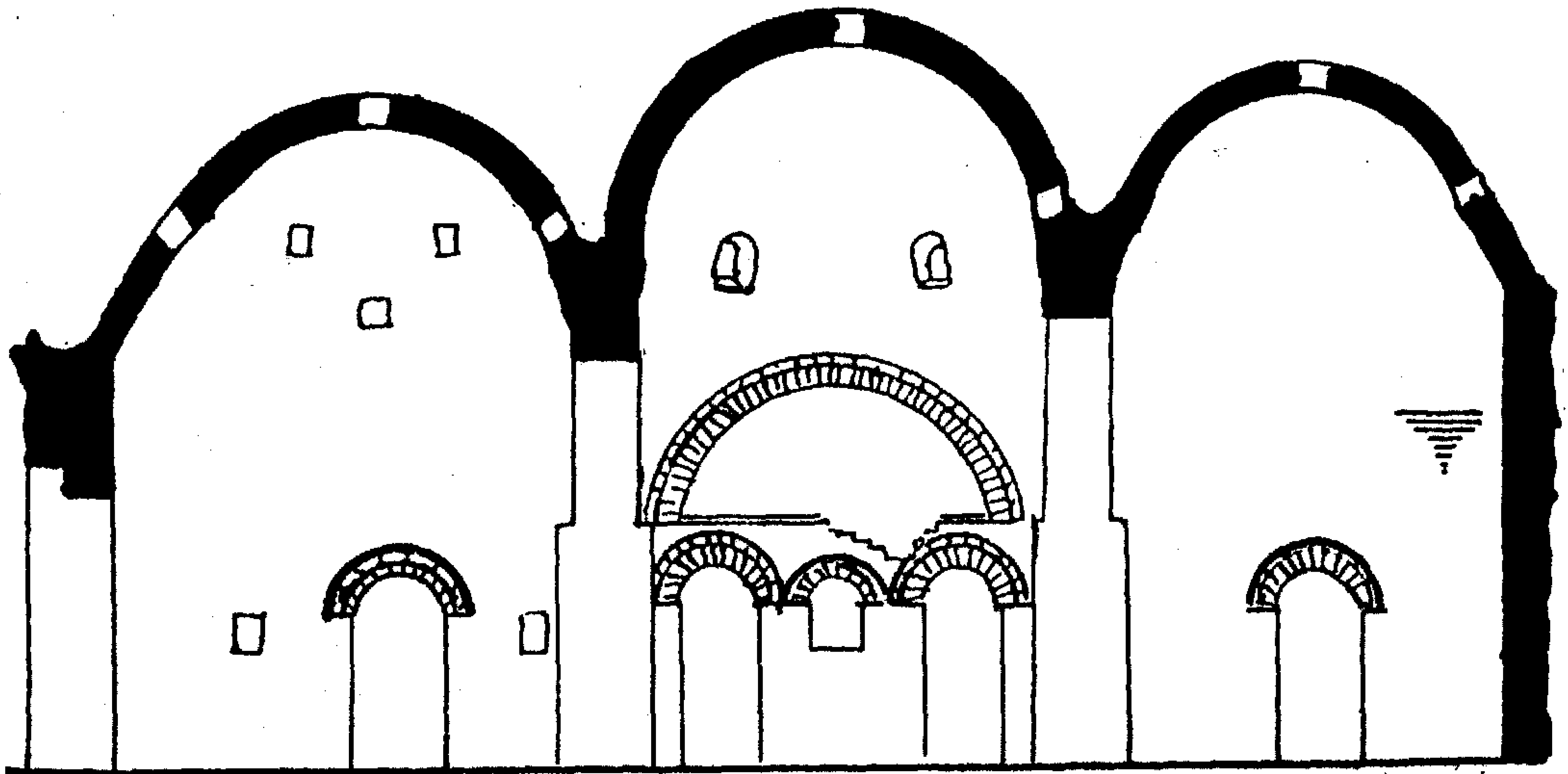
الكنيسة مستطيلة المسقط ، طولها من الداخل (١٣٫٦٠م) وعرضها (١٠م) ويقسمها بائكتان إلى ثلاثة أروقة رأسية ، أكثره اتساعا الرواق الأوسط ، ويغطى كل أقسام الأروقة الثلاثة قباب عددها إثنتا عشرة قبة غير منتظمة الأشكال (اللوحة ٤٣) .

البائكات : (شكل ٤٧) :

تتكون كل بائكة من ثلاث دعائم ضخمة على شكل صليبى ، يقوم فوقها عقود مختلفة الأشكال ، إذ يلاحظ على عقود هذه الكنيسة ، إختلافها من عقد لآخر ، ما بين الشكل المدبب والنصف دائرى ، بالإضافة إلى وضوح التصدع على هذه العقود ، نتيجة القدم ، كما أن هذه العقود ، تختلف فى إتساعها وارتفاعها أيضا . ويلاحظ أيضا أن مساحات الأروقة المربعة فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، فُصلت عن بعضها ، بواسطة جدران صماء ، تصل فى إرتفاعها ، حتى بداية إنتقال مناطق القباب ، وقد فُتح بواسطها مداخل صغيرة تصل بين هذه الأقسام ، معقودة فى أعلاها بعقود مدببة ونصف دائرية ، ويكتنف بعض منها ، دخلات فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، وقد ذكر سومرز كلارك أن فصل أقسام هذه الأروقة عن بعضها ، كان بقصد تخصيصها للنساء [٤] ، وإن كنا لا نوافقه على هذا الرأى ، إذ أن أديرة الصحراء لا يوجد بها نساء راهبات فى هذه المنطقة ، وأغلب الظن أن هذه الأقسام كانت فى الأصل مفتوحة على بعضها ، وأن فصلها مؤخرا بواسطة الجدران ، إنما كان تدعيما للبناء نفسة .



شكل (٤٦)
مسقط أفقى لكنيسة دير الملاك ميخائيل بنقادة . (نقلا عن سومرز كلارك S. Clarke)



شكل (٤٧)
قطاع رأسى جهة عقود وجدران الهياكل الثلاثة بالكنيسة السابقة .

القباب :

بغطى مساحات هذه الكنيسة ، كما تقدم ، اثنتا عشرة قبة ، تقوم على عقود البائكات السابق الاشارة إليها ، وقد ترتب على عدم انتظام مقاييس سعة وارتفاع العقود أن بنيت القباب أيضا على شكل غير متنظم (لوحة ٤٣) ، مناطق انتقالها من أشكال المثلثات الكروية . يتراوح ارتفاع هذه القباب من منسوب الأرضية حتى سمتها بين (٤٥ر٤م ، ٥٠ر٤م ، ٩٠ر٤م) ، وبنيت من مادة الطوب اللبن الذى أستخدم فى معظم جدران الكنيسة .

الواقع أن شكل هذه القباب غريب إلى حد كبير ، فهى ليست بالقباب المنتظمة الشكل ولا بالقباب الضحلة أو المخروطية الشكل ، حتى أن سومرز كلارك يذكر عنها :

«and the humble domes of the church, like inverted cups rising above it» (4).

وان كان يمكن أن نُطلق على هذا النوع من القباب ، إن صح هذا التعبير «القبة الإهللجية» . على أى حال ، فإننا نجد هذا النوع من القباب غير منتظمة الأشكال ، فى كثيرمن كنائس أديرة هذه المحافظة ، بل فى كثير من أبنيتها السكنية فى الريف حتى اليوم ، وربما دفع هذا الشكل الغريب من القباب العالم «جاييه Gayet» إلى أن ينسب كنيسة هذا الدير إلى أنواع العمائر البدائية فى البازيليكات الأولى المتعددة القباب (٥) ، وهو ما لا نوافقه عليه أيضا ، فذلك كما أشرنا إليه فى الفصول السابقة من هذا الكتاب على أنه طراز بدائى ، تقوم فيه القباب فى بعض الأحيان ، على عضادات البناء نفسه ، وربما لا يحتاج إلى وضوح كامل فى مناطق الانتقال ، وهو أمر فرضته ظروف البيئة نفسها .

الهياكل :

تقع هياكل الكنيسة كالمعتاد ، فى الناحية الشرقية من البناء ، وقد انفردت هياكلها بخصائص معمارية ، دون كنائس أديرة هذه المحافظة أيضا ، باستثناء كنيسة القديس بيسنتاؤس المجاورة لها فى حاجر دنفيق ، والتى أُعيد بناؤها على غرار هذه الكنيسة الأثرية ، وأول هذه الخصائص تتضح فى وجود زيادة ملحوظة فى سُمك الجدران على غير المعتاد ، وثانيها أن الهياكل الثلاثة مجوفة الشكل ، وهو مالم

نصادفه فى كنائس أديرة هذه المحافظة ، وان كان تجويف الجدار الشرق للهيكل يعد أمرا شائعا فى كنائس مصرية أخرى ، وثالث هذه الخصائص المعمارية ، تبدو واضحة فى فصل الهيكل الشمالى ، والآخر الجنوبى عن باقى الامتداد فى الناحية الغربية ، بينما تُرك الأوسط مفتوحا بواسطة عقد كبير نصف دائرى الشكل ، حيث يشغل مساحة فتحته من أسفل حجاب من الطوب اللبن ، بوسطة مدخل معقود بعقد نصف دائرى ارتفاعه (٧٠ر١م) وسعته (٦٠سم) ، يكتنفه من الناحيتين نافذتان على شكل مربع وان كان هذا الحجاب حديث .

الهيكل الأوسط : رقم (١٤)

تخطيطه على شكل نصف دائرى مجوف ، حدثت به بعض التجديدات ، والتى ترتب عليها سد تجويف حنية الهيكل ، حيث حل محلها دخلة صغيرة غير منتظمة الشكل بعمق (٢٠سم) ، ويوجد تجويف آخر صغير بالجدار الجنوبى (بعمق ٧٠سم) ، يقابله فى الجدار الشمالى تجويف آخر مستطيل الشكل ، كما أضيف مؤخرا بوسط هذا الهيكل مذبح مربع من الطوب اللبن ، وقد ذكر سومرز كلارك ، أنه لم يكن بهذه الكنيسة وقت زيارته أى من المذابح فى الهياكل [٦] ، وأخيرا يغطى هذا الهيكل قبة ضحلة مخروطية الشكل تقوم مباشرة على عضادات البناء .

الهيكل الجنوبى : رقم (١٣)

تخطيطه مماثل لتخطيط الهيكل السابق ، إذ أنه مجوف الشكل ، يغطيه قبة مماثلة ، ويتوسطه مذبح حديث ، إلا أنه يتميز بوجود فتحة فى الزاوية الجنوبية الغربية من الجدار الجنوبى (بعرض ٤٠سم) وارتفاع (١م) ، تؤدى إلى تجويف غريب الشكل ، لا نظير له فى كنائس أديرة هذه المحافظة ، وهو تجويف قديم فى سُمك الجدران ، غير معلوم طبيعته وربما يؤدى إلى سرداب أو غير ذلك ، ويعلو هذا التجويف عقد قديم صغير مدبب الشكل ، وقد ذكر سومرز كلارك أنه يعتقد ، بأن هذا التجويف يؤدى إلى ممر يقع خارج الكنيسة ؟؟ [٧]

الهيكل الشمالى : رقم (١٥)

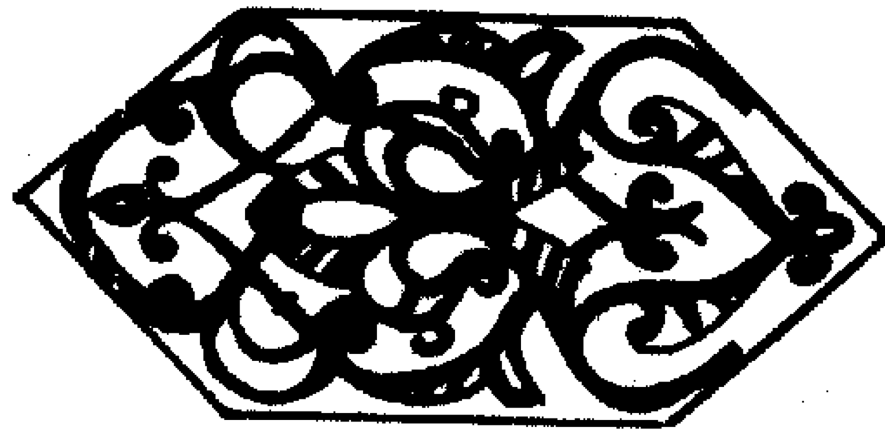
تخطيطه أيضا مماثل للهيكلين السابقين ، يغطيه قبة ، ويتوسط جداره الشرقى حنية صغيرة بعمق (٢٠سم) ، وقد فتح فى الجدارين الشمالى والجنوبى ، دخلتان صغيرتان متماثلتان بعمق (٢٠سم) ، ويتوسطه مذبح حديث من الطوب اللبن .

بئر الدير :

تقع بئر هذا الدير خارج واجهة الضلع الشرقى من السور الحديث ، حيث تبعد عن الدير بمسافة حوالى (٣٦م) . والواقع أن هذه البئر تثير بعض التساؤلات منها ، هل كانت هذه البئر تقع داخل الأسوار القديمة للدير فى حالته الأولى ؟ ، وعلى هذا الأساس ، إذا ما أضيفت المسافة السابقة بين البئر وبين الأسوار الحالية تكون مساحته كبيرة ، وكان يعد من أكبر أديرة نقادة ؟ ، وربما أيضا يذكرنا بالخلط الذى وقع فيه المؤرخ أبو صالح حين أطلق علية «دير الملاك ميخائيل ويعرف بدير العين» وأن كان دير العين الحقيقى لا يزال خرائبه باقية ، على بُعد عدة كيلو مترات من هذا الدير ؟ .

على أى حال فإن هذا الأمر فى اعتقادنا ، سيظل معلقا ، حتى تُجرى حفائر علمية ، يتحدد من خلالها الأسوار القديمة للدير ، وبالتالى مساحته الرئيسية :

أما البئر فهى كبيرة ، متسعة فوهتها من أعلى (قطرها ٩٥ر٤م) ، يتوسطها عقد قديم من الآجر ، نصف دائرى الشكل ، وقد بنيت البئر من الداخل ، بدماميك كبيرة الحجم من الآجر حيث وضعت خمسة منها أفقية وخمسة على سيفها بالتوالى ، وأغلب الظن أن هذه البئر ، حُفرت فى فترة ربما تكون سابقة على الدير والذى أنشىء فيما بعد على مقربة منه ؟؟ .



الباب السابع

التخطيط المعمارى لأديرة إسنا الباقية

الفصل الأول : دير الأنبا ميتاؤس المعروف بدير الفاخورى بأصفون

الفصل الثانى : دير القديس آمونيوس المعروف بدير الشهداء بإسنا

بقى من العمائر القبطية القديمة بمركز إسنا بمحافظة قنا ديران ، الأول هو دير القديس ميتاؤوس الفاخورى بقرية أصفون ، والحق أن هذا الدير ، يعتبر فى نظرنا ،» من أهم الأديرة المصرية ، ومع ذلك فإنه لم يحظ بدراسات أثرية مفصله عن عمارته التى ترجع إلى فترات مختلفة ، أو زخارفه الهامة والتى نُشرت أخيرا فى كتاب للعالم الفرنسى «لورى» . ويُزيد من أهمية هذا الدير مساحته الكبيرة وأسواره التى تقلصت أيضا امتداداتها خلال العصور المتلاحقة ، وغموض شخصية صاحبه فى المصادر المسيحية والإسلامية .

أما الدير الثانى فهو دير الشهداء بإسنا ، أو ما يعرف حاليا بدير القديس آمونيوس ، ذلك أن كنيسة هذا الدير ، على جانب كبير من حيث أهميتها المعمارية والزخرفية فى العصر الفاطمى وقد أشار إلى عمارته بعض الرحالة والعلماء الأجانب وغيرهم من العرب . هذا وقد طرأ تغيير معمارى على كنيسته الأولى وقد عرضنا لهذا التغيير على ضوء تخطيط جديد لهذا الدير فى حالته الراهنة الآن .

الفصل الأول
دير الأنبا ميتاؤس المعروف بدير الفاخورى

يتميز دير الأنبا ميتاؤس الفاخورى بصحراء أصفون ، بأن عمارته تجمع بين القديم ، الذى يمكن تأريخه بالعصر الفاطمى وبين الجديد والذى يرجع إلى الفترات التى تلت العصر الفاطمى ، منها ما كان تدعيما لجدران آلت للسقوط ، أو إضافات شملت مبانى مختلفة ، منها على سبيل المثال كنيسة بقصد الزيادة فى عمائر ومنشآت الدير خلال العصور المختلفة . وفيما يلى دراسة معمارية موجزة لوحدات هذا الدير الهام .

أسوار الدير القديمة : (شكل ٤٨)

الواقع أن الأسوار القديمة الأصلية للدير قد تهدمت ، ولم يبق منها سوى أجزاء قليلة جدا أُعيد ترميمهما فى فترات لاحقة ، ومع ذلك فقد سقطت وتهدمت حاليا ، وقد حاولت بشيء كبير من الدقة ، وبقدر ما سمحت به الظروف ، من متابعة الجدران القديمة لهذه الأسوار وتحديد مقاييسها من إمتداد وارتفاع وسُمك للجدران . على أنه يمكن القول بأن هذه الأسوار بنيت فى مرحلتها الأولى من الطوب

اللبن ، الذى يتوفر وجوده من حجم وسُمك كبير يتراوح بين متر واحد متر وثلاثين سنتيمترا ، وذلك فى أجزاء مختلفة ، من حدود إمتدادته فى الجهات الأربع ، وقد تم تدعيم هذه الأسوار من الخارج بتحصينات قوية ، تمثلت فى وجود الدعائم الساندة المربعة والمستطيلة والمخروطية الشكل ، وكذلك الأبراج الدائرية ونصف الدائرية ، لا سيما فى الناحية الغربية التى تواجه الصحراء ، حيث كانت تكثر غارات البدو ، على رهبان الدير ومنشآته ، وسنتناول بشىء من التفصيل وصف كل ضلع من أضلاع السور القديم .

الواجهة الرئيسية بالضلع الشرقى :

لقد تهدمت واجهة هذا الجدار وأُعيد بناؤها فى فترة متأخرة ، لعلها كانت فى القرن الماضى ومع ذلك فقد تهدم أيضا بعضها ، حيث تمت عملية التجديد فى غير الموضع الأصلى ، ذلك أن آثار السور القديم لهذا الضلع ، يمكن تتبعه بشىء من الدقة ، واعتمادا على خريطة قديمة ، رسمت لمساحة الدير فى القرن الماضى ، أمكننا تحديد الزاوية الجنوبية الشرقية ، والتى لا يزال باقيا بها بقايا من مداميك الطوب اللبن القديمة ، حيث يمتد منها اتجاه السور إلى الشمال وبالتالى إلى الغرب ، ويبلغ سُمك السور فى هذه الناحية (١٠ر١م) ، حيث نرجح أن يكون المدخل القديم لهذا الدير وسط هذا الضلع من الواجهة ، اعتمادا على وجود فتحة مدخل ، يكتنفها من الداخل آثار جدران ، ربما كانت تشكل بقايا من برجين ، يتوسطهما المدخل .

كذلك يلاحظ وجود بقايا من آثار قوالب الطوب اللبن (ب) فى الجهة الجنوبية من هذا الضلع ، تشير فى الأصل لبرج صغير نصف دائرى الشكل . ويبلغ طول هذا الضلع (الشرقى) على وجه التحديد (٣٠ر٩٩م) حيث يمتد مستقيما حتى نهايته فى الناحية الشمالية وقبل إنكساره قليلا إلى الغرب ، توجد بهذا الضلع فتحة مدخل صغيرة (١م) ، ينكسر عندها هذا الامتداد فى إتجاه الغرب بمسافة (٨٠ر٦م) ، ثم يعاود بعدها السور امتداده الطبيعى فى اتجاه الشمال لمسافة (٣٠ر١١م) ، وينتهى فى الناحية الشمالية بتعامد الضلع الشمالى القديم للسور

عليه . وعلى هذا الاساس فإن طول هذا الضلع (الواجهة) ، كان يبلغ فى الأصل حوالى (٦٠ر١١٠م) ، وأن المدخل الأصلى للدير كان يتوسطه ، وذلك لعدة أسباب منها : أن هذا الضلع ، يواجه قرية أصفون القديمة التى تبعد عن الدير ببضع كيلو مترات ، مما يعطى للدير أمانا أكثر ، من وجود المدخل فى الضلع الغربى المواجه للصحراء الشاسعة والتى يسهل منها شن الغارات قديما على رهبان الدير . كما أنه يكتنف المدخل بقايا من جدران متهدمة ومطمورة ، فى باطن الرمال ، يرجح معها أن تكون بمثابة برجين أو حجرات للحراسة ، كما فى دير القديس سمعان بأسوان [1] ، كما أنه يحتمل أيضا أن تكون فتحة المدخل الصغيرة الأخرى (جـ) ، والسابق الإشارة إليها ، أن تكون قد أحدثت فى فترة متأخرة ، ومن الواضح أن الأضلاع الثلاثة الأخرى ، لا يوجد بها فتحات للمداخل .

الجدار الغربى :

يختلف هذا الجدار للسور تماما عن الجدار الشرقى ، ذلك أن طبيعة البناء فى الناحية الغربية وفى مواجهة الصحراء ، قد تطلبت أن يكون أكثر أضلاع السور تدعيما وتحصينا ، ومن حسن الحظ أنه لا يزال باقيا إلى اليوم كثير من معظم إمتداده ، وبارتفاع كبير ، بلغ فى بعض الأجزاء منه ، حوالى ستة أمتار ، ويبدو امتداد هذا الضلع من الزاوية الشمالية الغربية ، التى ينتهى عندها امتداد الضلع الشمالى فى النهاية الغربية ، حيث يوجد فى هذه الزاوية ، بقايا من برج مستدير (د) ، قطره من الداخل (٨٠ر١م) ، متهدم حاليا وممتلىء من الداخل بمداميك من قوالب الطوب اللبن .

على أن هذا السور يمتد جنوبا حتى مسافة قدرها (٩٠ر١٠م) ، ثم ينكسر فى اتجاه الغرب بطول (١٠ر١٠م) ، ثم يعاود امتداده الطبيعى فى الاتجاه الجنوبى حيث يوجد برج ضخم فى زاوية الانكسار تام الاستدارة من الطوب اللبن (هـ) ، سميك الجدران ، يبلغ قطره من الداخل (٥٠ر٤م) . ويستمر السور فى امتداده الطبيعى فى اتجاه الجنوب حتى مسافة (٢٩م) ، ينكسر بعدها السور فى الناحية الشرقية لمسافة (٧٠ر٥م) ، يأخذ بعدها امتداده الطبيعى لمسافة (٦٧م) ، منحرفا إلى الداخل فى الناحية الشرقية . يبلغ طول جدار السور فى هذه الناحية حوالى (١٠٦م) مقابل (٦٠ر١١٠م) فى ضلع الواجهة الشرقية السابقة .

الجدار الشمالى

الواقع أن هذا الجدار يكاد يكون متهدما تماما ، إلا أننى حاولت تتبع امتداده من خلال مداميك قليلة واضحة على السطح ، حيث يتضح أن طول إمتداد هذا الضلع ، (٥٠ر٨٢م) . على أنه يتضح وجود برجين كبيرين (ز ، ط) ، من خلال بعض المداميك القليلة الباقية المتهدمة ، على شكل نصف دائرى ، يحصران بينهما برجا آخر نصف دائرى الشكل ، أقل حجما منها .

الجدار الجنوبى :

لم يبق من مداميك هذا الجدار شيء يذكر ، فيما عدا وجود طرفى رباط ، فى الناحيتين الشرقية والغربية ، تحدد طول هذا الضلع الذى يبلغ (٥٨م) .

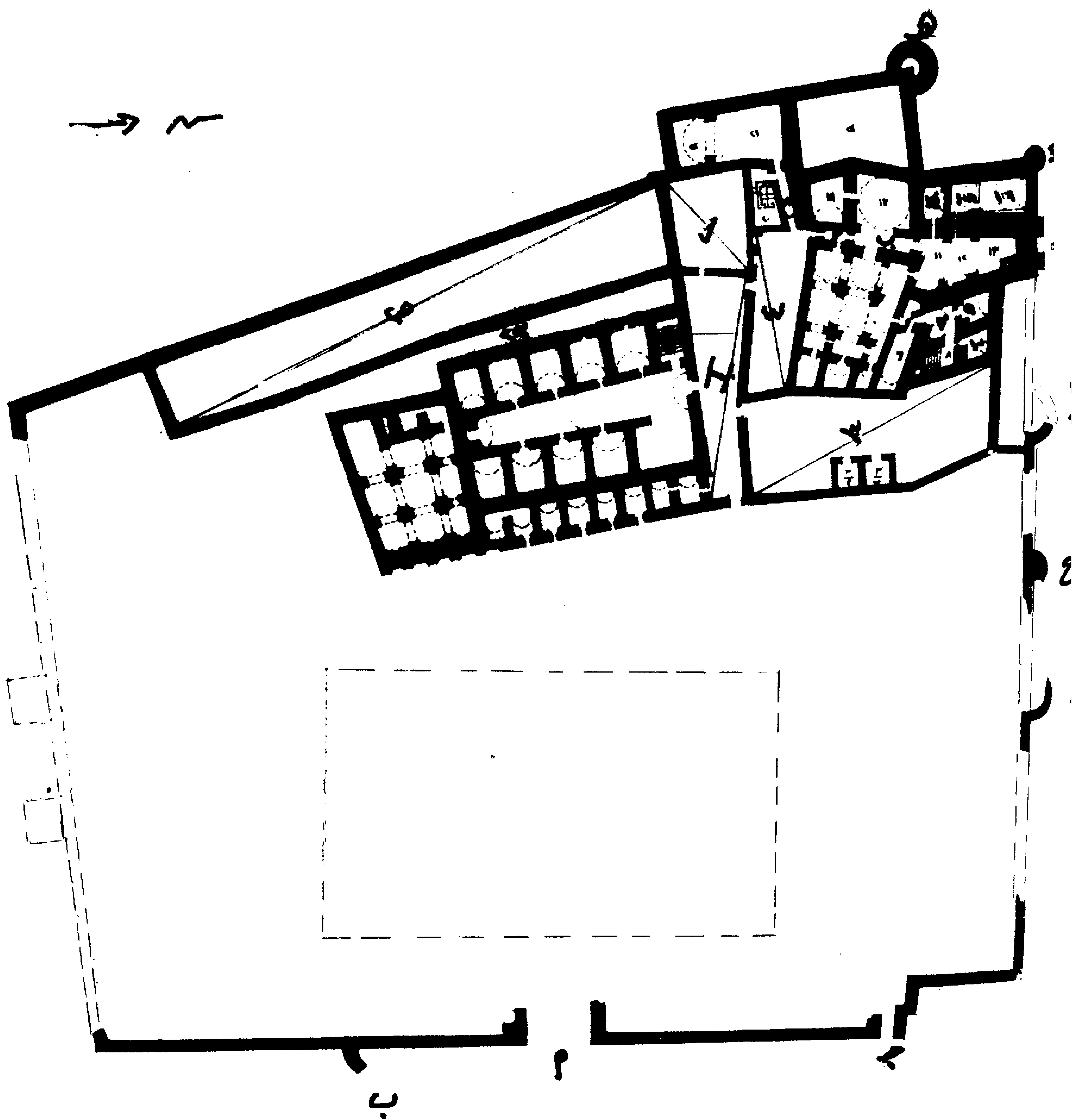
والواقع أن مساحة هذه الجدران الأربعة للسور ، تضم بداخلها مساحة تناهز فدانين من الأراضى ، وإن كانت مبانى الدير القائمة حاليا ، تبعد عن جدار السور القديم بحوالى (٥٠م) حيث السور الحديث فى هذه الناحية ، ولا يوجد فى هذه المساحة (حاليا) ، سوى بئر الدير القديم .

الدير : (شكل ٤٨)

تضم أسوار الدير القديمة مجموعتان من المبانى (المجموعة أ ، المجموعة ب) ، يفصل بينهما ردهة كبيرة مستطيلة الشكل مكشوفة رقم (١) (شكل ٤٨) . تشمل المجموعة الأولى (أ) : كنيسة الدير القديمة وحصنه والمائدة ، وبعض الملحقات فى الناحية الشمالية الغربية ، وملحقات أخرى فى الناحية الغربية وغيرها فى الناحية الجنوبية الغربية .
أما المجموعة (ب) ، فيوجد بها مجموعة من القلالى الأثرية القديمة وكنيسة أخرى قديمة تهدمت فى الناحية الشمالية .

واجهة الدير الحالية :

هذه الواجهة من طابق واحد ، يبلغ طولها (١٠ر٧٦م) ممتدة من الشمال إلى الجنوب ، ويمكن تقسيمها إلى جزءين رئيسيين أحدهما الجزء الشمالى (لوحة ٤٥) ،



شكل (٤٨)
المسقط الأفقى لعمائر دير الفاخورى بأصفون . (عمل الباحث)

عبارة عن جدار حديث مصمت ، بارتفاع حوالى (٤٫٢٠م) ، لا يوجد به أى فتحات ، غُشى بطبقة من الملاط من مادة الجير ، أما القسم الجنوبى (لوحة رقم ٤٦) ، فهو أكثر قدما من الجزء السابق ، وبه خمسة مداخل قديمة ، معقودة فى أعلاها بعقود مدببة قليلا ، يعلوها خمس نوافذ صغيرة ، على شكل فتحات السهام ، وان كان يلاحظ وجود نافذتان صغيرتان أيضا ، كانتا تفضى مع المداخل الخمسة السابقة فى الأصل إلى سبع قلالى صغيرة قديمة ضمن عمائر المجموعة الجنوبية (ب) ، وقد حدث فى فترة متأخرة ، سد مدخلين منها ، وأُستعيض عنهما بمدخل آخر من داخل الفناء الرئيسى رقم (١) ، بينما تركت فتحات نوافذ الواجهة كما هى .

يقع إلى الجنوب من المدخل السابق خمسة عقود كبيرة مجوفة ، بنيت من الآجر وعلى شكل مدبب ممتد ، وهذه العقود ناتئة عن جدار الواجهة قليلا ، وترتكز أرجلها على دعائم بارزة صغيرة ، وهذه العقود متماثلة تماما ويبلغ ارتفاعها (٤٫٣٠م) ، كما أن سعة الفتحة بين رجلى العقد (١٫٧٥م) ، وأخيرا يعلو جدار هذه الواجهة إفريز ممتد ، تساقط كثير من أجزائه .

يتوسط قسمى الواجهة فتحة المدخل الحديثة المؤدية إلى الدير ، يعلوها عقد نصف دائرى ، ويتصدرها من أسفل عتب حجرى قديم ، مستطيل الشكل ، عليه بقايا حروف من اللغة المصرية القديمة . يؤدى هذا المدخل إلى فناء كبير غير منتظم الشكل ، حيث يُقسم عمائر الدير الداخلية ، إلى مجموعتين رئيسيتين ، فى الناحية الشمالية (أ) والناحية الجنوبية (ب) .

والواقع أن هذا الفناء ، يبدو على جدرانه مظاهر القدم والتى اختلط بها تجديدات واضافات ، ففى الجدار الشمالى لهذا الفناء ، يلاحظ وجود فتحة مدخل قديمة مصمتة حاليا ، كانت فى الأصل معقودة بعقد نصف دائرى ، ومدخل آخر ، يرتكز على بدن عمود قديم ويؤدى هذا المدخل الأخير إلى الجزء رقم (٣) . على أنه يلاحظ وجود سبعة تجويفات صغيرة ، محصورة بين فتحة المدخل السابقة ، وفتحة مدخل أخرى ، تقع فى النهاية الغربية من ضلع الفناء السابق (الشمالى) من الآجر ، ويعلوها عقود نصف دائرية متماثلة ، وأغلب الظن أن هذه الدخلات القديمة ، كانت مزخرفة برسوم الفرسكو إذ يمكن مشاهدة بعض آثار الملاط القديم

على بعض منها وعليه بقايا طفيفة جدا من رسوم الألوان ، وربما كانت هذه الدخلات ، معدة لوضع المصابيح بها ، حين يتم الدخول أو الخروج بين قلالى الدير فى الناحية الجنوبية والأجزاء الأخرى فى الناحية الشمالية . كما يقع إلى الغرب من هذه الدخلات وعلى نفس الجدار ، مدخل مرتفع وبارز من الآجر ، يعلوه عقد مدبب الشكل ، يبدو أنه كان يوجد أعلاه لوحة تأسيسية نزعت من مكانها . أما الجدار الجنوبى لهذه الفناء فهو منتظم الشكل ، وأكثر إرتفاعا من الجدار السابق (٥ر٨٠م) ويبدأ فى الناحية الشرقية منه بفتحة مدخل ، تؤدى إلى حجرتين متداخلتين ، يغطيهما قبو نصف دائرى ، والواقع أن هاتين الحجرتين تتبعا صف قلالى الواجهة من الناحية الجنوبية .

يتوسط هذا الجدار تقريبا كتلة مدخل بارزة ، بوسطها فتحة مدخل معقودة بعقد مدبب الشكل ، تؤدى إلى مجموعة القلالى القديمة ، ضمن عمائر المجموعة (ب) فى الناحية الجنوبية من الدير ، وتعتبر هذه الفتحة أصلية قديمة فى عمارة الدير ، إذ أنها تفضى مباشرة إلى الردهة الكبيرة ، المصطف على جانبيها صفا القلالى القديمة ، وعليها بقايا من آثار رسوم الألوان المائية القديمة باللون الأحمر وكذلك بقايا من بعض الحروف القبطية باللون الأسود . أما الجدار الغربى للفناء السابق (رقم ١) ، فهو حديث من الطوب اللبن ، قليل الارتفاع ومفتوح فى نهايته الجنوبية ، ويؤدى إلى المساحة رقم (٢) مستطيلة الشكل ، كانت فى الأصل إمتداد للفناء السابق (رقم ١) .

وتبدو التغييرات المعمارية واضحة على الجدارين الشمالى والجنوبى لهذه المساحة (رقم ٢) ، إذ نجد بالجدار الشمالى ، عقدين مصمتين حاليا من الطوب اللبن ، وفى الجدار الجنوبى مدخل معقود أيضا ، بالإضافة إلى بعض الفتحات الأخرى والمصمته حاليا .

أولا : عمائر المجموعة الشمالية :

تضم عمائر هذه المجموعة العديد من وحدات الدير المعمارية ، والتى ترجع إلى فترات قديمة ، فهى تشمل كنيسة الدير الأثرية والحصن والمائدة وملحقات أخرى فى النواحى الشمالية الغربية والغربية والجنوبية الغربية ، بالإضافة إلى حجرتين

قديمتين متهدمتين فى الناحية الشرقية ، حيث يضمهما فناء كبير مكشوف مستطيل الشكل ، وقد كانت تغطيهما فى الأصل من قبتين صغيرتين ، مناطق إنتقاليهما من المثلثات الكروية ، بالإضافة إلى وجود الدخلات أو الكوات فى بعض الجدران . ومن الواضح أن الحجرتين تشكلان الطابق الأول ، إذ يلاحظ فى أرضيتهما وجود آثار لقبو متقاطع يُشكل تغطية الطابق السُفلى ، والذى ربما كان معدا لتخزين بعض المؤن فى الدير ، أو للدفن .

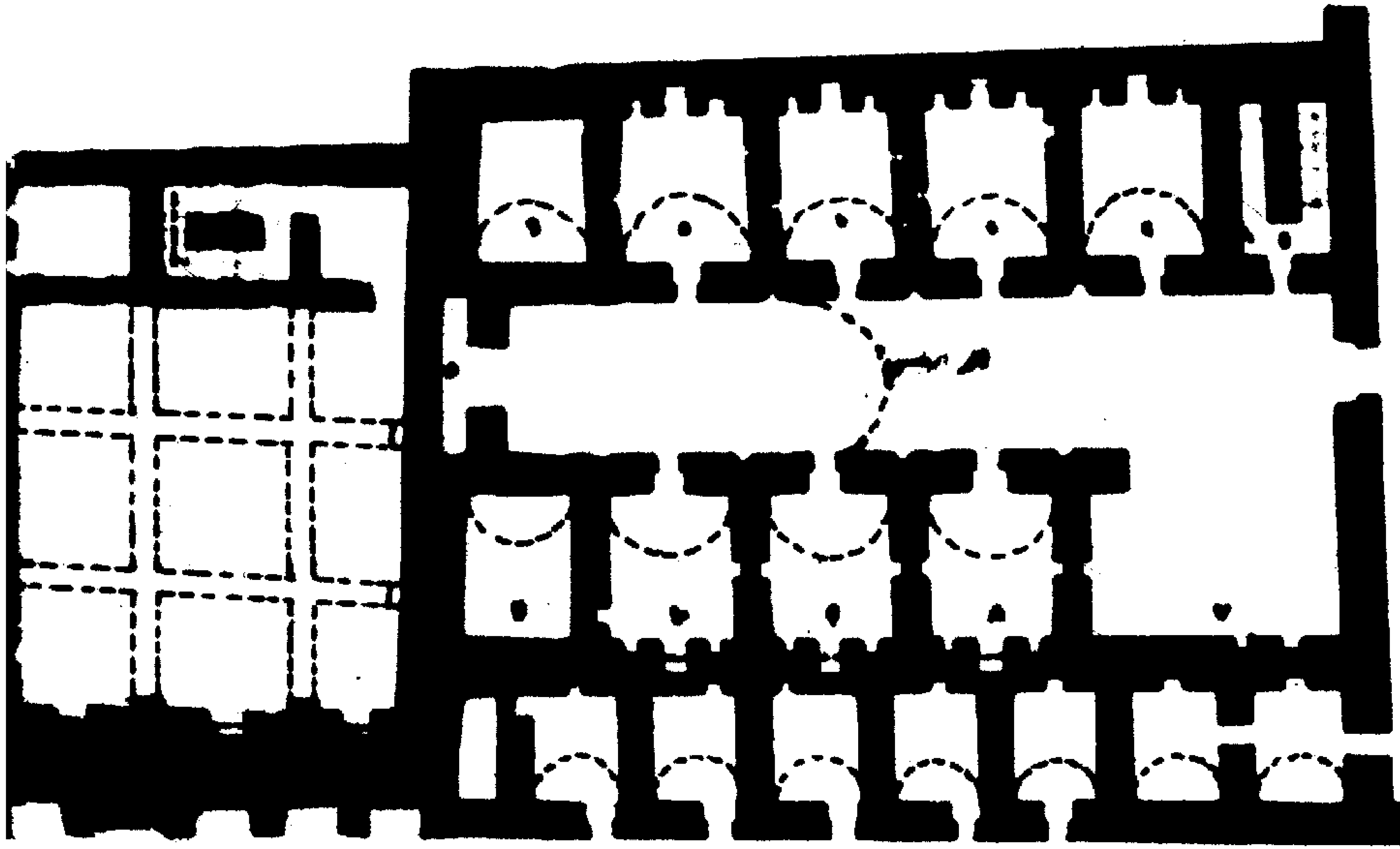
كنيسة الدير الأثرية : (شكل ٤٩)

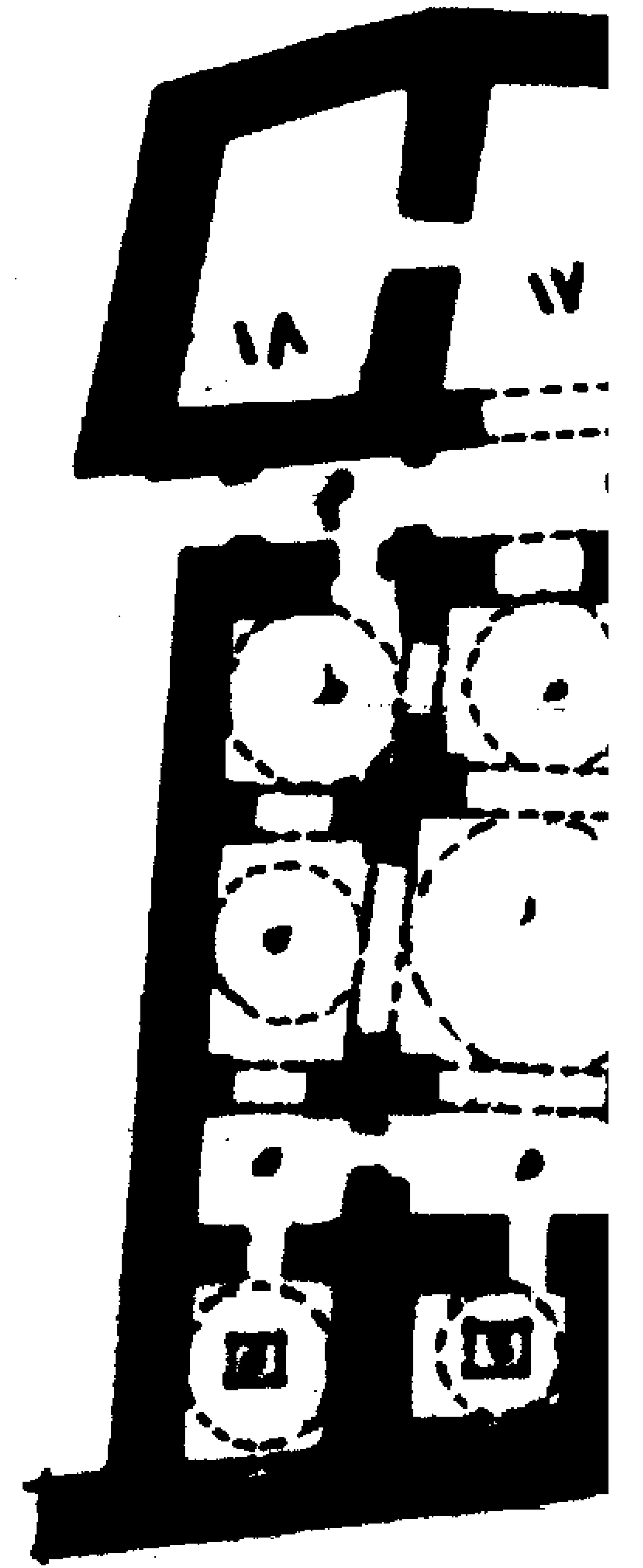
يتم الوصول إلى هذه الكنيسة من الفناء رقم (٤) ، وهو فناء كبير مستطيل الشكل (٦٥ر١٦م × ٣٧ر٤م) ، ترتفع أرضيتها عن منسوب الفناء رقم (١) بحوالى (٤٠ سم) ، والأرضية مغطاة بقوالب من الآجر القديم ، وتمتد هذه الردهة أو الفناء ، على طول امتداد الكنيسة من الشرق إلى الغرب .

وتعتبر هذه الكنيسة أو ما يطلق عليها حاليا «هيكل الأنبا ميتاؤس الفاخورى» ، من أهم الأجزاء المعمارية فى هذا الدير القديم ، والتى يمكن تأريخها على وجه الدقة بالعصر الفاطمى ، اعتمادا على الطراز المعمارى فيها وعلى بقاء كثير من زخارف الفرسكو بها .

الكنيسة صغيرة مستطيلة الشكل طولها (٧٧ر١٣م) ، (وعرضها ٢٣ر٩م) بنيت من الآجر وقوالب الطوب اللبن ، إذ أستخدم الآجر فى بناء العقود والقباب التى تغطى معظم أجزاء الكنيسة ، بالإضافة إلى استخدامه فى الدعائم الأربعة الكبيرة والحاملة لقبة البناء الرئيسية . وفيما يلى الوصف المعمارى لهذه الكنيسة الهامة :

يقع المدخل المؤدى إليها كما تقدم من فتحة المدخل فى النهاية الغربية من الجدار الشمالى للردهة المكشوفة رقم (٤) ، على شكل عقد نصف دائرى ، يتوسطه عقد آخر ، نصف دائرى أيضا ، بوسطه باب خشبى حديث من مصراعين ، بوسط كل مصراع صليب خشبى مضاف ، من النوع المتعدد الرؤوس وتؤدى فتحة المدخل هذه إلى ممر (أ) قصير طوله (٥٠ر٢م × ٢٠ر١م) عرضا ، يغطيه قبو طولى من الآجر ويرتكز فى الناحيتين الشرقية والغربية على جدران قصيرة ،





ة الدير

القلالى القديمة

كنيسة متهدمة



شكل (٤٩)
تخطيط كنيسة الدير الأثرية والقلالى القديمة . (دير الفاخورى)

بنيت من الحجر الرملى ، ويفتح هذا الممر فى نهايته الشمالية على ممر آخر طويل بواسطة عقد نصف مستدير ممتد (ب) ، وهو ممر ضيق أيضا ، طوله (٢٦ر٦م) وعرضه (٤٠ر١) .

والواقع أن الممرين السابقين (أ ، ب) ، يشكلان فاصلا بين الكنيسة فى الناحية الشرقية وبين حجرات أخرى هامة ، تقع فى الناحية الغربية ، قديمة ، وان كانت قد تعرضت لبعض التجديدات والاضافات .

الكنيسة من الداخل مقسمة إلى ثلاثة أروقة رأسية بواسطة صفين من البائكات ، كل صف مكون من أربع دعائم ضخمة ، على شكل صليبى ، يقوم فوقها عقود نصف دائرية ممتدة من الآجر تحمل قباب الكنيسة وأقبيتها ، بعضها من الطوب اللبن والآخر من الآجر ، وفى الناحية الشرقية ، توجد الهياكل الثلاثة .

ولما كانت الأروقة الثلاثة مقسمة من الداخل إلى مساحات ، تختلف من رواق لآخر ، بل فى داخل مساحات الرواق ، ووسيلة تغطيتها ، لذلك فإننا سنتناول وصف كل رواق على حدة :

الرواق الأوسط :

يتميز هذا الرواق ، بأنه أكثر أروقة الكنيسة إتساعا وارتفاعا ، اذ يبلغ عرضه (٢٠ر٤م) ، بينما سعة الرواق الشمالى (٢م) والجنوبى (٣٠ر٢م) ، كما أنه يغطى المساحة الوسطى منه قبة ، هى القبة الرئيسية فى الكنيسة (د) ، إذ تغطى هذه القبة ، مساحة مربعة الشكل (٢٠ر٤م) ، تقوم على أربعة عقود نصف دائرية ممتدة تحملها دعامات صليبية الشكل ، واستخدمت الحنايا الركنية فى منطقة الانتقال فى الزاوية الأربعة لتحويل المربع إلى مثمن ، والواقع أن هذه القبة حديثة ، إذ أن القبة الأصلية تهدمت منذ أكثر من خمسين عاما . على أنه يلاحظ أنه يغطى القسم الذى يتقدم هيكل هذا الرواق قبو من الطوب اللبن بارتفاع ٣٠ر٤م ، ويتصل هذا القسم بالهيكل الرئيسى ، بواسطة مدخل صغير معقود بعقد نصف دائرى . أما هيكل هذا الرواق ، فهو عبارة عن حجرة صغيرة مربعة الشكل ، يغطيها قبة ضحلة ، بارتفاع (٢٠ر٤م) ، مناطق إنتقالها من المثلثات الكروية ، ويتوسطها

مدبح مبنى من الآجر مربع الشكل (٩٠سم) ، كما يتوسط الجدار الشرقى تجويف نصف دائرى بعمق (٤٥سم) ، يعلوه عقد نصف مستدير ، كما تعلو هذه الحنية أو التجويف نافذة صغيرة على شكل فتحة السهام .

الرواق الشمالى :

يعتبر هذا الرواق أقل أروقة الكنيسة إتساعا (٢م) ، ويلاحظ أن جدار الكنيسة الشمالى الذى يحد هذا الرواق ، ينكسر قليلا إلى الداخل فى الاتجاه الشرقى ، كما يوجد به مدخلان فى الناحيتين الغربية والشرقية منه . يغطى المساحة الأولى منه قبة ضحلة بارتفاع (٣٣ر٤م) والمساحة الوسطى يغطيها قبو (ارتفاع ٧٠ر٤م) ، أما هيكله فيغطيه قبة ضحلة ، ويتوسط الهيكل مذبح مربع مبنى من الحجر الرملى (٧٠سم × ٩٠سم إرتفاع) . يتميز الجدار الشمالى لهيكل هذا الرواق بوجود دخلتين صغيرتين ، يعلو كل منهما طاقة صغيرة مربعة المسقط ، كما يلاحظ عدم وجود تجويف الحنية فى الجدار الشرقى ، وقد أُستعيض عنها بعمل طاقة صغيرة اسطوانية الشكل .

الرواق الجنوبى :

يتكون هذا الرواق من أربعة أقسام تبدأ فى الناحية الغربية ، حيث يغطى القسم الأول منه قبة ارتفاعها (٨٥ر٥م) ، منطقة انتقالها من المثلثات الكروية ، ثم القسم الثانى ، يغطيه قبو نصف دائرى ، مماثل لنظيره فى الرواق السابق ، و القسم الثالث ، يغطيه قبة بإرتفاع (٣٥ر٥م) ، منطقة انتقالها أيضا من المثلثات الكروية ، وينتهى هذا الرواق فى الناحية الشرقية بالهيكل ، الذى يُدخل إليه من فتحة صغيرة سعتها (٨٠سم) ، معقودة بعقد نصف مستدير ، ويغطى هذا الهيكل قبة غير منتظمة الشكل بارتفاع (٣٥ر٤م) ، ويتوسط الجدار الشرقى ، حنية بعمق (١٥سم) ، كما يضم هذا الهيكل بوسطه مذبح من الحجر الرملى ، مربع الشكل ، (٨٠سم × ٩٥سم ارتفاع) .

الواقع أن هذه الكنيسة الصغيرة بأروقتها الثلاثة ، والتى يغطى المساحة الوسطى منها قبة شاهقة الاتفاع (٨٠ر٩م) ، لتعتبر من أنواع الكنائس الهامة التى وجدت فى العصر الفاطمى ، وقد وضع فى أركانها الأربعة ، أربع قباب صغيرة أقل

إرتفاعا منها . وقد أشار أبو صالح الأرمنى ، فى خططه عن الكنائس والأديرة المصرية ، فى العصر الفاطمى ، إلى ما يشابه تخطيط هذه الكنيسة ، ومن أمثلة ذلك كنيسة أبريم بالنوبة ، وفى مدينة أبقاج ، وكنيسة ثالثة بمدينة الأسكندرية ، كما أثبت مونريه دى فيلارد أن كنيسة سمعان بديره بأسوان ، كانت من هذا النوع [٢] .

حصن الدير : (شكل ٤٨ ، اللوحة ٤٥)

يقع حصن هذا الدير فى الناحية الشمالية الشرقية مباشرة من الكنيسة السابقة ، ويتصل حاليا بهذه الكنيسة ، إذ يقع المدخل المؤدى إليه فى الناحية الشرقية من جدار الكنيسة الشمالى ، من خلال فتحة معقودة ، بعقد نصف دائرى الشكل ، يفضى إلى ممر قصير طوله (٢٫٨٥م) وسعته (١٫٤٥م) ، مغطى (بنصف قبة) ، بارتفاع (٢٫٨٠م) ، (رقم ٥ بشكل ٤٨) . ويعتبر هذا الممر همزة الوصل بين الكنيسة والحصن حاليا ، ونرجح أن هذا الممر قد أضيف فى فترة متأخرة ، إذ عادة ما يكون الحصن منفصلا عن كل الأبنية داخل الدير ، ولا يصله بسطح الكنيسة سوى المعبر المتحرك والسابق الاشارة إليه . على أى حال فإن هذا الممر به ثلاثة مداخل فى النواحى الشرقية والغربية والشمالية ، بالاضافة إلى المدخل المؤدى إليه ، فى الناحية الجنوبية :

المدخل الشرقى : عبارة عن فتحة صغيرة ، معقودة فى أعلاها بعقد نصف مستدير ، تفضى ، إلى ممر طويل ضيق ، يقع فى الناحية الشمالية الشرقية من الكنيسة (٥٫٨٥م طولا × ١٫٨٢م عرضا × ٣٫١٥م إرتفاعا) ، ويغطى هذا الممر قبو طولى من الآجر . الواقع أن هذا الممر الضيق ، يفصل معظم امتداد الحصن من الكنيسة ، بمعنى أن المسافة التى كانت تفصل الحصن عن كنيسة الدير هى عرض هذا الممر (١٫٨٢م) .

المدخل الثانى : وهو الغربى ، على شكل عقد ثلاثى من الحجر المنحوت غير منتظم الشكل ، ويأخذ هذا العقد شكل التابوت ، ويؤدى إلى الحجرة الموضوع بها جثمان الأنبا ميتاؤس الفاخورى ، حيث يوجد فى الناحية الشمالية منها تابوت من الحجر الرملى إسطوانى الشكل ، وضُع عليه حديثا عباءة باللون الأحمر ، عليها صورة مطرزة

للقديس . الحجرة صغيرة وغير منتظمة الشكل ، يغطيها قبو طولى صغير بارتفاع (٢ر٨٠م) ، بها تجويف صغير فى الجدار الغربى وآخر ، بقصد وضع المسارج حول قبر القديس .

المدخل الثالث والأخير لهذا الممر ، يوجد فى نهايته الشمالية ، عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل ، يعلوها عتب حجرى قديم ، عليه ثلاثة صلبان محفورة ، ينتهى كل ضلع من أضلاع الصليب الواحد ، بورقة نباتية ثلاثية الفصوص ، ومن الواضح أن العتب نُقل من جزء آخر من الدير ووضع فى هذا المكان ، خلال التجديد .

بُنى حصن هذا الدير من طوابق ثلاثة ، شأنه فى ذلك شأن معظم حصون الأديرة المصرية ، وقد شُيد من الطوب اللبن ، من جدارن سميكة ، بينما أُستخدم الآجر فى عمل العقود والأقبية ، التى تغطى حجراته وممراته . يضم كل طابق ثلاث حجرات مستطيلة الشكل ، يغطيها أقبية برميلية الشكل ، زودت بفتحات على شكل مزاغل ، كما فى حصن دير المحروق بأسيوط ، وقد روعى فى فتحات هذه الحجرات أن تكون ملائمة للطقس فى فصلى الصيف والشتاء ، هذا وقد كسيت الجدران حديثا بطبقة من الملاط من مادة الجير الأبيض ، مما أفقدها طابعها الأثرى .

على أنه يلاحظ أن الضلع الشمالى للسور القديم ، يبعد عن الحصن فى هذه الناحية ، بمسافة قدرها أربعة أمتار تقريبا ، بحيث يكون الحصن منعزلا عن سور الدير المجاور له ، كما أن منسوب أرضيته الحالية ترتفع عن منسوب أرضية الكنيسة بمقدار (٤٠ سم) ، إذ يوجد أسفل فتحة المدخل الشمالية ، عدة درجات من الحجر الجيرى ، يُصعد بواسطتهما إلى الطابق الأول من الحصن .

الطابق الأول :

يضم الطابق الأول من حصن الدير ثلاث حجرات منها ، حجرتان بالناحية الشمالية (٩ ، ١٠) ، (شكل ٤٨) ، وحجرة بالناحية الجنوبية (رقم ٧) ، يتقدمها فى الناحية الشرقية ممر قصير (رقم ٨) ، (طوله ٢ر٩٠م × ١م عرضا) ، يغطيه قبو

طولى ارتفاعه (٣٫٩٥م) ، يتصدر نهايته الجنوبية كتلة السلم المؤدية إلى الطابقين الآخرين .

يُدخل إلى الحجرة رقم (٧) مباشرة من نهاية الممر رقم (٥) ، وموقعها فى الناحية الغربية ، بالنسبة لموقع الحصن ، مستطيلة الشكل (٣م × ٢٫٧٥م) ، يغطيها قبو طولى من الآجر بإرتفاع (١٤٫٤٠م) ، وفى الناحية الغربية من الجدار الشمالى يوجد مدخل يعلوه عقد مدبب الشكل ، يؤدى إلى الحجرة رقم (٩) فى الناحية الشمالية الغربية ، مستطيلة الشكل أيضا (٢٫٨٥م × ٢٫٧٠م) ، مغطاه بقبو ، ارتفاعه (٤٫٥٥م) ، بالجدار الشمالى منها فتحتان للسهام ، ويطلق على هذه الحجرة حاليا (الحجرة الصيفية : الدكسار) وذلك لوجود تيار شديد من الهواء ، ساعد عليه سُمك الجدران (٢٫٢٠م) والقبو المرتفع ، أما الحجرة الثالثة رقم (١٠) ، فيُدخل إليها من الممر الضيق رقم (١٠) ، وهى حجرة مستطيلة أيضا (٢٫٨٣م × ٢٫٧١م) ، يغطيها قبو بإرتفاع (٤٫٥٥م) ، وبها نافذتين على شكل فتحات السهام ، تنفذ منهما أشعة الشمس ، (الحجرة الشتوية بالحصن : الدكسار) .

الطابق الثانى :

تؤدى عدة قلبات من السلالم ، حلزونية الشكل وضيقة إلى هذا الطابق ، من خلال ممرات صاعدة ضيقة . ويبدأ هذا الطابق ، بممر ضيق أيضا (٣٫١٠م × ٨٥ سم عرض) ، إلى الشمال منه حجرتان والثالثة فى الناحية الغربية ، والحجرات الثلاث ، تغطيها أقبية ، وتتميز جدران هذه الحجرات الثلاث بوجود تجويفات أو دخلات بها معقودة ، فضلا عن وجود فتحات للنوافذ ، على شكل فتحات السهام .

الطابق الثالث :

يُصعد إليه بواسطة عدد من قلبات السلالم الصاعدة من الطابق الثانى ، وهو طابق متهدم (حاليا) ، ولا يوجد به حاليا سوى حجرتين ، سقطت أغطيتهما ، والتى كانت مماثلة لأقبية الطابقين السابقين .

والواقع أنه لا يمكننا أن نجزم إذ ما كان هذا الحصن الذى بُنى فى العصر الفاطمى ، وذلك لعدم وجود أدلة أو شواهد أثرية ، على وجه اليقين ، ترجعه إلى هذا العصر ، وإن كنا نعتقد بأن موضعه قديم وطوابقه الثلاثة من مميزات عمارة الحصون التى ترجع إلى العصر الفاطمى ، والأرجح فى رأينا أن هذا الحصن ببنائه الحالى ، يرجع إلى فترة متأخرة عن العصر الفاطمى ، أعيد فيها تجديده .

الملحقات الشمالية الغربية بالدير :

تقع هذه الملحقات فى الناحية الشمالية الغربية ، بالنسبة لموقع الكنيسة ، وهى عبارة عن مجموعة كبيرة ، من الحجرات تخطيطها غريب بعض الشىء ، يحدها فى الناحية الشمالية السور القديم الأصلى للدير ، مما يؤكد قدمها ، ومن الناحية الغربية السور القديم . يتم الوصول إلى هذه الملحقات حاليا بواسطة مدخلين ، الأول يقع فى نهاية الممر (ب) بالكنيسة ، والثانى فى النهاية الغربية من الضلع الشمالى للكنيسة ، حيث يؤدى المدخل الأول ، إلى ردهة كبيرة غير منتظمة الجدران ، طولها (٩ر٦٥م) وعرضها من الوسط (٣ر٨٠م) ، مقسمة إلى ثلاثة مساحات ، بواسطة ثلاثة عقود ، ترتكز على أكتاف صغيرة بارزة أعلى الجدارين الشرقى والغربى ، ويغطى كل منهما قبو ضحل (أرقام ١١ ، ١٢ ، ١٣) ، وقد فتح فى سمت كل منها فتحة صغيرة للتهوية والإضاءة ، هذا وقد وضعت معمودية حاليا فى الجزء رقم (١٣) فى الزاوية الشمالية الغربية ، عبارة عن وعاء صغير قديم من حجر الجرانيت ، داخل وعاء من الحجر الجيرى كبير الشكل .

والواقع أن هذه الردهة الكبيرة ، تشبه ردهة المائدة بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون وغيره من أديرة هذا الوادى ، مما يجعلنا نرجح أنها كانت فى الأصل تستخدم كمائدة للدير ، خاصة وأنها متصلة بالكنيسة ، كما نرجح أيضا أن الحجرات أرقام (١٤ ، ١٥ ، ١٦) بمثابة ملحقات للمائدة من مطابخ ومخازن وغير ذلك ، كما كان الحال فى دير القديس سمعان بأسوان . ويغطى الحجرة رقم (١٤) قبة ضحلة إرتفاعها (٢ر٥٥) ، وتستخدم حاليا هذه الحجرة فى عمل «القربان» ، والحجرة رقم (١٥) يغطيها قبو طولى ، إرتفاعه (٣ر٥٥م) وواضح به مظاهر القدم ، أما الحجرة رقم (١٦) ، فهى حجرة كبيرة واسعه مستطيلة طولها : (٥ر٧٧م) وعرضها (٢ر٨٥م) ، ويغطيها قبو طولى من الآجر ، ارتفاعه (٤ر٨م) .

الملحقات الغربية :

تقع هذه الملحقات فى الناحية الغربية من الكنيسة وهى فى الواقع بمثابة إمتداد طبيعى لجسم الكنيسة فى الناحية الغربية ، إذ يفصلها حاجز قليل الارتفاع حديث من الآجر . وهذه الملحقات عبارة عن حجرتين الأولى فى الناحية الشمالية رقم (١٧) مساحتها (٩٠ر٥ م × ٨٢ر٤م) ، يغطيها قبة بإرتفاع (٦م) ، منطقة إنتقالها على شكل الحنية الركنية المماثلة لحنايا قبة الكنيسة الرئيسية ، وقد فتح فى رقبة هذه القبة سبع طاقات معقودة بعقود صغيرة مدببة الشكل ومصمته حاليا ، بينما فُتح فى القبة ثلاث فتحات أخرى غير منتظمة الشكل ، بالاضافة إلى وجود فتحة صغيرة فى سمتها مستديرة الشكل . يتوسط جدارها الجنوبى فتحة مدخل معقودة بعقد نصف مستدير تؤدى إلى الحجرة الجنوبية (رقم ١٨) ، (٢٥ر٤م × ١٥ر٣م) ، وهذه الحجرة مُظلمة ، نتيجة لعدم وجود أى فتحات بها ، سوى المدخل السابق ، ويغطيها قبو نصف دائرى .

الملحقات فى الناحية الجنوبية الغربية :

الواقع أن الوحدات المعمارية والتى تقع فى هذه الناحية بالنسبة للكنيسة ، تُعد من الوحدات الثانوية بالنسبة لعمارة الدير وهى عبارة عن ممرات وحجرات ودورة مياه ، يغطيها أغطية مختلفة من القباب والأقبية ، ورغم مظاهر القدم والتهدم الواضح عليها ، إلا أن يد التجديد والتعديل أيضا قد أصابت هذه الأجزاء المعمارية والتى تتصل ببعضها بواسطة مداخل معقودة مختلفة الأشكال .

ثانيا : عمائر المجموعة (ب) : (شكل ٤٨ ، ٤٩)

تتميز عمائر هذه المجموعة والتى تقع فى الناحية الجنوبية من الفناء رقم (١) ، بوضوحها عن أبنية وملحقات القسم الشمالى السابق ، كما أن عمائرها ، لازالت تحتفظ بطابع القدم ، أكثر من عمائر المجموعة السابقة . تشمل هذه المجموعة قلالى الدير الأثرية وكنيسة تهدمت فى الناحية الجنوبية الشرقية ، وملحقات أخرى متهدمة فى الناحية الغربية .

القلالى القديمة : (شكل ٤٩)

يتم الدخول إلى مجموعة هذه القلالى من المدخل القديم ، وسط الضلع الجنوبى للفناء الرئيسى رقم (١) ، حيث يؤدى هذا المدخل إلى ممر طويل مستطيل الشكل طوله (٤٠ر٢١م) وعرضه (٤م) ، يغطيه قبو طولى كبير مرتفع ، تساقط منه بعض مداميك من الطوب اللبن ، الذى بنى به القبو (لوحة ٤٧) ، ويكتنف هذا الممر الكبير من الناحيتن الشرقية والغربية ، صف من القلالى بكل منها خمس قلايات ، بالإضافة إلى بعض الوحات المعمارية المتماثلة التى فُقد بعضها . ولكل قلاية مدخل معقود ، وتحصر هذه المداخل بينها حنايا صماء معقودة فى أعلاها بعقود نصف دائرية الشكل وبتماثل تام على الجانبين بعمق (٥٠ سم) ، (سعة الحنية ٧٠سم × ٥٥ر١م إرتفاع) .

يجمع بناء هذه القلايات خصائص معمارية مشتركة فى كل منها ، أذ أنها عبارة عن حجرات مستطيلة الشكل ، يغطيها أقبية نصف دائرية الشكل من الآجر والطوب اللبن وبها تجاويف متعددة ، على شكل حنايا ، معقودة فى أعلاها بعقود مختلفة الأشكال ، أهمها دخلات الجدار الشرقى بالصف الشرق ، ودخلات بالجدار الغربى ، بصف القلالى الغربية : عبارة عن تجويف كبير عميق ، يتوسط الجدار ويكتنفه من الناحيتين تجويفان أقل حجما وإرتفاعا من التجويف الرئيسى الأوسط . ومن المرجح أن تكون هذه التجاويف معدة لوضع أشياء وحاجيات الراهب بداخلها . والواقع أن هذه التجاويف أو الحنايا أو الدخلات ، فإن لهما أصولهما الأولى فى العمارة المصرية القديمة ، كما فى مقبرة سيتى الأول ، ضمن مقابر وادى الملوك وفى مقبرة رمسيس التاسع بطيبة ، ووجدت أيضا فى العمارة الرومانية وفجر المسيحية ، كما ظهرت فى نظام القاعات الاسلامية .

على أنه يلاحظ أن حجم هذه القلالى كبير ، اذا ما قورن بقلالى الر هبان بأديرة وادى النطرون ، بينما يقترب حجمها إلى حد ما من قلالى دير الأنبا سمعان فى أسوان .

هذا وقد امتدت يد التجديد لجدران هذه القلالى ، خاصة فى الدخلات الرئيسية ، كما غشيت حديثا من الداخل بطبقة من ملاط الجير ، مما غير من معالمها

الأثرية القديمة ، ويبلغ إرتفاع أقبية هذه القلالى (٣٥ر٤م) من منسوب الأرضية الحالى ، كما توجد بعض ملاقف الهواء فى بعض هذه القلالى خلف الحنية الرئيسية [٣] .

قلالى الواجهة :

يتاخم صف القلالى الشرقى ، صف آخر من القلالى ، حجراته متماثلة تماما ، وعددها سبع ، ولكنها تختلف عن القلالى السابقة ، إذ تتميز بصغر حجمها ويتم الدخول إلى خمس منها حاليا ، بواسطة مداخل فى واجهة الدير ، سبق الاشارة إليها ، وللباقيتين ، فيتم الدخول إليهما من المدخل ، الذى فُتح حديثا فى النهاية الشرقية للضلع الجنوبى من الفناء رقم (١) . الحجرات جميعها مستطيلة الشكل ، مغطاة بأقبية نصف دائرية ، قليلة الارتفاع ، ويتخلل جدرانها ، تجاويف صغيرة ، ويعلو المداخل المعقودة المؤدية إليها فتحات صغيرة بمثابة نوافذ على شكل فتحات السهام .

الكنيسة المتهدمة : (شكل ٤٩)

تقع هذه الكنيسة فى الناحية الجنوبية مباشرة من مجموعة القلالى الرئيسية السابقة ، وقد تهدمت (حاليا) هذه الكنيسة تماما ، اذ لم يبق من جدرانها ، سوى الجدار الشمالى ، الذى يتضح به آثار عقود أربعة قديمة واسعة على شكل نصف دائرى ممتد وجزء آخر من الجدار الجنوبى لا يتعدى إرتفاعه (٢٠ر١م) .

ويتضح من بقايا هذه الكنيسة أن تخطيطها مستطيل ، ممتده من الغرب إلى الشرق ، ومقمسة إلى ثلاثة أروقة رأسية ، أكثرها اتساعا الرواق الأوسط (٢٣ر٣م) والشمالى (٨٤ر٢م) والجنوبى (١٧ر٢م) ، وذلك اعتمادا على بقايا من الطوب اللبن متناثرة ومتهدمة ، ومن المرجح أيضا أنه كان يغطى هذه الكنيسة اثنتا عشرة قبة ، تقوم على عقود نصف دائرية ، مماثلة لأشكال العقود ، التى تظهر على الجدار الشمالى لهذه الكنيسة ، ومن المرجح أيضا أن مناطق الانتقال كانت من أشكال المثلثات الكروية ، التى لا يزال باقيا واحدا منها فى الزاوية الشمالية الغربية من الرواق الجنوبى ، باستثناء القبة الرئيسية ، التى كانت تغطى المساحة الوسطى من الرواق

الأوسط ، والتى نعتقد بأن مناطق انتقالها ربما كانت مماثلة للقبة الرئيسية فى كنيسة الأنبا الفاخورى .

يبلغ طول الجدار الشرقى لهذه الكنيسة (٨٠ر٩م) ، ويظهر به بقايا ثلاث حنايا رئيسية ، كانت تشير إلى وجود الهياكل الثلاثة بها ، ويتوج كل منها عقد مدبب الشكل ، ترتكز رجلاه على كتفين بارزين من الطوب اللبن ، ويبلغ عمق كل حنية منهما (٦٠سم) . أما الجدار الغربى المقابل للجدار السابق (٨٠ر٩م) ، فقد تبق به آثار لعقود ثلاثة ، نصف دائرية ممتدة . أُستخدم فى عمارة هذه الكنيسة المتهدمة الآجر والطوب اللبن . على أننا نرجح أنها قد بنيت فى فترة لاحقة لعمارة الكنيسة الرئيسية نتيجة لزيادة عدد الرهبان والتوسع فى منشآت الدير .

الأبنية الغربية المتهدمة :

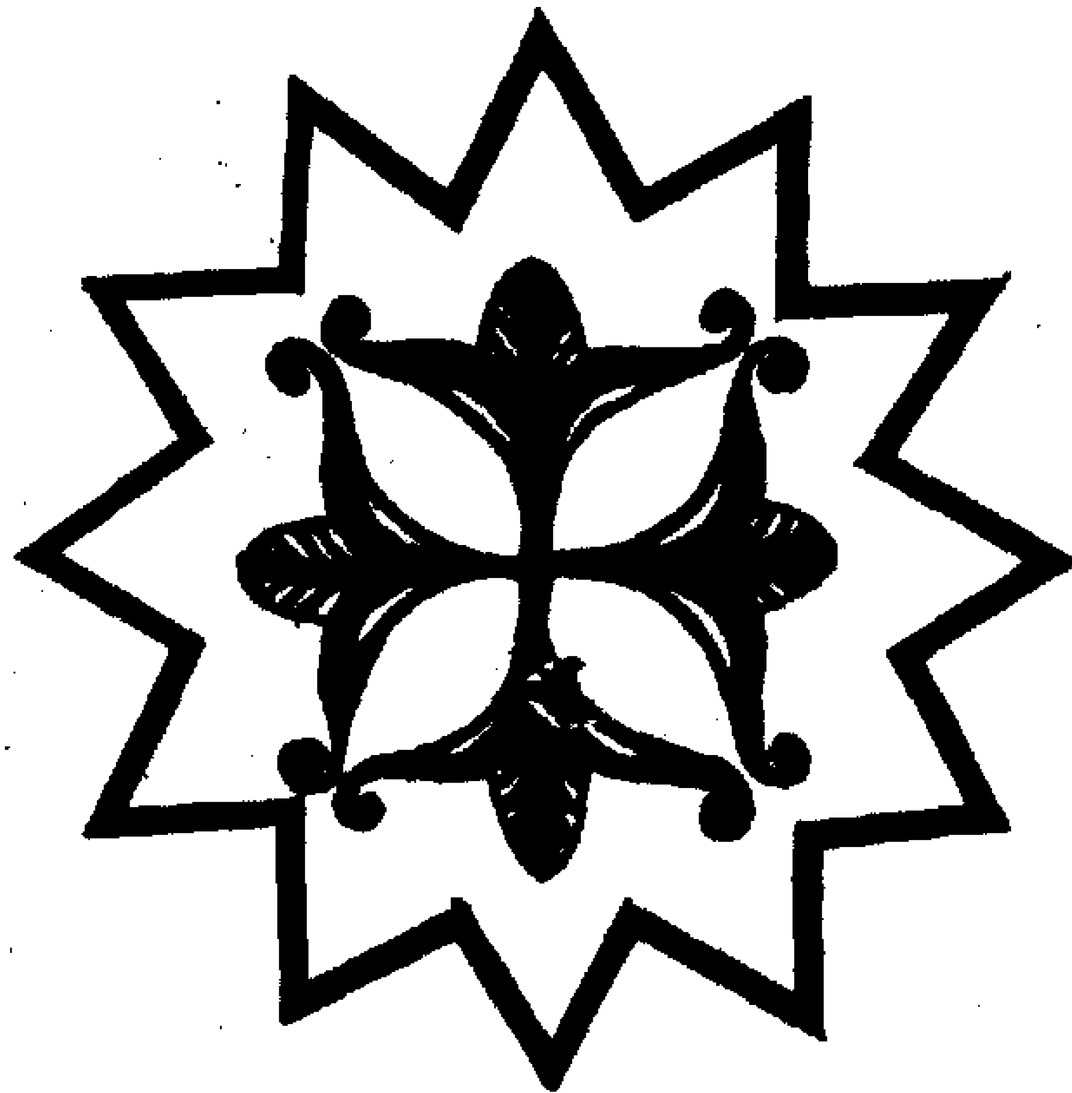
بقى أن أُشير بالوصف المعمارى عن أبنية هذا الدير ، إلى آثار متهدمة للغاية وبالغة الأهمية فى الوقت نفسه بالنسبة لعمارة هذا الدير الكبير ، وتقع هذه الأبنية المتهدمة فى الناحية الشمالية الغربية من الكنيسة السابقة ، والواقع أن فحصها من الداخل يشكل خطورة كبيرة ، يصعب التحقق منها نظرا لتساقط المداميك ، ولم نتمكن من عمل رسم تخطيطى لهذه الأبنية مع الزميل رشيد راغب المهندس الذى شاركنى مشقة العمل فى هذا الدير وغيره من أديرة هذه المحافظة ، كما وأن هذا الجزء بالذات فى الدير يمتلىء بقطع من الفخار والخزف ، الذى يرجع إلى العصرين الفاطمى والمملوكى ، وهو فى حد ذاته يعتبر من الأدلة الأثرية الهامة فى إستمرار الدير حتى العصر المملوكى على الأقل .

يتم الدخول إلى هذه الأجزاء ، بواسطة مدخل معقود بعقد نصف دائرى الشكل ، يتضح فيه مظاهر القدم ، وهو مدخل منخفض يُفضى إلى ممر قصير ضيق ، يفتح فى نهايته على حجرة مربعة الشكل تقريبا ، كان يغطيها قبة ، إذ تبقى أجزاء قليلة من مناطق الأنتقال ، التى كانت على شكل المثلثات الكروية ، وفى نهاية الممر نجد فتحة أخرى معقودة ، بعقد مدبب الشكل تؤدى إلى ممر قصير طوله (٦٠ر٢م) ، ينتهى فى الناحية الجنوبية منه بفتحة متهدمة ، يقع أسفلها مباشرة بناء صغير على شكل حوض مربع الشكل تقريبا ، يجاوره ممر آخر مغطى بقبو طولى ،

وينكسر هذا الممر فى الناحية الشمالية ، وفى نهايته ، توجد قلبات صاعدة من درجات السلالم .

والواقع أن طبيعة بناء هذا الجزء معقدة للغاية ، فهو أشبه بالممرات الضيقة ، مما يجعلنى أعتقد بأنها كانت بمثابة ممر سرى ، ربما كان القصد منها مساعدة الرهبان فى حالة حصار الحصن ، إلى الصعود على سطح الكنيسة المتهدمة والوصول إلى القلالى المجاورة ، ثم الأنتقال إلى الكنيسة الثانية ومنها إلى الحصن مباشرة ، أو أنها كانت ذات صلة بسور الدير القديم والمتهدم والذى لا نعرف عن طبيعة بنائه شىء كثير .

ومما تجدر الأشارة إليه وجود ممر طويل ضيق ، يشكل فاصلا بين القلالى القديمة ، والكنيسة السابقة فى الناحية الشرقية وبين مساحة أخرى كبيرة مستطيلة الشكل (رقم ٢٥) ، يبلغ طولها حوالى (٤٠ر٢٥م) وعرضها (٨٠ر٨م) ، تتميز بسُمك جدرانها ، وبها كثير من الإضافات المعمارية المتباينة والتى حدثت فى فترات متأخرة . ومن المرجح أن هذه المساحة الكبيرة ، كان يوجد بها ملحقات أخرى لهذا الدير الكبير ، كالمعاصر والطواحين والأفران وصوامع التخزين وحظيرة للدواب ، حيث كانت تستخدم الدواب فى جلب المؤن للدير من قرية أصفون وغيرها .



الفصل الثانى

دير القديس آمونيوس
المعروف بدير الشهداء بإسنا

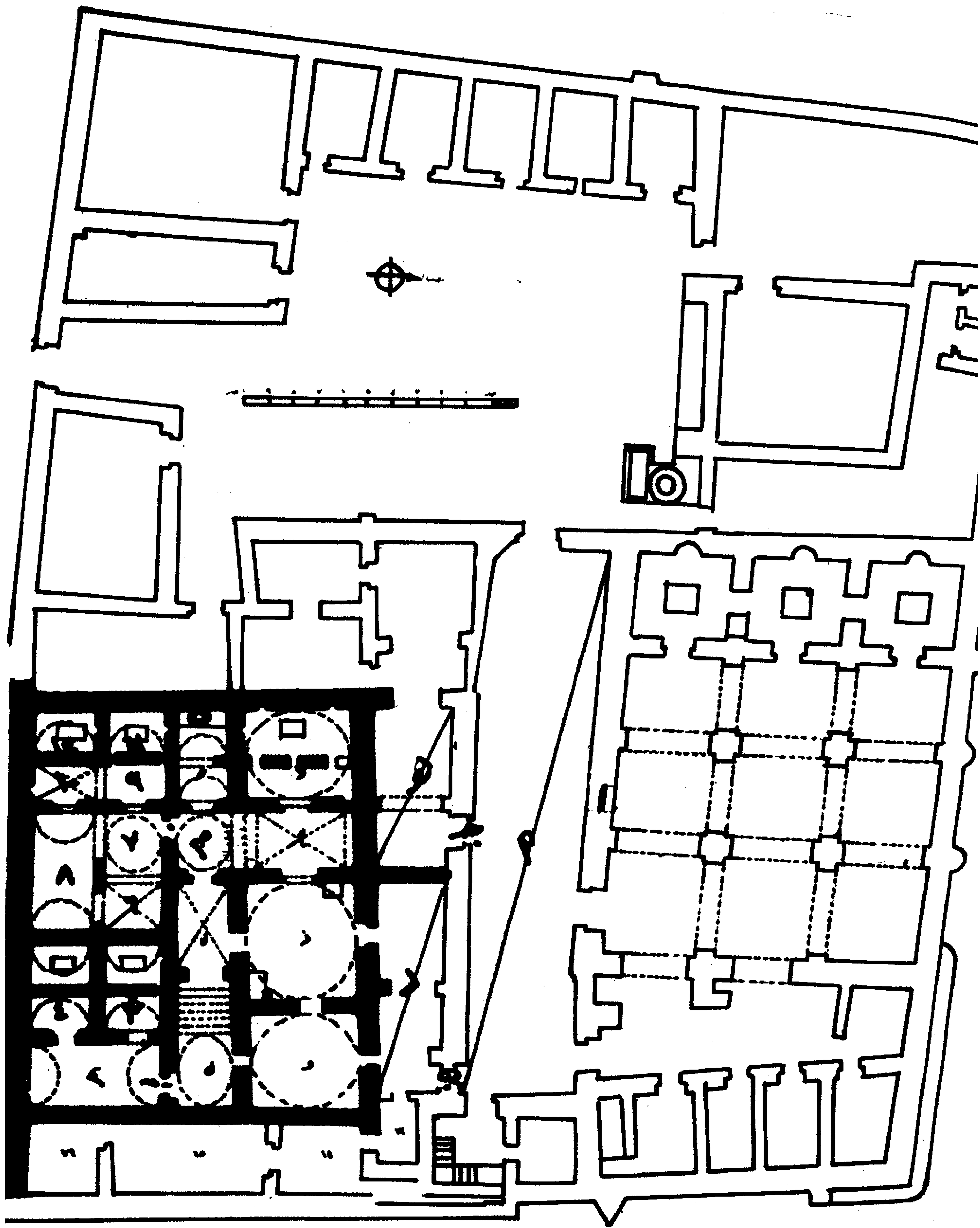
يعتبر هذا الدير من الأديرة الهامة والكبيرة التى كانت قائمة بمدينة إسنا ، نظرا لما إرتبط به الدير باسم صاحبه القديس آمونيوس ، وأيضا لاستمرار الدير خلال العصور المتعاقبة ، وبقاء ثروة زخرفية هامة من زخارف الفرسكو القديمة .
هذا وقد أمدنا «فلاديمير دى بوك» بتقرير علمى أثرى هام عن منشآت هذا الدير فى القرن الماضى ، وتبدو أهمية هذا التقرير فى أن هذه المنشآت التى ذكرها قد إندثر كثير منها الآن : «يتشابه هذا الدير فى طبيعته المعمارية ، مع كل الأديرة القبطية فبه كثير من المبانى الصغيرة ، التى تقع حول كنيسته القديمة ، يغطيها أقبية مختلفة ، بعضها نصف دائرى ، والآخر إسطوانى الشكل والثالث بالقباب . وقد خصص جزء من هذه المبانى للسكن والمرافق المختلفة ، التى تقع فى الناحية الغربية من الدير وتوجد الساقية فى الناحية الشرقية ، كما يوجد ممر طويل مقبى ، قرب المدخل الرئيسى والمعمودية منفصلة عن الكنيسة ، بواسطة ممر طويل مكشوف ، وهى عبارة عن حجرة كبيرة مربعة الشكل ، سقطت قبتها التى كانت تغطيها ، وبالسور مدخل

كبير مُصمت حاليا يبرز من الخارج وعلى طول الجدار الجنوبى ، يمتد مبنى طويل مقبى ، كما يوجد مبنى مماثل بقرب الجدارين الشرق والغربى للكنيسة» [1] .

الدير بتخطيطه الحالى : عبارة عن مساحة كبيرة مستطيلة الشكل تبلغ حوالى (٥٠م طولا × ٤٠م عرضا) ، ويحيط بعمائره الداخلية سور مرتفع من الآجر ، بنى مؤخرا ، ويقع المدخل الوحيد به فى الناحية الشرقية من ضلعه الجنوبى . (شكل ٥٠) . والمدخل عبارة عن كتلة بارزة من البناء ، يتوجها عقد نصف دائرى ممتد ، يعلوها نافذة صغيرة . أما سور الدير الحالى فهو مدعم بدعائم ساندة من أشكال مستطيلة ونصف دائرية ومخروطية خاصة فى الضلع الجنوبى الذى يقع به المدخل . تنقسم مبانى الدير الداخلية حاليا إلى قسمين : القسم الغربى حيث توجد الكنيسة الأثرية القديمة فى الناحية الجنوبية من هذا القسم ، يقابلها فى الناحية الشمالية كنيسة حديثة على إسم السيدة العذراء ، بنيت عام (١٩٣١م) وتتكون كما هو معتاد من ثلاثة أروقة رأسية ، تنتهى فى الناحية الشرقية بالهياكل الثلاثة ، ويغطيها إثنتا عشرة قبة من مادة الآجر ، ويفصل هذه الكنيسة الحديثة عن الاخرى القديمة ردهة مستطيلة (٢٢٫٦٥م × ١٠٫٤م) . على أن الذى يعنينا فى هذا الدير من الوجهة الآثرية ، كنيسته القديمة المستطيلة المسقط ، والمشيدة من مادتى الآجر والطوب اللبن ، إذ يغلب بناء الجدران من الآجر مع الطوب اللبن ، بينما استخدم الآجر لعمل العقود والقباب .

والواقع أن تخطيط كنيسة هذا الدير مُعقد إلى حد كبير ، ربما بسبب كثرة التجديدات وأعمال الترميم التى حدثت بها ، على مر العصور المتعاقبة ، سواء ما أُستقطع من مساحتها أو ما أضيف إليها ، ومع ذلك تبقى هذه الكنيسة القديمة المعمارية الكبيرة ، بالنسبة لكنائس محافظة قنا ، ان لم تكن من أهم الكنائس القديمة فى صعيد مصر .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ذكر «سومرز كلارك» أثناء زيارته لهذه الكنيسة عام ١٩٠٣م ، أنها كانت ملحقة بسور الدير القديم فى الناحية الشرقية منه [2] ، وهى الآن بعيدة عن سور الدير القديم من الناحية الشرقية ، نتيجة بناء السور الحديث .



شكل (٥٠)
المسقط الأفقى لتخطيط دير الشهداء بإسنا (حاليا) . (عمل الباحث)

ولما كانت هذه الكنيسة هامة للغاية ، نظرا لتعقيد تخطيطها وأنواع أغطية السقوف بها وبقاء كمية كبيرة من زخارف الفرسكو على جدرانها ودعائمها وهياكلها ، فإننا سنتناولها بالوصف الأثرى الدقيق :

الواجهة :

تطل هذه الواجهة على الممر (أ) فى الناحية الشمالية ، وهى تخلو من الزخارف المعمارية أو أى فتحات للنوافذ (ارتفاعها ٥ر٤م) ، تضم مدخلين ، أحدهما المدخل القديم (ب) الذى ورد فى تخطيط سومرز كلارك (شكل ٥١) ، حيث يقع فى الناحية الغربية من هذا الجدار ، وهو المدخل الوحيد الذى يُدخل بواسطته إلى الكنيسة ، أما المدخل الثانى (جـ) إلى الشرق منه ، فهو مدخل حديث ، يُفضى إلى حجرة المعمودية الحديثة [٣] ، ويغطى هذه الحجرة ، قبة ، ويتصل بهذه الحجرات من الناحية الجنوبية الشرقية وحدات معمارية حديثة .

يؤدى المدخل الأصلى القديم (ب) إلى الكنيسة من الداخل : كبيرة مستطيلة الشكل طولها (٩٥ر١٦م) ، وعرضها (٩٠ر١٣م) ، مكونة من خمسة أروقة رأسية ، وان كانت الكنيسة فى الأصل ، تنقسم إلى كنيستين ، بنيتا فى العصر الفاطمى ، وذلك اعتمادا على طراز الزخارف المائية ، التى ما زالت فى حالة لا بأس بها من الحفظ فى هياكلهما .

ولما كان كل رواق من الأروقة الخمسة ، له سماته وخصائصه المعمارية ، التى ينفرد بها عن الآخر ، لذلك ، فإننى سأتناول جميع هذه الأروقة ، على حده ، مبتدئا **بالكنيسة الأولى المكونة من ثلاثة أروقة :**

الرواق الأول : (شكل ٥٠) :

يقع هذا الرواق فى الناحية الشمالية من البناء ، وهو أكثر الأروقة تعرضا للتغييرات والاضافات التى لحقت به ، إذ جرى حجب الجزء الغربى منه (د) عن الجزء الشرق (هـ) ، بواسطة جدار حديث مصمت ، وكان هذا الرواق فى الأصل ، كما ورد بتخطيط سومرز كلارك (شكل ٥١) ، عبارة عن أربعة أقسام وكان يغطى

الأقسام (٢ ، ٣ ، ٤) أقبية متقاطعة ، بينما يغطى القسم الأخير (٥) ، وهو الهيكل قبو نصف دائرى الشكل .

الرواق الثانى :

يتكون من أربعة أقسام رئيسية (و ، ز ، ح ، ط) ، ويعتبر فى الأصل هو الرواق الأوسط بالنسبة للكنيسة الأولى . ومن الواضح أن التغييرات المعمارية التى أصابت الكنيسة ، لم تمس هذا الجزء كثيرا ، باستثناء تدعيم العقود الحاملة للقباب ، اذ أنها كانت مفتوحة فى الأصل ، فى الناحية الجنوبية منها على الرواق الثالث الجنوبى ، ويبدو أنه قد حدث تصدع فى الجدران ، فى فترة متأخرة عن العصر الفاطمى ، فجرى تدعيم العقود حتى لا تسقط القباب ، وقد دُعمت هذه العقود بواسطة بناء جدران مصمتة تتخلل فتحاتها ، ويغطى القسم الأول قبة (و) ، كبيرة إرتفاعها (٧٠ر٥م) ، مناطق انتقالها من أربعة مقرنصات كبيرة ، أما القسم التالى (ز) ، قبة كبيرة مماثلة للقبة السابقة ، بها فتحات صغيرة غير منتظمة للإضاءة والتهوية . ويتوسط أرضية هذا القسم ، جزء من بدن عمود من الجرانيت (ارتفاعه ٩٣سم وقطره ٢١سم) بسطحه تجويف غائر مستدير ، ويشغل الزاوية الجنوبية الغربية أيضا منبر من الآجر والطوب اللبن ، عبارة عن مقصورة صغيرة الشكل ، يُصعد إليها بواسطة أربع درجات ، كما يتصدر الناحية الشمالية من هذا القسم ، كتلة من البناء مستطيلة الشكل (٥ر١م × ٦٥سم عرض × ٨ر١م إرتفاع) .

أما القسم الثالث من هذا الرواق (ح) فهو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل ، مغطاه بقبو متقاطع ، ويلاحظ أن هذا القسم مفتوح على المساحة (م) فى الرواق المجاور ، كما يوجد طاق صغير أعلى الجدار الشمالى ، وآخر بالجدار الجنوبى على شكل كوات ضيقة للإضاءة والتهوية .

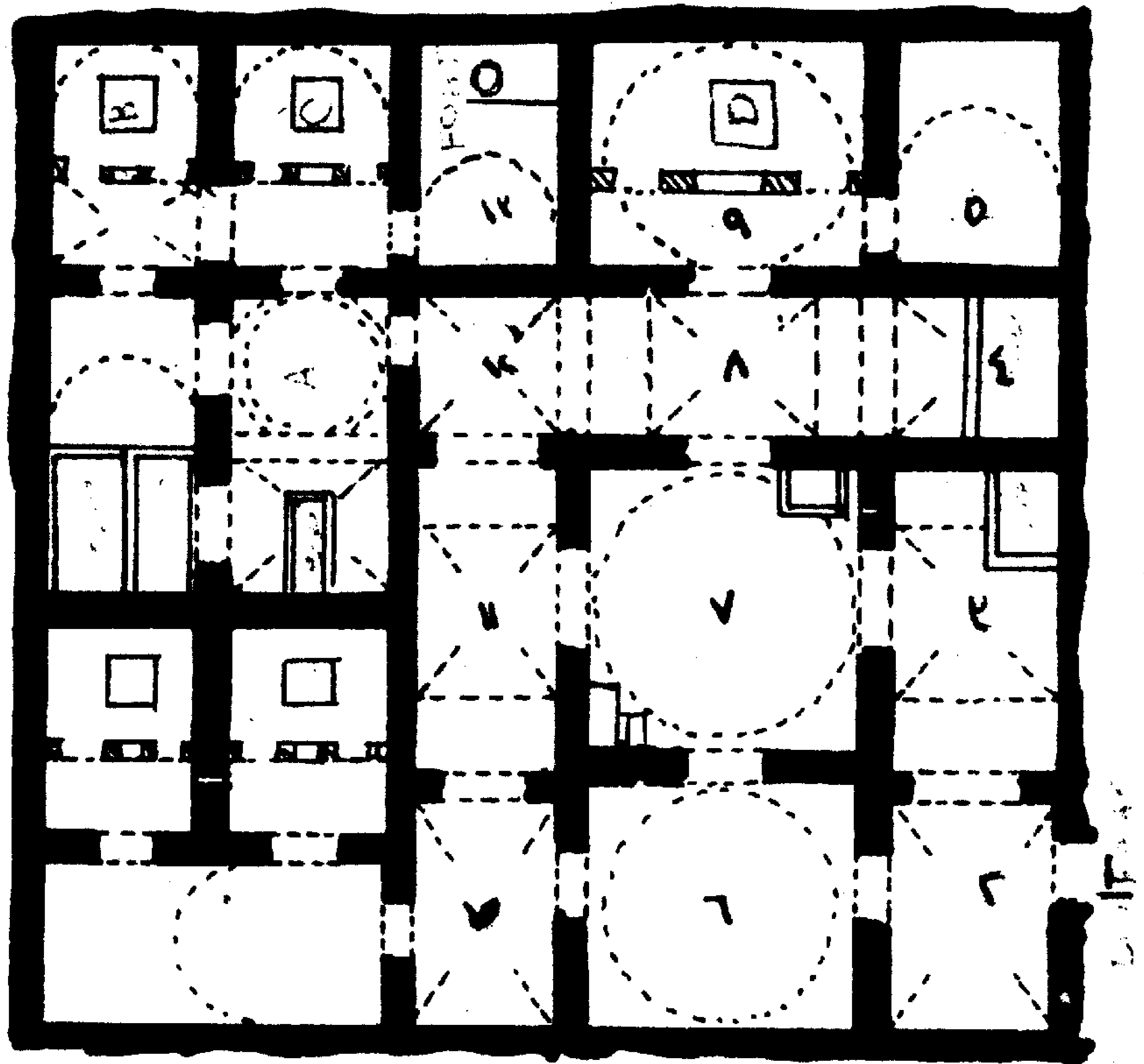
يلى هذا القسم شرقا الهيكل الأوسط الرئيسى (ط بشكل ٥٠ ، ٩ بشكل ٥١) ، ويعد هيكل هذا الرواق من أهم الهياكل فى الكنيستين إذ أنه يضم مجموعة كبيرة من المناظر التصويرية المرسومة بأسلوب الفرسكو ، خاصة على جداره الشرقى وقبته . تبلغ مساحة هذا الهيكل (٦٠ر٤م × ٦٠ر٣م) ، ويتوسطه حجاب من

الآجر بإرتفاع (٧٥ر٢م) ، بطرفيه مدخلين ، يعلو كل منهما عقد نصف دائرى الشكل ، ويحصر المدخلين بينهما طاق صغيرة مدبب الشكل ، ويلاحظ وجود عتب قديم أسفل مدخلى الحجاب فى الناحية الشمالية والجنوبية ، ويغطى هذا الهيكل قبة غير منتظمة الشكل ، مناطق إنتقالها من أشكال المثلثات الكروية . والواقع أن هذا الهيكل يتميز أيضا ، بوجود كثير من الدخلات والتجاويف ، التى تتخلل جدرانه الأربعة ، أهمها تجويف الجدار الشرقى ، إذ توجد ثلاث دخلات ، الوسطى منها أكثر إتساعا وارتفاعا ، من الدخلتين الجانبيتين (ارتفاعها ٣٠ر١م وسعتها ٦٢ سم) ، كانت مزخرفة فى الأصل برسوم الفرسكو ، إلا أن الزخرفة تالفة حاليا ، ويبلغ عمق هذه الحنية (٣٤ سم) ، أما الدخلتان الجانبيتان فمتماثلتان : (٤٨ سم ارتفاعا × ٣٢ سم عمق) . أما الجدار الشمالى فيوجد به دخلتان كبيرتان : الأولى فى الناحية الشرقية ، يعلوها عقد نصف دائرى الشكل ، والثانية فى الناحية الغربية ويعلوها عقد مماثل .

كما يلاحظ أيضا فى الجدار الغربى لهذا الهيكل وجود دخلتين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، إلا أن الدخلة الشمالية ، طرأ عليها تغيير كبير ، إذ تحولت إلى تجويف كبير فى سُمك الجدران . ويتوسط هذا الهيكل مذبح من الآجر مستطيل الشكل . ومما تجدر الاشارة إليه وجود صليب محفور بارز متساو الأضلاع ، يعلو الطاق الصغير الذى يتوسط حجاب هذا الهيكل ، كما يكتنف عقد الطاق ، فى الناحيتين الشمالية والجنوبية ، صليب من نفس نوع الصليب الذى يعلوها ، ويتوسط الحجاب من أعلى ، لوح من الحجر ، محفور عليه زخرفة لطائر أشبه بالنسر ناشرا جناحيه ، يشبه إلى حد كبير ، الزخارف الحجرية ، التى تنسب إلى العصر القبطى فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين .

الرواق الثالث :

هو الرواق الأخير والجنوبى بالنسبة للكنيسة الأولى ، ويتكون من أربعة أقسام ، (ك ، ل ، م ، ن ، بشكل ٥١) ، ويفصل هذه الأقسام عن بعضها عقود نصف دائرية الشكل . يبدأ هذا الرواق بالقسم (ك) ، فى الناحية الغربية منه ، وواضح به حدوث تغييرات معمارية ، طرأت عليه بعد عام (١٩٠٣م) ، اذ يبدو



شكل (٥١)
تخطيط كنيسة دير الشهداء بإسنا . (نقلا عن سومرز كلارك)

من تخطيط سومز كلارك والذى رسمه عام (١٩٠٣) ، (شكل ٥١ ، أرقام ١٠ – ١٣) ، أن هذا القسم ، كان يغطيه فى الأصل قبو متقاطع ، إلا أن التغطية الحالية ، هى قبة ضحلة ، إرتفاعها (٤م) ، ومناطق انتقالها من المثلثات الكروية ، وقد تم تحويل المساحة المستطيلة الباقية من مربع القبة الجديدة فى الناحية الشرقية ، إلى سلسلة من العقود النصف دائرية متجاورة ، ترتكز من أعلى على الجدارين الشمالى والجنوبى .

أما القسم الثانى (ل) فهو مغطى بقبو متقاطع والقسم الثالث (م) ، يغطيه قبة ضحلة ، وكان فى الأصل تغطيته من قبو متقاطع ، ويتقدم هذا القسم هيكل الرواق : مستطيل الشكل ، يقسمه من أعلى عقد نصف دائرى الشكل على ارتفاع (٢٫٣٥م) ، إلى قسمين ، القسم الغربى مغطى بقبو نصف دائرى الشكل والشرقى مغطى بقبو طولى ، ويلاحظ أن أرضية هذا القسم الأخير ، يكسوها بلاطات من تربيعات صغيرة من الحجر الجيرى ، كما يشغل نهايته الشرقية ، على امتدادها من الشمال إلى الجنوب ، كتلة بنائية مستطيلة من الآجر بارتفاع (٨٠سم) ، وضع وسطها ، معمودية قديمة ، عبارة عن إناء من الفخار الأحمر ، يشاهد أعلاها وسط الجدار تجويف صغير بعمق ٢٢سم (الحنية) .

الكنيسة الثانية :

تقع هذه الكنيسة مباشرة إلى الجنوب من الرواق السابق ، من خلال مدخلين ، بالضلع المشترك بينهم ، الأول فى الناحية الغربية والثانى فى الناحية الشرقية ، حيث تتكون هذه الكنيسة من رواقين فقط .

الواقع أن تخطيط هذه الكنيسة غريب إلى حد كبير إذ يُفضى المدخل الأول الغربى ، إلى مساحة كبيرة مستطيلة الشكل تمتد على عرض رواق الكنيسة من الناحية الشمالية إلى الناحية الجنوبية ، يغطيها قبو طولى ، ارتفاعه (٤٫١٥م) ، فتح به أربع فتحات صغيرة للتهوية ، بالاضافة إلى طاق صغير فى الناحية الغربية من الجدار الجنوبى ونافذة بالناحية الشرقية من الجدار الشمالى ، على شكل فتحة السهام .

يوجد مدخلين بالجدار الشرقى لهذه المساحة ، يؤدى كل منهما إلى حجرة فى الناحية الشرقية ، فالشمالى يُفضى إلى حجرة مستطيلة مغطاة بقبو طولى إرتفاعه (٩٣ر٣م) ، ويتوسط هذه الحجرة حجاب من الآجر ، والواقع أن هذا الحجاب ، يُقسم هذه الحجرة إلى قسمين غربى وشرقى ، وضع بالقسم الشرقى مذبح قديم من الآجر . ومما تجدر الاشارة إليه أن الجدار الشرقى لهذه الحجرة ، مصمت تماما ، ولايوجد به أى فتحات ، أما الجدار الشمالى فيوجد به تجويف يعلوه عقد مدبب ، أما الجدار الشرقى فيبدو عليه وضوح التصدع الذى لحق به .

أما المدخل الثانى الذى يؤدى إلى القسم رقم (٤) فيقع فى الناحية الجنوبية من القسم السابق رقم (٢) (شكل ٥٠) وهذا القسم مماثل للجزء السابق ، ولا يختلف عنه ، باستثناء وجود تجويف كبير فى الناحية الشرقية من الجدار الشمالى ، وبها نفس المذبح والحجاب السابق الاشارة إليهما ، ويغطيها قبو طولى ، مماثل لقبو القسم السابق .

والواقع أن وجود هاتين الحجرتين (٣ ، ٤) ، ووجود المذبح بهما ، يعتبر شيئا غير معتاد فى الكنيسة المصرية ، ذلك أن المذابح عادة ما يكون وجودها فى داخل هياكل الكنيسة فى الناحية الشرقية من البناء ، ولعل وجود مثل هذه المذابح ، من الإضافات المتأخرة ، التى حدثت فى البناء بعد العصر الفاطمى ، حتى أن «سومرز كلارك» يردها إلى الإضافات المعمارية التى حدثت بالكنيسة فى المرحلة الثانية أو المرحلة الثالثة [٤] .

أما بقية أجزاء الرواقين ، فيتم الوصول إليهما حاليا من المدخل الموجود فى الناحية الشرقية من الجدار الجنوبى للقسم (م) فى الكنيسة الأولى ، إذ يؤدى هذا المدخل إلى بقية أجزاء الرواقين ، فى الناحية الشرقية ، والتى تعد من أهم الأجزاء المعمارية والزخرفية فى الكنيستين معا .

يُفضى المدخل السابق إلى مساحة تكاد تكون مربعة الشكل (٦٣ر٥م × ٥٧ر٥) ، يقسمها إلى قسمين عقدان واسعان كبيران ممتدان من شكل مدبب فى وسط الحجرة حيث ترتكز رجلا العقد فى الناحية الشمالية والغربية ، على كتفين صغيرين بارزين ، أعلى الجدارين الشرقى والغربى لهذه المساحة ،

ويرتكزان فى الوسط على دعامة ضخمة مستطيلة ، بحيث يقسم العقدين هذه المساحة إلى قسم فى الناحية الشمالية وآخر فى الناحية الجنوبية .

القسم الشمالى :

ينقسم هذا القسم أيضا إلى جزءين (٦ ، ٧) بواسطة عقد مرتفع أعلى الجدارين الشمالى والجنوبى ، فيرتكز هذا العقد فى الناحية الشمالية على كتف صغير بارز ، وفى الناحية الجنوبية على نقطة تلاقى العقدين المدببين ، السابق الإشارة إليهما . يغطى المساحة رقم (٦) قبو متقاطع بارتفاع (٨٥ر٣م) ، وهى المساحة الغربية ، أما المساحة الشرقية رقم (٧) ، فيغطيها قبة هامة ومتميزة ، عالية (٧٠ر٦م) ، منطقة انتقالها من حطتين من المقرنصات (اللوحة ٤٨) .

وتعد هذه القبة من الناحية المعمارية ، من أهم القباب الفاطمية ، إذ يظهر فيها مرحلة التطور التى طرأت على مناطق الانتقال فى نهاية العصر الفاطمى . مناطق الإنتقال من حطتين من المقرنصات ، وهو الأسلوب المعمارى الذى كان أول ظهوره فى منطقة انتقال قبتى ضريح السيدة عاتكه ومحمد الجعفرى (١١٢٥م) حيث تضم الحطة الأولى ثلاث حنايا فى كل ركن من أركان المربع ، يعلوها فى الصف الثانى حنية ، وبين حنايا الأركان توجد نافذة ذات ثلاث فصوص ، تشبه فى تصميمها الخارجى لحنايا الأركان . على أن كريزول وهوتكير يعتقدان بأن أول ظهور هذا النوع فى مناطق الانتقال من أشكال المقرنصات قد بدأ فى قبة كنيسة أبى السيفين ضمن كنائس منطقة مصر القديمة [٥] ، وهى قبة شاهقة الارتفاع ، تسبق فى تاريخها قبتى ضريح السيدة عاتكة والجعفرى ، اعتمادا على ما ذكره أبو صالح الأرمنى من أن تاريخ البناء كان بين أعوام (١٠٤٧ – ١١٢١م) [٦] .

على أى حال فإن هذه القبة فاطمية جملة وتفصيلا ، وهو ما ذهب إليه سومرز كلارك فى تأريخها [٧] ، بحيث يمكن القول بإن هذه الكنيسة الثانية بالدير قد بنيت فى فترة لاحقة من العصر الفاطمى نفسه ، بعد الكنيسة الأولى المكونة من الأروقة الثلاثة .

أما **القسم الآخر** من المساحة المستطيلة السابقة (رقم ٨) ، فيغطيه قبو طولى كبير بارتفاع (٤٠ر٤م) يتوسطه فتحة دائرية صغيرة ، يكتنفها من الناحيتين

الشرقية والغربية ، ثلاث فتحات صغيرة . ويلاحظ وجود أرضية مضفرة بقوالب من الآجر ، باتفاع (٢٠سم) ، من منسوب الأرضية الحالية ، يقع تحتها مباشرة مقابر قديمة ، خاصة فى الناحية الغربية من هذا القسم (شكل ٥١) .

يضم الجدار الشرقى للمساحتين السابقتين (٧ ، ٨) ، مدخلان : الأول فى الناحية الشمالية ، متوج بعقد نصف مستدير الشكل ، يعلوه صفان من أشكال الصلبان المحفورة والمفُرغة ، تتخلل الجدار ، الذى بُنى مؤخرا ، لتدعيم العقد الرئيسى ، الذى كان يفتح فى الأصل على الردهة رقم (٩) ، ويعلو هذه الصلبان عقد عاتق ، أما المدخل الجنوبى ، فيؤدى إلى ردهة قصيرة مماثلة رقم (١٠) .

الواقع أن الردهتين (٩ ، ١٠) ، على شكل مساحة مستطيلة الشكل ، تتقدم الهيكلين من الناحية الشرقية ، إذ يفصلهما عقد نصف مستدير على شكل حدوة الفرس ، ويُغطى المساحة رقم (٩) قبو متقاطع وكذلك المساحة رقم (١٠) ، إلا أنه يلاحظ أن قبو المساحة رقم (٩) أكثر ارتفاعا عن القبو الآخر .

ومن السمات المعمارية الأخرى الهامة التى تُميز قسمى هذه المساحة وجود رسوم جدارية بالغة الأهمية ، حافظ عليها الظلام الدامس ، الذى يخيم على هذه الردهة ، وكذلك تلك الزخارف الجدارية التى توجد على بواطن العقود التى تفتح على الهيكلين (١١ ، ١٢) .

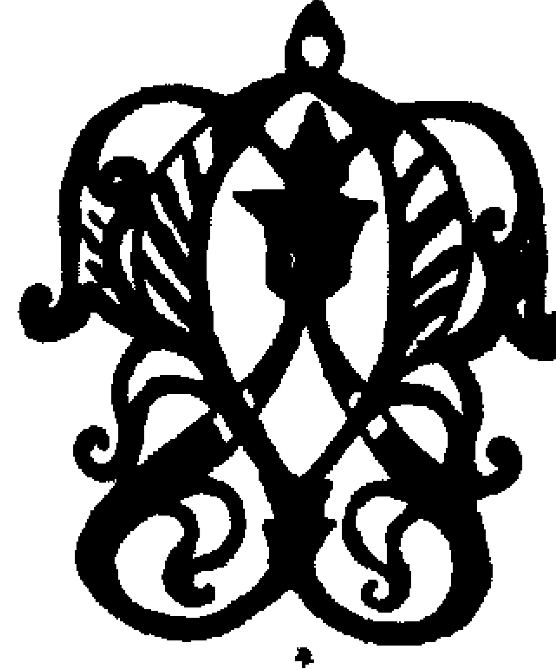
الهيكل رقم ١١ :

مربع الشكل تقريبا ، مغطى بنصف قبة ، تقوم على مقرنصين كبيرين فى الزاويتين الشمالية الشرقية والشمالية الجنوبية ، وكذلك على عقد الهيكل المفتوح على المساحة رقم (٩) . تتميز نصف القبة التى تغطى هذا الهيكل بزخرفة باطنها بزخارف الفرسكو ولهذا الهيكل حجاب ومذبح .

الهيكل رقم ١٢ :

يشبه هذا الهيكل نظيره السابق فى مذبحه وحجابه وتغطيته ، إلا أن زخرفة الفرسكو التى تزخرف باطن نصف القبة التى تغطيه ، قد تلفت إلى حد كبير .

ولما كانت زخارف الفرسكو التى تخلفت على مر الزمن ، فى كنيسة هذا الدير وكذلك فى كنيسة دير الفاخورى بأصفون من أهم الزخارف المائية والباقية ، فى كنائس وأديرة هذه المحافظة ، والتى يمكن تأريخها بالعصر الفاطمى على وجه التحديد ، فإننا سنتناول هذه الزخارف فى الباب التالى والأخير من هذا الكتاب .



الباب الثامن

زخارف الفرسكو بكنيستى دير الشهداء ودير الفاخورى

الفصل الأول : كنيسة دير الشهداء

الفصل الثانى : كنيسة الفاخورى

تخلف من الزخارف الجدارية فى كنائس وأديرة محافظة قنا ، مجموعة من رسوم الفرسكو ، وهى وان كانت قليلة ، إلا أنها تعطى فى مجموعها صورة طيبة لما كانت عليه الزخارف الجدارية فى هذه العمائر خلال العصر الفاطمى . ولقد تركزت هذه الزخرفة فى كنيسة دير الشهداء فى إسنا وكنيسة دير الفاخورى فى أصفون .

والواقع أن كنائس الأديرة الأخرى فى هذه المحافظة ، إزدانت أيضا بزخارف الفرسكو ، إلا أنها اختفت نتيجة عدة عوامل ، منها قدم المبانى نفسها ، وتعرضها للهدم وإعادة التجديد ، بل وطلاء الأجزاء القديمة بطلاء حديث ، وقد أشار بعض الرحالة وغيرهم من العلماء إلى مشاهداتهم حتى مطلع هذا القرن إلى بعض هذه الزخارف فى كنائس دير الصليب والملاك ميخائيل ودير المجمع بنقادة [١] .

هذا فضلا عما أورده المؤرخ أبو صالح الأرمنى ، وذكره بل ووصفه لبعض مناظر الفرسكو فى الكنائس والأديرة المصرية ، على اعتبار أن هذه الزخارف الجدارية ، كانت تمثل موضوعات ذات طابع دينى هام ، فقد أورد هذا المؤرخ على سبيل المثال أنه كان يوجد علو دير القصير كنيسة صغيرة ، «كان فيها صورة للسيدة حاملة السيد ، والملائكة على يمينها ويسارها ، والتلاميذ الاثنا عشر تلميذا جميعهم فصوص ومينا محكمين الصنعة» [٢] ، مما يدل على ترصيع هذه الرسوم بالمواد القيمة الأخرى ، وقد تغنى بعض الشعراء بما كان من رسوم فى هذا الدير [٣] . كذلك ما كان فى كنيسة دير القلمون بالفيوم من رسوم الفرسكو والفسيفساء [٤] .

هذا وقد تبقى كما سبقت الاشارة إلى كمية طيبة من الثروة الزخرفية المنفذة بأسلوب الفرسكو على جدران كنيستى دير الشهداء بإسنا والفاخورى بأصفون ، فى حالة لا بأس بها من الحفظ ، وهذه الرسوم فى الواقع بمثابة وثائق أثرية مادية ، دلت على تطور أسلوب الزخارف المائية فى العصر الفاطمى وفقا للأسلوب العام فى المدرسة الفاطمية فى مجال التصوير من ناحية ، ومن ناحية أخرى دلت على قدم

هذه الأبنية ، خاصة أنه يظهر على بعض جدران هذه الكنائس طبقات من الملاط ، ترجع إلى فترة أقدم من عصر الدولة الفاطمية ، على الأرجح ، وقد رُسم بعض هذه الرسوم فوق طبقات الملاط الحالية .

والحق أنه خلال دراستى لهذه الرسوم ظهر كتاب هام للعالم الفرنسى (Leroy,J) ، تناول فيه بالدراسة والتحليل واعادة التصور ما كانت عليه هذه الرسوم فى عصرها فى كنائس الديرين ، وقد استفدت منه ، إذ أنه يُعد المرجع الهام الذى تناول هذا الموضوع (٥) .

كما أن هناك بعض آثار الفرسكو الطفيفة والباقية حاليا فى كنيسة دير مار بقطر بقامولا ، ضمن كنائس هذه الأديرة بمحافظة قنا ، أمكن التحقق منها بصعوبة بالغة ، تمثل ملائكة وقديسين وصلبان ، وبعض الرموز الأخرى . ومن المهم أن نشير إلى أن إستخدام النصوص الدينية المسيحية وكذلك الرمزية ، التى تميز بها الفن القبطى ، فى الرسم ، كان أمرا واضحا فى رسوم الفرسكو بكنيستى الديرين فى هذه المحافظة ، وأن هذا الموضوع قد أُستخدم على نطاق واسع ، إذ فسرت كثير من النصوص الدينية تفسيرا ملموسا على موضوعات الرسوم ، وهو الأمر الذى لم نتطرق إليه بالتفصيل فى هذا الباب بفصليه (٦) .



الفصل الأول

رسوم الفرسكو بكنيسة دير الشهداء

تشكل مجموعة رسوم الفرسكو بكنيسة دير الشهداء [1] أهمية واضحة ، فيما كانت عليه أهمية هذه الكنيسة بالدير بين كنائس الأديرة الأخرى ، وهى الرسوم التى أشار إليها مجموعة من العلماء فى القرن الماضى ، خاصة الرحالة ، إلا أن هذه الرسوم قد تعرضت للتلف بمرور الزمن والواقع أنه يزيد من أهمية مجموعة هذه الرسوم ، وجود بعض النصوص القبطية بجانبها وهى نصوص تشير فى معظم الأحيان إلى موضوعات الرسوم وفى بعض الأحيان إلى أسماء أصحابها من الشخصيات المرسومة ، فضلا عن الجانب التصويرى الهام وتفسير النصوص الدينية المسيحية واستخدام الرمزية .

تنتشر هذه الرسوم فى الكنيستين وتتركز فى الهياكل والدعائم والممرات القصيرة التى تتقدم هياكل الكنيسة وكذلك على بواطن القباب وأنصافها ، وفيما يلى عرض موجز لهذه المناظر :

منظر المسيح على العرش :

يوجد لهذا الموضوع فى كنيسة دير الشهداء الحالية ثلاثة مناظر ، من بينها المنظر الماثل على الجدار الشرقى للهيكل (ط بشكل ٥١) ، (اللوحة ٤٩) ، حيث يبدو السيد المسيح جالسا على العرش ، يحيط به الملائكة والقديسون وبعض الكتابات القبطية ، ويظهر خلف هذا المنظر زخرفة نباتية من أوراق ثلاثية كبيرة وصغيرة متكررة باللونين الأخضر والأحمر . المنظر بحجم كبير ويمتد بعرض ٤م ، على الجدار الشرقى من هذا الهيكل ، وبإرتفاع قدره (٦٥ر١م) ، من قمة الحنية ، التى تتوسط هذا الجدار ، وحتى بداية انحاء الجدار . وقد استخدمت مجموعة من الألوان بدرجاتها المختلفة فى تنفيذ هذا الرسم الكبير وبإسلوب فنى متناسق للغاية ، فالمسيح يجلس على الكرسى ، يحيط به من الناحيتين ملاك ، وقد رُسم مواجهة والملائكة بجانبه ، وبجانب كل ملاك قديس ، والرسم بألوان متعددة ، يغلب عليه اللون الأحمر الفاتح والداكن والأصفر .

يرتدى المسيح ثيابا حمراء متعددة الطيات ، حُددت طياتها باللون الأسود ، ويرفع يده اليمنى بإشارة البركة ، ويقبض بيسراه على الانجيل ، الذى تلف جزء كبير منه (على الرسم) ، إلا أن غلافه يبدو وكأنه مرصع بالأحجار الكريمة ، أما وجه المسيح فيبدو أنه أقرب إلى الشكل المستدير منه إلى الشكل البيضاوى ، والملامح محددة بالأسلوب التخطيطى المعروف فى المدرسة الفاطمية ، فالعيون لوزية الشكل والأنف مدبب ، وله شارب صغير يتدلى إلى أسفل ، حتى يكاد يمس لحيته الصغيرة ، وقد بقى من الهاله التى تحيط برأسه جزء . ويجلس المسيح على وسادة مستديرة من الطرفين ، مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية ووريدات صغيرة ، ونقط صغيرة أيضا متماسة باللون الأبيض الغامق ، وترتكز على مقعد مُكون من قاعدة أفقية ، محمولة على عارضتين رأسيتين فى الجانبين ملونه باللون الأسود ومزخرفة بأشكال مربعة على أرضية من اللون الأصفر .

ينحنى ملاك فى كل جانب تحية للمسيح ، وأيديهما مضمومة ومبسوطة إلى الأمام ، ولكل واحد منهما جناح واحد ملون باللون الأحمر يرفعه إلى أعلى . يلاحظ أن رسم الملاك على يمين المسيح أحسن حالا من نظيره على الناحية اليسرى ، ويحيط برأسيهما هالة كبيرة باللون التركوازى الغامق ، ومحدد اطارها باللون الأسود ، وتحيط

بشعر الملاك المرسوم على هيئة خطوط قصيرة رأسية بوسطها خط رأسى طويل ، ولكل منهما ثياب مكونة من رداءين ، ويشاهد أشرطة صفراء عند العضدين ، ويحمل كل ملاك اسمه بالقبطية .

رُسم إلى اليسار من الملاك ميخائيل (الأيسر بالنسبة للمسيح) ، قديس فى مرحلة الشباب مواجهة ، وقد بقى من الرسم نصفه العلوى ، حيث يبدو وجهه بيضاوى الشكل ، وعيناه لوزية متسعة وأنفه مدبب والفم من خط واحد باللون الأسود ، ولحيته طويلة بيضاوية المشكل وشاربه يشبه شارب المسيح .

يرتدى القديس رداء أصفر ، مُحكم جهة الرقبة ، ويمسك القديس بيسراه الانجيل وإلى يمينه توجد كلمة قبطية بمعنى القديس وإلى يساره أيضا بقية اسمه بالقبطية (اغريغور المطران) .

يلاحظ إلى الشمال منه رسم تالف جدا لشخص آخر ، تبقى من ملامح وجهه أجزاء طفيفة جدا . أما القديس الآخر فى النهاية اليسرى ، فقد رسم فى مرحلة متقدمة من العمر ، ذو لحية طويلة منسدلة ، ويحيط بوجهه هالة صفراء ، وواضح بجبهة الرأس التجعيدات باللون الأسود ، أما ثيابه فطويلة باللون الأصفر ، ويحمل بيسراه الانجيل . على أنه يلاحظ وجود طبقة من الملاط ترجع إلى فترة متأخرة ، تغطى بعض أجزاء من المنظر .

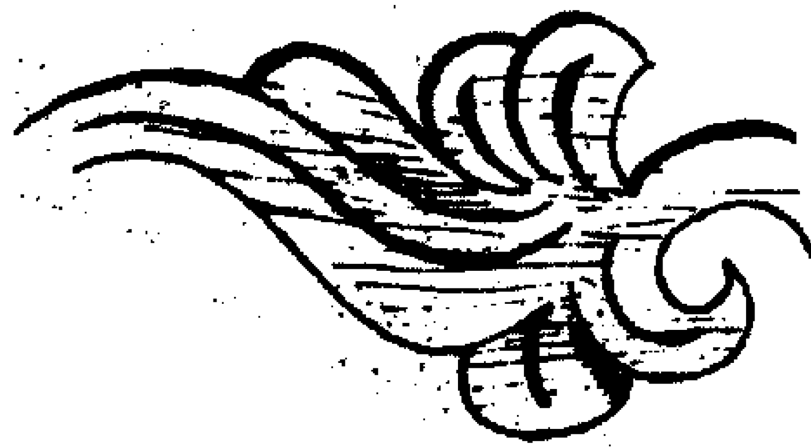
ويعتقد لورى أن هذا المنظر ، يُعد من أقدم مناظر الفرسكو بإسنا وأنه أحسن تخيلا ووضوحا من زخارف الفرسكو المماثلة والمعروفة عن باويط وسقاره [٢] .

والواقع أن منظر المسيح على العرش وحوله الملائكة والرموز الأربعة ، يعتبر من أكثر المناظر التصويرية شيوعا فى الكنيسة عامة ، فهو كموضوع دينى ورد فى العهد القديم والجديد ، اذ ورد فى رؤية يوحنا اللاهوتى ، صعود المسيح إلى السماء . على أن رسوم الفرسكو التى تناولت هذا الموضوع من الناحية الفنية ، تقترب إلى حد كبير من النصَ الدينى المسيحى فى رؤيا يوحنا ، فالمسيح على العرش فى السماء ، يجلس على «كرسى العظمة» ، تحيط به دائرة كبيرة أشبه بالدائرة التى ترمز إلى قوس قزح . وفى العهد القديم تمثل الدائرة التى تجمع العرش وتحملها

الملائكة والرموز ، نفس النص الدينى الذى ورد فى ذلك (٣) . على أن هذا المنظر يضم عادة مناظر للملائكة والرموز الأربعة المسيحية ، فضلا عن رسوم الساروفيم والشاروبيم (٤) . وهذا وتمثل الرسوم الرمزية الأربعة وجوه الأسد والثور والنسر والوجه الآدمى ، وهى ذات تفسيرات مسيحية رمزية (٥) .

ويعتبر هذا المنظر الدينى الهام من أهم المناظر الدينية فى زخرفة بواطن القباب خاصة فى الكنيسة القبطية ، ويتركز وجوده فى معظم الأحيان على باطن قبة الهيكل الأوسط ، بينما يشغل مساحة تجويف الحنية فى الجدار الشرقى من الهيكل رسم السيدة العذراء تحمل المسيح الطفل ، فعلى باطن القبة والتى تمثل الأفق منظر المسيح على العرش وعلى تجويف الحنية الذى يمثل الأرض منظر العذراء والطفل (٦) ، ويعد الرسم الذى عثر عليه فى دير القديس آراميا بسقارة ، والمؤرخ بالقرن السادس الميلادى ، أقدم المناظر الدينية ، التى تناولت هذا الموضوع فى الكنيسة المصرية (٧) . ولعل أهم ما يميز كنيسة دير الشهداء بإسنا ، من حيث زخرفة الفرسكو بها إحتوائها على ثلاثة مناظر لهذا الموضوع (المسيح على العرش) ، ضمن مناظر الفرسكو الأخرى بها ، منها الرسم المشار إليه سابقا ، وان اختلفت هذه الرسوم الثلاثة من حيث بعض التفاصيل والتى تناولناها فى رسالتنا بالوصف والتحليل والمقارنة (٨) .

تميزت الكنيسة الثانية والملاصقة للكنيسة الأولى السابقة فى الناحية الجنوبية ، بوجود وبقاء العديد من رسوم الفرسكو بها ، بحيث تعد الرسوم الباقية بها ، من أهم مناظر الفرسكو فى العصر الفاطمى ، بل ربما فى الكنائس المصرية جميعها . وقد جاءت الرسوم على جدران هذه الكنيسة متنوعة ومختلفة فى موضوعاتها ، رغم وضوح الطابع الدينى بهما ، فقد غطت أجزاء كثيرة من الهيكلين الشمالى والجنوبى ، بالإضافة إلى الردهتين اللتين تتقدما الهياكل وفيما يلى وصف لبعض هذه الرسوم :



مناظر للقديسين الفرسان :

القديس اقلاديوس : (اللوحة ٥٠) :

يوجد هذا المنظر على ارتفاع حوالى (٥٠ر١م) من الجدار الشمالى للردهة رقم (٩) والشكل كبير إذ يمتد من الشرق إلى الغرب ، بعرض (٨٥ر١م) وارتفاع (٣م) ، ويبدو الفارس القديس على صهوة جواده ، على أرضية باللون الأصفر . والحق أن هذا الرسم لا يزال إلى اليوم فى حالة جيدة من الحفظ . رُسم القديس الفارس مواجهة والحصان مجانبة وبحجم كبير بالنسبة للفارس . يظهر القديس اقلاديوس فى مرحلة الشباب ، وهو الأمر الذى يتفق وقصة إستشهاده ، التى وردت فى السنكسار القبطى ، وجهه مستدير ، وملامحه منفذة بالأسلوب التخطيطى المعروف فى المدرسة الفاطمية ، له شعر مصفف قصير ، يعلوه منطقة مستطيلة الشكل ، يزخرفها ورقة نباتية متكررة باللون الأخضر ، ويحيط بوجهه هالة مستديرة باللون الأصفر الداكن ، وحُدد اطارها باللون الأسود ، وفى أعلى الرسم تظهر دائرتين على جانبى وجه القديس ، بداخلهما نجوم سداسية الأطراف ، وتخرج منهما يد تقبض على طوق مستدير باللون الأبيض والأزرق الفاتح ، جهة القديس الفارس ، كما يحيط بوجه القديس فى الناحية اليسرى ، نص قبطى من ثلاثة سطور .

يرتدى القديس اقلاديوس ملابس الجندية الغنية بالزخارف ، والمؤلفة من أشرطة أفقية ضيقة ، بداخلها زخارف بألوان متعددة بيضاء وسوداء وغيرها ، قوامها ، أنصاف دوائر وخطوط متعرجة وأخرى مستقيمة ، ويبدو وهو يقبض بيده اليمنى على حربة طويلة ، يطعن بها شخصا ، تلف رسمه إلى حد كبير ، أسفل أرجل الحصان ، وتنتهى الحربة من أعلى بصليب صغير ، بينما يقبض بيسراه على سرج الحصان والذى يبدو عليه الجمود . هذا وقد استخدم الفنان اللون الأسود فى تحديد ملامح وجه الحصان وشعره المنسدل على رقبته وذيله ، بينما زخرف جسمه بنقط مستديرة على أرضية خضراء فاتحة .

ويلاحظ أن الفنان قد رسم خطا كبيرا باللون الأحمر ، يكاد يلامس أرجل الحصان ، وأسفل هذا الخط مباشرة ، يظهر صليب كبير باللون الأحمر ، كما ينتهى كل ضلع من أضلاعه بورقة نباتية ثلاثية .

القديس بقطر : (اللوحة ٥١)

يقع هذا المنظر فى الناحية الجنوبية ، وهو مماثل للرسم السابق ، إذ أنه قديس فارس ، مع وجود بعض الإختلافات فى التفاصيل ، من أهمها ، أن القديس مرسوم بحجم أصغر والمنظر مرسوم على خلفية حمراء ، ولم يتبق من الرسم سوى بعض الأجزاء القليلة من الفارس والحصان ، إذ تبدو آثار الهالة التى تحيط بالوجه من اللون الأصفر . ومن الواضح أن ملابس الفارس القديس أقل زخرفة من ملابس الفارس السابق . وأغلب الظن أن هذا الرسم يمثل القديس وهو يقبض بيده اليمنى على حربة ، ويمسك بيسراه سرج الحصان ، كما يلاحظ من بقايا الزخرفة وجود النقط المطموسة ، على جسم الحصان والزخرفة الهندسية على بقايا ملابس الفارس ، بالإضافة إلى بقايا سطور أفقية من الكتابات القبطية أسفل رأس الحصان وعلى يسار جسم الفارس .

القديس تيودور : (اللوحة ٥٢)

يقع هذا الرسم أعلى الدعامة الغربية للردهتين رقمى (٩ ، ١٠) ، والرسم فى حالة سيئة من الحفظ حاليا ، وأن تبقى منه أجزاء كثيرة ، تدل على رسم القديس فى مرحلة الشباب ، اللحية مدببة الشكل ، كما يبدو وضوح بقايا قليلة من الآلة الصفراء التى تحيط بالوجه ذات اطار أحمر مستدير ، ويستدير معها زخرفة هندسية من نقط مستديرة متماسة باللون الأبيض ، مع زخرفة من أشكال الوريدات باللون الأحمر . وفى الناحية اليسرى من وجه القديس دائرة ، يظهر منها رُبعها تقريبا ، ويخرج منها اليد التى تحمل الدائرة ، والتى وجدت فى رسم القديس السابق كرمز للشهادة .

أما ثياب هذا القديس ، فتبدو غنية جدا بالزخارف ، إذ تتكون من ثلاث مناطق رئيسية ، الوسطى يزخرفها حروف كوفية ، من وحدة متكررة يحتمل أن تكون كلمة «الله» مكررة ، باللون الأبيض على أرضية سوداء ، بالاضافة إلى وجود زخارف هندسية لدوائر بداخلها صلبان صغيرة متساوية الأضلاع ودوائر بداخلها دوائر أصغر وأنصاف دوائر وتهشيرات هندسية وخطوط متعرجة ، بألوان مختلفة بيضاء وحمراء وصفراء ، مع استخدام اللون البرتقالى ، أما الأجزاء الباقية من الرسم

فتشير إلى أنه مرسوم باللون الأبيض على أرضية صفراء . على أن زخرفة سرج الحصان تبدو أكثر غنى من الزخرفة السابقة ، إذ أنها مؤلفة من أشرطة رأسية ومربعات ودوائر وتهشيرات وأوراق نباتية وصلبان ومعينات ، وأخيرا يبدو القديس وهو يقبض على الحربة التى سبق وجودها فى المنظرين السابقين .

لاشك أن مناظر القديسين الفرسان فى الكنيسة القبطية ، تعد من المناظر الدينية الهامة التى يُحرص عادة على وجودها على جدران الكنيسة ، ويبدو فيها القديس الفارس وهو على جواده ، يحمل حربة بيده ، يطعن بها أحد الأعداء ، تحت سنابك الخيل ، وتمتد له يد بطوق صغير ، يرمز إلى استشهاده . وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن وجود مثل هذه المناظر ، فى الكنيسة إنما يرجع إلى أصول فرعونية قديمة ، مثلت انتصار الخير على الشر ومستمدة أصولها من أسطورة «حورس» يقهر الشر فى هيئة «ست» [9] ، وأن ذلك يمثل إستمرارية للتأثير الفرعونى القديم ، على اعتبار أن القديسين والرهبان القائمين على الأديرة من الرعيل الأول ، قد حلوا فى رسوم الفرسكو فى الكنائس والأديرة ، محل الفراعنة وكبار كهنة مصر قديما . على أنه يؤيد هذا الرأى ما حدث فى نشأة الفن القبطى ، من مزج وخلط بين العادات والتقاليد والأساطير الوثنية وبين العقائد والقصص الدينى المسيحى ، والذى تناول الأمور الوثنية فى الفن القبطى ، دون استخدام هذا المدلول بغرض دينى فى العقيدة القبطية [10] .

وعلى هذا الأساس فإن فكرة انتصار الخير التى تمثل القديس الفارس الذى ينتصر للمسيحية بقتله أحد أعدائها من الوثنيين ، انما هى نفس الفكرة الفرعونية القديمة . وأغلب الظن أيضا فى رأينا أن وجود مثل هذه الرسوم ، لاسيما فى أديرة الصحراء ، التى تكون فى أماكن نائية وبعيدة ، تبعث فى نفس الراهب ، القوة والشجاعة والثبات على العقيدة ، وتُبعد عنه هواجس وحشة الصحراء . وقد يكون أيضا الغرض من رسم مثل هذه المناظر ، اتخاذها كرمز للمسيح ، «المنقذ والمخلص» ، إذ ورد فى رؤية يوحنا اللاهوتى نص يذكر «ثم رأيت السماء مفتوحة ، وإذا فرس أبيض ، والجالس عليه يدعى امينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب ، وعيناه كلهيب النار ، وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ، ليس أحد يعرفه إلا هو ، وهو متسربل بثوب ، مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله» [11] . وقد

تكون أيضا هى قصة الفارس المنقذ ، التى ما تزال تعيش حتى اليوم فى ريف مصر إمتدادا لنفس هذا التأثير .

والواقع أن **القديسين الفرسان الثلاثة** والذى سبقت الإشارة إلى رسومهم لهم أهمية كبيرة فى الكنيسة المصرية ، الأول وهو «**اقلاديوس**» شهيد المسيح ، قد وردت ترجمته فى السنكسار القبطى [١٢] ، إذ أنه كان من أهالى مدينة انطاكية ، واعتنق المسيحية ، فى عهد الامبراطور دقلديانوس مع القديس بقطر ، وحاول الامبراطور أن يثنيه عن ذلك ، اذ أنه كان جنديا فى الجيش ، فرفض وخشى الملك إن قتله أن تحدث ثورة بين أهل انطاكيا ، فأرسله إلى والى أنصنا بمصر ، ليحاول أن يثنيه أيضا ، فلما فشل فى ذلك طعنه بحربة فقتله ، ونقلت رفاته بعد فترة من الزمن إلى أنطاكيا .

ويوضح لنا منظر هذا القديس فى دير الشهداء بإسنا هذه القصة التى أوردها السنكسار القبطى (اللوحة ٥٠) ، فهو يقتل شخصا أسفل سنابك الخيل ، لعله دقلديانوس ، رمز الوثنية ، وتمتد له يد من كل جهة بطوق ، وهو ما ورد فى النص الدينى «ونال إكليل الشهادة» [١٣] ، وكذلك الزى العسكرى الذى يرتديه وهو يرمز إلى بدلة الجندية فى الجيش الرومانى وكذلك الحربة التى تنتهى من أعلى بصليب يرمز إلى إعتناقه المسيحية ، ولهذا القديس رسم آخر محفور على الخشب فى حشوة خاصة به ، ضمن حشوات الحجاب الحالى بكنيسة أبى سرجة بمصر القديمة ، وتؤرخ هذه الحشوة بالقرن الرابع الهجرى / ١٠م [١٤] ، كما أن أشكال القلائد أو التيجان التى تمتد له كرمز للشهادة ، توجد لها أمثلة عديدة ، على تحف كنسية أخرى [١٥] ولا يزال حتى اليوم اسمه باقيا على كثير من هياكل الكنائس المصرية .

أما القديس الثانى بقطر (اللوحة ٥١) ، فهو أشهر قديسى الكنيسة القبطية ، وحسبما ورد فى قصة حياته [١٦] ، والتى يستفاد منها أن والده كان يشغل منصب الوزير فى بلاط الامبراطور دقلديانوس ، إلا أن ابنه (بقطر) ، كان محبا للصوم والصلاة ، واعانة الضعفاء والمساكين ، وحين اعتنق المسيحية ، استدعاه الامبراطور دقلديانوس ، وطلب منه الرجوع إلى عبادة الأوثان ، وتذكر الرواية أنه رفض وألقى بملابس الجندية فى وجهه ، فأرسله الامبراطور إلى مدينة الأسكندرية ،

حيث عُذب وقُتل هناك ، وقد ورد فى السنكسار القبطى من أن «صبية كانت تنظر إليه من شباك منزلها أثناء موته فوجدت إكليلا نازلا على رأسه من السماء» [١٧] وهذا ما يبدو على الرسم ، حيث يوجد الاكليل فى يده اليسرى ، ولهذا القديس أيضا ، منظر مماثل محفور حفرا عميقا على الخشب ، ضمن حشوات حجاب كنيسة أبى سرجة السابق الإشارة إليه [١٨] .

والقديس الفارس الأخير «تيودور» والذى ورد اسمه بالقبطية بجانبه (تيودور المحارب) ، فهو أيضا من القديسين المشهورين فى الكنيسة المصرية ويعرف باسم تادرس المحارب ، قد وردت ترجمة حياته أيضا فى السنكسار القبطى ، على أنه كان جنديا فى الجيش الرومانى ، وحارب ضد الفرس ، ولما اعتنق المسيحية قتله الامبراطور الرومانى ، ولهذا القديس رسم ضمن تصاوير مخطوطة مسيحية محفوظة فى الفاتيكان [١٩] .

زخرفة باطن العقد :

زُخرف باطن العقد الغربى الذى يفتح على الردهة رقم (٩) ، برسوم الفرسكو حيث يبدو صليب كبير فى سمت باطن العقد يفصل بين رسم لقديسيين ، أحدهما فى مرحلة الشباب يقبض بيسراه على كأس أحمر اللون ، ويشير إليه بإصبعين من يده اليمنى (اللوحة ٥٣) ، ويلتف حولهما منديل باللون الأحمر ، وإلى يمينه كتابة قبطية ، ترجمتها «القديس الشماس الشهيد سمعان بن يونا» ، أما القديس الآخر ، فقد رُسم فى مرحلة متقدمة من العمر ، وهو ما يظهر من ملامح الوجه المرسومة بالأسلوب التخطيطى ، ويحيط بوجهه هالة كبيرة مماثلة لهالة القديس السابق ، ويرتدى ملابس حمراء طويلة ، يظهر منها قدمه اليسرى ، عليها عباءة بيضاء مزخرفة بخطوط هندسية صفراء ، ويقبض بيسراه على دائرة بها مفاتيح طويلة سوداء ، ويشير إلى صدره بيده اليمنى ، ويظهر أعلاه كتابة قبطية ترجمتها «الرسول القديس بطرس» ، (اللوحة ٥٤) .

والواقع أن الرمزية الواضحة فى رسم الكأس بيد الشاب الأول ، انما تشير إلى دم المسيح [٢٠] ، وكذلك الرمزية فى رسم المفاتيح التى يقبض عليها بطرس ، تتفق والحوار الذى دار بينهما [٢١] .

منظر السيدة العذراء تحمل المسيح الطفل : (اللوحة ٥٥)

يقع هذا المنظر أسفل المنظر الثانى الذى يمثل السيد المسيح على العرش ، والذى يملأ باطن نصف القبة ، التى تغطى الهيكل رقم (١١) ، حيث تبدو جالسة على مقعد ، ويحيط بها من الناحيتين ملاك (٢٢) ، وقد تلف حاليا النصف الأعلى من رسم العذراء والمسيح ووجوه الملائكة ، فيما عدا الآلآت ، التى تحيط بوجوههم ، والتى رسمت باللون الأصفر ، وحددت اطاراتها باللون الأسود . تجلس السيدة العذراء مواجهة ، ترتدى ثيابا خضراء اللون ، مزخرفة بزخارف هندسية ، من أشكال المعنيات باللون الأسود ، وسط كرسى كبير غنى بالزخارف ، ويحمل الملاك على يمينها عصا كبيرة تنتهى من أعلى بصليب صغير ، والملاك على يسارها يرفع عصًا متوسطة الطول .

ويغلب عادة وجود هذا المنظر فى الكنيسة المصرية أسفل رسم المسيح على العرش ، وهو منظر دينى (٢٣) ، يرى فيه بعض العلماء صدى لقصة ايزيس وحورس (٢٤) فى العصر الفرعونى ، أو ما يظهر على توابيت المومياء الفرعونية القديمة (٢٥) . ولهذا المنظر أمثلة عديدة ، كما فى أديرة باويط (٢٦) والدير الأبيض (٢٧) والقديس أنطوان ودير القديس سمعان بأسوان (٢٨) وغير ذلك من الكنائس والأديرة .

وبمقارنة هذا المنظر ببعض المناظر المماثلة مع إسقاط ملامح الوجوه من المقارنة لتلفها ، فإن الاختلافات بين هذه الرسوم تبدو واضحة ، تبعا لأسلوب الفنان الخاص وتخيله للمنظر ككل ، وتشمل هذه الاختلافات ملامح الوجوه والمقعد الذى تجلس عليه العذراء وطيات الملابس وأشكال الملائكة والوسادة والكتابات القبطية ، وان كانت جميعها تشترك تقريبا فى رسم العذراء مواجهة والملائكة مجانبة إذا وجدت فى الرسم (٢٩) .



الفصل الثانى

رسوم الفرسكو بكنيسة دير الفاخورى بأصفون

تضم كنيسة دير الفاخورى بأصفون ، موضوعات دينية تصويرية ، تُعد من أهم وأجمل الزخارف الجدارية ، التى تنسب إلى العصر الفاطمى ، لاحتوائها على تاريخ يرجعها إلى هذا العصر ، وان كان التلف قد تطرق إلى حد كبير إلى هذه الرسوم ، وان كان ما بقى منها يعطى فكرة طيبة عما كانت عليه زخارفها . ويعتبر الرحالة فانسليب أول من أشار إلى أهميتها ، خلال رحلته إلى مصر فى القرن السابع عشر الميلادى ، إلا أنه لم يصفها [1] . وأغلب الاحتمال أن رسوم هذه الكنيسة لم تثر الاهتمام لدى الرحالة الأجانب ، الذين زاروا مصر فى القرنين الماضيين ، مثلما أدهشتهم رسوم كنيسة دير الشهداء [2] ، وربما يرجع السبب فى ذلك ، إلى صعوبة الوصول إلى موقع هذا الدير فى الصحراء .

هذا وقد أمدنا الرحالة «J. C. de Saxe» [3] ، ببعض الوصف الموجز لرسوم هذا الدير ، أهم ما جاء فيه ، تلك الإشارة الموجزة ، التى ذكر فيها عن مشاهداته لزخارف الفرسكو بقلالى الرهبان ، والتى لا زال باقيا منها بعض الآثار الملونة

الطفيفة جدا من بقايا الموضوعات ، وقد ذكر أن موضوع هذه الزخارف ، اشتمل على عناصر حيوانية ، كالأسود والثعالب ، داخل مربعات ، وقد أرخها فى الفترة الواقعة ما بين القرن ١١م ، ١٣م ، دون ذكر الأسباب التى استند إليها فى تأريخه لها .

تنحصر الزخارف الباقية فى هذا الدير فى مربع القبة الرئيسية ، فى واجهة العقد الشرقى ، وعلى بواطن العقود الحاملة للقبة من الداخل فى الناحية الغربية ، وعلى الدعائم الأربع ، وفيما يلى وصفها وصفا موجزا .

زخرفة العقود : العقد الشرقى :

الواقع أن هذا العقد انفرد دون عقود الكنيسة الأخرى ، ببقاء زخارف الفرسكو ، على واجهته المطلة ، على مساحة القبة من الداخل فى الناحية الغربية ، وكذلك على باطنه ، كما فى بقية العقود الثلاثة .
زخارف واجهة العقد : اللوحة (٥٦) :

قوام زخارف هذه الواجهة ، ثمانى عشرة دائرة ، ذات إطارات ، محدد معظمها باللون الأحمر الداكن ، (قطرها من الخارج ٢٨سم ، ومن الداخل ٢٠سم) ، بداخل كل منها رسم خاص بموضوع زخرفى من عناصر مختلفة جمعت بين العناصر الآدمية والحيوانية وأشكال الطيور والأشكال الهندسية ، والتى لا يوجد لها مثل آخر فى واجهات عقود هياكل الكنيسة المصرية ، ويبدأ وصف زخارف هذه الدوائر من أسفل رجل العقد من الناحية الجنوبية :

الدائرة رقم (١) : بداخلها غزال يعدو على مهاد نباتى ، يشبه إلى حد كبير رسما مماثلا على كوشة عقد حجاب هيكل كنيسة يوحنا المعمدان بكنيسة أبى السيفين بمصر القديمة ، مؤرخ بالقرن الثالث عشر الميلادى[٤] ، وأيضا على صحن من الخزف ذى البريق المعدنى من العصر الفاطمى . ومن المعروف أن مثل هذا الموضوع كان من العناصر الزخرفية المعروفة والمحببة للفنان فى العصر الإسلامى .

الدائرة رقم (٢) : بداخلها نجمة متعددة الرؤوس ، من ستة أطراف ، باللونين الأزرق والبنى ، على أرضية من اللون الأصفر ، ويتكون الشكل السداسى من مثلثين

متداخلين ، وقد شاع وجود هذا العنصر الزخرفى على كثير من منتجات الفنون الإسلامية المختلفة [٥] .

الدائرة رقم (٣) : كان يزخرف هذه الدائرة فى الأصل صليب ، إلا أنه قد تلف الآن تماما .

الدائرة رقم (٤) : رُسم بداخلها وردة من خمس بتلات ، بالألوان الصفراء والزرقاء واللون البنى الداكن وتمتاز هذه الدائرة ، بوجود دائرة أخرى ، تحيط بها من الخارج .

الدائرة رقم (٥) : يتوسطها صليب متساوى الأضلاع من النوع المتعدد الرؤوس ، رُسم باللون الأزرق على أرضية باللون الأحمر ، مع تحديد الشكل من الخارج باللون البنى .

الدائرة رقم (٦) : حُددت هذه الدائرة من الخارج باللون البنى ، ومن الداخل باللون الأصفر ، ورُسم بداخلها زخارف مجدولة ، تشبه إلى حد ما ، زخارف مماثلة على صحن من الخزف ذى البريق المعدنى ، فى العصر الفاطمى ، محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة [٦] .

الدائرة رقم (٧) : هى الدائرة الوحيدة ، بين زخارف دوائر العقد ، والتى تحتوى على شكل لآدمى ، أقرب إلى شكل سيدة ، لعلها السيدة العذراء [٧] .

الدائرة رقم (٨) : بداخلها رسم لطائر أشبه بالحمامة ، التى تعتبر رمزا للوداعة فى الكنيسة ، رُسمت باللون الأزرق على أرضية صفراء ، والرسم يشبه الأوانى البرونزية المصنوعة على هيئة الطيور والمعروفة باسم الأكوامنيل [٨] .

الدائرة رقم (٩) : الدائرة حاليا خالية من الرسم ، وقد ذكر «لورى» أن زخرفتها ، كانت على شكل أربع دوائر متداخلة ، مزخرفة بنقط صغيرة زرقاء [٩] .

الدائرة رقم (١٠) : يتوسطها شكل صليب محور ، إلى حد ما ، إذ أن الضلع الرأسى اسطوانى الشكل وأكبر قليلا من الضلع الأفقى .

الدائرة رقم (١١) : بداخلها رسوم لطائر أشبه بشكل الديك ، باللونين الأزرق والبنى الداكن ، ويشبه الرسم إلى حد ما ، رسوم الديكة ، بحجاب كنيسة القديسة بربارة ، المحفوظ بالمتحف القبطى ، بمنطقة مصر القديمة [١٠] .

الدائرة رقم (١٢) : الواقع أن زخارف هذه الدائرة ، من أجمل الدوائر كلها ، على واجهة هذا العقد ، وقد ذكر لورى ، أنها تمثل شكل وردة [١١] ، ولكنها فى الواقع ، أقرب إلى شكل الصليب من النوع المتعدد الرؤوس ، الذى ينتهى كل ضلع من أضلاعه ، بورقة نباتية ثلاثية الفصوص ، تقترب فى شكلها العام من ورقة اللوتس المصرية ، قوامها خطوط متقاطعة ، تؤلف أشكالا صغيرة تشبه الصليب ، الموجود بالدائرة رقم (٥) ، أو ربما لشكل من صليبين ، الرئيسى على محور واحد ، والآخر منحرف قليلا .

الدائرة رقم (١٣) : زخرفت بصليب متعدد الرؤوس ، يشبه الصليب الموجود بالدائرة رقم (٥) .

الدائرة رقم (١٤) : قوامها شكل نجمى من ستة رؤوس ، باللون البنى على أرضية زرقاء .

الدائرة رقم (١٥) : بداخلها صليب ، ينتهى ساقه السُفلى ، بثلاثة رؤوس صغيرة .

الدائرة رقم (١٦) : حددت من الخارج باللون الأزرق ، ورُسم بداخلها صليب مماثل لصليب الدائرة السابقة .

الدائرة رقم (١٧) : ذكر لورى أنه يوجد بداخل هذه الدائرة طائر [١٢] ، وقد تساقطت طبقة الملاط حاليا ولا وجود للرسم .

الدائرة رقم (١٨) : آخر الدوائر التى تزين واجهة هذا العقد فى الناحية الشمالية ، ورسم بداخلها غزال مشابه لمثيله ، أسفل رجل العقد فى الناحية الجنوبية ، وكأن هذه لمجموعة الجميلة من العناصر المختلفة ، قد بدأت رسومهابغزال وانتهت برسم غزال .

زخارف باطن العقد الشرقى :

زخرف باطن هذا العقد بمنظر كبير لقديسين وهم وقوفا ، يفصل بينهم فى سمت باطن العقد ، دائرة كبيرة باللون الأبيض ، بداخلها وردة من ثمانى بتلات ،

باللونين الأسود والأبيض ، ومازال الرسم فى حالة لا بأس بها من الحفظ . هذا وقد رسم القديسان بحجم كبير (٢م إرتفاع) ، أحدهما فى مرحلة الشباب (الجنوبى) ، والآخر فى مرحلة الشيخوخة (الشمالى) .

القديس المرسوم فى الناحية الجنوبية : رُسم وجهه على شكل بيضاوى ، وحدد رسم الوجه باللون الأصفر الداكن ، وتبدو التجاعيد على وجه القديس بواسطة سلسلة من الأقواس الأفقية المتتالية ، والمرسومة بأسلوب تخطيطى ، العيون لوزية متسعة ، والأنف عبارة عن خطين ، يتصلان أسفل القوس الأخير من أقواس الجبهة ، ويتلاقيان من أسفل على شكل مدبب صغير (اللوحة ٥٧) ، والشارب رسم على شكل عروتين غير كاملتين إلى أعلى ، أقرب إلى الشكل الزخرفى ، ويتصلان من أسفل بخصلة من شعر اللحية فى الناحيتين ، ويلاحظ أن شعر الرأس ينسدل على الكتفين من الأمام ، ويحيط بوجهه هالة مستديرة باللون الأخضر الداكن . أما الثياب ، فهى من رداءين : الأول قميص قصير من الأمام ، طويل إلى حد ما من الخلف ، كما يتضح من ظهور طرفيه فى الجانبين من أسفل ، محكم جهة الرقبة ، ومزخرف بزخارف هندسية على شكل البيضة والسهم ، ويشير القديس بسبابة يده اليمنى إلى رسم داخل دائرة ، على صدره من الناحية اليسرى لحيوان أشبه بالجمل مرسوم باللونين الأخضر والأبيض ، على أرضين حمراء اللون ، تستدير حولها نقط صغيرة ، متماسة باللون الأبيض ، بينما يقبض بيسراه ، على لوح مكتوب عليه نص قبطى من سبعة سطور ترجمته : «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» . ومن المرجح أن يكون الرسم للقديس يوحنا ، إذ أن النص الدينى الوارد فى إنجيل يوحنا يشير صراحة إلى هذا لموضوع [١٣] ، ويوكد هذه النسبة ، ما يشير إليه بإصبعه جهة الرسم الماثل على كتفه الأيسر للحمل ، والذى يعتبر من الرموز المسيحية ، كناية عن السيد المسيح أو الراعى الصالح ، كما ورد فى النصوص الدينية المسيحية [١٤] . أما الرسم من الناحية الفنية ، فيلاحظ فيه أن الفنان لم يتقيد بالأسلوب المعتاد تنفيذه فى الزخارف الجدارية الفاطمية ، أذ يبدو التأثير الزخرفى الايرانى واضحا فى شكل اللحية وكثافتها وانسدال شعر الرأس على الكتفين من الأمام [١٥]

أما الرداء الثانى الذى يرتديه هذا القديس فإنه يستمر حتى قدمية ، ومزخرف على شكل منطقة رأسية بالوسط باللون الأصفر ، خالية من الزخارف ، يكتنفها من الجانبين ، مناطق رأسية ، يزخرفها دوائر رأسية أيضا باللون الأخضر ، بداخلها دوائر صغيرة ، مكررة باللون الأحمر ، فى صفوف رأسية ، ويبدو القديس حافى القدمين ، عكس القديس المقابل له فى الناحية اليسرى .

القديس المرسوم على الجانب الأيسر : (اللوحة ٥٨)

رُسم وهو فى مرحلة الشيخوخة ، وبأسلوب مغاير لرسم الشكل السابق ، وعلى وجهه تبدو التجاعيد ، والعيون لوزية متسعة ، وينتهى الأنف بخط صغير ، مدبب ، يتدلى منه خط رأسى قصير جدا ، ويلاحظ أن شاربه عبارة عن قوسين كبيرين ممتدين إلى أسفل من الجانبين ، يشبه إلى حد كبير أسلوب رسم شوارب القديسين ، الذين يحيطون بالسيدة العذراء فى شرقية* باويط المحفوظة بالمتحف القبطى ، والمؤرخة بالقرن العاشر الميلادى . اللحية تبدو مدببة الشكل ، ومرسومة باللون الأبيض ، ويحيط باللوحة هالة باللون الأخضر الداكن يستدير حولها إطار من نقط صغيرة ، تكاد تكون متماسة باللون الأبيض . ويحيط به من الناحيتين كتابة قبطية ترجمتها : «أبونا القديس أنبا بسادة ، شهيد المسيح أسقف مدينة بيشوى» .

والواقع أنه يعتبر من القديسين المحليين ، الذين استشهدوا فى عصر الامبراطور دقلديانوس (١٦) ، وربما كان من منطقة أسوان ، إذ أنه أُعتبر قديس محلى بهذه المنطقة ، وهو ما يبدو من هذا الرسم الموجود له بدير الفاخورى بأصفون بقصد تخليد ذكراه . يقبض هذا القديس ، بيده اليمنى على حربة طويلة ، تنتهى فى أعلاها بصليب ، تشبه إلى حد كبير ، رسوم حراب القديسين الباقية حاليا فى حجاب كنيسة أبى سرجة بمنطقة مصر القديمة (١٧) ، ورسوم الحراب (الصلبان) ، فى بعض المخطوطات المسيحية التى تؤرخ بالقرن الثالث عشر الميلادى (١٨) ، ويقبض بيسراه على الإنجيل المزخرف ، بزخارف نباتية ، كما تتكون ثيابه أيضا من رداءين ، الأول قميص متعدد الطيات ، أكمامه واسعة ، وينتهى أسفل البطن ويزخرفه زخارف هندسية ، من أنصاف الدوائر باللون البنى ، أما الرداء الثانى الذى يظهر من أسفل

نهاية القميص السابق فهو على شكل البدرشيل . ويلاحظ وجود شريط زخرفى ، يبدأ من فتحة الرقبة ، ويستمر حتى قرب نهاية هذا الثوب ، يزينه وحدات هندسية زخرفية متعددة ، بعضها نباتى من أوراق العنب ، الخماسية الفصوص ، وبعضها ثلاثى على شكل الورود ، والرابع هندسى الشكل ، من أشكال مربعة ومستطيلة ودوائر ونقط مطموسة ، ويكتنفه من الناحيتين شريط زخرفى آخر ، بداخله أشكال من الصلبان ، فى صفوف رأسية متماسة ، يسودها الألوان الحمراء والخضراء ، ويتناثر حولها صلبان صغيرة ، على شكل أربع نقاط صغيرة مطموسة متجاورة ، على بقية الثوب .

رسوم باطن العقد الغربى : (اللوحة ٥٩)

حاول العالم الفرنسى «لورى» ، اعادة رسم المناظر المماثلة على باطن هذا العقد إلى ما كانت عليه حيث يظهر فى الرسم ، وجوه لاثنى عشر آدميا ، فى رسوم نصفية ، داخل دوائر كبيرة تامة الإستدارة ، ويحيط بوجوههم هالات ، رسمت باللون الأخضر الداكن ، ويُميز أشكالهم ، اختلاف ملامحهم من وجه الآخر فبعضها مستدير والآخر بيضاوى الشكل ، ويقبض كل منهم بيسراه ، على لوح مكتوب عليه اسمه ، بينما يشيرون بسبابة أيديهم اليمنى ، إشارات مختلفة ، فبعضهم يرفعه إلى أعلى ، وغيرهم يشيرون إلى الجانب والبعض الثالث يشير به إلى ذقنه ، والبعض الرابع يُشير به إلى اللوح المكتوب ، الذى يقبض عليه بيده ، وتأتى أهمية هذا اللوح ، إلى وجود إسم كل منهم بالقبطية عليه ، حيث يتضح أنها رسوم شخصيات دينية هامة هى : هارون ، يشوع بن النون ، ملاخرا ، اسحق ، دانيال ، موسى ، حزقيال ، ناحوم ، يوئيل ، ارميا .

رسوم باطن العقد الشمالى : (اللوحة ٦٠)

زخرف الفنان القبطى باطن هذا العقد بمنظر للمسيح فى سمت باطن العقد ، يتوسط رسوم التلاميذ الاثنى عشر . والواقع أن رسم السيد المسيح ، قد تلف الوجه فى الرسم تماما ، إلا انه يتضح من الحدود الخارجية للألوان ، أن الوجه بيضاوى الشكل ، ذو لحية قصيرة سوداء مدببة ، كما بقى من آثار الألوان ، التى

كانت تزين الرداء ، اللون الأحمر . يبدو المسيح ، وهو يضم الإنجيل ، تحت إبطه الأيسر ، داخل صندوق ، يبدو وكأنه مطعم بالأحجار الكريمة ، ويمسك بنفس اليد اليسرى ، التى يسند بها الإنجيل ، طرف من ردائه المتعدد الطيات ، كما يسند بيمناه الإنجيل ، ويعلو يده هذه صليب صغير متعدد الرؤوس .

ولا تختلف رسوم التلاميذ كثيرا ، وإن كان بعضها رسُم فى مرحلة متقدمة من العمر والآخر فى مرحلة الشيخوخة كما أنهم يحملون جميعا الإنجيل ويشيرون إليه بأيديهم اليمنى ، ووجوههم تميل إلى الشكل البيضاوى ، أكثر منها إلى الشكل المستدير .

رسوم باطن العقد الجنوبى : (اللوحة ٦١)

زخرف الفنان باطن هذا العقد ، بمنظر يماثل نفس المنظر المرسوم ، على باطن العقد الشرقى الذى يتقدم الهيكل الرئيسى بالكنيسة ، حيث يمثل المنظر : قديس واقف فى الناحية الغربية ، تلف رسمه تماما ، وقديس واقف فى الناحية الشرقية ، يحيط برأسه نص قبطى ترجمته ، «أبونا القديس متى» ، صاحب الدير ومؤسسة ، ويثبت هذا النص المكون من ثلاث كلمات قبطية صحة نسبة الدير إلى القديس متى صاحب الدير .

يبدو القديس فى مرحلة الشيخوخة ، وجهه بيضاوى الشكل ، وعيونه لوزية متسعة ، وأنفه مدبب ولا يوجد تحديد واضح للفم ، الذى يغطيه الشارب الكبير والذى يتدلى على شكل قوسين صغيرين ، ويحيط برأسه هالة كبيرة ، محدد إطارها الخارجى باللون الأسود الفاتح . وقد زخرف رداؤه بوحدة زخرفية متكررة من صليب صغير متساوى الأضلاع ، ويحمل على ذراعه الأيسر الإنجيل ، الذى يزخرف غلافه صليب كبير متساوى الأضلاع ، ينتهى كل ضلع بشكل عروة غير كاملة .

الرسوم بين كوشات العقود :

لقد زخرف الفنان المناطق بين كوشات العقود برسوم الفرسكو ، فعلى الدعامة الشمالية الشرقية ، يوجد رسم يمثل الساروفيم والشاروبيم (اللوحة ٦٢) ، بإرتفاع (١٠ر١م) وقد رسمت ملامح الوجه بالأسلوب التخطيطى ، المعروف فى

المدرسة الفاطمية ، وذلك باللون الأسود ، ورسم الوجه مستديرا ، تحيط به الهالة باللون الأسود . وكذلك على الدعامة الشمالية الغربية ، يشاهد عليها بين كوشات العقود ، منظر فريد يجمع بين شاروبيم وملاك (لوحة ٦٣) ، حيث يظهر ملاك فى الناحية اليمنى ، بوجه مستدير يشابه تماما وجه الشاروبيم السابق ، ويحيط بوجهه هالة كبيرة ، ويقبض بيده اليمنى على عصا طويلة ، تنتهى من أعلى بصليب صغير ، ويقبض بيده اليسرى ، على دائرة بداخلها دوائر أصغر حجما ، ويتوسط الدائرة الداخلية وردة ذات أربع بتلات تقترب من شكل الصليب ويمسك بنفس اليد أيضا بطرف ردائه الفضفاض . يزخرف أجنحة هذا الملاك ، وكذلك طيات ردائه ، نقط صغيرة موزعة بشكل هندسى جميل من أعلى إلى أسفل .

أما الشاروبيم الذى يظهر بجانب الملاك ، فيبلغ ارتفاع رسمه (٥٠ر١م) ، ويزخرف طيات ملابسه وحدة زخرفية على شكل العين متكررة ، كما يزين أجنحته ، زخرفة هندسية متقاطعة ، من خطوط تؤلف أشكالا لمعينات صغيرة وأشكال أخرى مربعة ومستطيلة وحلزونية ودوائر متداخلة ، كما يحيط برأسه من الجانبين بعض الرموز الحيوانية المحورة . ويشاهد على الناحية اليسرى من رأسه كتابة قبطية ، ترجمها العالم «Coquin» نصها «مقدس ، مقدس ، مقدس ، السيد شابوت ، الأرض والسموات مليئة بحمدك» [١٩] .

كما ورد نص قبطى هام غاية فى الأهمية ، ترجمه نفس العالم السابق ، يستفاد منه ، أن أحد رهبان هذا الدير هو الذى خطط لهذه الرسوم المائية الهامة السابقة فى عام ٨٦٥ للشهداء الموافق : (١١٤٨ - ١١٤٩م) ، وقد ورد اسمه فى النص «يوحنا» ، وترجمة النص «السيد المبارك أخانا المحب للإله يوحنا الذى خطط صورة الشهداء عام (٨٦٥ش) .... أذكر أنا الرسام ..... شماس وراهب الدير» .

على أنه يستفاد من هذا النص عدة حقائق هامة نشير إليها فى إيجاز :

أولا : أن تاريخ بناء كنيسة دير الفاخورى وكثير من عمائره ، ترجع إلى العصر الفاطمى ، اعتمادا على تاريخ الرسم السابق ، ويساعد على ذلك مميزات الرسوم المائية السابقة والتى تخضع للميزات العامة للمدرسة الفاطمية فى التصوير الجدارى .

ثانيا : أن تنفيذ هذه الرسوم قد تم بواسطة الراهب يوحنا ، والذى كان ضمن رهبان

هذا الدير والمتبتلين فيه فى الفترة الفاطمية ، وأنه كان على دراية كبيرة بفن التصوير ، وله موهبته الخاصة ، فهو بجانب كونه رجلا من الرجال المترهبين فى الدير ، كان على درجة كبيرة من الناحية الفنية بحيث يمكن اعتباره من أعلام المصورين فى العصر الفاطمى .

ثالثا : إشترك مع الراهب يوحنا فى تنفيذ هذه الرسوم ، فنان راهب آخر هو شماس بالدير ، الذى لم يكتب اسمه ، ولعله بذلك قصد التواضع وعدم ذكر اسمه ، رغم موهبته الفنية العالية ، أو أن يكون اسمه قد زال ضمن التلف الذى أصاب نص الكتابة كلها .

والحق أن هذه المناظر التى قام برسمها شماس الدير وأشرف على تنفيذها الراهب يوحنا ، إنما تدل على دقة وعناية جمعتا بين الرسم والنصوص الكتابية القبطية ، والبراعة فى استخدام الألوان ودرجاتها المختلفة والمزج بينهما ، وفى محاولة صادقة للتعبير والتنوع بين الموضوعات ووجوه الأشخاص ، والجمع بين العناصر المختلفة ، من آدمية وحيوانية وهندسية جمعا متآلفا .

رابعا : أن التاريخ السابق (١١٤٨ - ١١٤٩م) ، يقع فى خلافة الحافظ لدين الله الفاطمى [٢٠] .

والواقع أن الرسوم بكنيسة هذا الدير لا تقتصر على الرسوم السابقة ، ذلك أنه توجد رسوم أخرى أصابها التلف إلى حد كبير على الدعائم الأربعة ، والتى تعطى تصورا واضحا ، إلى أن القبة وعقودها ومناطق انتقالها والدعائم ، كانت جميعها ، مزخرفة بمناظر دينية ، مستمدة من الانجيل ، ومن قصص الشهداء فى الكنيسة المصرية . كذلك فإننا لا تستبعد أن القبة الرئيسية والتى سقطت منذ أكثر من خمسين عاما ، كان باطنها ، مزدانا برسم كبير للسيد المسيح على العرش ، يحيط به الملائكة والرموز الأربعة .

أما عن **مناظر الملائكة** فى كنيسة هذا الدير وكذلك كنيسة دير الشهداء بإسنا ، والتى كثرت بها مناظر الملائكة التى تحيط بالسيد المسيح ، والتى تعطى **دلالة رمزية ، إذ أن أجنحتها تعنى أو ترمز إلى الرسالة الالهية ، ولهذا السبب رُسمت الملائكة ورؤساء الملائكة الساروفيم والشاروبيم بأجنحة [٢١] ، وان اختلفت أوضاعها فبعضها يرفع أجنحته إلى أعلى فى انحناءة بسيطة ، باسطة أيديها إلى الأمام تحية**

للسيد المسيح ، وهى سابحة حول العرش ، وقد رُسمت مجانبة (اللوحة ٤٩) ، وتميزت بوجود أسمائها ، فالملاك الواقف على يسار المسيح هو الملاك ميخائيل حسب ورود النص القبطى (قائد الجيوش) ، والملاك على يمين المسيح (جبرائيل) .

وفى المنظر الثانى الذى يمثل المسيح على العرش ، تبدو الملائكة أسفل منظر العرش فى انحناءة بسيطة ، باسطة أيديها إلى الامام ، وتحيط الهالات بوجوهما ، بينما تختلف فى المنظر الثالث ، إذ تجثو على أحد ركبتيها ، وتبسط أيديها إلى الأمام ، بينما تأخذ أجنحتها شكلا زخرفيا مغايرا ، فأحدهما يرتفع أعلى الرأس ليتوازى مع الخلف ، مع مستوى بروز الجناح الثانى .

وتختلف أيضا رسوم الملائكة من رسم أو منظر لآخر ومن كنيسة لأخرى ، ففى كنيسة دير القديس سمعان بأسوان ، تظهر الملائكة مواجهة ، وتقبض على دائرة عرش المسيح بيديها [٢٢] ، وفى شرقية باويط تبسط ذراعيها إلى أسفل ، وفى رسم دير القديس أنطون ، تظهر بأوضاع أخرى مختلفة [٢٣] ، كما تأخذ هيئة أكثر غرابة ، فى الرسم المماثل بكنيسة دير أبى السيفين بمصر القديمة [٢٤] ، كما تظهر أيضا فى المنظر الخاص بالسيدة العذراء تحمل المسيح الطفل فى كنيسة دير الشهداء حيث يبدو الملاك على يمينها ، مواجهة وهو يحمل بيمناه عصا ، تنتهى من أعلى بصليب صغير ومن أسفل بدائرة صغيرة ، أما الملاك على يسارها فيرفع هذه العصا إلى أعلى (اللوحة ٥٥) .

كما يبدو الإختلاف فى رسوم الملائكة أكثر وضوحا من الرسوم السابقة فى منظر مرسوم فى مخطوط محفوظ بمكتبة مورجان بنيويورك [٢٥] ، خاصة فى رفع كل جناح لكل ملاك جهة العذراء ، بحيث يلتقيان من أعلى وكأنهما جناحا نسر حول السيدة العذراء

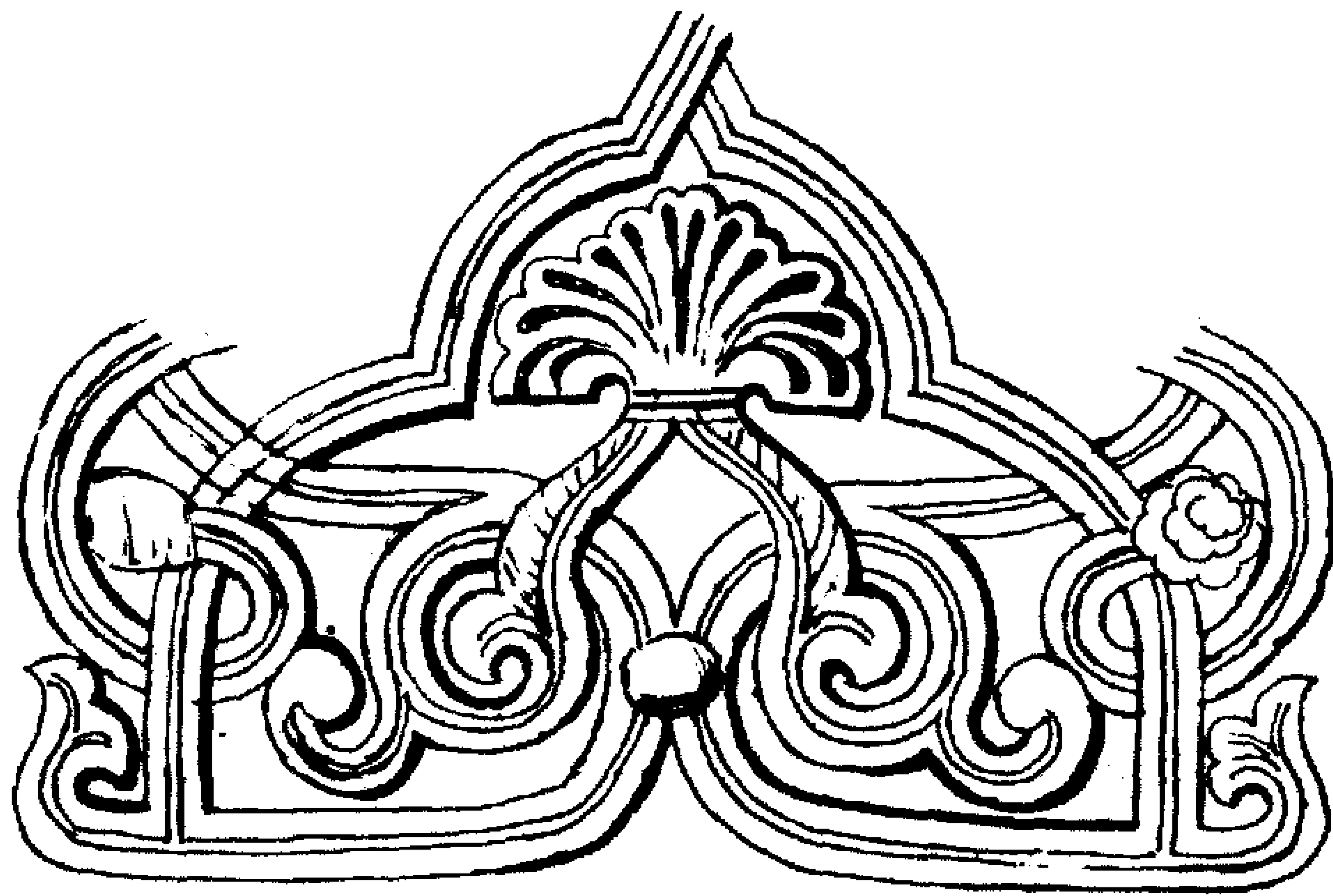
والواقع أنه رغم وجود الإختلافات فى التفاصيل بين رسوم الملائكة ذات الموضوع الواحد ، ورغم تقارب الفترات الزمنية بينهما ، فإنما يرجع هذا الإختلاف بطبيعة الحال ، برسم مثل هذه المناظر الدينية فى الأديرة المتباعدة عن بعضها ، وكان لكل فنان أسلوب خاص به ، وكان مثل هذه الرسوم فى أغلب الاحتمال تتم

بواسطة بعض الرهبان ، ممن كان لهم ملكة فنية خاصة ، كما حدث فى رسوم دير الفاخورى على سبيل المثال .

ومن بين المناظر الفريدة فى نوعها فى رسوم كنيسة دير الفاخورى بأصفون ، منظر يجمع بين ملاك رُسم مواجهة وساروفيم على الدعامة الشمالية الغربية (اللوحة ٦٣) ، ويبدو الملاك وهو يحمل بيده اليمنى عصا طويلة ، تنتهى من أعلى بصليب صغير ، ويحمل فى يده اليسرى قرص القربان .

والواقع أن رسوم ملائكة الساروفيم والشاروبيم ، تمثل نوعا من طبقة الملائكة حسب ورودها فى نصوص العهد القديم والجديد ، وتتميز رسوم هذه الملائكة بإحتوائها على ستة أجنحة ، منها إثنين للجسم واثنين يطيران بها واثنين للوجه ، طبقا لما ورد فى العهد القديم : (السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة ، بإثنين يغطى وجهه وبإثنين يغطى رجليه وبإثنين يطير) [٢٦] .

وأخيرا فإن رسوم الفرسكو بدير الأنبا ميتاؤس الفاخورى بأصفون ودير القديس آمونيوس المعروف بدير الشهداء ، تُعد من أهم المناظر المائية التى رسمت فى الكنيسة المصرية ، وبالتالى من أهم المناظر الدينية ، المنفذة فى المدرسة الفاطمية فى التصوير ، وهى كما سبق تُكمل الجانب الهام فى التصوير الدينى فى هذه المدرسة ، وهو الأمر الذى لا يلتفت إليه كثير من الباحثين فى هذا المجال ، الهام بالنسبة للدراسات الأثرية بوجه عام .



الهوامـــش

هوامش الباب الأول
تاريخ وعمارة الكنيسة والدير فى مصر حتى نهاية العصر الفاطمى
مقدمة

(١) الكنيسة جمعها كنائس ، وهى معربة أصلها كنشت ، وقد نطقت العرب بذكر الكنيسة ، قال العباس بن مرداس السلمى :

يدورون بى فى ظل كل كنيسة   وما كان قومى يبتنون الكنائسا

وقال ابن قيس الرقيات :

وكأنها دمية مصورة   فى بيعة من كنائس الروم

أنظر ، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (طبعة بولاق) ، جـ ٢ ، ص ٥١١

(٢) **لفظة قبطى مستمدة من جبت (Gupt) ، المشتقة من كلمة إيجبتوس (Egeatus) اليونانية المأخوذة من (Ha-Ku-Pth) ، أحد أسماء منف العاصمة القديمة كناية عن مصر كلها**

سعاد ماهر : الفن القبطى ، (القاهرة ، ١٩٧٧) ، ص ٦

ويغلب على أقباط مصر المذهب الأرثوذكسى ، والأرثوذكيسة كلمة يونانية مركبة من كلمتين (آرثوس) بمعنى مستقيم ، (ذكى) بمعنى رأى ، أى استقامة الرأى .

انظر : سليم سليمان : مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصر الوثنية والمسيحية ، (القاهرة ١٩١٤) ، جـ ١ ، ص ٥٨ - ٧٢ .

(3) Adeney, w: The Greek and Eastern churches, New York 1928, P. 554.

(٤) اختلفت الأراء حول السنة التى وفد فيها هذا القديس إلى مصر خلال القرن الأول الميلادى ، وقد ذكرت بعض المراجع أن وفاته كانت عام ٥٥م .

أنظر : زكى شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط ، (القاهرة ١٩٦٨) ، جـ ١ ، ص ٢٩ ومابعدها .

و : ا.ل بتشر : كتاب الأمة القبطية وكنيستها ، (القاهرة) جـ ١ ، ص ٢٧.

والسنكسار القبطى : حوادث ٣٠ برمودة ، (الجامع لسير القديسين والشهداء فى الكنيسة القبطية) طبع مصر ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ - ١٥٠ .

(٥) الواقع أن هذا المؤرخ الهام ، يعتبر كتابه عن تاريخ الكنائس والأديرة من أهم المراجع التى تتناول خطط الكنائس والأديرة فى مصر ، وقد زار هذا المؤرخ مصر وقت سيطرة الأرمن على دولة الفاطميين ، بتولية بدر الجمالى وزارة المستنصر ، وهو أرمنى ، كما أن أبا صالح ، عاصر زوالى النفوذ الأرمنى من مصر فى آخر حكم هذه الدولة ، بعزل بهرام من وزارة الحافظ ، وهو أرمنى كذلك .

عن/ عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياسى ، (القاهرة ١٩٦٨) ، ص ٤٠ .

(٦) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة مصر ، نشره ايفتس Evetts ، (اكسفورد ١٨٩٥) ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٧) أنظر عن هذا الدير : Villard, du : Deyr El- Moharraq, Millan, 1929

Gayet : L'Art Copte, Paris, 1902, P.103

Meinardus, O; MONKS and Monasteries of The Egyptian Desert, Cairo, 1901, pp 283- 304

وأيضا : إغريغوريوس : الدير المحرق : تاريخه ووصفه وكل مشتملاته ، مطبعة دار العالم العربى ، القاهرة .

(٨) أنظر عن هذا الموضوع :

الباز العرينى : مصر البيزنطية ، (القاهرة ١٩٦١) ، ص ٢٣ ومابعدها .

سعاد ماهر : الفن القبطى ، ص ٥ – ٧ .

نعوم شقير : شبه جزيرة سيناء ، (القاهرة ١٩١٦) ، ص ١٠٩ .

متى المسكين : الرهبنة القبطية فى عصر القديس (أنبا) مقار ، (القاهرة ١٩٧٢) .

Clarke,s : Christian Antiquities in The Nile Valley, Oxford, 1912, P. 8.

الفصل الأول
تاريخ وعمارة الكنيسة والدير حتى الفتح الإسلامى لمصر

(١) أنظر : متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٣٨ .
George, H: The Early church from Ignative to Augustine, New York, 1915, pp. 154-155.

(٢) أنظر : بتشر : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٣ .
وأيضا Meinardus, op. cit. pp. 9-10
هارولد ادريس بل : الهيلينية فى مصر ، ترجمة زكى على ، القاهرة ١٩٤٨

(٣) أصبح يعرف الراهب فى القرن الثالث الميلادى باسم (archorit) ، بمعنى الساكن الذى يعيش فى الصحراء ، كما يعرف بالناسك (ermite) وراهب (Manaches) ، لأنه يعيش منعزلا . أما لفظ (Coenobite) ، فيطلق على الراهب الذى يعيش بعيدا عن العالم ، مع جماعة من أمثاله وان كان هذا اللفظ لم يستعمل إلا مؤخرا .
أنظر الباز العرينى : مصر البيزنطية : ص ٢٥
Meinardus, op. cit, pp 398-399
Workman, The Evolution of The Monastic Ideal, p.3.

(٤) إدريس بل : الهيلينية فى مصر ، ص ١٤٠ .

(5) Chaine, M: La Chronologie des temps chretiens de la Egypte et de l'Ethopie.
- History of the patriaches of the coptic churches of Alexandria, Arabic Text, Edited, Translated and annotated by Evetts, Paris, 1904.

(٦) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : ج ٢ ، ص ٤٨٣ .

(٧) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٨٧ ، السنكسار القبطى : حوادث ٢٢ طوبة ، ابو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٦٩ .

(٨) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، طبعة وزارة الثقافة ، مصر ج ٥ ، ص ١١٠ ، المقريزى : المرجع السابق ، ص ٤٨٧ .

(٩) السنكسار القبطى ، حوادث ٢٩ هاتور
مراد كامل : من دقلديانوس إلى حكم العرب ، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، القاهرة ، المجلد الثانى ، ص ٢٠٩ ، ٢٢٣ .

(١٠) يذكر بتلر فى الرد على هذا الرأى :
(Were there no mote of evidence besides to determine the truth of this tradition, the plan of the haikal would decide it beyond question. The Persistence with which certain churches are ascribed to Helena by a People utterly ignorant of history or architecture, is in itself remarkable: and it is still more remarkable to find that these churches are always marked by a Particular form of haikal)
Butler, A, J: Ancient coptic churches of Egypt, Oxford, 1884, vol, I,p. 365.

(١١) المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٤٨٧ .

(١٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٤٨٧ ، وما زالت بقايا هذا الدير قائمة حتى الآن .

(١٣) السنكسار القبطى : حوادث ١٥ هاتور .

(١٤) المقريزى : المواعظ والأعتبار : جـ ٢ ، ص ٤٨٨ .

(١٥) الشهرستانى : الملل والنحل ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٠٨ ، سعيد عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى القاهرة ، ١٩٦١ ، جـ ١ ، ص ٣٥ ، يحيى الخشاب : كتاب بيان الأديان ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٩ ، ص ٢٤ .

(١٦) يذكر المقريزى أن تسمية الأقباط باليعاقبة نسبة إلى البطريرك ديسقورس ، إذ قيل أنه كان يسمى قبل بطريركتيه بيعقوب ، وقيل أنه كان له تلميذ اسمه يعقوب ، وكان يرسله وهو منفى إلى أصحابه فنسبوا إليه ، وقيل أنه كان كثير العبادة والزهد ، يلبس خرق البراذع فسمى بيعقوب البراذعى .
أنظر : المقريزى : المواعظ والإعتبار جـ ٢ ، ص ٤٨٨ — ٤٨٩ .

(١٧) تنسب هذه الطائفة إلى مرقيانوس ، ملك الروم ، الذى قال أصحابه أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة أقنوم ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة .
الشهرستانى : الملل والنحل : ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(١٨) يعتبر هذا المجمع الدينى الرابع فى سلسلة المجامع الدينية التى بلغ عددها واحدا وعشرين مجمعا ، بدأت بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م وانتهت بمجمع الفاتيكان سنة ١٨٧٠م .
أنظر : سعيد عاشور : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١ — ١٢ .

(19) Adeny, F.W: op. cit, p,553

(٢٠) مراد كامل : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ، ٢٢٣ .

(٢١) هارولد إدريس بل : المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٢٢) الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤٠ .

(٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣١٢ .

(٢٤) المقريزى : المواعظ والإعتبار : جـ ٢ ، ص ٤٨٩ .

(٢٥) السنكسار القبطى : حوادث ٢٧ بشنس ، المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٨٩ .

(٢٦) المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩١ .

(٢٧) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٩٠ .

(٢٨) مرقس سميكة : كنائس الفسطاط والقاهرة والنوبة وأديرة القطر المصرى : القاهرة ، ١٩٣٢ ، جـ ٢ ، ص ٩٨ .

(٢٩) السنكسار القبطى : حوادث ٢٧ بشنس .

(٣٠) المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٩٠ .

(٣١) متى المسكين : المصدر السابق ، ص ٨٢٠ .

(٣٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ ، المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٩٠ .

(٣٣) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد ابو حديد ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ٤٤ .

(٣٤) السنكسار القبطى ، حوادث ٢٢ كيهك .

(٣٥) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٤٢٩ .

(٣٦) ابو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٨٣ .

(٣٧) قام الفرس باحتلال مصر مرتين الأولى من عام (٥٢٥م ق.م) واستمروا بها لمدة مائة سنة ، والمرة الثانية ، هى التى سبقت الفتح العربى فى عام (٦١٦م) وحتى عام (٦٢٩م) وهى الفترة التى جرى بها تدمير كثير من الكنائس والأديرة المصرية

(٣٨) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة : ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٣٩) بتلر : المصدر نفسه : ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٤٠) الواقدى : فتوح الشام ، جـ ٢ ، ص ٢٤ .

(٤١) يقع هذا الدير على بُعد تسعة أميال غربى مدينة الاسكندرية ويعرف فى اللغة اليونانية باسم «أناتون» بمعنى التاسع (Ennatum) ، وقد بلغ هذا الدير فى القرنين السادس والسابع الميلاديين ، درجة كبيرة من الأهمية ، وتم به مراجعة الترجمة السيريانية للانجيل . ويرى بتلر أن إسم هذا الدير مأخوذ من رقم البريد على الطريق ، اذ أن ذلك كان متبعا فى مصر ، كما كان متبعا فى القسطنطينية
أنظر : بتلر المصدر نفسه ، ص ٤٧ حاشية رقم (١) .
وكان هذا الدير عامرا بالرهبان حتى العصر المملوكى ، وورد بخطط المقريزى على أنه دير الزجاج بقوله

«خارج مدينة الاسكندرية ، ويقال لها الهايطون وهو على اسم ابو جرج الكبير (مارجرجس) ومن شرط البطريرك أنه لابد أن يتوجه من المعلقة بمصر إلى دير الزجاج هذا ثم أنهم فى هذا الزمان تركوا ذلك»

المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥٠٨ .

هذا وقد أورد الواقدى هذا الدير قبل المقريزى بقوله «وكانت أرض مصر وريفها عامرة بالديورة والصوامع وكان دير الزجاج فى مملكة القبط»

الواقدى : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٤ . وقد اختفت أطلال هذا الدير الآن ، أنظر :

Anthony de cosson: Mareotis, Lonon, 1935, pp. 106-109

(٤٢) بتلر : المصدر نفسه ، ص ٤٧ حاشية رقم (١) .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٤٤) أنظر : متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٧٨٤ – ٧٩٩ .

(٤٥) السنكسار القبطى : حوادث ٢ أمشير .

(٤٦) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ٧٩ ، ٧٩٦ .

(٤٧) سعيد عاشور : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .

(48) Curzon, visits to Monasteries of The Levant, London, 1950, p.74

وأنظر القلاية كتخطيط معمارى ، بالفصل الثانى من الباب الثانى

(٤٩) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٦٦ .

(50) Meinardus, Monks and Monasteries of the Egyptian deserts, Cairo, 1901, p.92.

(51) Thomposon: The Middle ages, vol, 1,p. 219.

(٥٢) سعيد عاشور : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٥٣) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٥٤) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٦٩ .

(٥٥) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢، ص ٥٠٢ .

(٥٦) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ص ٤٦ .

(٥٧) ذكر هذا الدير أبو صالح الأرمنى فى خططه فى العصر الفاطمى بدير «الجميزة» ؛ «الدير المعروف بدير الجميزة على شاطىء بحر النيل المبارك يجاوره جوسق وبستان وطاحون ومعصره وهو قريب من دهروط وفيه إلى وقتنا نحو ثلاثين راهبا» ، كما ذكره المقريزى باسم «دير الجود» قبالة الميمون (محافظة بنى سويف) : «دير الجميزة ويعرف بدير الجود ويسمى موضعه البحارة ، جزائر الدير ، وهو قبالة

الميمون وهو عزبة لدير العزبة» . وزاره الرحالة فانسليب خلال رحلته التى قام بها إلى مصر عام ١٦٧٣م ، وذكرانها أنه يقع على الشاطىء الشرقى للنيل فى قرية الميمون بين حلوان وبنى سويف ، كما التقط الرحالة نوردن صورة لهذا الدير فى منتصف القرن ١٨م ، وكان ما يزال باقيا به حتى هذا التاريخ بقايا من حصنه القديم وأسواره بعض قباب أبراجه .
أنظر : أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٧٠ .
المقريزى : والمواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ .

Vansleben: Nouvelle relation en forme de Journal, d'un fait en Egypte, Paris, 1689, p. 242.

Norden. Travells in Egypt and Nubia, vol, I, p. 11-13.

Leroy, J: Monks and Monasteries of The Near East, (London), pp, 39-55.

(٥٨) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٨٣١ .

(٥٩) ذكر الأب متى المسكين فى مؤلفه الكبير عن الرهبنة القبطية ، أن أول إشارة وردت عن منطقة نتريا هى التى ذكرها المؤرخ روفينوس (٣٤٥ - ٤١٠م) فى كتابه عن تاريخ الرهبنة فى مصر حيث يقول : «ونأتى الآن إلى منطقة نتريا ، التى إسمها من القرية المتاخمة لها حيث يجمع إليها النطرون . ويرى الأب متى المسكين أن إسم منطقة نتريا هو نفس الاسم الذى يطلق عليها . بجبل البرنوج على اعتبار أنه كان لكل مدينة فى القرن الرابع الميلادى إسمان : الأول يونانى والثانى قبطى ، فنتريا تسمية يونانية والبرنوج تسمية قبطية ، استخدمها الأقباط بدافع من التعصب .
أنظر : متى المسكين ، المصدر نفسه ، ص ١٦٧ - ١٧٣ .
والواقع أن لهذه المنطقة أسماء متعددة ، منها وادى النطرون ووادى هبيب وبرية الأسقيط بمعنى برية الناسك وبرية شيهات وهى محرفة من اللفظة المصرية القديمة بمعنى ميزان القلوب .
أنظر : أبو صالح الأرمنى ، كنائس وأديرة ، ص ٦٨ ، عمر طوسون ، وادى النطرون ورهبانه وأديرته ، القاهرة ، ١٩٣٥ .
و :Anthony de cosson: Mareotis, pp. 151-153.

(٦٠) السنكسار القبطى ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ - ١٩٩ .

(٦١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٦٢) أنظر : عمر طوسون : وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة ص ١ - ١٠ .

(63) Curzon, op. cit. p. 74

(٦٤) متى المسكين ، الرهبنة القبطية ، ص ١٧١ .
وأنظر أيضا : عمر طوسون ، المصدر نفسه ، ص ١ - ١٠ .

(٦٥) متى المسكين : الرهبنة القبطية : ص ٨١٣ - ٨١٧ .

(٦٦) انطونيوس الدويرى البراموس : تاريخ دير السيدة العذراء (دير البراموسى) ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٥٦ .

(٦٧) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٢٠٩ .

(68) White, E; The Monasteries of Wadi N'Natrun, New york, 1926, Vol, I, PP, 10-12.

(69) Meinardus, op. cit, p. 178

(70) Meinardus, op. cit, p.311

(71) ibid p. 311.

(٧٢) يعتقد مينا ردوس أن دير النقلون أقدم من دير القلمون ، الذى يقع بعيدا عنه قليلا ، ويستند فى ذلك الرأى على أن المؤرخين أبى صالح الأرمنى والمقريزى قد ذكرا إسم دير النقلون قبل دير القلمون فى مؤلفاتهم ، ونعتقد بأن هذا ليس سببا كافيا لترجيح أيهما أقدم من الآخر .
انظر Meinardus, Monks and Monasteries, p. 312

(٧٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٥ .

(٧٤) والواقع أنه كما سبقت الإشارة إلى امتداد منطقة نتريا حتى مشارف صحراء الفيوم ، يزيد من احتمال كونها منطقة واحدة شاسعة مفتوحة أمام الرهبان للتنقل والعبادة بها من مكان لآخر وهو الأمر الذى كان سهلا ومُيسرا أمام الراهب صمويل فى قصده لدير أنبا مقار بوادى النطرون حسب رغبته .

(٧٥) السنكسار القبطى ، حوادث ٨ كيهك .

(٧٦) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٩١ .

(٧٧) السنكسار القبطى : حوادث ٨ كيهك .

(78) Fakhry, A; The Monastery of Kalamon, (Annalas du Service des Antiquités de l'Egypte), T, 46, pp, 67-68.

(٧٩) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٩١

(٨٠) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ١٧٨ .

(٨١) كانت تمثل هذه المنطقة أحد البلاد المتطرفة فى أبروشية دندرة بمحافظة قنا .

(٨٢) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٨٣) السنكسار القبطى ، حوادث ١٤ بشنس .

(٨٤) سعيد عاشور : أوربا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(٨٥) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٧٠ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٣٠ .

(٨٦) المقريزى : المواعظ الاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١١ .

الفصل الثانى
تاريخ وعمارة الكنيسة والدير حتى نهاية العصر الفاطمى

(١) قران كريم : سورة البقرة ، آية ٢٨٥ .

(٢) قرآن كريم : سورة يونس آية ٩٩

(٣) يذكر رهبان دير سانت كاترين أن الرسول (ص) قد كتب لهم عهدا فى السنة الثانية للهجرة أمانا لهم وللنصارى كافة ، على أرواحهم وأموالهم وبيعهم وأن السلطان سليم الأول عند فتحه لمصر عام ١٥١٧م ، أخذه منهم وحمله إلى الأستانة ، وترك لهم صورة منه مع ترجمتها باللغة التركية ، وفى وكالة الدير بالقاهرة صور من هذا العهد باللغتين العربية والتركية ، بعضها منسوخ فى كتاب صغير ، وبعضها مكتوب على ورق غزال ، وتختلف كل صورة عن الأخرى ، اختلافا قليلا ، وجميعها يحتوى على أخطاء املائية ، وأقدم هذه النسخ ثلاثة مكتوبة فى ثلاث كتب صغيرة بالعربية والتركية ، ومحفوظة فى وكالة دير سانت كاترين بالقاهرة .
أنظر : أحمد عيسى : مخطوطات وثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء ، ص ١٠٥ - ١٢٤ .

(٤) ابن عبد الحكم : كتاب فتوح مصر وأخبارها ، (طبعة القاهرة) ، ص ١٣ - ١٥ .

(٥) جوستاف لوبون : الحضارة العربية ، ترجمة عادل زعيتر ، (الطبعة الثانية) ، ص ١٥ .

(٦) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ص ٥٣ .

(٧) عن / سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٨) حسن ابراهيم حسن ، عمرو بن العاص ، (القاهرة) ، ص ٦٣ .

(٩) ابن المقفع : سيرة الآباء البطاركة للكنيسة القبطية فى الاسكندرية ، المجلد الأول ، جـ ١ ، ص ٢٢

(١٠) جوستاف لوبون : الحضارة العربية ، ص ٢٠٩ .

(١١) مراد كامل : من دقلديانوس إلى حكم العرب ، ص ٢٠٩ .

(١٢) المصدر السابق : ص ٢١٠ .

(١٣) ابن تغر بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

(١٤) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧٣ .

(١٥) الكندى : الولاة والقضاه ، (طبعة بيروت ، ١٩٠٨) ، ص ٢٧ .

(١٦) محمود عكوش : مصر فى عهد الاسلام ، (القاهرة) ، ص ٢٩ .

(١٧) ابو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(١٨) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٣١٩ .

(١٩) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والإجتماعى والثقافى ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .

(٢٠) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الأول ، جـ ١ ، ص ٢٣ - ٢٨ .

(٢١) بتلر : المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

(٢٢) محمد حمدى المناوى : مصر فى ظل الاسلام من الفتح العربى وحتى العصر الفاطمى ، (القاهرة) ، ص ٢٣ .

(٢٣) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، طبعة ليدن ، ١٦٢٥م ، ص ٥٠
وأورد المقريزى فى هذا الشأن قوله : «ولما مات البطريرك بنيامين فى سنة تسع وثلاثين للهجرة بالاسكندرية ، فى إمارة عمرو الثانية ، قدم اليعاقبة بعده «أغاثو» ، وأقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمسين ، وهو الذى بنى كنيسة مرقس بالاسكندرية ، فلم تزل إلى أن هدمت فى سلطنة الملك العادل»
أنظر المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣١٤ .

(٢٤) أنظر : سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٩٠ .

(٢٥) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٤٣١ .

(٢٦) المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٣١ .

(٢٧) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٥٣ .

(٢٨) سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جـ ٢ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٢٩) عبد المنعم ماجد ، المصدر السابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٣٠) الكندى : الولاة والقضاه ، ص ٤٠ .

(٣١) ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٣١ ، السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، (القاهرة ١٩٠٩) ، جـ ٢ ، ص ٥ .

(٣٢) سعيد بن بطريق ، المصدر نفسه جـ ٢ ، ص ٤١ . ومازال باقيا أطلال أحد الأديرة التى بنيت فى هذه الفترة بحلوان ، وقد كشف عنها فى الحفائر التى قام بها الأستاذ / زكى سعد .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣٤) المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٣٥) سيدة كاشف : المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

(٣٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٣٧) أنظر : الكندى : الولاة والقضاه ، ص ٧٧ ، ٧٨ ، ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٤٢ ، المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٣٨) المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٣٩) المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٤٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣١٥ .

(٤١) سيدة كاشف ، المصدر نفسه ، ص ١٩٧ .

(٤٢) أنظر : مصطفى عبد الله شيحة : كنائس مصر القديمة ص ٣ –٥ .

(٤٣) جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ ٤ ، ص ١٣٨ .

(٤٤) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .

(٤٥) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٤٦) سعيد بن بطريق : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٤٧) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٦٧ . وقد كانت قبة الهواء ، من أحسن منتزهات الخلفاء الفاطميين «وهو مستشرف بهج بديع بين التاج والخمس وجوه ، يحيط بها عدة بساتين ، لكل بستان منها اسم ، ولهذه القبة فرش ، معدة فى الشتاء والصيف ، ويركب إليها الخليفة فى أيام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء» .
أنظر المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ١ ، ص ٤٨٧ .

(٤٨) الكندى : الولاه والقضاه ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٤٩) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٥٠) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الأول ، جـ ١ ، ص ١١٧ .

(٥١) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٥٢) القلقشدى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣٦١ .

(٥٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٥٤) جورجى زيدان : المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٣٩ .

(٥٥) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، ص ٤ .

(٥٦) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، ص ٤ ، ١١ ، ١٢ .

(٥٧) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٥٨) المصدر السابق ، ص ١٣ ، ١٧ ، ١٨ .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٦٠) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٦١) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٦٢) المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٦٣) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٦٤) ابن المقفع ، المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٦٥) ابن المقفع ، المصدر نفسه ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، ص ٢٧ .

(٦٦) المصدر السابق ، ص ٥٣ – ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٢ .

(٦٧) البلوى ، سيرة أحمد بن طولون ، نشر كردعلى ، دمشق ، ١٣٥٨هـ ، ص ١٩٩ .

(٦٨) المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(٦٩) انظرى : الشابشتى : كتاب الديارات ، تحقيق كوركيس عياد ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٢٨٤ .

(٧٠) ابن المقفع ، المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(٧١) أنظر : سيدة كاشف ، مصر فى عصر الاخشيدين ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٢٩٠ .

(٧٢) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢٩٠ .

(٧٣) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ، جـ ٤ ، ص ١٢٨ .

(٧٤) إبن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، جـ ١ ، ص ٩٢ .

(٧٥) ابو صالح كنائس وأديرة ، ص ٣١ – ٣٥ ، ٣٨ .

(٧٦) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .

(٧٧) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

(٧٨) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٨١ .

(٧٩) المصدر السابق ، ص ٣ ، ٦١ ، ١٠٦ ، ١١٢ .

(٨٠) النساطرة : فرقة من النصارى عرفت باسم مؤسسها نسطور الذى كان بطريركا على القسطنطينية عام ٤٢٨م وقد حرم من منصبه بسبب آرائه وتعاليمه المخالفة للكنيسة فى المجمع الدينى الذى عقد بمدينة

أفسس عام ٤٣١م ، بينما يذكر الامام الشهرستانى أن أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون ، وتصرف فى الأناجيل بحكم رأيه ، ويقول أبو صالح الأرمنى أنه نُفى إلى صعيد مصر ، حيث أقام بمدينة أخميم سبع سنين ولما مات دفن بها ، كما يذكر أن فرقة النساطرة ، مقيمون فى فارس والعراق والموصل والفرات والحيرة ، ومنهم بمصر عدة يسيرة حقيرة ، ولم يبق منهم حتى عام (٥٦٤هـ) ، غير رجل أو رجلين .
أنظر : الشابشتى : الديارات ، ص ١٧١ ، حاشية (٢) ، الشهرستانى : الملل والنحل ، القسم الأول ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، ١٠٦ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٨٧ .

(٨١) بركة الحبش : هى بركة المغافر وبركة حمير وبركة الأشراف ، وقد اشتهرت بتسميتها ببركة الحبش ولم تكن هذه البركة عميقة المياه ، وإنما كانت حوضا زراعيا يغمره النيل وقت الفيضان ، عبر خليج يعرف بخليج بنى وائل ، حيث كان يستمد مياهه من النيل جنوبى الفسطاط ، فيتحول الحوض فى وقت الفيضان إلى ما يشبه البركة وقد عرفت ببركة الأحباش ، لأنها كانت من ممتلكات بعض الرهبان من الأحباش وكانت من أكبر منتزهات مصر .
أنظر : ابن تغر بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٣٨٢ ، إبن مماتى : قوانين الدواوين ، نشر عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص ١٠٢ .

(٨٢) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٥٤ ، ٩٠ .

(٨٣) المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥٠١ - ٥١٦
هذا وقد بلغ عدد الأديرة والكنائس المصرية الباقية حتى عام ١٩٠٠م : ٤٧٠ كنيسة وسبعة أديرة
أنظر : مرقس سميكة : الدليل ، جـ٢ ، ص ٢١١ - ٢٧٠ .

(٨٤) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٧٥ - ٧٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ٨٧ .

(٨٥) المقريزى المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥١٥ ، ٥١٦ .

(٨٦) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، القسم الثالث ، ص ٦٦٧ ، والمواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥١١ - ٥١٦ .

(٨٧) استخدم المؤرخ إلى صالح الأرمنى تعبير «الرزقات» بدلا من الأرزاق فى كتابه .

(٨٨) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٠ - ١٢ .

(٨٩) المصدر السابق : ص ٦٨ - ٦٩ (وربما صحة النص : بجملة من المال) .

(٩٠) على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة ، جـ ١٧ ، ص ٥٢ .

(٩١) مازال هذا الدير باقيا ويصفه الشابشتى بقوله «دير حسن البناء محكم الصنعة ، نزه البقعه ، فيه رهبان مقيمون ، وله بئر منقورة ، يستقى الماء له منها ، وفى هيكله صورة مريم فى حجرها صورة المسيح عليه السلام» ويذكر عنه أبو صالح الأرمنى فى العصر الفاطمى أن به خمسة رهبان ضعفاء الأحوال إلى آخر

برمهات سنة ٨٩١ ش / ١١٧٥م ، ويقول عنه المقريزى فى العصر المملوكى ، أنه أحد الديارات المقصودة والمتنزهات المطروقة ، لحسن موضعه وأشرافه على مصر وأعمالها وقد عُرف فى العصر المملوكى بدير البغل ، لوجود بغل به كان يستقى عليه الماء «فإذا خرج من الدير أتى الموردة ، وهناك من يملأ عليه ، فإذا فرغ من الماء تركه فعاد إلى الدير»
ويصف الشاعر المصرى محمد بن عاصم (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م) هذا الدير فى أبيات من الشعر نسوق منها :

ان دير القصير هاج أذ كارى .. لهو أيامى الحسان القصار
وزمانا مضى حميدا سريعا .. وشبابا مثل الرداء المعار
فلو أن الديار تشكو إشتياقا .. لشكت جفوتى وبعد مزارى
فكأنى إذا زرته بعد هجر .. لم يكن من منازلى وديارى

أنظر : الشابشتى ، الديارات ، ص ٢٨٤ – ٢٨٨ ، أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٦٠ ، ٦١ ، المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٩٢) أورد أبو صالح قصة طريفة عن سبب تسمية الدير بدير الشياطين ، إذ يذكر أن هذه التسمية أُطلقت عليه فى خلافة المستنصر بالله ، حين هُجر الدير فى سنوات الغلاء ، فكان يخرج منه أشخاص على هيئة شُهب من نار راكبة الخيل من أول الليل عرفت عند الناس بالشياطين .
هذا ويذكر الشابشتى إسم دير بالشام بنفس الاسم ، غربى نهر دجلة به قلالى عامرة بالرهبان ، ذكر عنه ، «أنه من أماكن ، مطارح أهل البطالة ومواطن ذى الخلاعة» .
أنظر : الشابشتى : الديارات ، ص ٢٩٨ .
أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٨٥ .

(٩٣) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٨٥ .

(٩٤) الشابشتى : الديارات ، ص ٢٩٨ .

(٩٥) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١١١ .

(٩٦) وصف ابن البصرى فى أبيات كثيرة من الشعر هذا الدير وكان من خدم أبى القاسم أنجور بن الأخشيد ، منها ،

يا للديارات الملاح وما بها .. من طيب يوم مر لى بتشوق
أيام كنت لى وكان لى شغل بها .. وأسير شوق صبابتى لم يطلق
والدهر غض والزمان مساعد .. ومقامنا ومبيتنا بالجوسق
يا دير نهيا أن ذكرت فإننى .. أسعى إليك مدى الخيول السبق

أنظر : الشابشتى ، الديارات ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٧

(٩٧) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٣ .

(٩٨) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٩٩) أختلف ذكر هذه الرواية التى أثبتها أبو صالح الأرمنى فى كتابه عن المقريزى الذى لم يُشر إليها وذكر أن

المعز شق طريقه مباشرة إلى مدينة الفسطاط ، بعد أن تم عمل جسر خاص له عبر من خلاله النيل إلى الفسطاط .
أنظر : أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٧٧ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، نشر جمال الدين ، الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ ، ج ١ ص ١٨٦ ، عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١٠٥ – ١١٧ .

(١٠٠) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

(١٠١) الكندى : الولاة والقضاه ، ص ١٣٢ .

(١٠٢) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج٢ ، ص ٨٨ ، ٩٨ – ١٠٠ .

(١٠٣) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ .

(١٠٤) حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، القاهرة ١٩٣٢ ، ص ١٩٩ .

(١٠٥) عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٣٥٥ .

(١٠٦) محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٥٤ .

(١٠٧) المقريزى : المواعظ والإعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ .

(١٠٨) السنكسار القبطى ، جـ ١ ، ص ١٩٥ – ١٩٩ .

(١٠٩) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٤١ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ص ٥٠٣ .

(١١٠) محمد جمال الدين سرور ، المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(١١١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .

(١١٢) المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(١١٣) محمد عبد الله عنان : الحاكم بالله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥٢ .

(١١٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .

(١١٥) المقريزى : إتعاظ الحنفا ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

(١١٦) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

(١١٧) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٥ ، وتاريخ البطاركة ، ص ١٢٨ .

(١١٨) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ .

(١١٩) أنظر : تاريخ الانطاكى ، ص ٣٣٢ .

(١٢٠) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٥١ .

(١٢١) ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١٢٢) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(١٢٣) المقريزى : إتعظ الحنفا ، جـ ٢ ، ص ١٧ ، ١٨ .

(١٢٤) محمد جمال الدين سرور ، المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(١٢٥) عبد المنعم ماجد : الإمام المستنصر بالله ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٦٦ ، وظهور الخلافة الفاطمية ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(١٢٦) كانت هذه المنظرة من جملة مناظر خلفاء الدولة الفاطمية فى بر الخليج الغربى وقد وُصفت بأنها من جنات الدنيا المزخرفة ، كما كان بها بستان كبير ، بناه الخليفة العزيز بالله ، كما كان بها عدة أماكن لنزول الوزير وغيره .
أنظر : المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ .

(١٢٧) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٣١ .

(١٢٨) المصدر السابق ، ص ٣١ - ٣٢ .

(١٢٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٣١٥ ، المقريزى ، المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٥ .

(١٣٠) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٥ .

(١٣١) المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .

(١٣٢) ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(١٣٣) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(١٣٤) يقصد بديوان أسفل الأرض الوجه البحرى أو الدلتا وكان يشمل : الشرقية والمرتاحية والدقهلية والايوانية والغربية والسمنودية والمنوفيتين والبحيرة ، وغير ذلك من الثغور .
أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٩٥ ، عطية مشرفة : نظم الحكم فى مصر ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٥٠ .

(١٣٥) ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٨٥ ، الشابشتى : الديارات ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(١٣٦) كانت تقع هذه الكنيسة على مسافة ٨ كم جنوب منطقة مصر القديمة .

(١٣٧) ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٦٤ - ٦٥ ، ٨١ - ٨٢ .

(١٣٨) المصدر السابق ، ص ٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٠٦ .

(١٣٩) المصدر السابق ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(١٤٠) المصدر السابق : ص ٨٤ - ٨٥ .

(١٤١) ابو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٤٢ .

(١٤٢) المصدر السابق : ص ٤٢ ، ٤٣ .

هوامش الباب الثانى
تخطيط الكنيسة والدير فى مصر
الفصل الأول
تخطيط الكنيسة

(1) Butler, A,j, The Ancient Coptic Churches of Egypt, Vol, I, pp. 2-4. (oxford, 1884).

(2) Adeney, w.f; The Greek and Eastern churches, p. 179, (New york, 1928).

(3) Fletcher: History of Architecture, pp. 196-199, 225-226.
- Dalton, O,M: East christian Art, pp. 89-94. (oxford, 1925).
- Clarke: Christian antquities in The Nile Valley, pp., 31-33, (Oxford, 1912).

(4) Adeney, op. cit, p. 179.

(5) Badway, A: L'Art copte, les Influences Egyptiennes D'Art copte, pp. 4-7, (Le Caire, 1949).
(6) Adeney, op. cit, p. 178.

(7) Morey, C.R: Medieaval Art, p. 96. (New York, 1942).
- Simpson, F.M: A History of Architectural Development, Vol, I,p.2. (Aberdeen, 1939).

(٨) محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٩٩ .

(9) Dalton, op. cit, p.80.

(١٠) محمد أنور شكرى : المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

(11) Bulter, A: op.cit. pp. 5-6,
Clarke, op. cit. p. 32.

(١٢) بُدأ بناء عمارة هذه الكنيسة ، بأمر الأمبراطور جستنيان ، واستغرق بناؤها زهاء ست سنوات وقد حضر الامبراطور مراسم حفل إفتتاحها ، وظلت قائمة حتى عام ١٤٥٣م ، حتى حولها العثمانيون إلى مسجد يطلق عليه مسجد السلطان أحمد . هذا وقد نسب بعض الباحثين أصولها المعمارية الأولى إلى الحمام الكبير بروما وإلى البازيليكا المقببة وكنيسة الرسل .
أنظر : Christa schug-wille; Art of the Byzantine world, New york, pp. 108-113.

(13) Creswell, K,A,C: Coptic Influences on Early Muslim Architecture, Bulletin de la société D,Archéologie Copte, T,5, pp 29-42.

(14) Quibell,J,E: The Mouastery of Apa Jerméa, vol,3, Cairo, 1912.

(١٥) أنظر الفصل الأول من الباب السادس .

(16) Butler, A; op. cit, vol, I, p. 361.

(17) Butler, H,C: Early churches in Syria, pp. 221-225, (England, 1929).

(١٨) أنظر الباب الأخير من هذا الكتاب .

(١٩) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٥٦ .

(20) أنظر : Cresewell, Coptiic Influences, pp, 30-31

Butler, The Ancient coptic, vol, 2, pp, 64-65

Quibell, op. cit, p.7

Duthuit, G:La Sculpture Copte, pl, 39, (paris, 1931) .

(٢١) ناقشت موضوع هذا المنبر ، وما ورد بشأنه من آراء مختلفة ، الدكتورة نعمت أبو بكر ، فى رسالتها للماجستير (مخطوطة / جامعة القاهرة / ١٩٦٨) ، تحت عنوان : المنابر الخشبية فى مصر حتى العصر المملوكي ، خاصة وأن هذا المنبر ، الذى عثر عليه بسقارة ، قد أثار عدة آراء ، لاسيما من قبل العلماء الأجانب ، الذين قالوا أن المنبر ، مشتق لفظا وشكلا من الحبشة ، فكلمة منبر أصلها حبشى ، وقد كان بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، عبدا حبشيا ، كما كانت أم سلمة إحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ممن هاجر إلى الحبشة ، قبل هجرة الرسول إلى يثرب ، بالإضافة إلى العلاقات التجارية بين مكة والحبشة ، وقد فندت الدكتورة / نعمت أبو بكر هذه الآراء وغيرها وانتهت إلى أن المنبر فى المسجد فى صورته الأولى يختلف تماما عن منبر دير جرمياس بسقارة .
أنظر : نعمت أبو بكر : المنابر الخشبية ، ص ١ – ٧ .

(22) Butler, The ancient coptic, vol, 2, p.64.

(23) Hammad, M: Style in the coptic art and significance of its decoration elements, p.125.

(٢٤) مجموعة التيجان بالمتحف القبطى (أرقام السجل) : ٣٩ ، ١٧٣ ، ٧١٧٨ ، ٧٩٧٨ ، ٨٢٦٤ ، ٨٢٧٥ ، ٨٣٠٠ .

الفصل الثانى
تخطيط الدير

(١) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥٠١ .

(٢) الشابشتى : الديارات ، ص ٤٩ .

(3) Monneret de Villard, Description Générale du Monastére de Snt siméon à Aswan, fig, 29, (Milan, 1929).

(٤) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٩١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٦) عمر طوسون : وادى النطرون ، ص ١٩١ .

(٧) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٩١ ، ١١٢ .

(9) Evetts, op. cit. p. 23

- Lausiac: History of churches, vol, I, p. 241.

والقلالى ومفردها قلاية : cell, cella ، يرى «فلتشر» أنها الحجرة الرئيسية التى كانت قديما فى المعبد حيث يوجد تمثال الإله ، على أننا نجد فى العمائر الدينية الإسلامية كالأربطة والخوانق والتكايا حجرات معدة للسكن ولكنها تختلف تماما عن حجرات أو قلالى الرهبان من حيث الناحية الدينية والمعمارية .

أنظر : Fletcher, op. cit. p. 126.

وكمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٩ — ٢٠ .

(١٠) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٢٠٣ .

(١١) الشابشتى : الديارات ، ص ٤٩ .

(١٢) أنظر الشكل رقم ٤٩ .

(13) Villard, du; Monastére de snt. Siméon, p. 111.

(١٤) أنظر الشكل رقم ٣٩ .

(١٥) متى المسكين : الرهبنة القبطية : ص ٤٠٦ — ٤٠٨ .

(١٦) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٦٩ .

(17) Villard, du: op. cit., pp 10-11.

(١٨) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٥ ، ١٦ .
كما كانت القلالى فى بعض الأحيان تقام أمام الأديرة ، وقد أورد أبو صالح ذكر ذلك عند حديثة عن دير نهيا .
أنظر : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(19) Daumas, F: Kellia I, Kom 29, Fouilles exécutées en 1964 et 65.

(20) Villard, du: Les couvents pres de sohag, Deyr El Abaid et Deyr El Ahmar, Millan, 1925, Vol, I, pp. 42-43

وأنظر أيضا : غورغوريوس : الدير المحرق : تاريخه ووصفه وكل مشتملاته ، دار العالم العربى ، القاهرة ، ص ١٨٧
صموئيل تاضروس : الأديرة المصرية العامرة ، القاهرة ١٩٦٨
وحبشى وتاضروس : رحلة فى صحراء العرب والأديرة الشرقية ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٦٨ — ٧٤
وعمر طوسون : وادى النطرون ، ص ٧٥

(٢١) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ص ٨٠

(٢٢) المصدر السابق : ص ٨٤ .

(٢٣) المصدر السابق : ص ٨٠ — ٨١ ، ٩١ .

(٢٤) متى المسكين : الرهبنة القبطية ، ص ٣٧٥ ، ٢٧٩ ، ٤٠٠ .

(25) Villard, du: Monastére de Snt Siméon, p.31.

(٢٦) «يذكر عنه : «وفى دير نهيا طاحون فارسى وكان فيه مقشرة فبطلت» .
أنظر : ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص : ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ١١١ ، ١١٢ .

(٢٧) الشابشتى : الديارات ، ص ٢٩٤ .

(٢٨) مرقس سميكة : الدليل ، حـ ٢ ، ص ١٠١ .

(٢٩) الشابشتى : الديارات ، ص ٤٩ .

(٣٠) ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٦٥ .

(٣١) المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٣٢) ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١١٣ .

(33) Villard, du, Description Générale du Monastéré de Siméon à Aswân, p.12.

هوامش الباب الثالث
كنائس منطقة مصر القديمة
الفصل الأول
تاريخ وعمارة كنائس منطقة مصر القديمة

(١) مرقس سميكة : الدليل ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٣) أنظر : ساويرس : تاريخ البطاركة – المجلد الثانى ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ ، ٩١ ، المجلد الثالث ، جـ ١ ، ص ٢ ، ص ١٥ – ١٧ ، أبو صالح : كنائس وأديرة : ص ٤٥ .
وأيضا عن هذه الكنيسة Butler, The Ancient Copetic. Vol, I, PP.186-187

(٤) أشار المؤرخ ابو صالح الأرمنى إلى استخدام الأسقف الجمالونية الشكل ، ويبدو أنها كانت منتشرة فى الكنائس المصرية فى العصر الفاطمى ، وهو الأمر الذى يستفاد من النصوص العديدة ، التى أوردها فى كتابه ، ومنها على سبيل المثال إشارته إلى كنيسة تسمى بكنيسة المخلوقات الأربعة جدر عمارتها الشيخ ابن أمين الملك ابو سعيد بن يوحنا الاسكندرانى الكاتب والذى أتقن لها جمالون خشبى فى عام ١١٧٦م ، وكنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة ، الذى أكمل عمارتها الشيخ أبو الفرج «وأهتم لها بقبة وجمالون»
أنظر ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٤٩ – ٥٠ ، ٥٨ – ٥٩ .

(٥) أنظر : الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، طبعة بولاق ، ١٢٩٧هـ ، جـ ٧ ، ص ١٢٥ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٦ ، ص ٨٥ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥١١ ، المقريزى أيضا ، إتعاظ الحنفا ، جـ ١ ، ٢٥ ، أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص٤٧ ، ابن المقفع : تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ ، مرقس سميكة : الدليل ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٦) أنظر : كراسات لجنة حفظ الاثار العربية ، الكراسة رقم ١٤ ، عام ١٨٩٧م ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٧) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ٤٤ – ٤٥ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٤٧ – ٤٨ .

(١١) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٤٩٦ ، وأنظر أيضا : ابن المقفع : تاريخ البطاركة : المجلد الثانى ، جـ ٢ ، ص ٩٢ - ٩٧ ، رؤوف حبيب : كنائس القاهرة القبطية القديمة ، القاهرة ١٩٦٦ .

(١٢) طول ضلع المربع المقامة عليه القبة (٨٠ر٤م) .

(١٣) راجع الفصل الأول من الباب الأول .

(١٤) أنظر ملف الأثر بهيئة الآثار المصرية ، رقم ٤١٧ .

(١٥) أنشأت لجنة حفظ الآثار العربية فى عام ١٩٢٩م ، خندقا حول واجهة الكنيسة . أنظر ملف رقم ٣٧٩ أثر بهيئة الآثار المصرية .

(١٦) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥١١ .

(١٧) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥١١ .

(18) Patricolo, Villard: The church of sitt Burbara, Florence, 1929, pp. 25-28.

(19) Butler, The ancient Coptic, Vol, I, pp. 256-257.

(٢٠) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥١١ - ٥١٢ .

(٢١) المرجع السابق ، ص ٥١٢ .

(٢٢) مرقس سميكة ، الدليل ، جـ ١ ، ص ١٤ .

(٢٣) سُميت هذه الكنيسة بالدمشيرية نسبة إلى مُجددها فى القرن ١٨م .

(٢٤) رؤوف حبيب ، كنائس القاهرة ، ص ٤٤ .

(٢٥) أبو صالح الأرمنى ، كنائس وأديرة ، ص ٥٦ .

(٢٦) الوصف المعمارى لهذه الكنيسة ، كتب عام ١٩٧٢م .

الفصل الثانى
زخارف الأخشاب والفرسكو

(1) Butler, op. cit, vol, I, p. 18.

(٢) عثر إلفريد بتلر على هذا الحجاب عام ١٨٨٤م ، أثناء دراسته الأولى لعمائر كنائس المنطقة ، ثم نقل إلى المتحف القبطى تحت رقم (٤٧٨٥) ، أنظر
Pauty,E. Bois Sculptés d'eglises Copte, Le Caire, 1930, pp. 13-25.

(٣) أنظر :
Lamm,C, J: Fatimid woodwork, its style and chronology, (Bulletin de l'institut D'Egypte) Tome XVIII, 1935-1936, pp. 59-71.

(٤) أنظر : فريد شافعى : زخارف وطرز سامرا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٣ ، جـ ٢ ، ١ - ٣٩ .

(٥) يرى ديماند أن استخدام أسلوب الحفر المشطوف كان معروفا لدى قبائل السيت ، قبل ظهوره فى طراز سامر .
أنظر : ديماند ، الفنون الاسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٧٥ .

(٦) فريد شافعى : المصدر السابق ، ص ١١ .

(٧) راجع فصل الزخارف النباتية فى رسالتنا للماجستير :
مصطفى شيحة : الزخارف الاسلامية فى عمارة الكنائس الأثرية بمنطقة مصر القديمة ، ص ١٧٦ - ١٩٠ .

(٨) راجع وصف هذه الحشوات فى المصدر السابق : ص ١٩٢ - ١٩٧ .

(٩) أنظر : سعاد ماهر : منسوجات المتحف القبطى ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٨٠ .

(١٠) رقم السجل ١٤١٤ .

(١١) سعاد ماهر : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(١٢) سعاد ماهر : منسوجات المتحف القبطى ، ص ٨٣ .

(13) Pauty, E: Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, Le Caire, 1931, pl, Lvi.

(١٤) أنظر : مصطفى شيحة : كنائس منطقة مصر القديمة ، ص ٢٠٢ - ٢٠٩ .

(١٥) المصدر السابق ، ص ٢١٠ - ٢١٥ .

(١٦) أنظر : Butler, The ancient coptic, vol, I, p, 209-210.
وزكى محمد حسن : فنون الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٢٤٢ ، شكل ١٦٩ .

(١٧) يرى المرحوم الدكتور / محمد عبد العزيز مرزوق ، أن سبب ظهور هذا النوع من تجميع الحشوات فى نهاية العصر الفاطمى كان بسبب فقر البلاد فى إنتاج الأخشاب ، خاصة الأنواع الجيدة منها ، واعتمادها على الاستيراد من الخارج ، وإلى أخطار الحروب الصليبية التى بدأت تحدق بالبلاد .
راجع : محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ، المكتبة الثقافية ، العدد ٨٠ ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(١٨) أنظر : فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد رقم ١٤ ، جـ ٢ ، ص ١٠٦ .

(19) Dalton, O,M: East christian art, Oxford, 1925, pp. 226-227.
- Michel, A: Histoire de l'art, vol, 6, pp. 12-16.

(٢٠) سعاد ماهر : الفن القبطى ، ص ٢٠ - ٢١
الفريد لوكاس : المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد غنيم ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٥٦٨ - ٥٧٠ .

(21) Every, G, Christian Mythology, pp. 123-124.

(22) Grabar, A, Early christian art, Newyork, pp. 10-14.

(23) Janson, H: History of art, pls, 4, 60.

(٢٤) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
وأنظر أيضا Fakhry, A: The Necropolis of El-Bagwat Kharga Oasis, Cairo, 1951, p. 39.

(٢٥) سعاد ماهر : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(26) Fakhry, op. cit, p. 39.

(27) Badway, op. cit., p. 25.

(28) Dalton, Byzantine art and Archaeology, New York, pp. 283, 288.

(29) Dalton, East christian, pp. 235-236.

(٣٠) حسن الباشا : فن التصوير الإسلامى فى مصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ٩ - ٢٣ .

(31) Butler, The ancient coptic, vol, I,p. 242, 246, 259.

(٣٢) حسن الباشا ، التصوير الإسلامى فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(33) Meinardous, O: The Mediaeval wall-Paintings in The coptic churches of old: أنظر
Cairo. (Bulletin de la société D'Archéologie copte, Tome XXIII, 119-141).
وأنظر أيضا : مصطفى شيحه : كنائس مصر القديمة ، ص ١٣٤ – ١٤٦ .

(٣٤) مرقس سميكه ، الدليل ، جـ ١ ، ص ١٩٠ .

(٣٥) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٤٥ .

(36) Meinardous, op. cit, p. 127.

(37) Meinardous, Twenty-Four Elders of The Apocalypse in The Icongraphy of The coptic churches.

(38) Meinardous, The Mediaeval wall-Paintings, p. 131.

هوامش الباب الرابع
تاريخ الأديرة الباقية بمحافظة قنا
مقدمة

(١) أنظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، فى عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، القسم الثانى ، جـ ٤ ، ص ١٧٨ .

(٢) ذكر المقريزى فى خططه فى تعريف الصعيد بأنه ، : المرتفع من الأرض ، وقيل الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة ، وقيل ما لم يخالطه رمل ، ولا سبخة ، وقيل هو وجه الأرض ، وقيل هو كل تراب طيب .
ويذكر أيضا أن تسمية هذه الأرض بهذا الاسم ، إنما حدث فى الإسلام ، سماها العرب بذلك ، لأنها جهة مرتفعة ، عما دونها من أرض مصر ، ولذلك يقال فيها أعلى الأرض ، لأنها أرض ليس فيها رمل ولا سباخ ، بل كلها أرض طيبة مباركة ، ويقال للصعيد أيضا : الوجه القبلى .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ ، جـ ٧ ، ص ١٦٣ .

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩ ، ص ٨١ .

(٥) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ١٣٠ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ص ٣٨٣ ، الادفوى : الطالع السعيد ، الجامع بأسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٨ - ٩ .

(٧) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بولاق ، ١٣٠٩هـ ، جـ ٥ ، ص ٣٣ .

(٨) ابن جبير : تذكرة بالأخبار ، عن إتفاقات الأسفار ، (الرحلة) ، نشر حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٦٤ .

(٩) تكونت مديرية قنا بمقتضى الأمر الصادر فى ٣ مارس ١٨٥١م ، بعد فصلها عن مديرية عموم قبلى ، وفى عام ١٨٥٦ أصدر الخديوى اسماعيل أمرا بتقسيمها إلى مديريتين ، هما مديرية قنا ومديرية إسنا ، ثم أعيد ضمهما مرة ثانية ، فى عام ١٨٥٨م ، وفى عام ١٨٦٧م ، صدر أمر بتشكيل ، مديرية عموم قنا وإسنا ، وفى عام ١٨٦٨م ، صدر أمر أيضا بإلغاء هذه المديرية لآخر مرة ، حيث نقلت قنا عن إسنا ، وأصبحت كل منهم مديرية قائمة بذاتها ، وفى عام ١٩٦٠ أصبحت قنا محافظة .
أنظر : محمد رمزى ، المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٣ .

الفصل الأول
أديرة وكنائس مركز نقادة

(١) تعتبر نقادة من البلاد القديمة ، التى ترجع حضاراتها ، إلى ما قبل العصر الحجرى الحديث ، وقد ظلت هذه الحضارة متصلة ، تقريبا خلال العصور القديمة ، ولها شهرة قديمة فى استخراج النحاس .
أنظر : Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, II, P.28
كما ورد ذكر هذه المدينة فى كثير من مصادر العصر الإسلامى ، وقد ذكر ابن الجيعان أن خراجها ألفا دينار ، ويذكر ابن دقماق أن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أوقفها مع ثلث بلدة سندبيس من القليوبية ، على أربعة وعشرين خادما يخدمون الضريح النبوى الشريف
أنظر : الإدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٠ حاشية (٣)
ومحمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ .

(٢) السنكسار القبطى ، جـ ١ ، ص ١٤٣ ، جـ ٢ ، ص ٤٠١ .

أنظر (3) Butler, The ancient Coptic Churches, Vol, I, p, 359

(4) Meinardus, O: Christian Egypt: Ancient and Modern, p.308.

(٥) بيشواو : مكان يقع فى جبل الأساس بالقرب من قفط ، ورد ذكره مرتين فى السنكسار القبطى ، المرة الأولى عند الحديث ، عن سيرة أنبا يوساب وأنبا بداسيوس ، وذلك عند مغادرتهما لدير القديس باخوم .
أنظر : نبيل سليم : سيرة الأنبا اندراس ، وقديسى جبل الأساس المقدس ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٩ — ١١ وقد وردت بيشواو فى الطالع السعيد للإدفوى باسم «بشلاوية قريتى سمنت ودارو ، كما يذكر محمد رمزى فى قاموسه «أنه بالبحث عنها تبين له أنها لاتزال موجودة باسم نجع بشلاو ، ناحية الأوسط قامولا ، الواقعة غربى النيل بمركز قوص مديرية قنا»
أنظر : الأدفوى : الطابع السعيد ، ص ٢١ ، محمد رمزى : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ١٦٣ .

(٦) ورد ذكر بنهدب ، فى السنكسار القبطى ، فى حوادث ١٧ هاتور ، فى سيرة الأنبا بولس ، الذى كان يسكن فى جبل بنهدب ، ويرجح أن يكون المكان قريبا من قفط
انظر **Doresse, J- Saints copté à Haute-Egypte, Les Manastéres djéméha Benhadab aux alentours du VI Siecle, pp. 247- 270.**

(٧) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٣٢ .

(٨) دنفيق من القرى القديمة ، وردت فى قوانين ابن مماتى ، وفى تحفة الارشاد ، على أنها من الأعمال القوصية وفى التحفة دنفيق ودير قطان ، وفى الإنتصار وردت مشوهة دنفيق ودير قطان ، وأما دير

قطان ، فتعرف اليوم باسم نجع قرقطان من توابع دنفيق .
أنظر : محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، قسم ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٨٦ ، الأدفوى ، الطالع السعيد ، ص ٢٠ .

(9) Butler, The ancient coptic, Vol, I, p. 359.

(١٠) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٣١ .

(١١) جبل شامة من الأماكن التى ورد ذكرها بالسنكسار القبطى ، فى ترجمة حياة أنبا إيليا السائح بجبل سمهود .
أنظر السنكسار القبطى ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ .

(١٢) نبيل سليم ، المصدر نفسه ، ص ١١ .

(١٣) شنهور من القرى القديمة ، ذكرها جوتيه فى قاموسه على أن اسمها المصرى القديم Chin Hor ، ووردت باسم Pache Hor أو chehor ، بغير أداة التعريف (أ) واسمها القبطى (chenhour) ، ومنها اسمها العربى شنهور .
أنظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ص ١٨٧ ، الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٢٠ .

(١٤) نبيل سليم : المصدر نفسه ، ص ٢٩ - ٣٦ .

(15) Gayet, Al: L'Art Copte, Paris, 1902.

(١٦) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٣١ .

(١٧) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٣١ .

(18) Evetts, op. cit, PP. 41-48.

(١٩) السنكسار القبطى ، حوادث ٢٥ هاتور ، جـ ١ ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢٠) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥٠٦ .

(21) Gayet, op. cit, PP. 153-159.

(٢٢) عن / نبيل سليم ، المصدر نفسه ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢٣) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٠٣ .

(٢٤) وردت فى المراجع القديمة باسم «الأوسط قامولا» ، وهى بلدة من النواحى القديمة ، اسمها الأصلى قموله وبالقبطى (Kamouli) وذكرها أميلينو فى جغرافيته وكذلك الإدريسى فى نزهة المشتاق ، على أنها من بين المدن الكبيرة فى الصعيد الأعلى : «وهى كالمدينة جامعة متحضرة مكتنفة لكل نعمة وفضيلة ، وفيها أنواع الفواكه ، على اختلاف أسمائها» ، ووردت فى معجم البلدان «قمولة بليد بأعلى الصعيد ، من غربى النيل ، بمصر كثيرة النخل والخضرة . وقد قُسمت فى عام ١٢٤٠هـ إلى ثلاث نواح : هى البحرى قامولا ، والأوسط قامولا ، وهى الأصلية ، وأصبحت كل ناحية فيها قائمة بذاتها منذ ذلك التاريخ .

أنظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، قسم ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٨٣ ، الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٢١ ، ٣٩ .

(٢٥) السنكسار القبطى ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ (حوادث ٢٧ برمودة) .

(٢٦) أنظر : نبيل سليم ، المصدر نفسه ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢٧) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٣١ ،
المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥٠٣
الديارات : الشابشتى ، ص ٣١٤ ، ٣١٥

القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٢٨٨
السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨ ، ٢٩

(٢٨) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٣١ .

(٢٩) المصدر السابق ص ١٣٢ .

الفصل الثانى
أديرة إسنا

(١) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، قسم ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٥١
Amélineau: Geographie de L'Egypte à L'Epoque copte, p.393.

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك . تحقيق محمد جابر الحسينى ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٤٢ .

(٣) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٨١ .

(٤) محمد أمين الخانجى : معجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ .

(٥) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٢٣ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٨٤ .

(٧) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ١ ، ص ٢٣٦ .

(٨) ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٢٩ .

(٩) أصفون من القرى القديمة ، والتى يرجع تاريخها إلى العصر الفرعونى ، وقد وردت فى معجم البلدان : «أصفون : قرية بالصعيد الأعلى ، على شاطىء غربى النيل بمصر ، تحت إسنا ، وهى على تل عال مشرف» ، وفى التحفة من الأعمال القوصية .
أنظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ص ١٥٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ١٥٢ ، الادفوى ، الطالع السعيد ، ص ٣٩ .

(١٠) ابو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

(١١) المصدر السابق ص ١١٠ .

(12) Evetts, op. cit, p. 110,228 **أنظر :**
وأنصنا ، اسم مدينة قديمة ، تعرف حاليا بقرية الشيخ عبادة مركز ملوى ، محافظة المنيا ، وقد خربت هذه المدينة ، بسبب خرابها ، وقيد زمامها فى تاريخ سنة ١٢٣٠هـ ، باسم الشيخ عبادة ، وورد ذكرها فى بعض المراجع (طوبة) ، إلا أن كترمير ، أرجع التسمية الأخيرة إلى بلدة بالوجه البحرى .
أنظر : على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١٢ ، ص ٦١ ، ويذكر أبو صالح الأرمنى أنه كان بأنصنا بيت السيدة ماريا القبطية ، التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
أنظر : أبو صالح : المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

(١٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧ .

(١٤) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ .

(١٥) السنكسار القبطى ، جـ ١ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(16) Meinardus, christian Egypt, p.323.

(17) Evetts, op. cit, p.228.

(١٨) أبو صالح : كنائس وأديرة ، ص ١٠٠ – ١٠١ ، ١١٠ .

(19) Norden: Travells in Egypt and Nubia, vol II, p.58.

(٢٠) يذكر على مبارك فى خططه عن منطقة دير إسنا (جـ ١١ ، ص ٧٠ ، ٧١) : «هى قرية من قسم إسنا شرقى البحر وغربى ترعة المعلاة ، التى فمها من ناحية الشروانة ، قبلى إسنا ، ممتدة إلى حوض السلية ، طولها نحو عشرة آلاف قصبة ، وبهذا الدير كنيسة ونخيل وأبراج حمام» ويضيف أنه توجد عدة قرى فى مصر ، مازالت تعرف حتى الآن بالدير ، إذ غلب إسم الدير على القرية ، فأطلق على عدة قرى ، منها دير السنقورية ، قبلى البهنسا ودير الجرنوس ، من قسم بنى مزار وغير ذلك .
ومما تجدر الاشارة إليه ، أن المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، مازال يقوم بالحفر فى المناطق المحيطة بدير الشهداء ، فى صحراء إسنا ، حيث كشف كثير من قلالى الرهبان
أنظر : Saunerons, S:Les Ermitages chrétiens du desert d'Esna, 5 vols, Le caire.

(٢١) السنكسار القبطى ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٣ .

(23) Pocecke, observation on Egypt, p.III.

(٢٤) القرايا من القرى القديمة ، ذكرها أميلينو فى جغرافيته ، على أنها قرية باسم (Serâiâ) ، بالقرب من إسنا ، ويذكر محمد رمزى أن أميلينو لم يتمكن ، من تحديد موقع هذه القرية ولكنه (محمد رمزى) تبين له أن كلمة سرايا ، هى نفس القرية ، إذ أن حرف السين ، فى بعض أسماء الأعلام الأعجمية تُقلب إلى حرف (القاف) ، وقد كانت هذه القرية ، من توابع ناحية إسنا ، ثم فصلت عنها فى عام ١٢٦٠هـ .
أنظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، قسم ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٥٥ .

(25) Norden, op, cit, vol, II, 126.

(26) Pocecke, op. cit, p.III.

(27) Materiaux Pour Servir à L'archéologie de L'Egypte.

(28) Clarke, S: Christian Antiquities in the Nile Valley, Oxford, 1912, pp. 113-116.
Meinardus, O: Christian Egypt, P. 325.

هوامش الباب الخامس
التخطيط المعمارى لكنائس اديرة نقادة ونجع حمادى والأقصر
مقدمة

(1) Clarke, S. op. cit, pls, 13-16.

(2) Grossman, P: Coptic Churches Architecture, Cairo, 1977, pp. 1-3.

(3) Anthony de cosson: Mareotis, London, 1935, 112-115.

(4) Grossman, op. cit, pp. 7-9.

(5) Butler, A: The Ancient Coptic, vol, I, P.6.
- Dalton: East Christian art, pp. 89-94.

(6) Krautheimer, Early Christian and By zantine Architecture, p. 85.
Bourguet, P. du: l'art copte, Paris, 1966, p. 81.

(7) Hamilton, J, A: Byzantine Architecture and Decoration, London, 1903, p. 17.

(8) Monnert: Monastére de S. Simeon, p. 20.

(9) Clarke, S: op. cit, pp., 44-45, pl, 5, p. 50, pl, 7, p.54 pl, 9, p. 62, pl, 12.

(10) Gayet, L'art Copte, p. 163.

Clarke, op. cit, p. 32.

Ibid, pp. 146-149, pl, 45, pp. 181-186, pl, 54, 55.

الفصل الأول
كنائس أديرة نقادة

(1) Clarke, op. cit, pp. 126-130.

- Monneret, Les couvents pres de Sohag, Milan, 1925, fig 97.

- Meinardus, christian Egypt, P. 311.

(٢) ذكر سومرز كلارك هذه الكنيسة القديمة ، ضمن عرضه لكنائس هذا الدير ، على أنها مكونة من أربعة أروقة رأسية ، بواسطة ، ثلاث صفوف من البائكات ، بكل صف ثلاث دعامات صليبية ضخمة ، يقوم فوقها ، عقود مدببة ، واسعة ممتدة ، تحمل قباب الكنيسة ، والتى يبلغ عددها ست عشرة قبة ، بنيت جميعها من الطوب اللبن .

(٣) راجع تخطيط الكنيسة بالتفصيل وتحديد الأجزاء القديمة والحديثة فى رسالة الدكتوراه :
مصطفى شيحة : دراسة للعمائر القبطية بصعيد مصر فى العصر الفاطمى ، مخطوطة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٣ - ٢٤١ ، اللوحات أرقام ٦٨ ، ٦٩ ، الأشكال ٢١ - ٢٣ .

(4) Gayet: L'art Copte, P. 136.

(٥) يذكر ميناردوس أن الكنيسة الأصلية القديمة ، كانت فى الجانب الغربى من الدير
Meinardus: Christian Egypt, P. 312.

(٦) يوجد عمود قديم له تاج كورنثى الطراز ملقى بجوار منبر هذه الكنيسة ، لعله من العمارة السابقة من بناء الكنيسة .

(٧) تظهر بها المياه حاليا ، على عمق ٦م .

الفصل الثانى

كنائس أديرة نجع حمادى والأقصر

(١) اغريغوريس : الدير المحرق ، تاريخه ووصفه وكل مشتملاته ، القاهرة ، ص ٢٧ ، ويُذكر عن هذا القديس أيضا ، أنه من شدة حساسيته المفرطة ، وحبه للبشر جميعا ، على اختلاف لهجاتهم ، أنه كان عندما يصلى ، تتساقط دموعه بغزارة ، حتى أن الدموع ، حفرت على خدية أثرا واضحا على جلد وجهه .

أنظر ، المصدر السابق ، ص ٣١ وأيضا : السنكسار القبطى ، حوادث ١٤ بشنس وأيضا .

Labib, P: A preliminary Report ''Essays on The NAG Hammadi studies, 6 Leiden: E, J. Brill, 1975, pp. 9-18.

(2) Amélineau, La Géographie de l'Egypte à L'Epoque copte, le Caire, 1885, p. 340.

(3) Ibid, pp. 340-342.

- Champollion, l'Egypte sous les pharaons, T,I,p, 241.

- Quatremére: Mémoires historique et Géographiques sur l'Egypte, T, I, pp. 446-448.

(٤) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، القسم الثانى ، جـ ٤ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٥) السنكسار القبطى : حوادث ١٤ بشنس .

(6) Amélineeau, op. cit, pp. 313-322.

- Champolion, op. cit, T, I, pp. 243-246.

- Quatremére, op. cit, T, I, pp. 125-126.

(٧) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ص ١٦٩ .

(٨) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ١٣١ .

(9) Jullien, M: A La recherche de Tabenne et des autres Monastéres Fondes par Saint Pachôme, Etudes, 89, 1901, pp. 238-258.

(10) Massignon, L-seconde note sur L'etat l'avancement des etudes archéologiques arabes en Egypte **BIFAO**, 9, 1911, pp. 89-90.

(11) Lefort, les premiers monastéres pachômiens: Exploration topographique, le Muséon, 52, 1913, pp. 347, 407.

(12) Dorssé, J, The secret Books of the Egyptian Gnostic coptic manuscripts discovered at chenoboskien, London, 1910.

(13) Debono, E; les Fouilles de L'institut pontifical d' Archéologie chrétienne (Rome) à Faoukibli (Haute Egypte).

(١٤) «الغنوصيون أو العارفون بالله ، هم الذين يعتنقون مذهب المعرفة (gnosticism) ، وهم يمثلون ، فريقا من المسيحيين ، الذين يؤمنون بالخلاص عن طريق المعرفة ، والعارف بالله هو الذى يكمن فيه العنصر الأساسى لهذا الجوهر الإلهى ، ويستجيب بنفسه للدعوة الالهية ، وفى الاستجابة لهذه الدعوة ، يكون خلاص العالم من الشرور والآثام» .

أنظر : هارولد ادريس بل : الهيلينية فى مصر ، ترجمة زكى على ، ص ١١٩ .

(15) Robinson, J: The Frist Season of The NAG Hammadi excavations/ 27 November-19 December, 1975

Eldern, B; Robinson, J: The Second Season of The NAG Hammadi Excavation/ 22-November- 29 December 1976- **JARCE**

(16) Clarke, op. cit, pp. 214-215.

(١٧) مرقس سميكة : الدليل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(١٨) كانت هذه المدينة تسمى قديما ، طيبة وذلك فى العصر الفرعونى ، اذ كانت تشغل المنطقة الرابعة ، أو كما كانت تسمى «واست» ، وقد بقيت طيبة عاصمة لمدة طويلة ، وقد شيدت مبانيها على ضفتى النهر ، وكان معبودها هو الاله آمون ، ثم الاله زيوس ، وقد أطلق عليها الاغريق كلمة : «زيوسيوليس Diospolis» ، أى مدينة الاله زيوس ، أو مدينة آمون ، على طيبة ولها أيضا أسماء أخرى ، منها مدينة المدن الأبدية والمدينة القوية .

أنظر : سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ، القاهرة ١٩٤٤ ، ص ٤١ .

(19) Wanseleben: Nouvelle relation en Forme de Je Journal d'un Voyage Fait en Egypte en 1672- 1673, Paris, 1677.

(21) Norden, op. cit, vol, II, p.51.

(22) Curzon: Visits to monasteries in the Levant, pp. 112-113.

(٢٣) حشمت مسيحه : طبوغرافية ممنون ، من دراسة النصوص القبطية من القرن الثامن الميلادى ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة ، جـ ١ ، ص ٦

Holscher, u: Excavations at ancient Thebes (Chicage, 1903-1931), p. 40,46

Holscher,u, General plans and views, v,I, pl 32.

(٢٤) حشمت مسيحة ، المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٦.

(25) Holscher: Excavation, p. 41.

(26) Ibid, p.42.

(٢٧) حشمت مسيحة ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ - ٣٦٢ .

(28) Clarke, op. cit, p. 30.

(٢٩) سليم حسن : المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

هوامش الباب السادس
التخطيط المعمارى لأديرة نقادة
الفصل الأول
دير مارجرجس المعروف بدير المجمع

(1) Butler, The Ancient Coptic, Vol, I, pp. 361-364.

(2) Gayet, L'art Copte, pp. 153-158.

(3) Clarke, op. cit, pp. 133-140.

(4) Butler, The ancient Coptic, Vol, I, p. 361.
وأنظر أيضا - Butler,C,H: Early churches in Syria, England; 1929, P.16, Fig, 8, p. 59, fig 56.

(5) Gayet, l'art Copte, p. 361.

(6) Clarke, op. cit, p. 134.

(7) Monneret de Villard, Les Couvents pres de sohage, vol,I, pp. 61-62.

(8) Clarke, op. cit p. 133, Gayet, L'art Copte, p. 154.

(9) Villard, Monastére de S. simeon, p. 11.

(١٠) تخطيط هذه الكنيسة مربع الشكل تقريبا ، بها أربعة أروقة رأسية ، يفصلها ثلاثة صفوف من البائكات متماثلة ، بكل صف ثلاث دعامات صليبية الشكل ، تحمل عقودا واسعة مدببة ، وتنتهى فى الناحية الشرقية بثلاثة هياكل ، ووضع فى الحجرة الرابعة ، معمودية الكنيسة . حُجبت الهياكل ، بواسطة جدران قصيرة ، يتوسطها فتحة مدخل ، يحيط بها من الناحيتين نافذتان ، ويقع إلى الشمال من الكنيسة ، مجموعة من العقود المتصلة ، والمرجح أن يكون تاريخ البناء ، مماثل لتاريخ بناء الكنيسة الحديثة فى عام ١٩٢٠ تقريبا .

(١١) أنظر وصف هذه الكنيسة بالتفصيل فى :
مصطفى شيحة : دراسة للعمائر القبطية ، ص ٢٠٣ – ٢٠٦ .

(12) Clarke, op. cit, p. 140.

الفصل الثانى
أديرة قامولا

(١) أنظر : مصطفى شيحة : دراسة للعمائر القبطية ، جـ ١ ، ص ١٧٧ – ١٨٥ ، جـ ٢ ، الأشكال ٣ ، ٤ ، ٥ ، اللوحات ٢٦ – ٣٢ .

Clarke, op. cit, pp. 123-126.

(٢) أنظر عن هذا الدير أيضا :

Gayet, L'art Copte, p. 152.

Clarke, op. cit, pp. 121, 123.

Meinardus: Christian Egypt, ancient and Modern, pp. 309-310.

(3) Clarke, op. cit, pp. 121-122.

(4) Ibid, p. 121.

(5) «L'ensemble est incertain et participe à la fois de l'architecture primitive et de celle de la basilique à couples multiples».
Gayet: L'art copte, pp. 163-164.

(6) Clarke, op. cit, p. 123.

(7) Ibid, p. 123.
Villard, La Nubia Medioevale, Le Caire, 1957, Vol, III, p. 7.

هوامش الباب السابع
التخطيط المعمارى لأديرة إسنا الباقية

الفصل الأول
دير الأنبا ميتاؤس المعروف بدير الفاخورى بأصفون

(1) Villard, Monastére de Siméon, pp., 8-9, figs, 5, 6.

(٢) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٦٣ ، ١٢١ ، ١٣١ .
وأنظر أيضا Villard, Monastére de S. Simeon, p. 20.

(٣) أنظر وصف هذه القلالى بالتفصيل فى
مصطفى شيحه : دراسة للعمائر القبطية ، جـ ١ ، ص ١٦٨ - ١٧٣ .

الفصل الثانى
دير القديس آمونيوس المعروف بدير الشهداء بإسنا

(1) Materiaux Pour servir à L'Archéologie de L'Egypte Chretienne, p. 22.

(2) clarke, op. cit, p. 114.

(٣) أُعيد بناء هذه المعمودية بعد عام ١٩٣١م ، حيث فصلت عن الكنيسة نهائيا ، إذ كانت فى الأصل متصلة بها ، وكان يشغل مكانها فى الأصل ، مقبرة قديمة لأحد رهبان هذا الدير ، (رقم ٤ بشكل ٥١) ، وقد ذكر فلاديمير دى بوك ، أنه كان يغطى هذا الجزء (المعمودية) ، قبة سقطت ورأى حطامها أثناء زيارته للدير .
أنظر Materiaux Pour Servir, p. 72.

هوامش الباب الثامن

زخارف الفرسكو بكنيستى دير الشهداء ودير الفاخورى

مقدمة

(1) Gayet, L'Art copte, p. 155, 157.
Clarke, op. cit, p. 134.

(٢) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة ، ص ٦٤ .

(٣) الشابشتى : الديارات ، ص ٢٦٨ .

(4) Belzoni: Narrative of the operations and recent discoveries in Egypt and Nubia, p. 433.

(5) Leroy, J: Les Peintures de couvents du D'esert d'Esna, le Caire, 1977.

(٦) انظر عن استخدام الرموز المسيحية ودلالاتها فى الفن القبطى :
جورج فيرستون : الرموز المسيحية ودلالاتها ، ترجمة يعقوب جرجس نجيب ، القاهرة ، ١٩٦٤م

الفصل الأول
كنيسة دير الشهداء

(١) أنظر مصطفى شيحه : دراسة للعمائر القبطية بصعيد مصر ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ - ٣٣٥ ، جـ ٢ ، لوحة ٩٣ - ١١٤ .

(2) Leroy, op. cit, p.6.

(٣) تذكر النصوص الدينية التى أشارت إلى هذا الموضوع : «كمنظر القوس الذى فى السحاب ، يوم مطر ، هكذا منظر اللمعان من حوله ، هذا منظر شبيه مجد الرب ، ولما رأيته خررت على وجهى وسمعت صوت متكلم» .
أنظر : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الاصحاح الرابع ١ ، ٢ .

(٤) لهذا الموضوع أهمية دينية خاصة فى العقيدة المسيحية ، وقد أشير إليه من خلال عدة نصوص دينية وردت فى العهد القديم والجديد ، منها على سبيل المثال ما ورد فى رؤيا يوحنا اللاهوتى ، حول صعود المسيح إلى السماء «للوقت صرت فى الروح ، واذا عرش موضوع فى السماء ، وعلى العرش جالس ، وكان الجالس فى المنظر ، شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش فى المنظر شبه الزمرد» ومن النصوص أيضا : كمنظر القوس الذى فى السحاب يوم مطر ، هكذا منظر اللمعان من حوله ، هذا منظر شبيه مجد الرب ، ولما رأيته خررت على وجهى وسمعت صوت متكلم» .
أنظر : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الاصحاح الرابع : ١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ .

(٥) توجد عادة الرموز الأربعة فى منظر السيد المسيح على العرش ، ومن النصوص الدينية المسيحية التى وردت بشأنها «وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيونا من قدام ومن وراء الحيوان الأول شبه أسد والحيوان الثانى شبه عجل والحيوان الثالث له وجه مثل وجه انسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر ، .... ولا تزال نهارا وليلا قائلة قدوس قدوس قدوس» .
ولهذه الرموز الأربعة عدة تفسيرات فى العقيدة المسيحية منها الشفاعة للأجناس المختلفة ، فضلا عن الرمزية الأخرى فالنسر يرمز إلى القيامة وتقويد الروح المسيحية كما يرمز به إلى المسيح وإلى الذين يتصفون بالعدل والايمان والتفكير والأسد يُرمز به إلى السيد المسيح ويرمز به إلى مدينة البندقية ، تحت حماية القديس مرقس ويُرمز به أيضا إلى القديس جيروم وغير ذلك من القديسيين ، أما رمز الثور فهو من الرموز الهامة أيضا ، فقد ظهر مع الحمار فى صورة الميلاد ، نظرا لما اتصف به من الصبر والقوة ، أما وجه الانسان فقد اعتبر بمثابة رمز للقديس متى الرسول .
انظر : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الاصحاح الخامس ، ٥ ، رؤيا اشعياء النبى ، الاصحاح السادس :

١ - ٣ ، السنكسار القبطى ، حوادث ٨ هاتور ، جـ١ ، ص ١٢٩ ، سفر أشعياء ، ٤٠ - ٣١ ، جورج فيرستون : الرموز المسيحية ودلالاتها ، ص ١٩ ، ٣٠ .

(6) Badawy, A, Op. cit, p.32

(7) Quibel, J, E; The Monastery of Apa Jermea, Cairo, 1912, Vol, 3, pl, 12

(٨) أنظر : مصطفى عبد الله شيحة ، دراسة للعمائر القبطية بصعيد مصر ، ص ٣١٥ - ٣١٨

Dalton, Byzantine art, p. 289

Dalton, East Christian art, p. 288

Du Bourguet, op. cit, p.44

Meinardus, Some Lesser Known, fig, 2, p. 112

Leroy, Les Peintures, p.5

(9) Gruneisen, W,de: Caractéristiques de L'art copte, Florence, 1922, p.58

(10) Badawyy, op. cit, p. 25, 28, 58.

(١١) رؤيا يوحنا اللاهوتى : الاصحاح ١٩ ، ١١ - ١٤ .

(١٢) السنكسار القبطى ، حوادث ١١ بؤونه ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(١٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ .

(١٤) راجع ، ص

(15) Leroy, op. cit, pl 14/ B

(١٦) السنكسار القبطى ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ - ١٤٤

(١٧) المرجع السابق ، ص ١٤٤

(١٨) راجع ، ص ١٣١ - ١٣٢

(19) Delehaye, H: Martyrs d'Egypte, p.59

(٢٠) انظر : انجيل متى ، الاصحاح ١٦ : ١٦ - ٢٠ .

(٢١) أنظر هذا الحوار فى المصدر السابق ، وقد اعتبر الكاثوليك القديس بطرس ، حارس باب السماء ، لذلك يرسم دائما ، ومعه مفتاح أو حلقة مفاتيح ، وتعتقد الكنيسة القبطية ، أن هذا القول ، كان موجها إلى جميع الرسل ، كما ترسم القديسة مرتا ، ومعها حلقة مفاتيح ، معلقة فى حزامها ، رمزا إلى ربه البيت الحكيمة .
أنظر : جورج فيرستون ، الرموز المسيحية ، ص ١٠٤ .

(٢٢) راجع تحليل مناظر ورسوم الملائكة .

(٢٣) أنظر : انجيل لوقا : ١ ، ٢٦ - ٣٨ وانجيل متى : ١ : ١٨ ، ٢١ - ٢٣ ، ١ ، ٧ - ١٢ .

(24) Gruneisen, op. cit, p.58, 103

(25) Cledat, J: Le Monastére et La Necropole de Baouit, Vol, 2, p. 62, pl, XIV,

(٢٦) يختلف رسم شرقية باويط المحفوظة بالمتحف القبطى ، إلى حد كبير عن الرسم فى كنيسة دير الشهداء ، إذ تنفرد هذه الشرقية ببعض الخصائص الفنية المميزة .

(27) Dalton, M: Byzantine art and architecture, p.287

(28) Villard, Les Couvents Pres de Sohag, Vol, I, P. 48, Vol, 2, pl, 201

(٢٩) مصطفى شيحة : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ – ٣٢٦ .

الفصل الثانى
كنيسة الفاخورى

(1) Vansleben, op. cit, p. 12.

(2) Leroy, J: op. cir, p. 17.

(3) Zu Sachen, J: Streifzug durch die und Kloster Aegyptens, p. 59.

(4) Pauty, t. Bois Sculptés, p. 25.

(٥) زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، ص ٤٠٥ ، شكل ٢٨ وأنظر أيضا : الشاهد رقم (١٠٣) بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

(٦) رقم السجل بالمتحف (١٥٩٥١) .

(٧) رجح العالم الفرنسى «لورى» ، أن يكون هذا الرسم لقديسه
Leroy, op. cit, p. 29.

(٨) يرمز الحمام فى الكنيسة إلى الطهارة والسلام ، ويرمز إلى الروح القدس ، وغير ذلك من الرموز الأخرى أنظر : جورج فيرستون : الرموز المسيحية ، ص ٤٠ — ٤١ ، ديماند ، الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، ص ١٤١ .

(9) Leroy, op. cit, p. 29.

(10) pauty, op. cit, 25.

(11) Leroy, op. cit, p. 29.

(12) ibid, p. 29.

(١٣) ورد فى إنجيل يوحنا ، أحد النصوص الدينية ، التى يُشير إليها هنا هذا الرسم : « وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه ، فقال هوذا حمل الله ، الذى يرفع خطية العالم ، هذا هو الذى قلت عنه ، يأتى بعدى رجل صار قدامى ، وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن ليظهر لاسرائيل لذلك جئت أُعمد بالماء» أنظر : إنجيل يوحنا : الاصحاح الأول : ٢٩

(١٤) من هذه النصوص الدينية : أنا أرعى غنمى وأربضها ، واسترد المطرود وأُجبر الكسير وأعصب الجريح وأبيد السمين والقوى وأرعاها بعدل» ، وقال المسيح عن نفسه أيضا : أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف .

أنظر : سفر حزقيال : الاصحاح ٢٤ : ١٥ – ١٩ ، انجيل يوحنا : الاصحاح العاشر : ١٤ – ١٦ .

(١٥) أنظر : Pope, A; Survey of Persian art, vol, 5, pl, 6341 A, Meinardus, o: Some Lesser Known, p. 113, fig, 2.

(١٦) أنظر : السنكسار القبطى ، حوادث ٢٧ كيهك ، وأيضا : Evetts, op. cit, p. 227.

(17) Butler, The ancient Coptic churches of Egypt, Vol, I, p. 191.

(18) Leroy, op. cit, p. 59-60.

(١٩) لا يوجد حاليا بالدير أثر لهذا النص الهام الذى أورده العالم الفرنسى (Leroy) والذى أقتبسه من Coquin, R. La Consécration des églises dans Le rite Copte, p. 4

(٢٠) (١١٣٠ – ١١٤٩م) .

(٢١) جورج فيرستون : الرموز المسيحية ، ص ٣٢ .

(22) Villard, Description Générale. p. 16.

(23) Leroy, op. cit, pl, 7.

(24) Meinardus, o: The Mediaeval wall-Paintings in The Coptic churches of old Cairo, P. 137, pl, 8.

(٢٥) رؤيا أشعياء ، الاصحاح السادس ، ١ – ٣ ، رؤيا يوحنا اللاهوتى ، الاصحاح ١٩ : ١ – ٨ .

المصادر والمراجع العربية

أولا : المصادر المطبوعة

- القرآن الكريم
- العهد القديم والجديد

ابن إياس : (ابو البركات محمد بن أحمد) ، ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م
بدائع الزهور فى وقائع الدهور . ٣ أجزاء ، بولاق ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م

ابن تغربردى : (ابو المحاسن يوسف جمال الدين) ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
١٦ جزء ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ - ١٩٧١م

ابن جبير : (ابو الحسين محمد بن أحمد الكنانى)
تذكرة بالأخبار عن إتفاقات الأسفار (المعروفة برحلة ابن جبير)
نشر حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥م

ابن الجيعان : (شرف الدين يحيى علم الدين شاكر) ت ٨٥٥هـ / ١٤٩٩م
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية القاهرة ١٣١٦م / ١٨٩٨م - نشر مورتيز

ابن حوقل : (ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادى) ت أواخر القرن ٤هـ / ١٠م
المسالك والممالك ، ليدن ١٨٧٣م

ابن خرداذبة : (عبد الله بن عبد الملك) ، ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م
كتاب المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م

الأدفوى : (أبى الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب) ت ٧٤٨هـ
الطالع السعيد الجامع بأسماء نجباء الصعيد
تحقيق سعد محمد حسن . القاهرة ١٩٦٦م

ابن عبد الحكم : (عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠ - ٨٧١م
كتاب فتوح مصر وأخبارها - القاهرة

ابن العميد : (الشيخ المكين جرجس بن العميد بن الياس) ت ٦٢٢هـ / ١٢٧٢م
تاريخ المسلمين ، ليدن ١٦٢٥م

ابن دقماق : (صارم الدين ابراهيم بن محمد) ، ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦ - ١٤٠٧م
الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، بولاق ١٣٠٩هـ / ١٣١٠هـ

الادريسى : (محمد بن محمد بن عبد الله الشريف) ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤ - ١١٦٥م
صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس
مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق
ليدن ١٨٦٤ - ١٨٦٦ .

ابن المقفع : (الأنبا ساويرس) توفى فى النصف الأول من القرن ١١م
سيرة الآباء البطاركة للكنيسة القبطية فى الأسكندرية ثلاثة مجلدات - القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٧٠م .

ابن مماتى : (القاضى الوزير شرف الدين ابو المكارم الأسعد) ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م
كتاب قوانين الدواوين ، نشر عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣م .

ابن ميسر : (محمد بن على بن يوسف) ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م
أخبار مصر – القاهرة ١٩٥٣م .

ابو صالح الأرمنى : (ابو المكارم جرجس بن مسعود) ت أوائل القرن ٧هـ / ١٣م
كتاب كنائس وأديرة مصر ، نشرة Evetts ، اكسفورد ١٨٩٥م .

الصفدى : (فخر الدين عثمان بن ابراهيم النابلسى)
تاريخ الفيوم وبلاده ، نشر رتيز ، المطبعة الأهلية بالقاهرة ١٨٩٨م .

الاصطخرى : (ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى) ت فى النصف الأول من القرن ٤هـ / ١٠م
المسالك والممالك – تحقيق محمد جابر الحينى ، القاهرة ١٩٦١

البلوى : (ابو محمد عبد الله بن محمد بن عمير) ، ت بعد عام ٣٣٠هـ .
سيرة أحمد بن طولون ، نشرة كرد على ، دمشق ١٣٥٨هـ .

الجبرتى : (عبد الرحمن بن الحنفى) ، ت ١٨٢٥م
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . ٤ أجزاء ، بولاق ١٢٩٧هـ .

السيوطى : (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة
جزءان ، القاهرة ١٣٢٧ / ١٩٠٩م .

الشابشتى : (ابو الحسن على بن محمد) ت٣٨٨هـ /٩٩٨م
كتاب الديارات ، تحقيق كوركيس عياد ، بغداد ، ١٩٦٦م .

الشهرستانى : (ابو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م
كتاب الملل والنحل ، القسم الأول (تخريج محمد بن فتح الله بدران ، القاهرة ١٩٥٦ .

المسعودى : (ابو الحسن على بن الحسين بن على) ت ٣٤٥ أو ٣٤٦هـ - ٩٥٦ - ٩٥٧م
مروج الذهب ومعادن الجوهر
٩أجزاء ، بارس ١٨٦١ - ١٨٧٧م .

ابو الفدا : (اسماعيل بن على) ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١ - ١٣٣٢م
المختصر فى أخبار البشر . ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٥م .

المقدسى : (شمس الدين ابو عبد الله محمد) ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ .

القلقشندى : (شهاب الدين ابو العباس احمد بن على) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا
القاهرة ١٤ جزء ١٩١٩ - ١٩٢٢م .

الكنـدى : (ابو عمر محمد بن يوسف) ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م
كتاب الولاة والقضاة ، بيروت ١٩٠٨ .

المقريـزى : (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م
(ا)المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ،
جزءان ، بولاق ١٢٧٠هـ
(ب) إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ،
جـ ١ ، نشر جمال الدين الشيال ، القاهرة
١٩٤٨ ، جـ ٢ ، ٣ ، نشر محمد حلمى محمد
أحمد
(ج) السلوك لمعرفة دول الملوك : جـ ١ ، ٢ فى ٦
أقسام تحقيق محمد محمد مصطفى زيادة
القاهرة ١٩٣٤ – ١٩٥٨م ، جـ ٣ ، ٤ ، ٦
أقسام ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة
١٩٧٠ – ١٩٧٣

ناصر خسرو : سفر نامة ، القاهرة

ياقوت : (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى) ، ت
٦٢٦هـ ، ١٢٢٩م
معجم البلدان ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٦

يحيى بن سعيد الانطاكى : ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م
تاريخ الانطاكى ، بيروت ١٩٠٥م

اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب جعفر بن وهب بن واضح)
ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م
كتاب البدان ، ليدن ١٨٩٢م

ثانيا المراجع الحديثة

ابراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ، العدد ٥٣ (سلسلة إقرأ)

أحمد عيسى : مخطوطات وثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء
(مقالة بالجمعية التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ، ١٩٥٦م ص ١٠٥ - ١٢٤)

أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، جزءان ، القاهرة ١٩٦١ - ١٩٦٩

انطونيوس الدويرى البراموس : تاريخ دير السيدة العذراء - برموس ، القاهرة ١٩٦٠م

اغريغوريس (الأنبا) : الدير المحرق - تاريخه ووصفه وكل مشتملاته - القاهرة

السنكسار القبطى : الجامع لسير القديسيين والشهداء فى الكنيسة القبطية جزءان ، طبع مصر

باهور لبيب وفكتور جرجس : ا - الطابع القومى فى الفن القبطى
(المكتبة العربية ، القاهرة ١٩٧٨م)
ب - دليل المتحف القبطى

بتشر : ا . ل : كتاب الأمة القبطية وكنيستها ، ٤ أجزاء القاهرة

بتلر : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد ابو حديد ، القاهرة ١٩٣٣م

جاك تاجر : أقباط ومسلمون من الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢ ، القاهرة ١٩٥١م

جوستاف لوبون : الحضارة العربية ، ترجمة عادل زعيتر (الطبعة الثانية)

جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى

جورج فيرستون : الرموزالمسيحية ودلالاتها ، ترجمة يعقوب جرجس نجيب ، القاهرة ١٩٦٤

حسن ابراهيم حسن : ا – الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص القاهرة ١٩٣٢
ب – تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٩م
جـ – عمرو بن العاص – القاهرة
د – تاريخ الإسلام السياسى والاجتماعى والثقافى ، جـ ١ ، القاهرة

حسن الباشا : ا – الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧
ب – التصوير الإسلامى فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٩
جـ –فنون التصوير الإسلامى فى مصر ، دار النهضة العربية

ديمانـد : الفنون الإسلامية ، ترجمة احمد عيسى ، الطبعة الثانية

رؤوف حبيب : كنائس القاهرة القبطية القديمة ، القاهرة ١٩٥٩ .

زكى محمد حسن : ا – بعض التأثيرات القبطية على الفنون الإسلامية (مجلة جمعية الآثار القبطية ، العدد ٣ : ص ٨٥ – ١٠٤ ، القاهرة ١٩٣٧م)
ب – فنون الإسلام ، القاهرة ١٩٤٨
جـ – أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٨

سعاد ماهر : ا – الفن القبطى ، القاهرة ١٩٧٧
ب – منسوجات المتحف القبطى ، القاهرة ١٩٥٧
جـ – محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ،
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٦٦م

سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا فى العصور الوسطى – جزءان ، القاهرة ١٩٦١م

سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ، القاهرة ١٩٤٤م

سليم سليمان : مختصر تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٩م

السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، القاهرة ١٩٦١م

سيدة اسماعيل كاشف : أ – مصر فى فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٤٧م
ب – مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ١٩٥٠م

صمويل تاوضروس : الأديرة المصرية العامرة ، القاهرة ١٩٦٨م

عبد المنعم ماجد : أ – العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بيروت ، ١٩٦٦م
ب – الامام المستنصر بالله ، القاهرة ، ١٩٦١م
جـ – ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياسى القاهرة ١٩٦٨م
د – نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جـ ١ ، ١٩٧٣م

عطية أحمد القوصى : بنو الكنز – دراسة تاريخية
(رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧٠م)

على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة ، ٢٠ جزء (٤ مجلدات) ، طبع بولاق ١٣٠٥ – ١٣٠٦هـ)

فريد شافعى : أ – العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٠م
ب – مميزات الأخشاب المزخرفة فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر ، مجلة كلية الآداب ، مجلد ١٦ ، جـ ١ ، ص ٥٤ – ص ٧٥ .
جـ – الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى ، مجلة كلية الآداب مجلد ١٤ ، جـ ٢ ، ص ٦٥ – ١١٢
د – زخارف وطرز سامرا ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٣ جـ ٢ ، ص ١ – ٣٩

فؤاد فرج : المدن المصرية ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٤٣ – ١٩٤٦م

فكتور جرجس عوض الله : اللوحات المصورة بالمتحف القبطى (الأيقونات) القاهرة ، ١٩٦٥م

كمال الدين سامح : ا – العمارة الإسلامية فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠م
ب – تطور القبة فى العمارة الإسلامية ، مجلة كلية الآداب
جامعة القاهرة ، المجلد ١٢ ، جـ ١ ، ١٩٥٠م

لبيب حبشى : الأديرة فى صحراء العرب ، القاهره

متى المسكين : الرهبنة القبطية فى عصر القديس (أنبا مقار) القاهرة ١٩٧٢م
محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية ، ٣٩ جزء ١٨٨٤ - ١٩٤٥م
محمد أمين الخانجى : معجم البلدان المستدرك على معجم البلدان ، جـ ١ ، القاهرة
محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٧٠م
محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية القاهرة ١٩٦٠م
محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م - قسم ٢ / جـ ٤ القاهرة ١٩٦٣م
محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية القاهرة ١٩٥٩م
محمد فؤاد مرابط : الفنون الجميلة عند القدماء . القاهرة
مراد كامل : من دقلديانوس إلى حكم العرب (موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الثانى ، القاهرة) .
مرقس سميكة : دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة المصرية جزءان ، القاهرة ، ١٩٣٠ - ١٩٣٢
مصطفى عبد الله شيحة : ا - الزخارف الإسلامية فى عمارة الكنائس الآثرية بمنطقة مصر القديمة
(رسالة ماجستير مخطوطة / كلية الآداب / جامعة القاهرة ١٩٧٤)
ب - دراسة للعمائر القبطية بصعيد مصر فى العصر الفاطمى
محافظة قنا - (رسالة دكتوراة / كلية الآثار / جامعة القاهرة ١٩٧٩) .

مصطفى عطية مشرفة	: نظم الحكم فى مصر فى عصر الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨
نبيل سليم	: سيرة الأنبا أندراس وقديسى جبل الأساس المقدس (سلسلة ديارات الآباء رقم ١٠ ، القاهرة ١٩٧٠م)
نعمت ابو بكر	: المنابر الخشبية فى مصر حتى العصر المملوكى رسالة ماجستير / كلية الآداب / جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ .
نعوم شقير	: تاريخ سيناء ، القاهرة ١٩١٦
هارولد إدريس بل	: الهيلينية فى مصر ، ترجمة زكى على القاهرة ١٩٤٨
يحيى الخشاب	: كتاب بيان الأديان . مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد ١٩ ، جـ ١

ق٢٣٣

ثالثا

المراجع الأجنبية

Adeny, W.F	: The Greek and Eastern Churches, Newyork, 1935.
Anthony de Cosson	: Mareotis, London, 1935.
Amelineau, E	: L'histoire de L'Egypte Chretienne, Paris, 1885. Géographie de l'Egypte à L'Epoque Copte, Le Caire, 1885.
Atiya, A, S	: The Monastery of St Catherriene, New york, 1970.
Badawy, A	: Les influences Egyptienne d'art Copte. Le Caire, 1949.
Belzoni, G	: Narrative of the operation and recent Discoveries in Egypt and Nubia.
Bourguet, p. du	: L'art Copte, paris, 1966.
Butcher, E. L	: The Story of the Church of Egypt, 2 Vols, London, 1897
Butler, A	: The ancient Coptic Churches of Egypt, 2 Vols, Oxford, 1884
Butler, H, C	: - Architecture and other arts, New york, 1903 - Early Churches in Syria, England, 1929

Chaine, M : La Chronologie des temps Chretiens de L'Egypte et de L'Ethiopie, paris, 1912

Chester, G, J : Notes on the ancient Christian Churches of Musr El-Ateekah or old Cairo and its neighourhood, Arch. J. 29,/ 1882, pp. 125- 134

Clarke, S : Christian Antiquities in the Nile Valley, Oxford, 1912.

Clédat, J : Le Moanastère et La Necropole de Baouit.

Costigan, G, H : Sculpture and Painting in Coptic art (Bulletin de La Société D'Archéologie Copte, T, 3, pp, 48-58).

Creswell, K, A, C : - Early Muslim Architecture. 2 Vols, Oxford, 1932-1940.
- Muslim Architecture in Egypt, 2 Vols, 1952-1959.
- A Short account of Eearly Muslim Architecture, London, 1959.
- Coptic Influences on Early Muslim Architecture, (Bulletin de La sociéte D'Archéologie Copte), T, 5, pp. 29-42.

Curzon, R : Visits to monasteties in the Levant, London, 1950.

Dalton, o, M : - Byzantine art and archaeology, New york.
- East Christian Art, Oxford, 1925.

Daumas, Fr : Kellia I, Kom 219, Fouilles Executées en 1964 et 65, Le Caire, 1968.

Denton; Rev, W : State of the ancient christian church in Egypt, London, 1883

Diehl, C : **Manuel d'art Byzantine, 2 vols, 1925-1926**

Dowling : The Egyptian church, London, 1909

Duthit, G : La Sculpture Copte, Paris, 1931

Evelyn, W : The monasteries of wadi N'Natrun, New York, 1926

Everry, G : Christian Mythology.

Evetts, B, T : The churches and monasteties of Egypt and Neighbouring countries attributed to ABU SALIH, The Armenian, oxford, 1895

Fakhry, A : - The Necroplis of El-Bawagat in Kharaga oasis, cairo, 1951
-The Monastery of Kalamoun, (Annalas du Service des Antiquités de l'Egypte, T, 46, pp. 64-83).

Firth, G, M : The Archaeological Survey of Nubia, Cairo, 1927.

Fowler : Christian Egypte, Past, Present and Futur, London, 1901.

Gauthier, H : Dictionnaire des nome géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques, T, 1-7, Le Caire, 1925-1931.

Gayet, Al : L'art Copte, Partis, 1902.

Garcin, J. C : Un Centre Musulman de la Haute-Egypte médievale: Qus, Le Caire, 1976.

Grabar, A : Early Christian Art, New York
- The great centuries of painting from the fourth to the eleventh century.

Grossman, p : Coptic church Architecture, Cairo, 1977.

Gruneisen, W, de : Caractéristiques de l'art copte, Florence, 1922.

Hamilton, J, A : Byzantine Architecture and Decoration, London, 1903.

Hammad, M : Styl in the coptic art and significance of its Decorations elements. (Bulletin de la Sociéte D'Archéologie copte, T, XX, 1970, pp. 143-158, pls, 1-13).

Hardy, E. R : Christian Egypte, church and people, New York, 1952.

Kasser, R : Kellia I, Genéve, 1907.

Krautheimer : Early christian and Byzantine Architecture.

Lamm, C, J : Fatimid wood-Carving, its style and chronology, (B. I. E., 27, pp. 60-91, 1935).

Lausiac : History of Churches.

Leroy, J : - Monks and Monasteries of the Near East, (translated by peter collin), London
- Les peintures des couvents d'Esna, Le caire, 1977.

Leory, L : Les couvents chrétiens, 1908.

Malan, S.C : - short history of the Copts and their churches, London, 1873.
- Notes on the Coptic calander.

Matériaux Pour Servir à L'archeologie de L'Egypte.

Meinardus, O : - Christian Egypt ancient and modern, Cairo, 1965.

- Monks and Monasteries of the Egyptian desert, Cairo, 1901.
- The Christian Kingdoms of Nubia, 1974.
- Some Lesser Known wall-Painting in the Red monastery of sohag, (Bulletin de la société D'Archéologie copte, tome 20, pp, 111-117).

- The Mediaeval wall Painting in the Coptic churches of the old Cairo, (Bulletin de la societe de la D'Archéologie copte, tome, 20, pp. 119-141).

Michel, A : Histoire de l'art, vol, XI.

Monneret, de Villard : - Les Eglises du Monastère des syriens au Wadi en-Natrun, Malan, 1928.
- Les couvents près de Sohâg, (Deyr El Abiad et Deyr Ahmar), 2 vols, Milan, 1925.
- Descriptions Général du monastere de st. Simeon à Aswân, Millan, 1927.
- Deyr El Moharrag, Millan, 1929.
- La Nubia médioevale, volume treze, Le Caire, 1957.

More, C.R : Mediaeval art, Newyork, 1942.

Norden : Travells in Egypt and Nubia, 2 vols.

Patricolo : The church of Sitt Burbare, Florence, 1922.

Pauty, E : - Bois Sculptés D'Eglises Coptes (Epoque Fatimide), Le caire, 1930.
- Les Bois Sculptés Jusqu'a L'Epoque Ayyoubid, (catalogue Générale du Musée Arabe du caire), le caire, 1931.

Poceck : Observation on Egypt.

Poole, L : - History of Egypt, London, 1901.
- The art of the saracens in Egypt, London, 1886.

Pope, A : Survey of Persian art, Vol, I, 1925.

Quibel, J, E : - The Monastery of Apa Jerméa, Cairo, 1912.

Réau, L : Iconographie d'L'art chrétien, Paris, 1955.

Rice, D, T : Byzantine art, London.

Ross, E, D : The art of Egypt through ages, London, 1931.

Sauneron, S : Les Ermitages chrétiens du desert d'Esna, 5 Vols, Le Caire.

Simpson, F, M : A History of Architectural Development, 3 Vols, Aberdeen, 1939.

Stephenson, G : Mediaeval History, Newyork, 1942.

Thompsons : The middle Ages, Vol, I.

Vansleben : - The present state of Egypt, London, 1673.
- Histoire de L'Egypte d'Alexandre, Paris, 1673.
- Nouvelle Relation d'un voyage fait en Egypte, Paris, 1689.

Wilkinson, C, E : Early christian paintings in the oasis of kharga, 1928.

Workman, C : The edution of the monastic ideal.

Worrell, W. H : A short account of the Copts, Michigan, 1945.

Zu Sachsen, J, G : Streifzuge durch die Kirchen Kloster Aegyptens, Berlin, 1914.

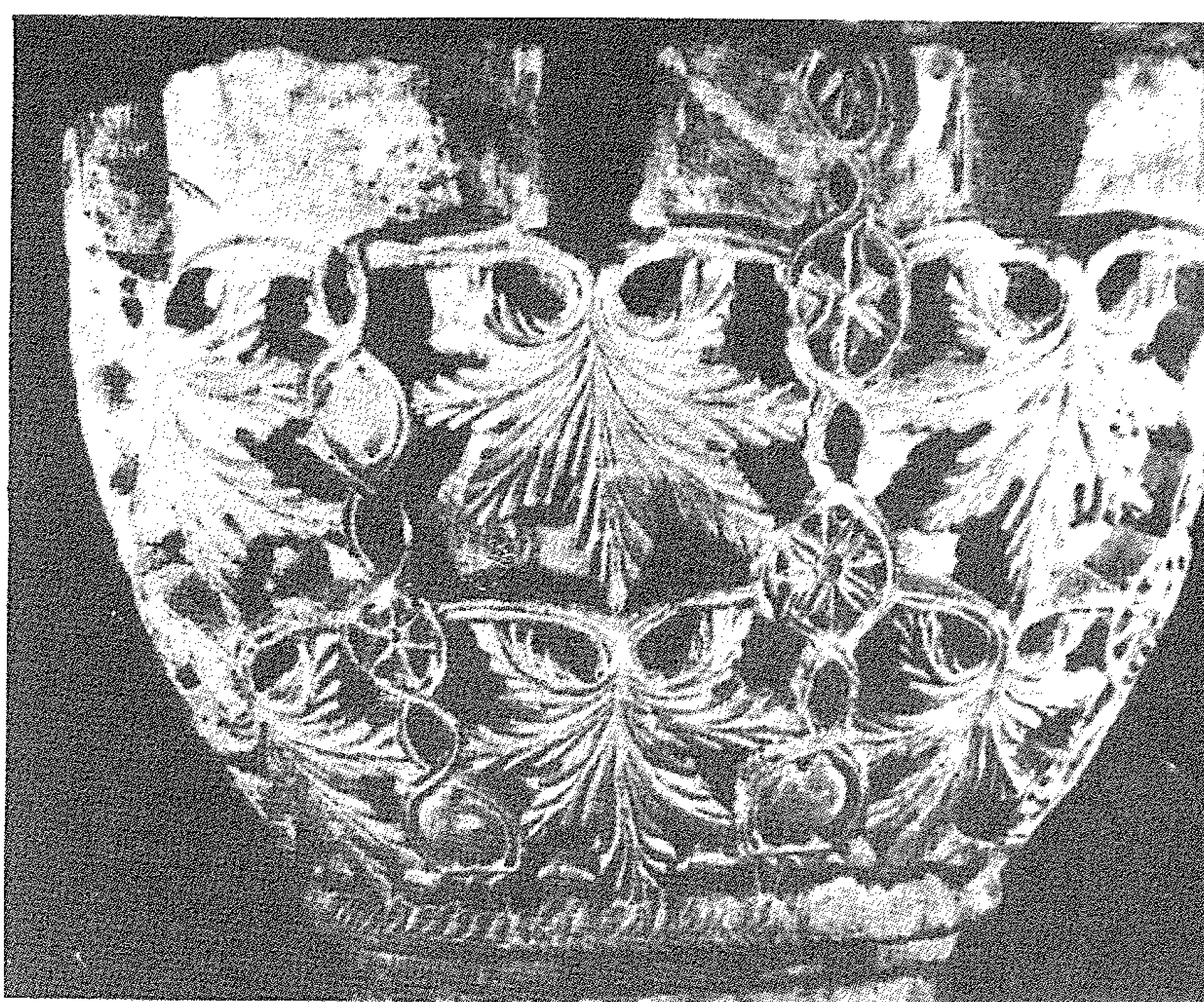
اللوحات



اللوحة (١)
تاج عمود قبطى - القرن ٥ - ٦ م

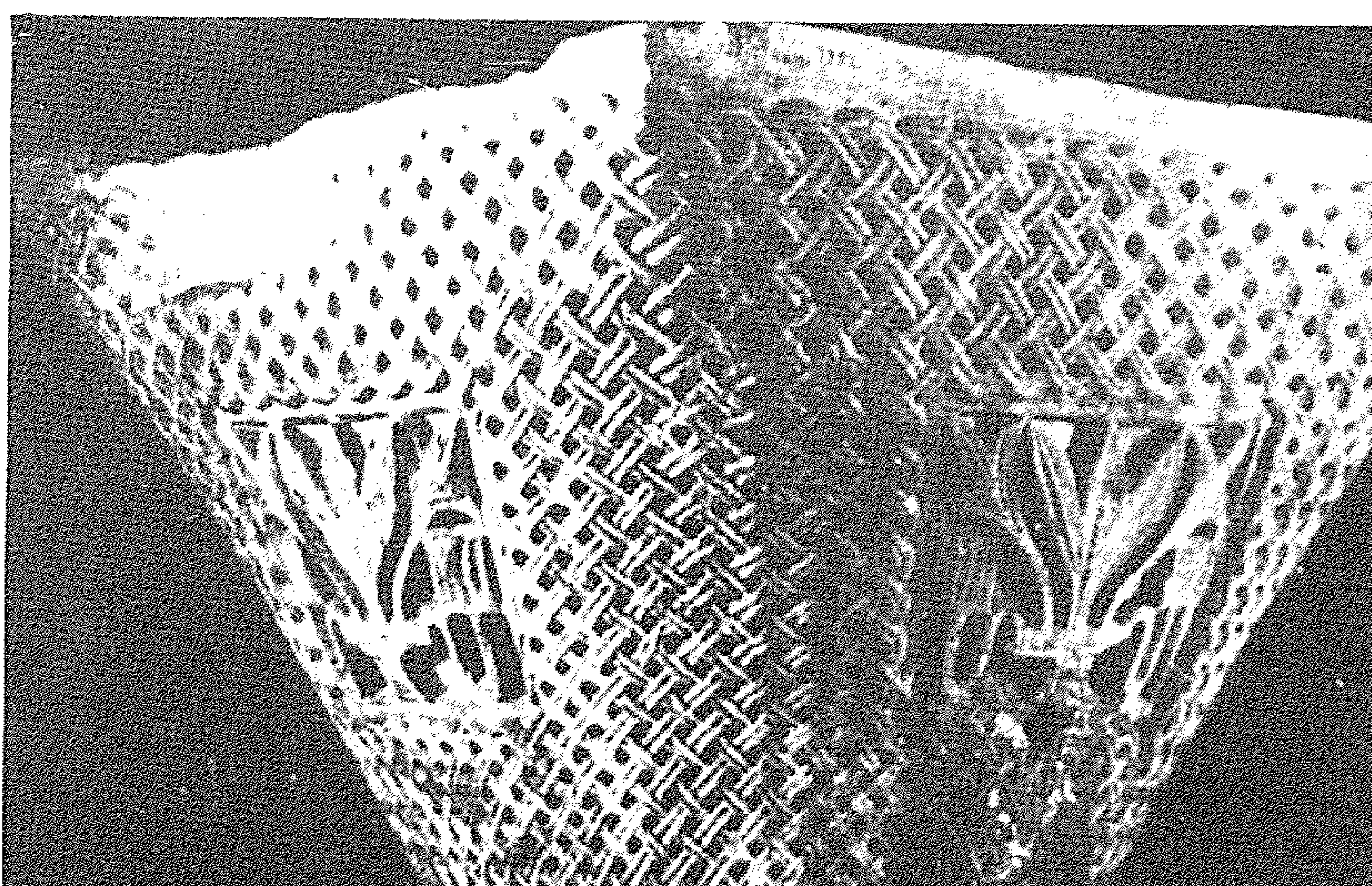


اللوحة (٢)
تاج عمود قبطى - القرن ٤ - ٥ م



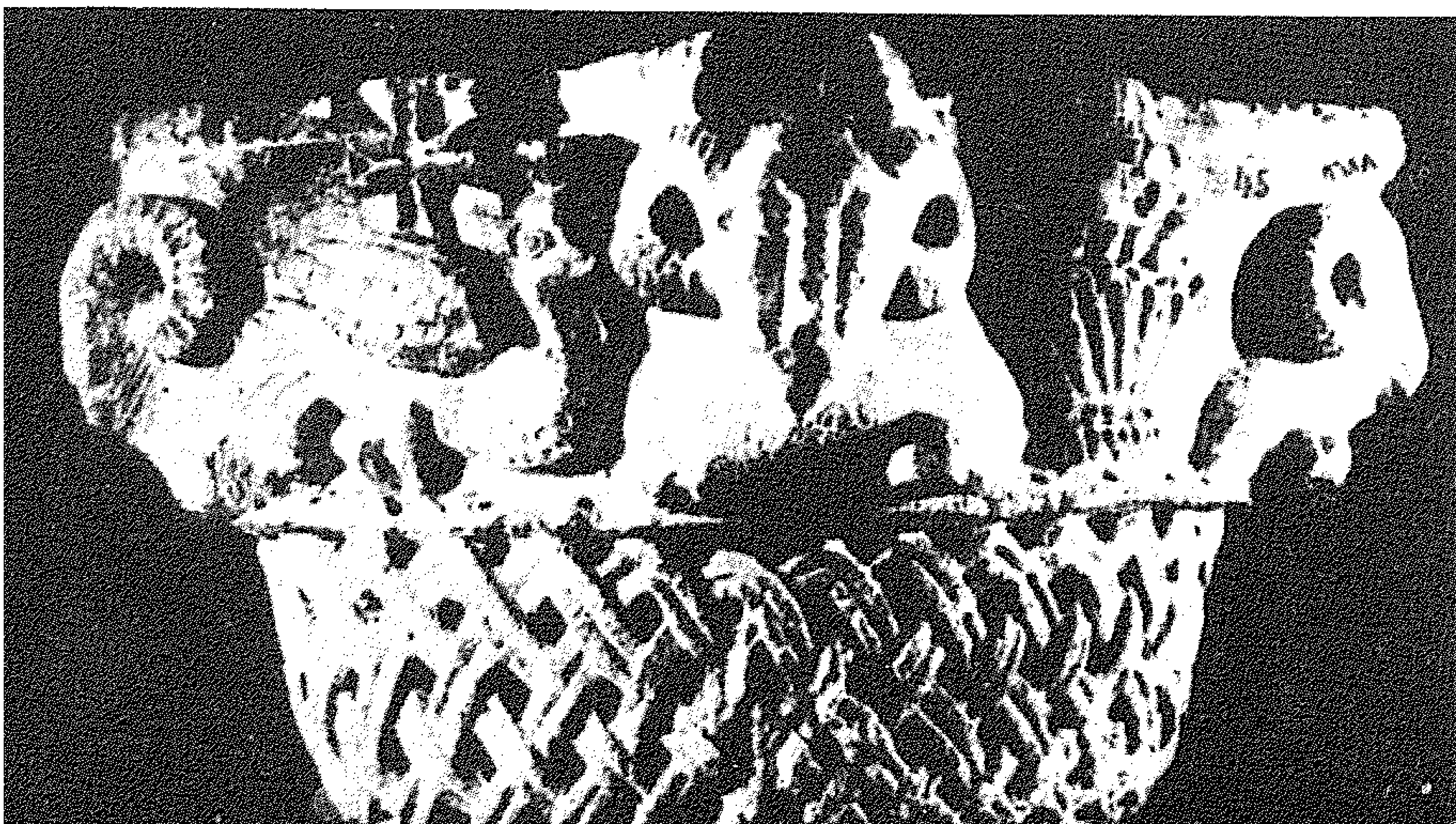
اللوحة (٣)
تاج عمود قبطى - القرن ٤ - ٥ م

اللوحة (٤)
تاج عمود قبطى - القرن ٦ - ٧ م

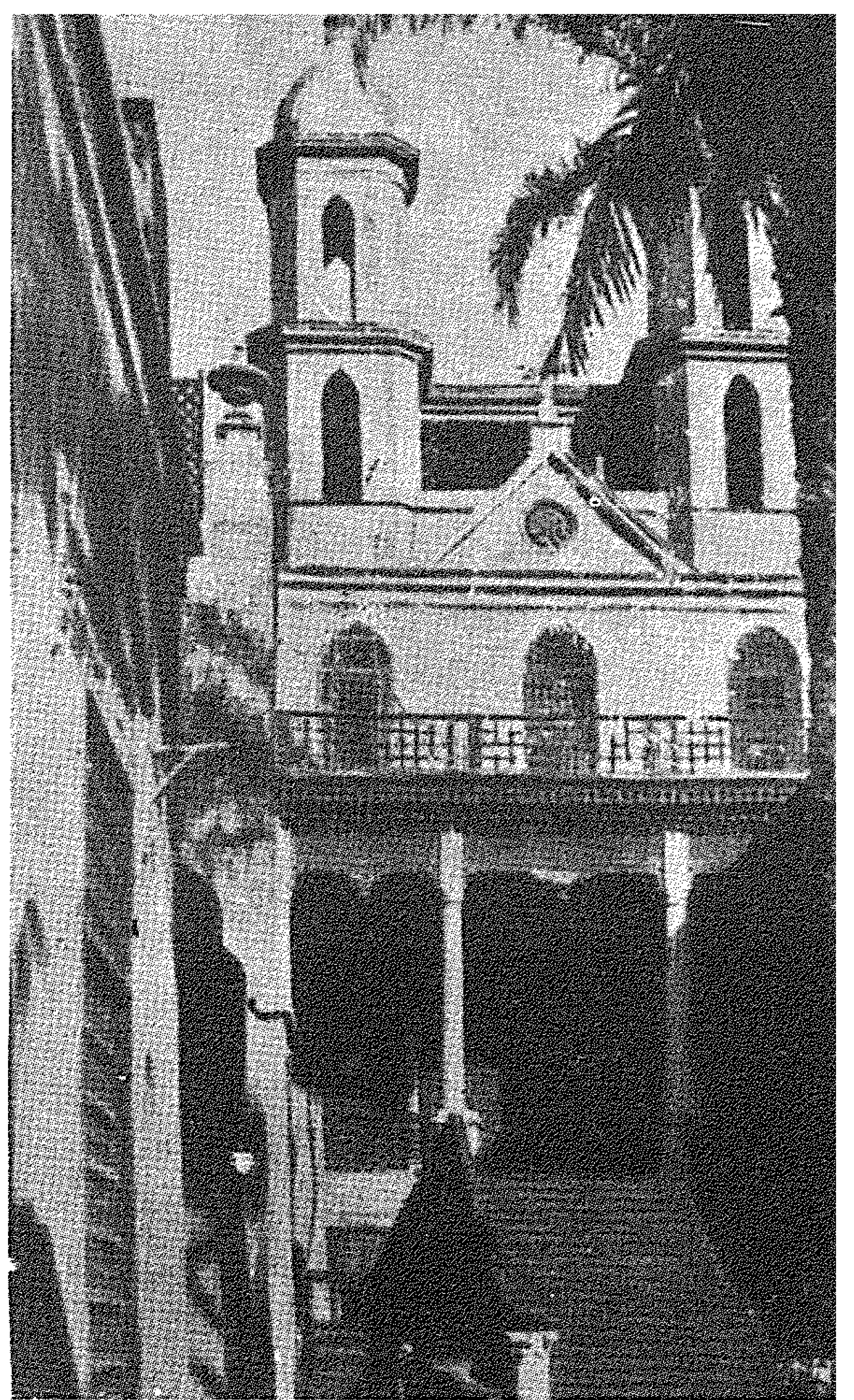




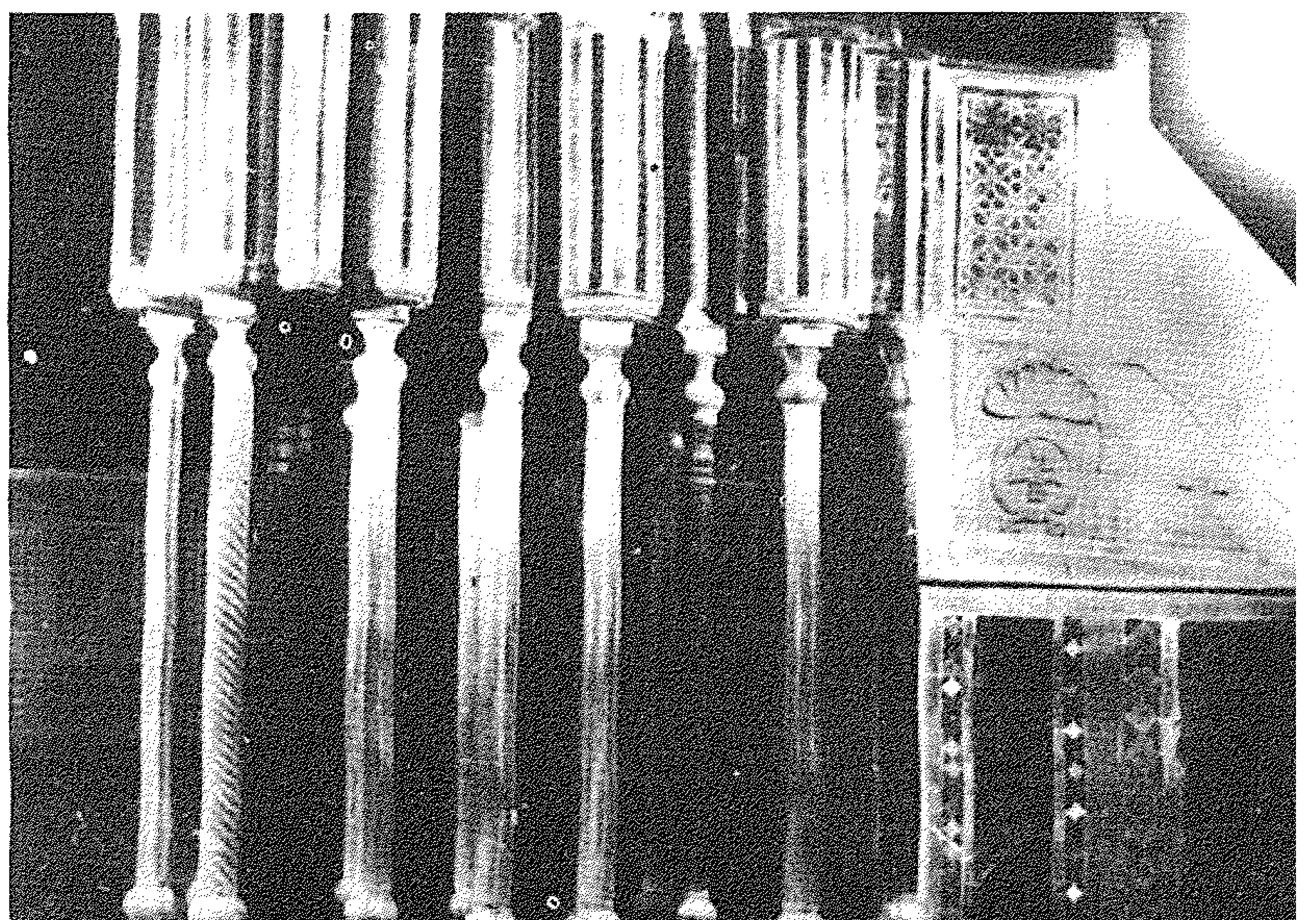
اللوحة (٥)
تاج عمود قبطى - القرن ٥ م



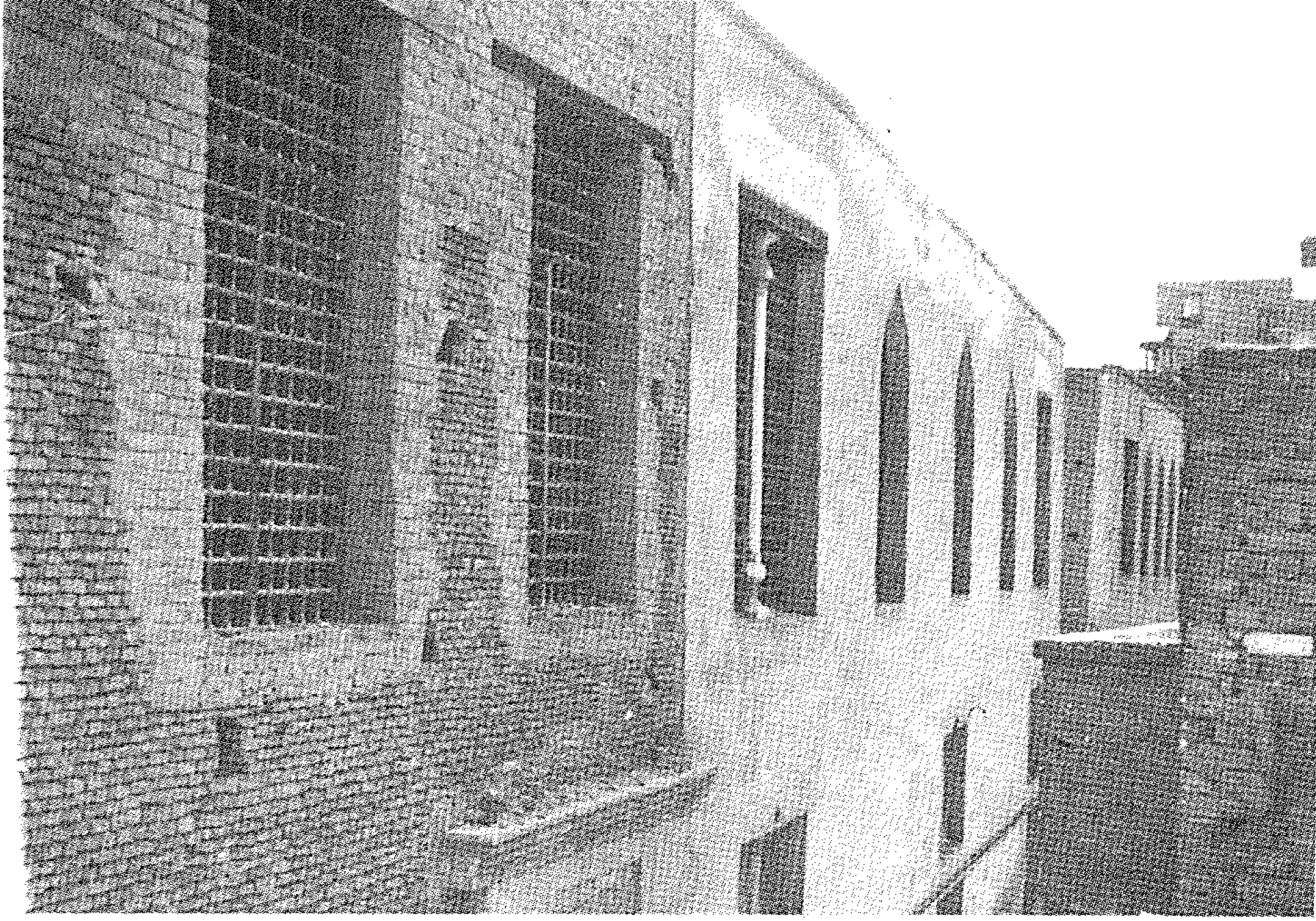
اللوحة (٦)
تاج عمود قبطى - القرن ٥ م



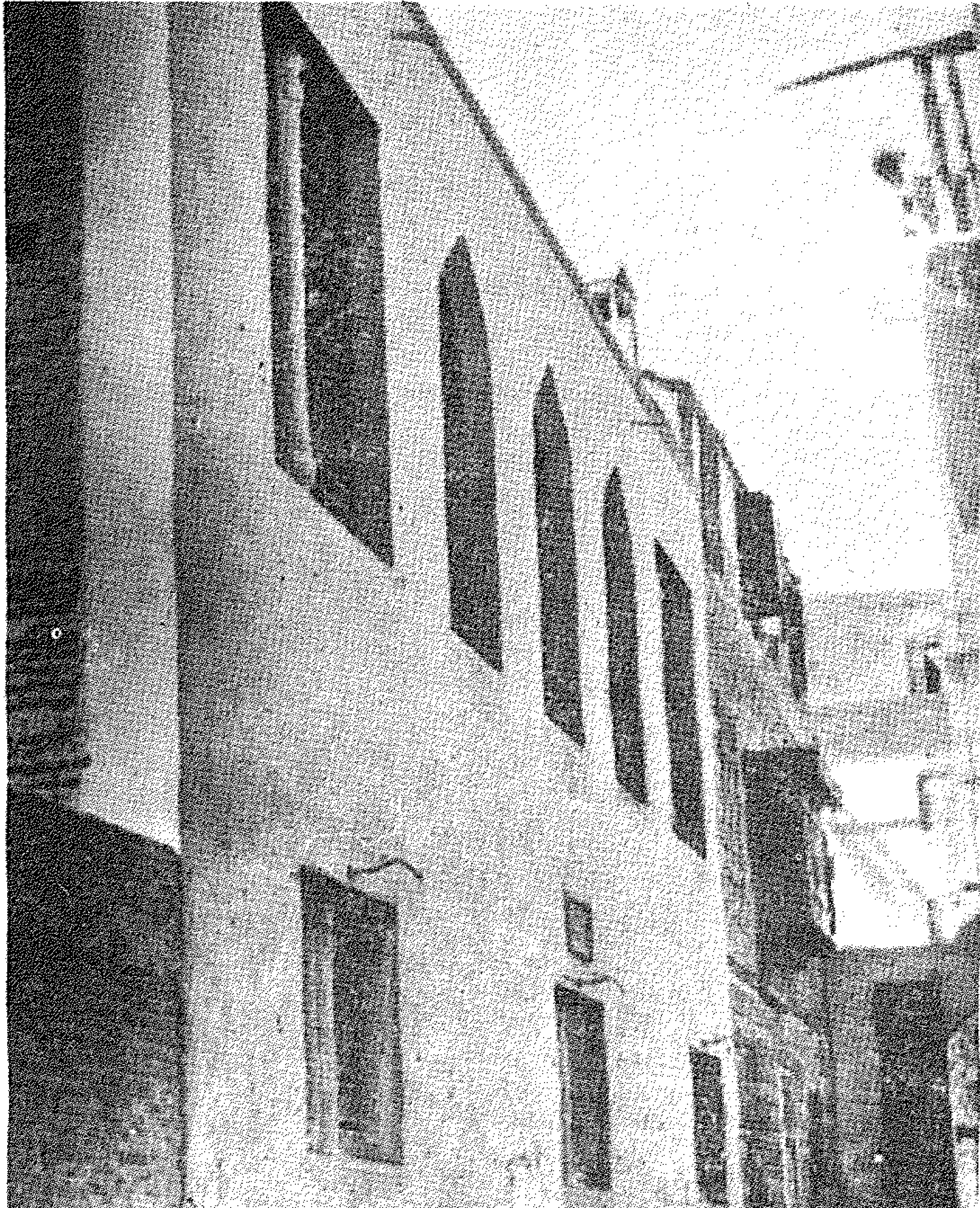
اللوحة (٧)
الواجهة الخارجية لكنيسة المعلقة



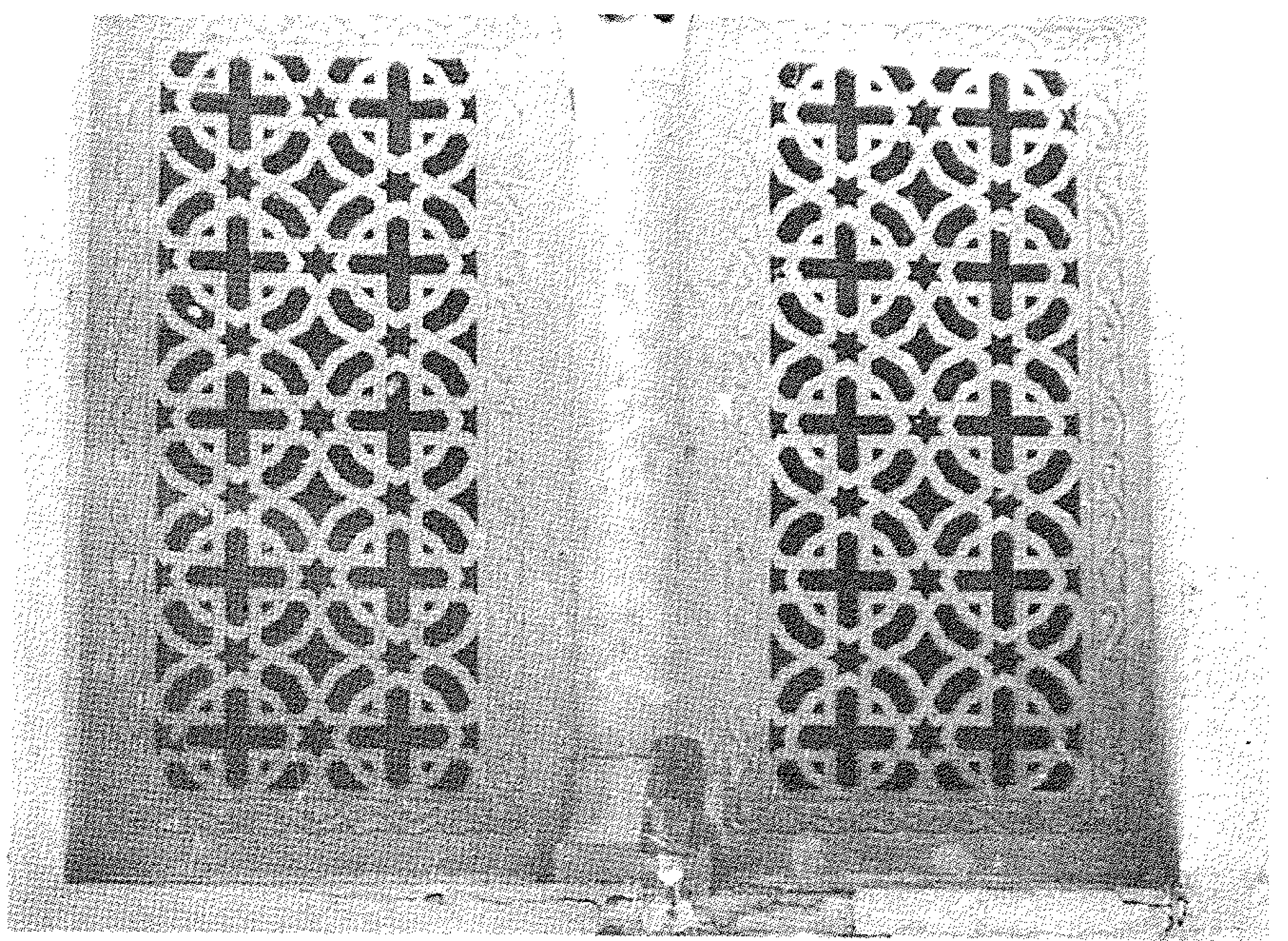
اللوحة (٨)
المنبر الرخامى بكنيسة المعلقة



اللوحة (٩)
جزء من واجهة كنيسة ابى السيفين
بمنطقة مصر القديمة

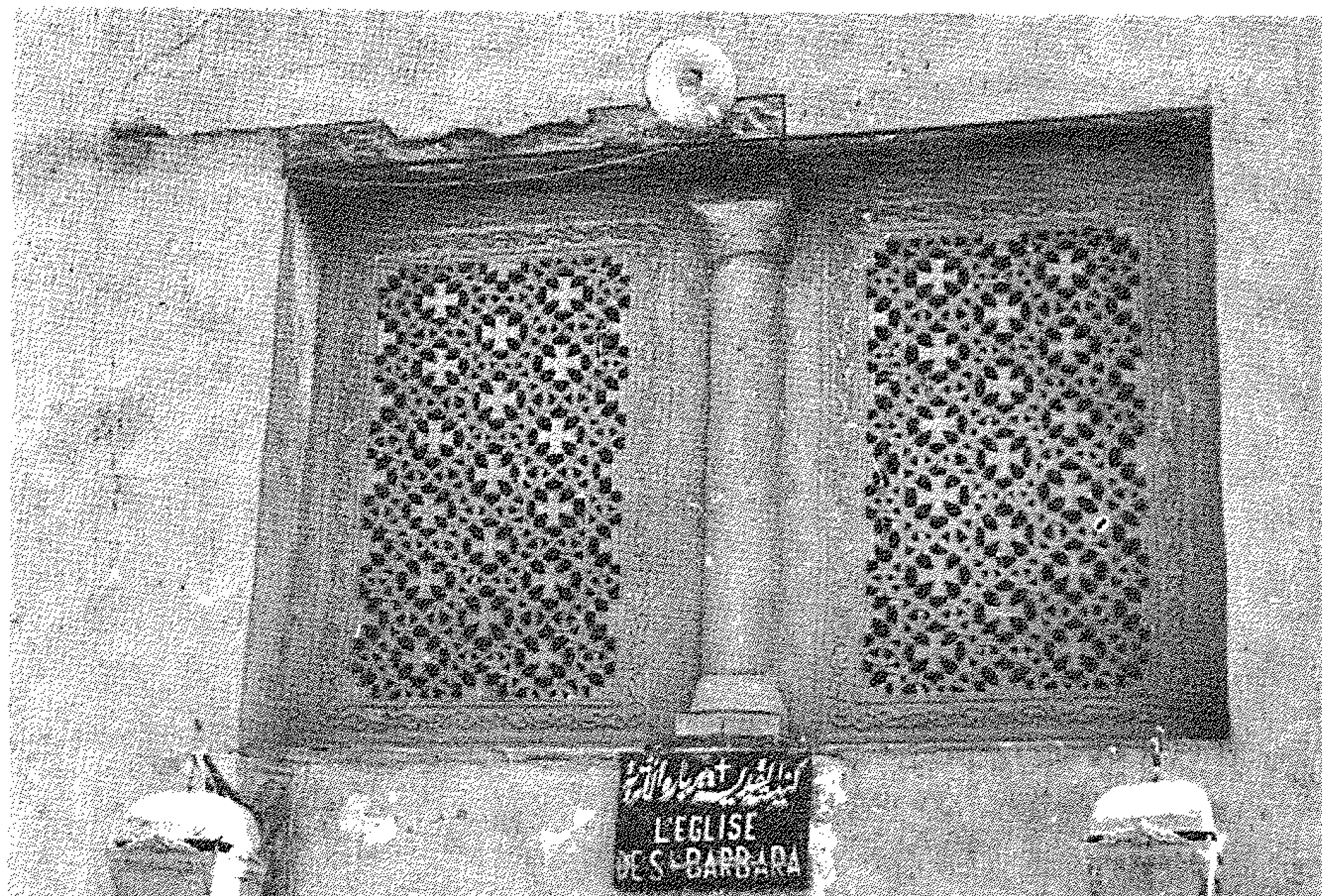


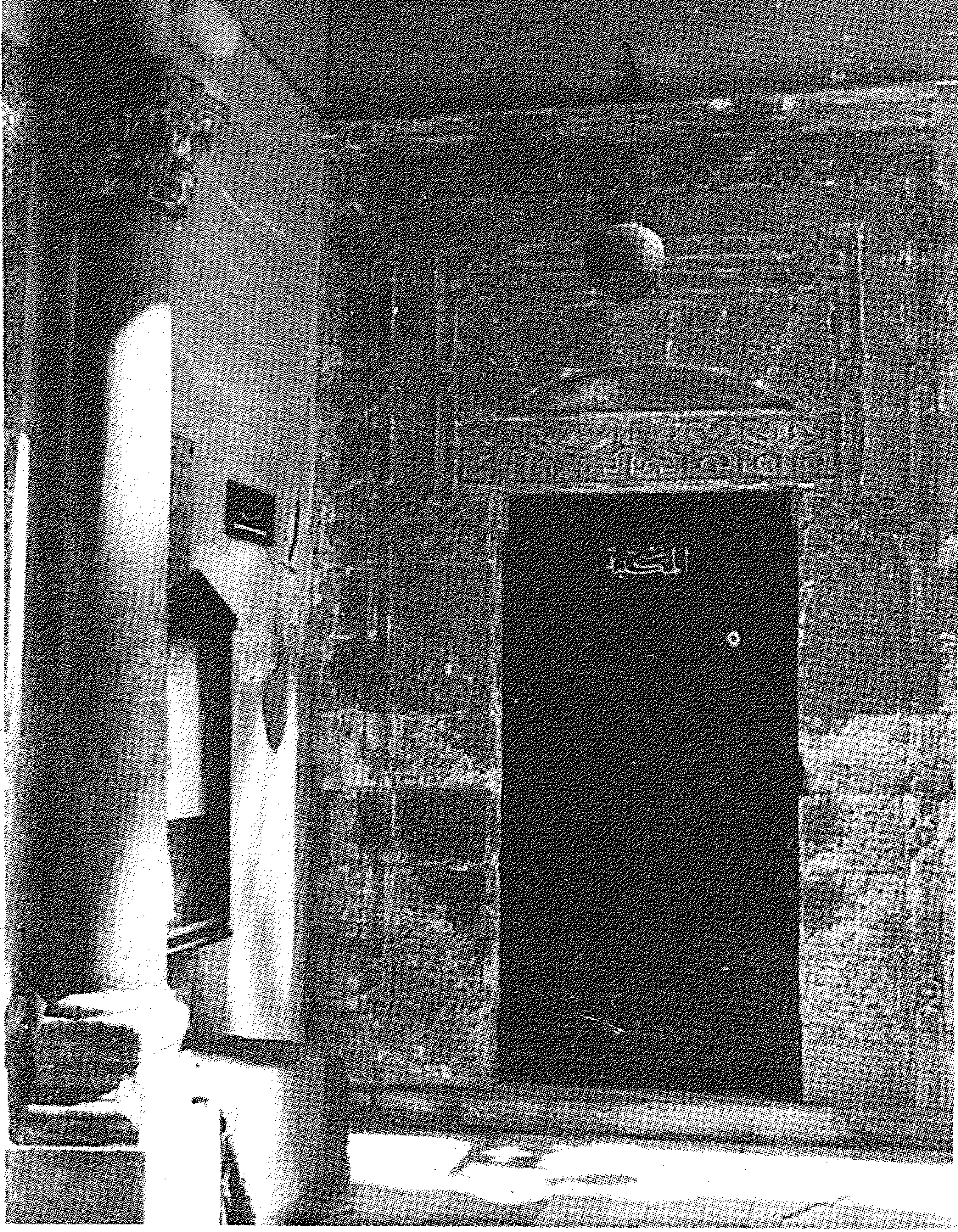
اللوحة (١٠)
واجهة كنيسة الأنبا شنودة بمنطقة مصر القديمة



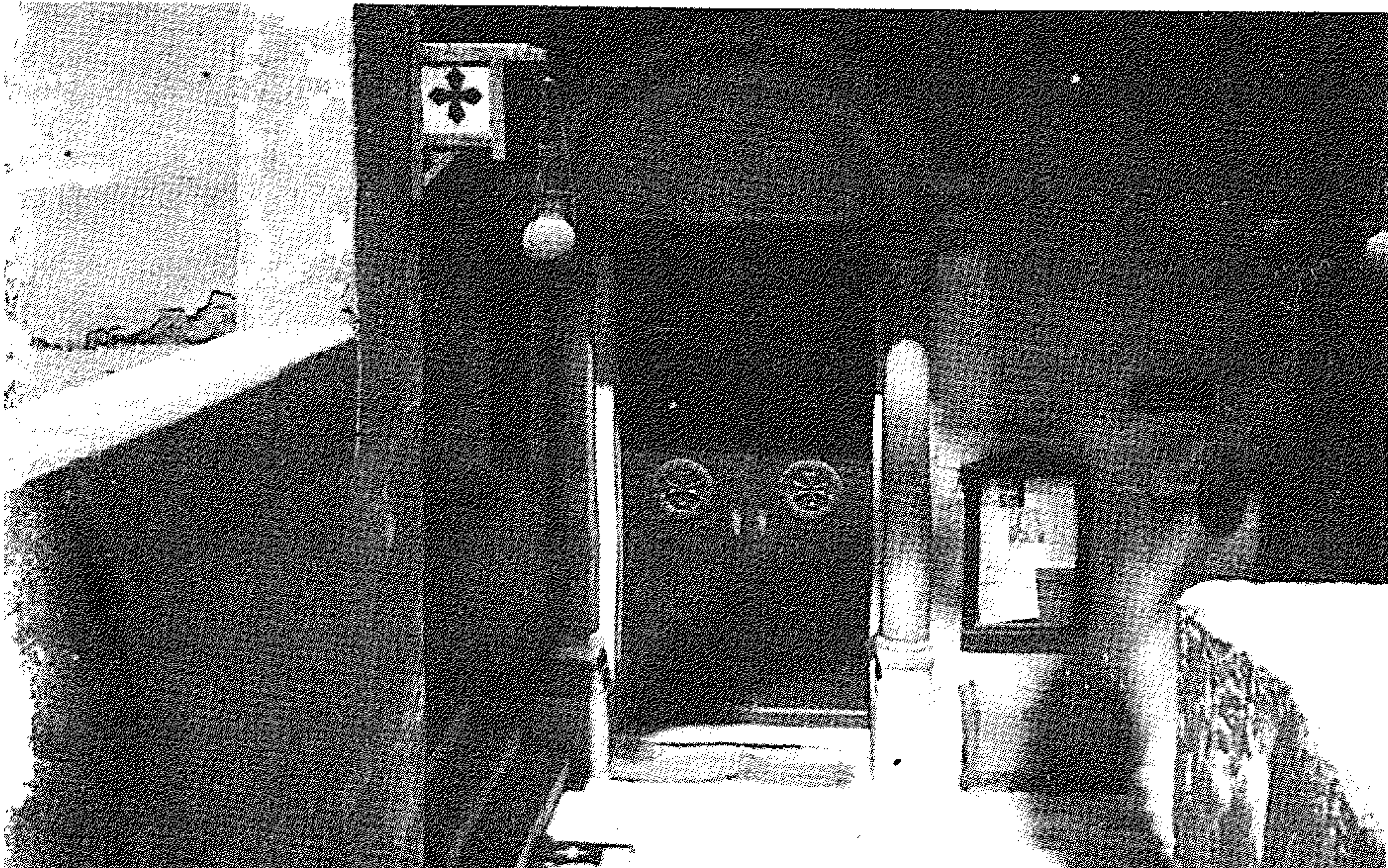
اللوحة (١١)
نوافذ رخامية مفرغة على شكل الصلبان داخل دوائر بكنيسة الأنبا شنودة

اللوحة (١٢)
نوافذ رخامية مفرغة بواجهة كنيسة القديسة بربارة بمنطقة مصر القديمة

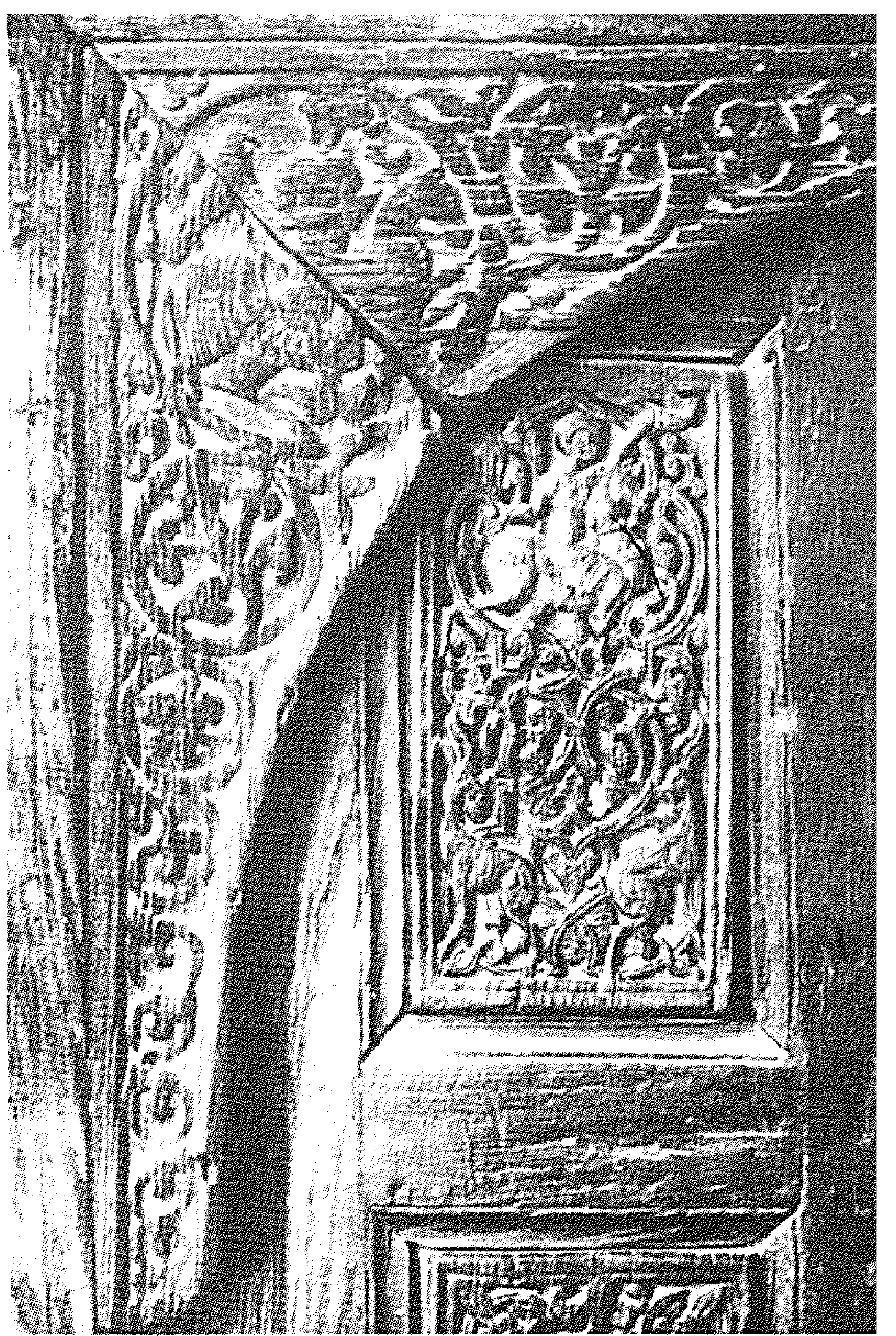




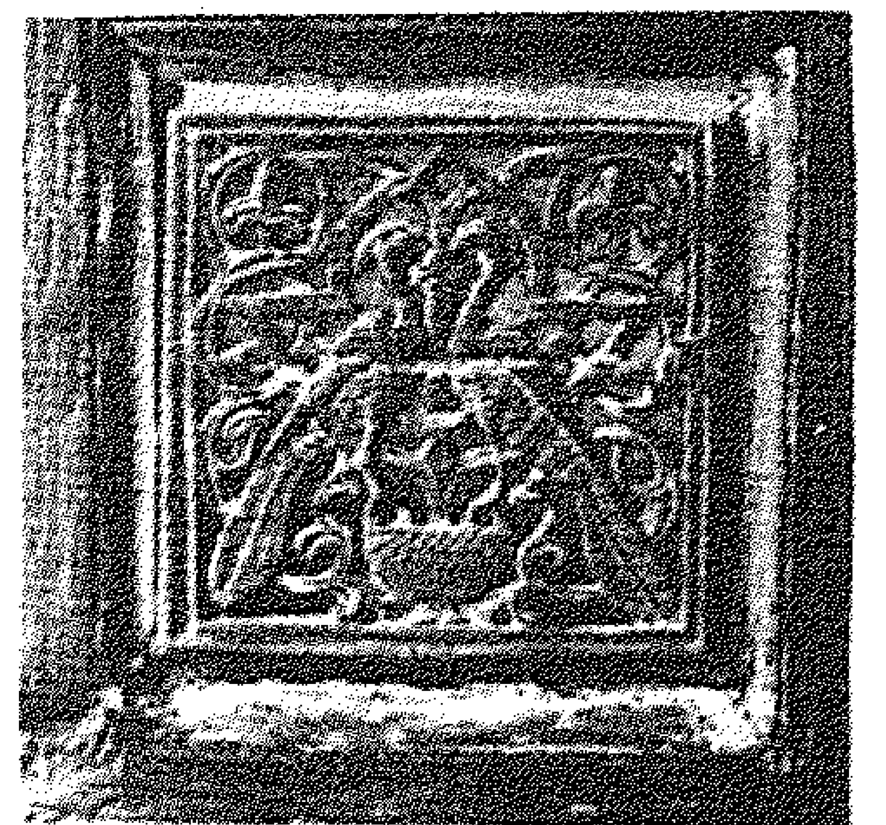
اللوحة (١٣)
المدخل الرئيسى (القديم) لكنيسة السيدة العذراء المعروفة بقصرية الريحان بمنطقة مصر القديمة

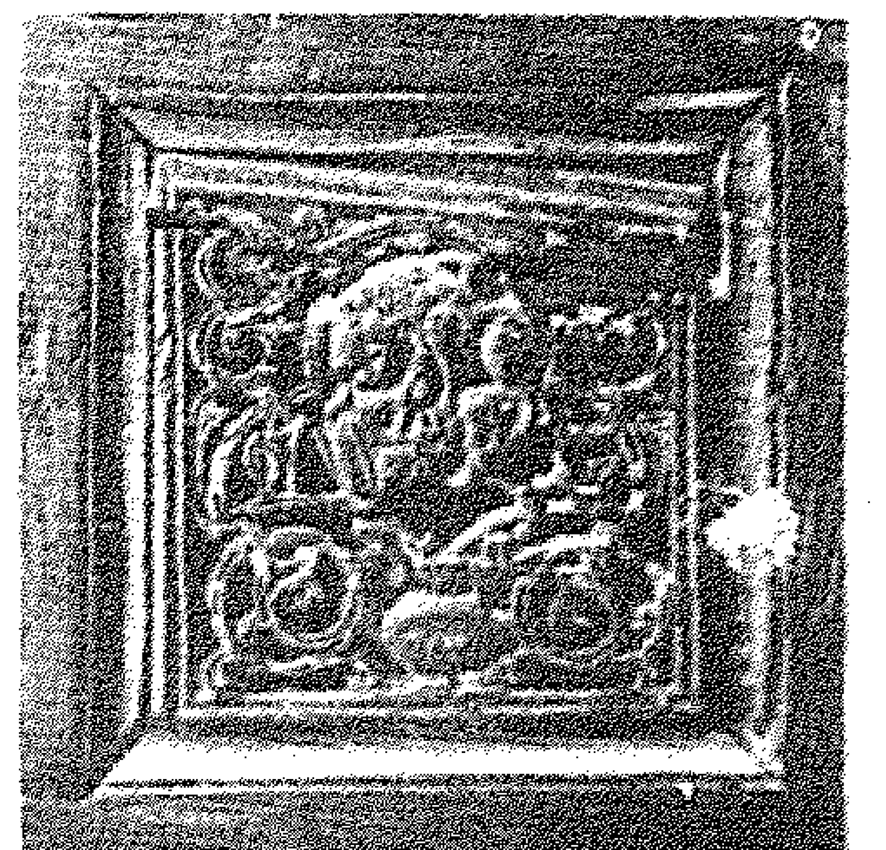


اللوحة (١٤)
المدخل الثانوى (القديم) لكنيسة السيدة العذراء المعروفة بقصرية الريحان



اللوحة (١٥)
كوشة عقد حجاب القديسة بربارة ، المحفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة ، العصر الفاطمى





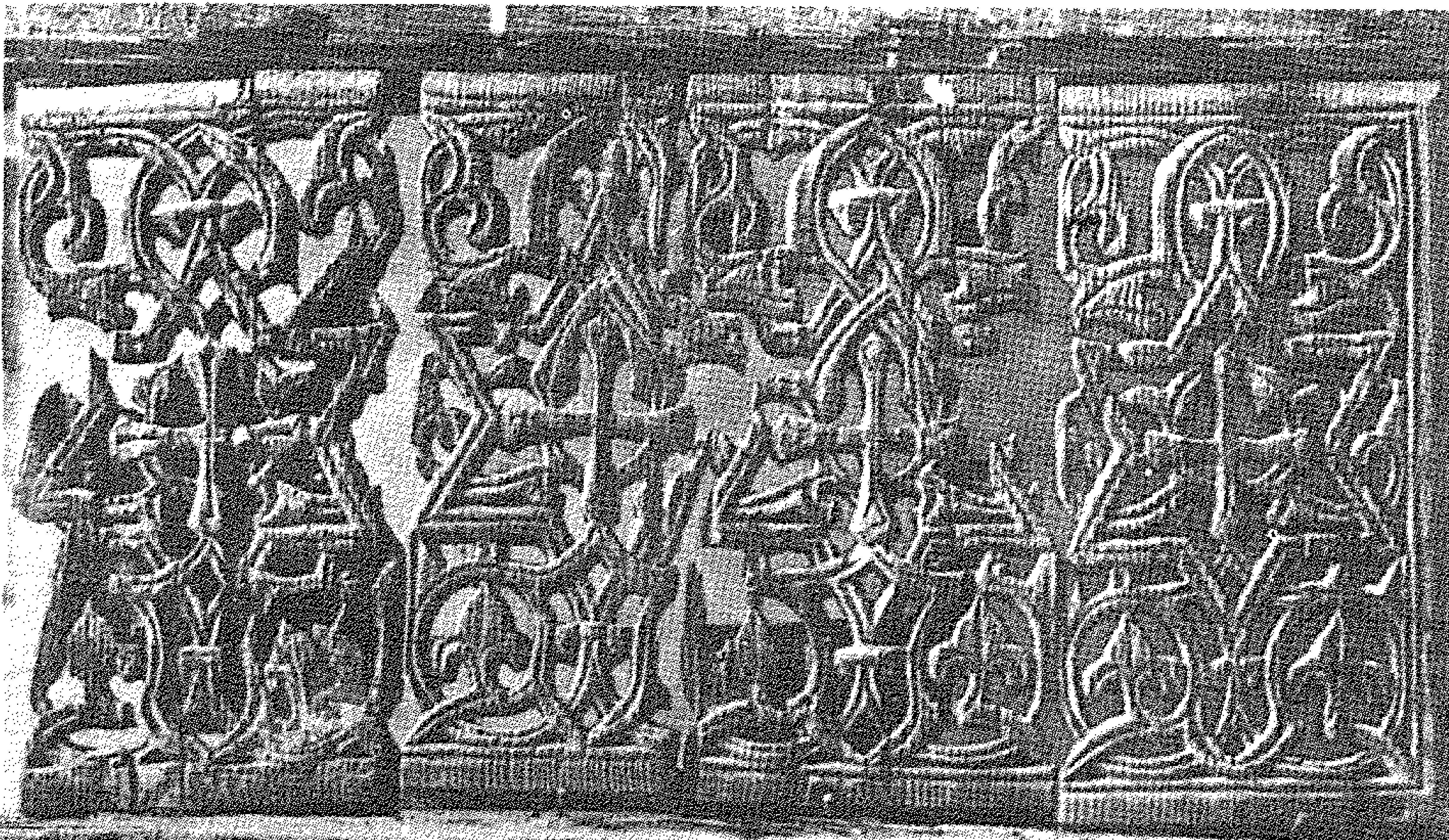


اللوحة (١٦)
حشوات مختلفة من الحجاب السابق ، عليها مناظر طيور وحيوانات



اللوحة (١٧)
جانب من حشوات حجاب يوحنا المعمدان بكنيسة ابى السيفين – العصر الفاطمى

اللوحة (١٨)
اشكال نجمية متداخلة مع أشكال نباتية وهندسية مفرغة عل حشوة من الحجاب السابق



اللوحة (١٩)
ثلاث حشوات لقديسين فرسان وحشوة لملاك من الحجاب السابق





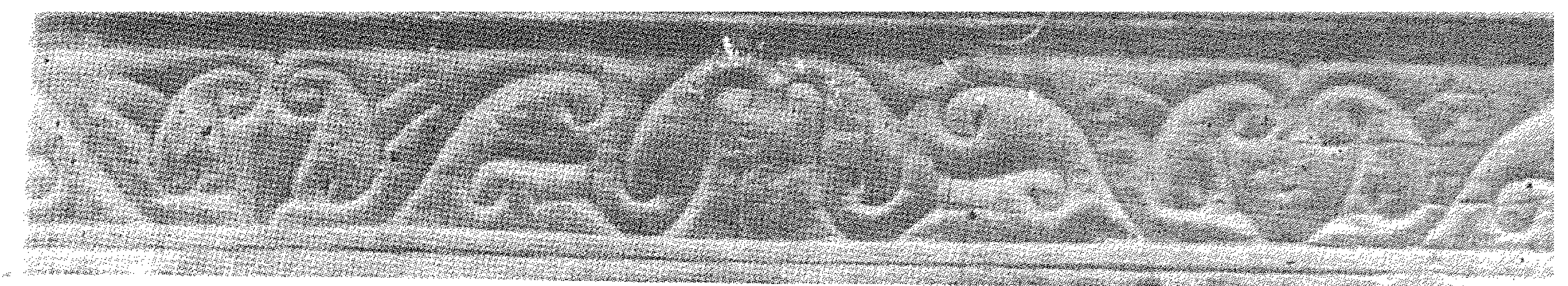




اللوحة (٢٠)
حشوات من حجاب مار يعقوب بكنيسة ابى السيفين لقديسين داخل
عقود – العصر الفاطمى



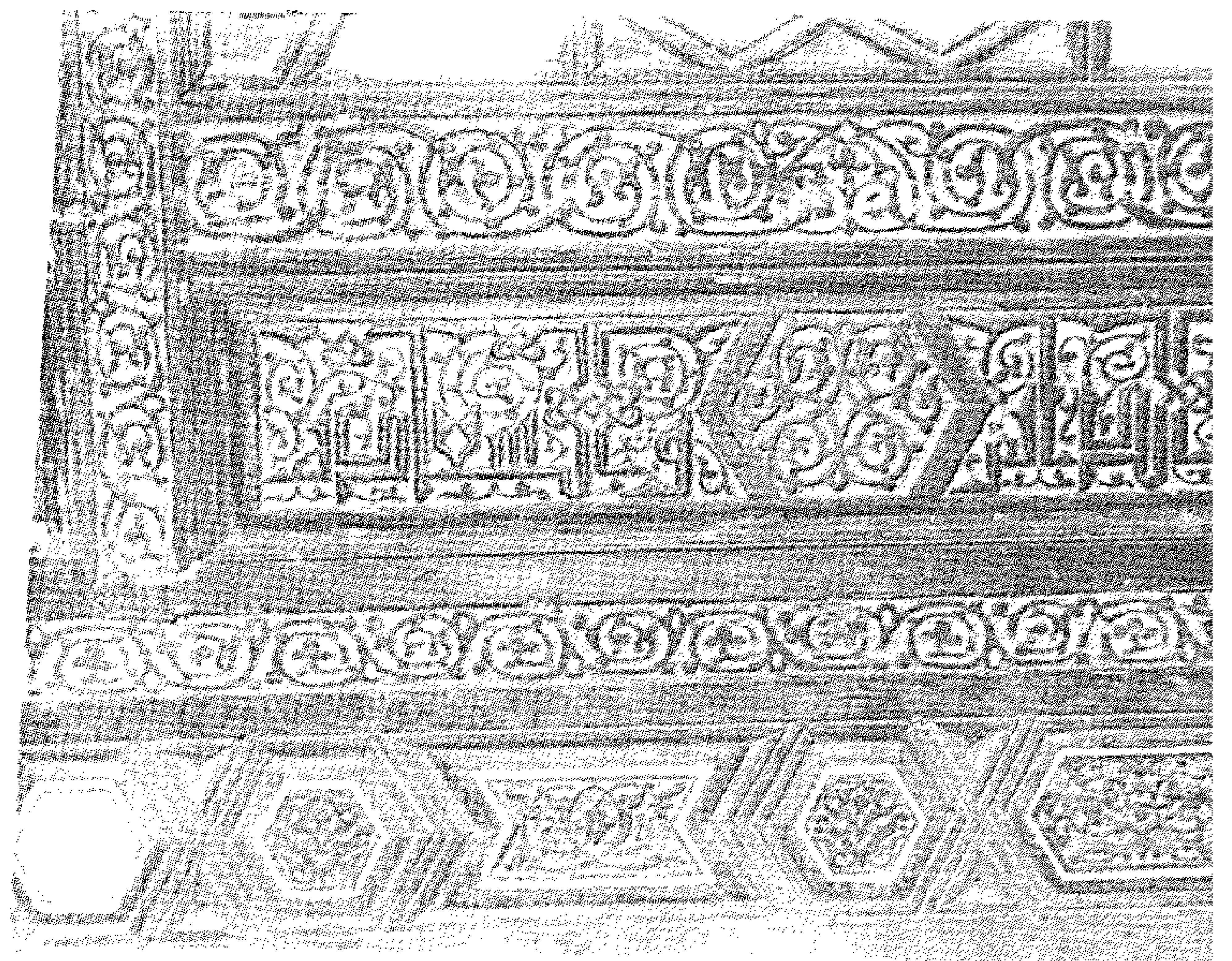




اللوحة (٢١)
حشوة خشبية مثبتة بالدهليز الخارجى بكنيسة المعلقة . القرن ٣ – ٤هـ ، ٩ – ١٠ م



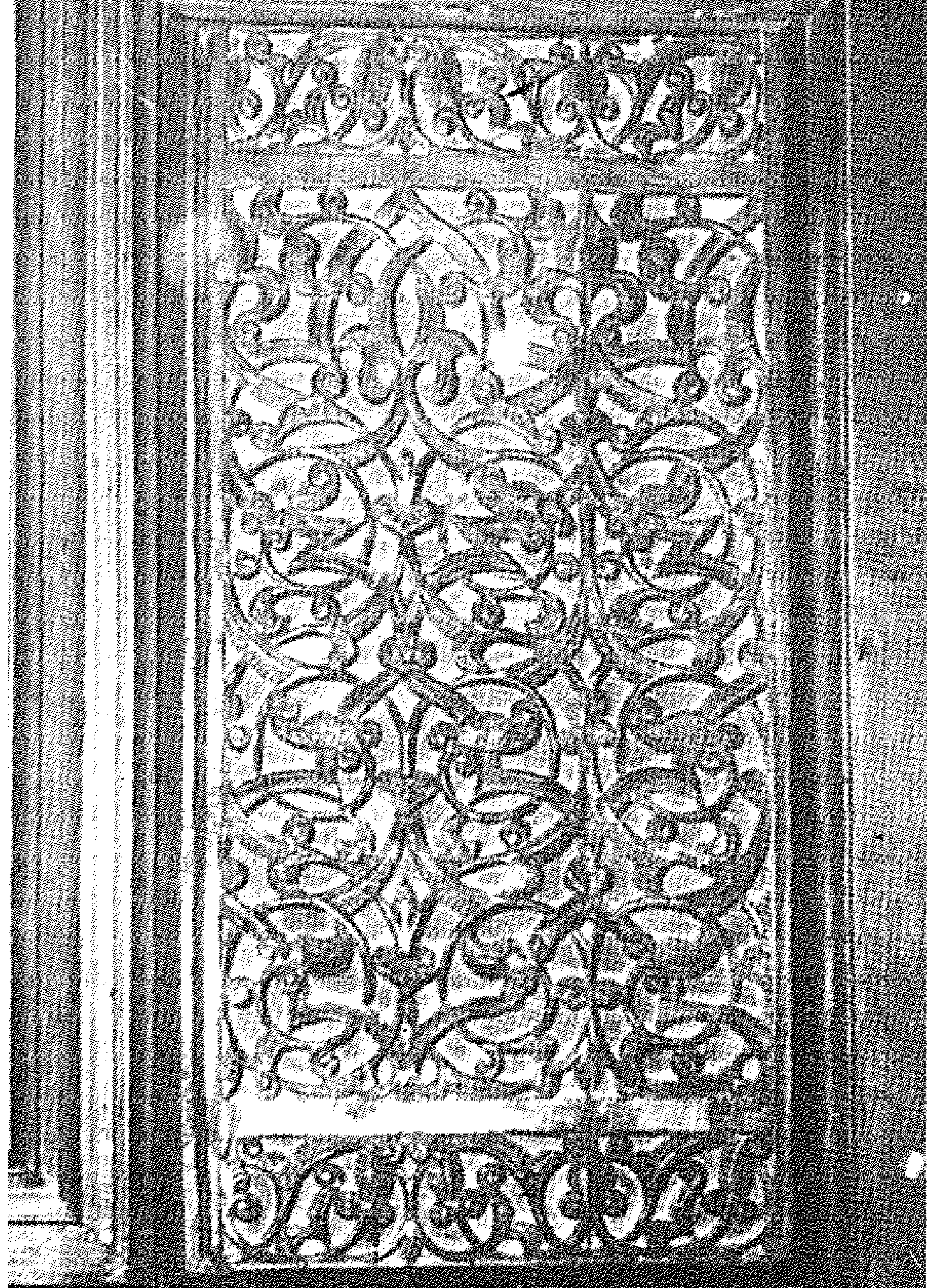
اللوحة (٢٢)
حشوة خشبية مثبتة بالدهليز الخارجى بكنيسة المعلقة . القرن ٣ – ٤هـ ، ٩ – ١٠ م



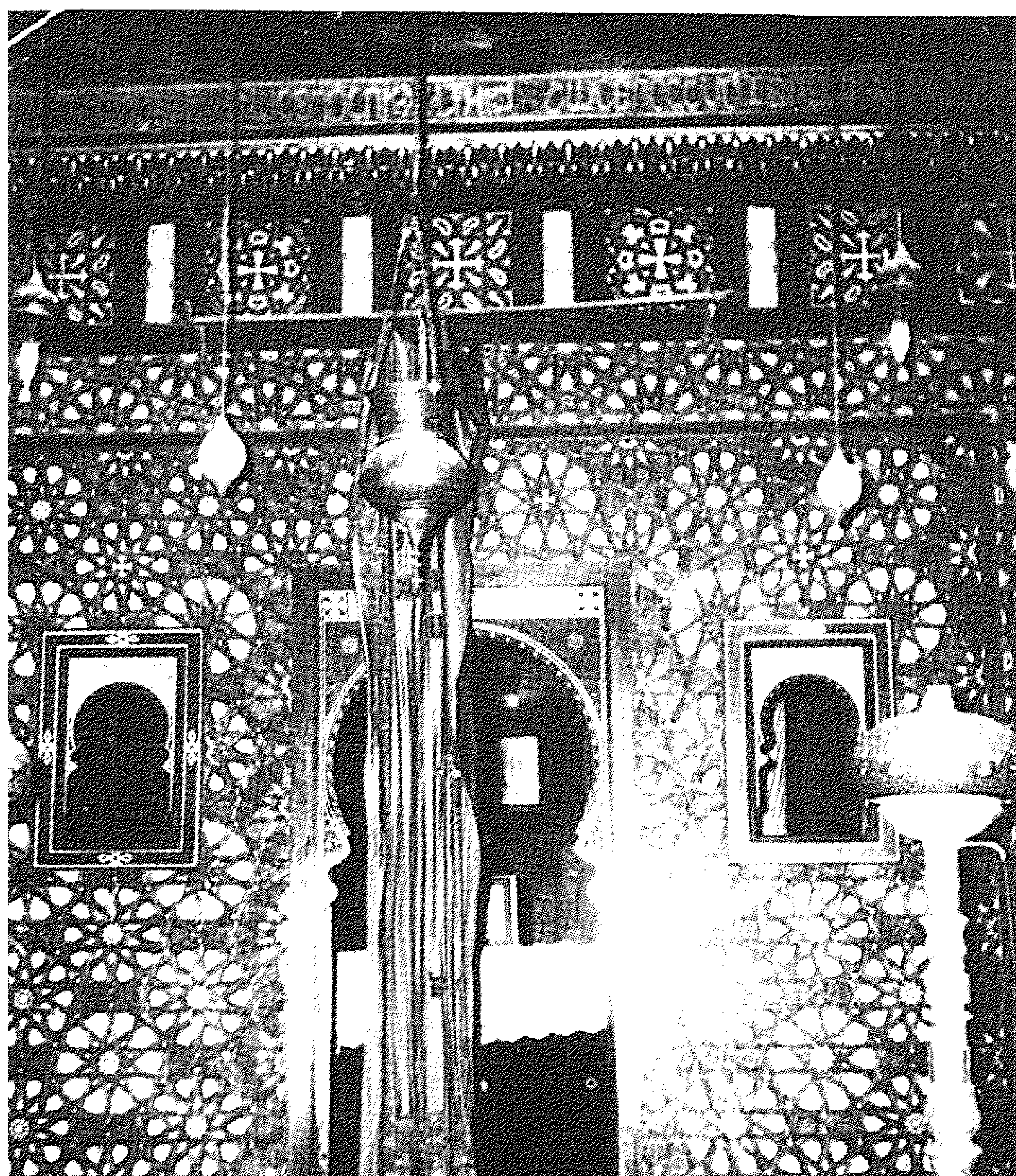
اللوحة (٢٣)
حشوة خشبية ، عليها نص كوفى يقرأ : «العز الدائم والسعادة» بالباب العاجى الشفاف بكنيسة المعلقة – القرن ٦هـ / ٦ م



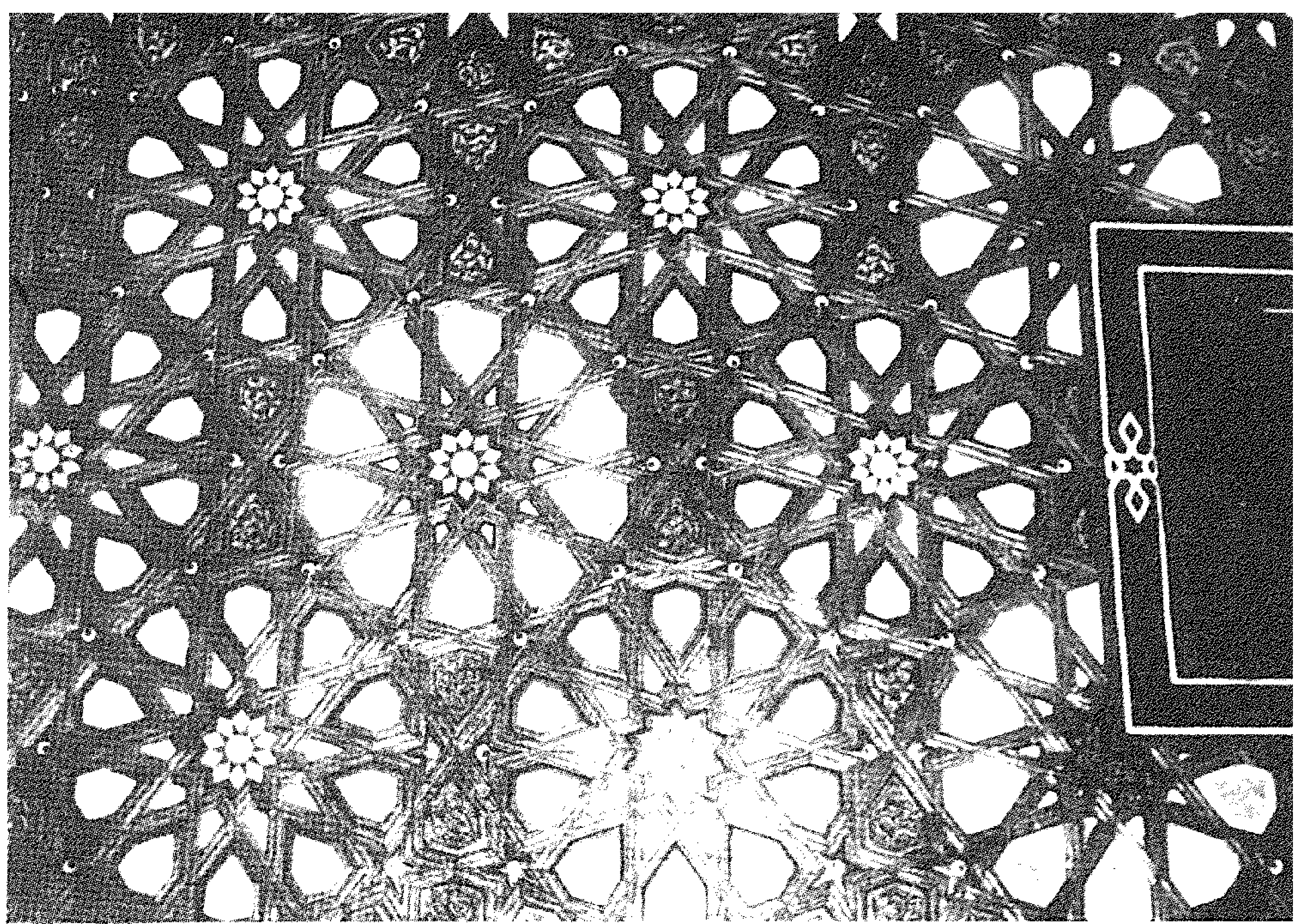
اللوحة (٢٤)
بقية النص السابق «الدائمة لصاحبها»



اللوحة (٢٥)
حشوة خشبية بكنيسة المعلقة ، محفور عليها زخارف نباتية محورة (الأرابيسك) – القرن ١٣ م

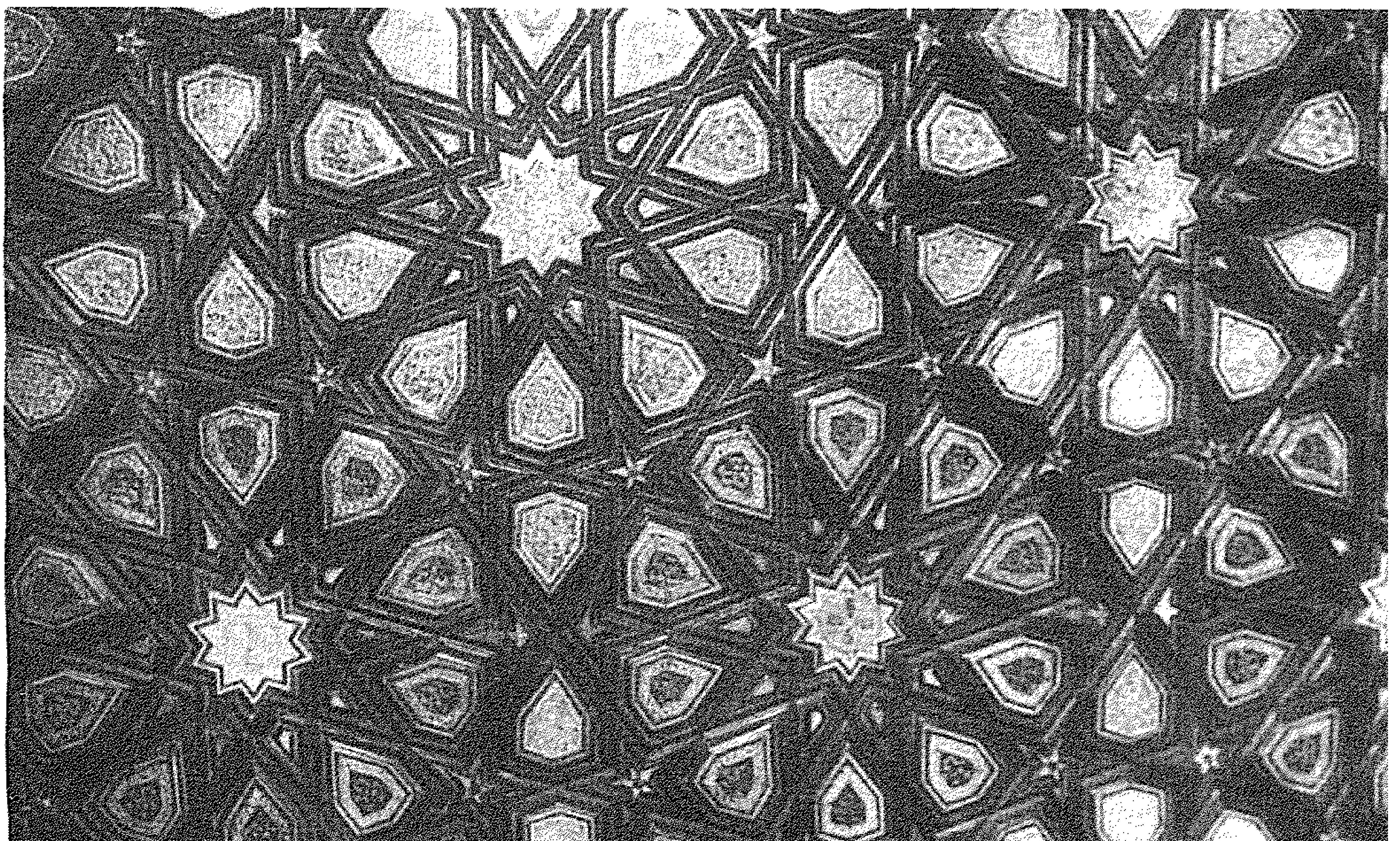


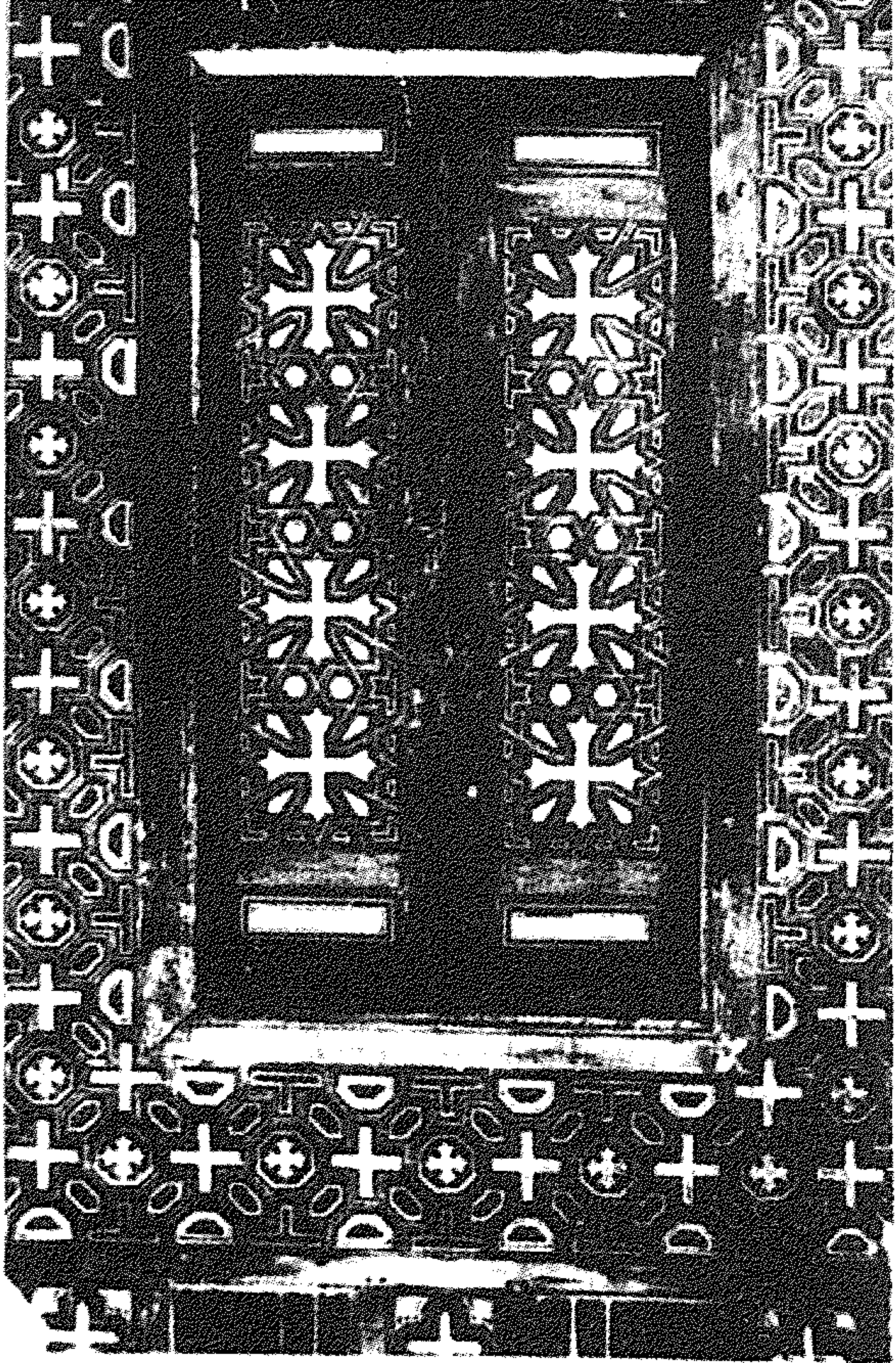
اللوحة (٢٦)
حجاب خشبى بكنيسة المعلقة ، مزخرف بشكل الأطباق النجمية



اللوحة (٢٧)
الأطباق النجمية على الحجاب السابق

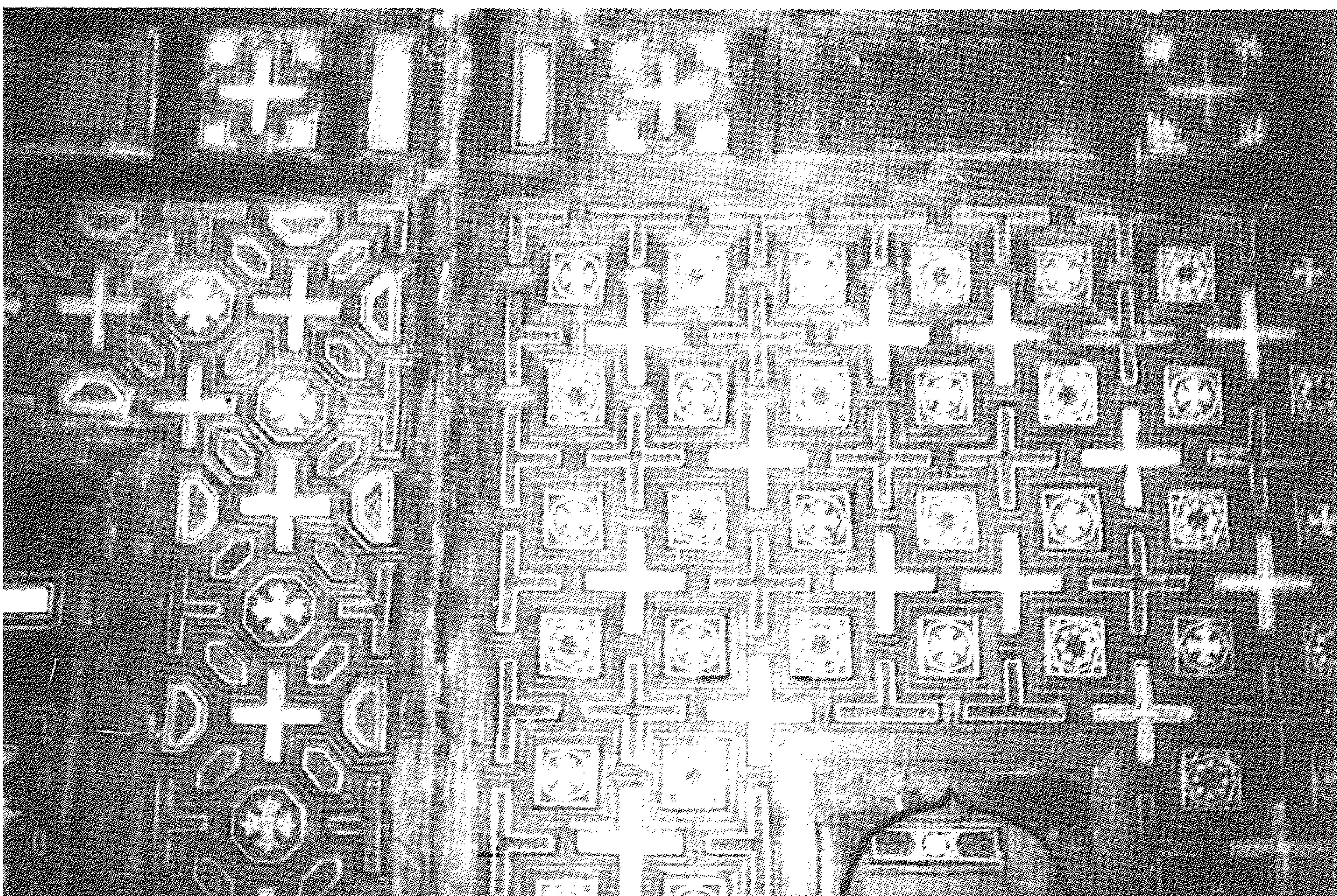
اللوحة (٢٨)
اطباق نجمية من الحجاب الحالى بكنيسة ابى سرجة





اللوحة (٢٩)
حشوات خشبية صلبانية على حجاب بكنيسة المعلقة

اللوحة (٣٠)
حشوات خشبية صلبانية من الحجاب السابق





اللوحة (٣١)
رسم قديس أو أمير بأسلوب الفرسكو على أحد أعمدة كنيسة المعلقة ، العصر الفاطمى



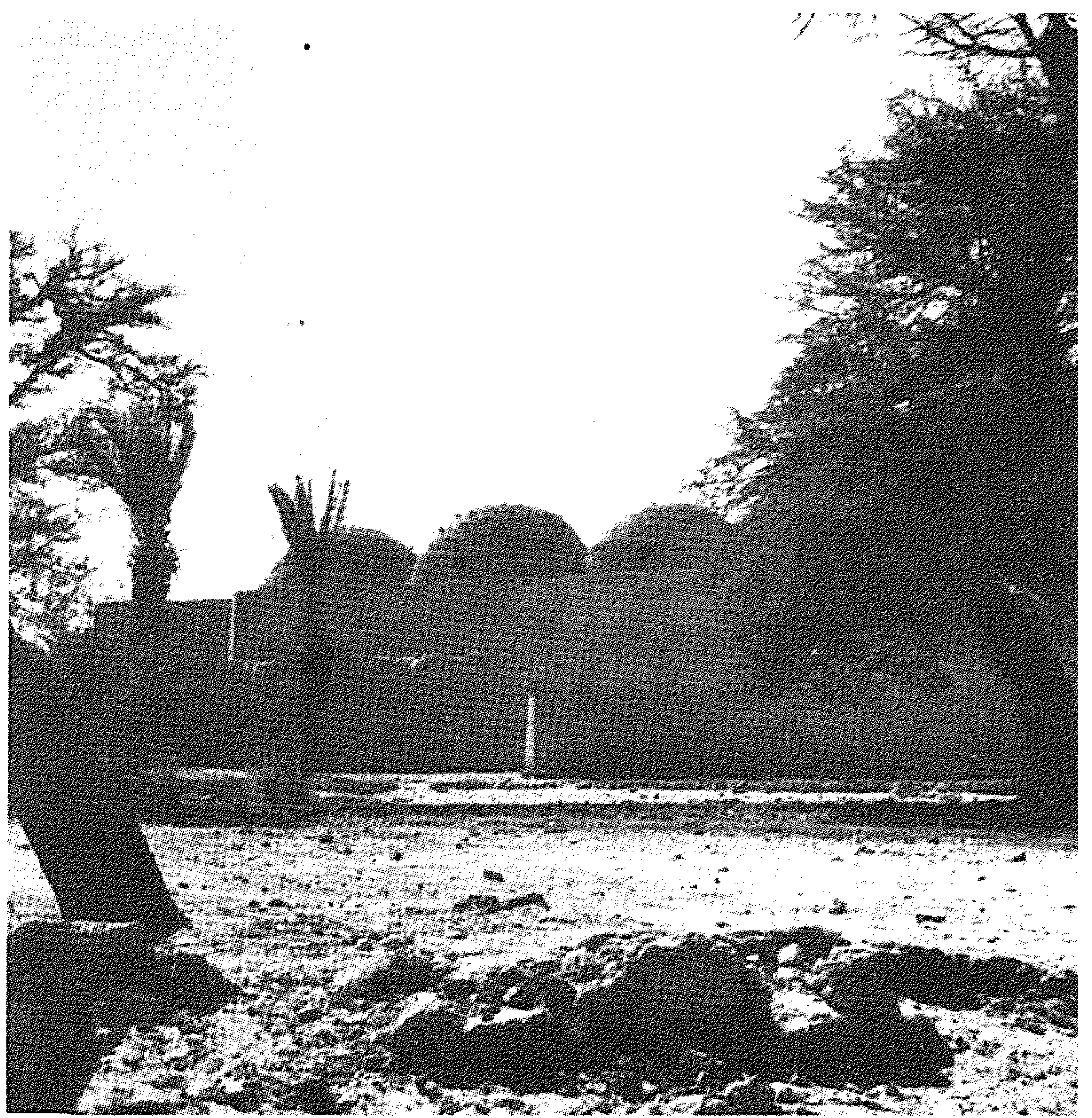
اللوحة (٣٢)
بئر الدير القديم (دير الصليب بنقادة)



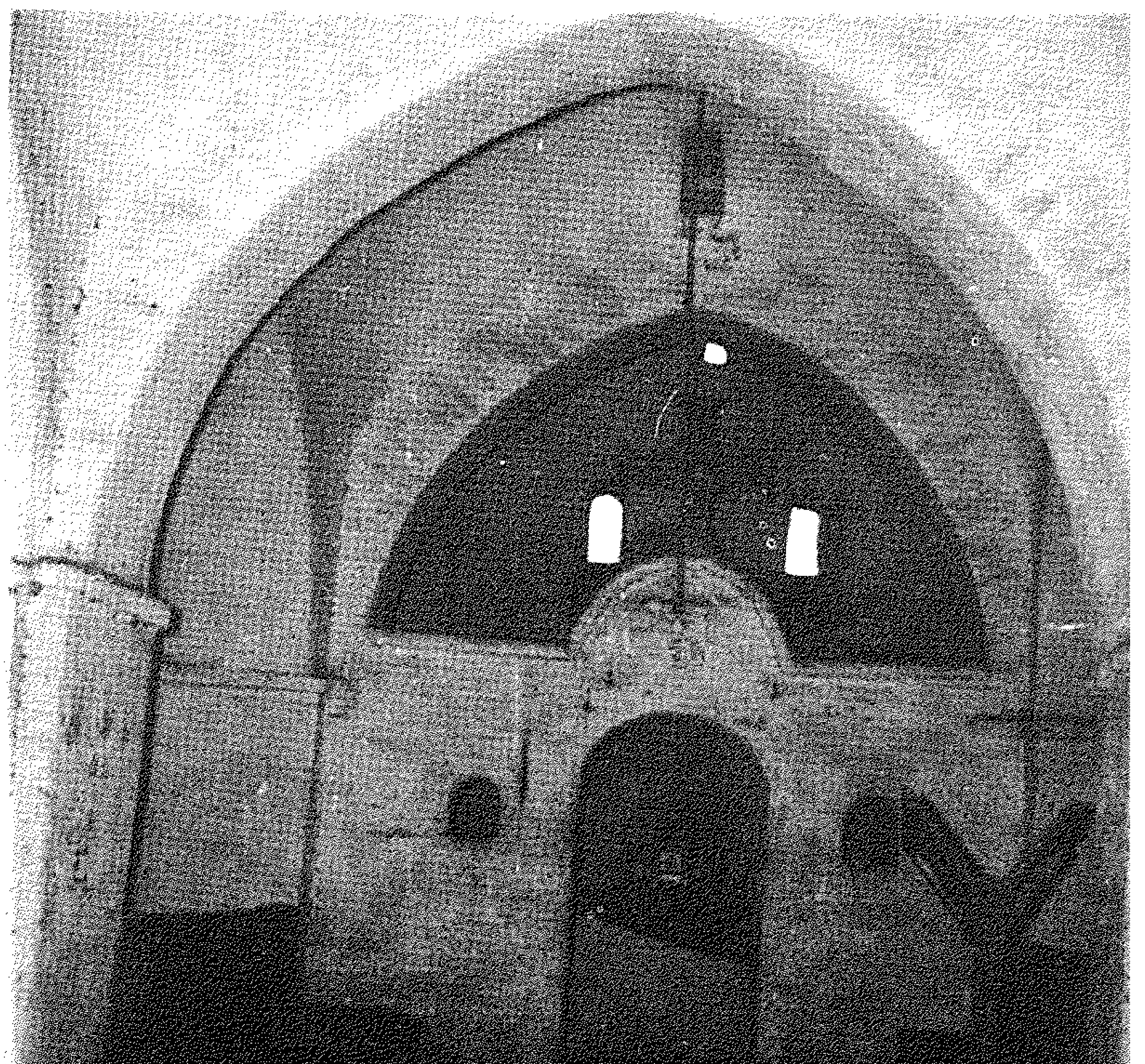
اللوحة (٣٣)
بقايا العقد القديم خارج سور دير القديس اندراس الحالى ، فى الناحية الجنوبية الشرقية



اللوحة (٣٤)
واجهة كنيسة دير القديس اندراس الحالية



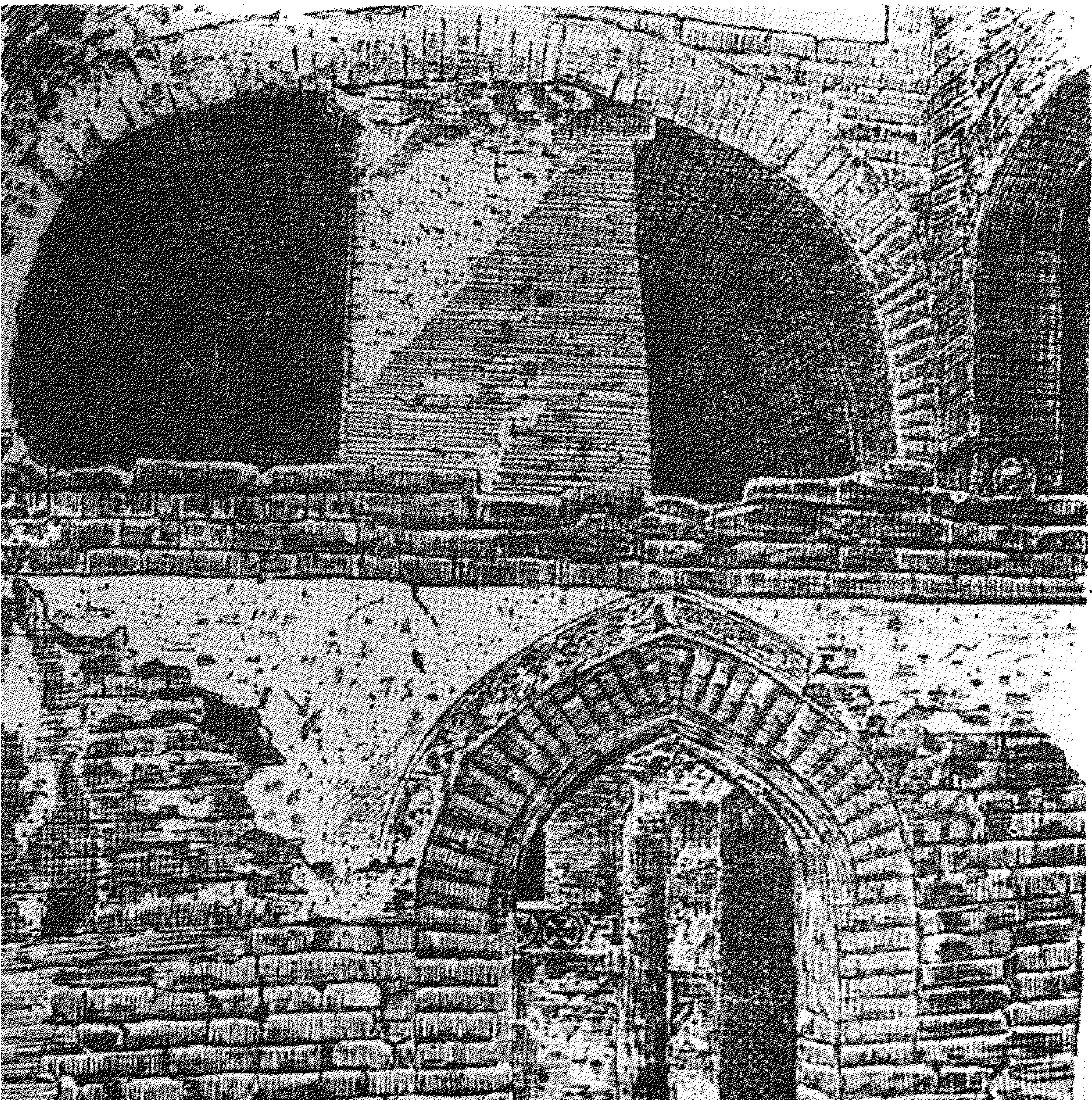
اللوحة (٣٥)
دير القديس بيسنتاؤس بنقادة .



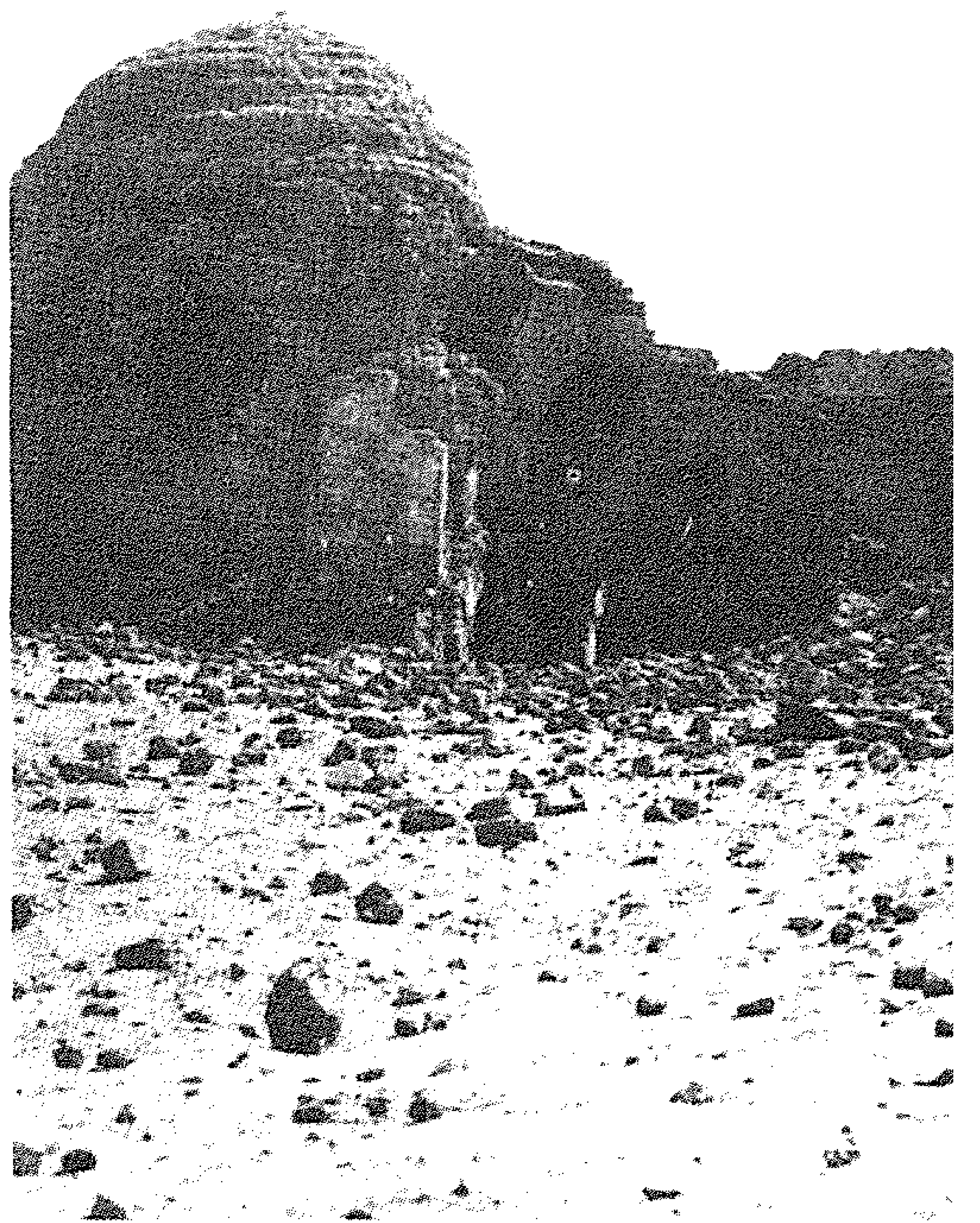
اللوحة (٣٦)
حجاب الهيكل الأوسط بكنيسة دير بيسنتاؤس



اللوحة (٣٧)
خرائب الكنيسة المتهدمة الحالية بدير المجمع

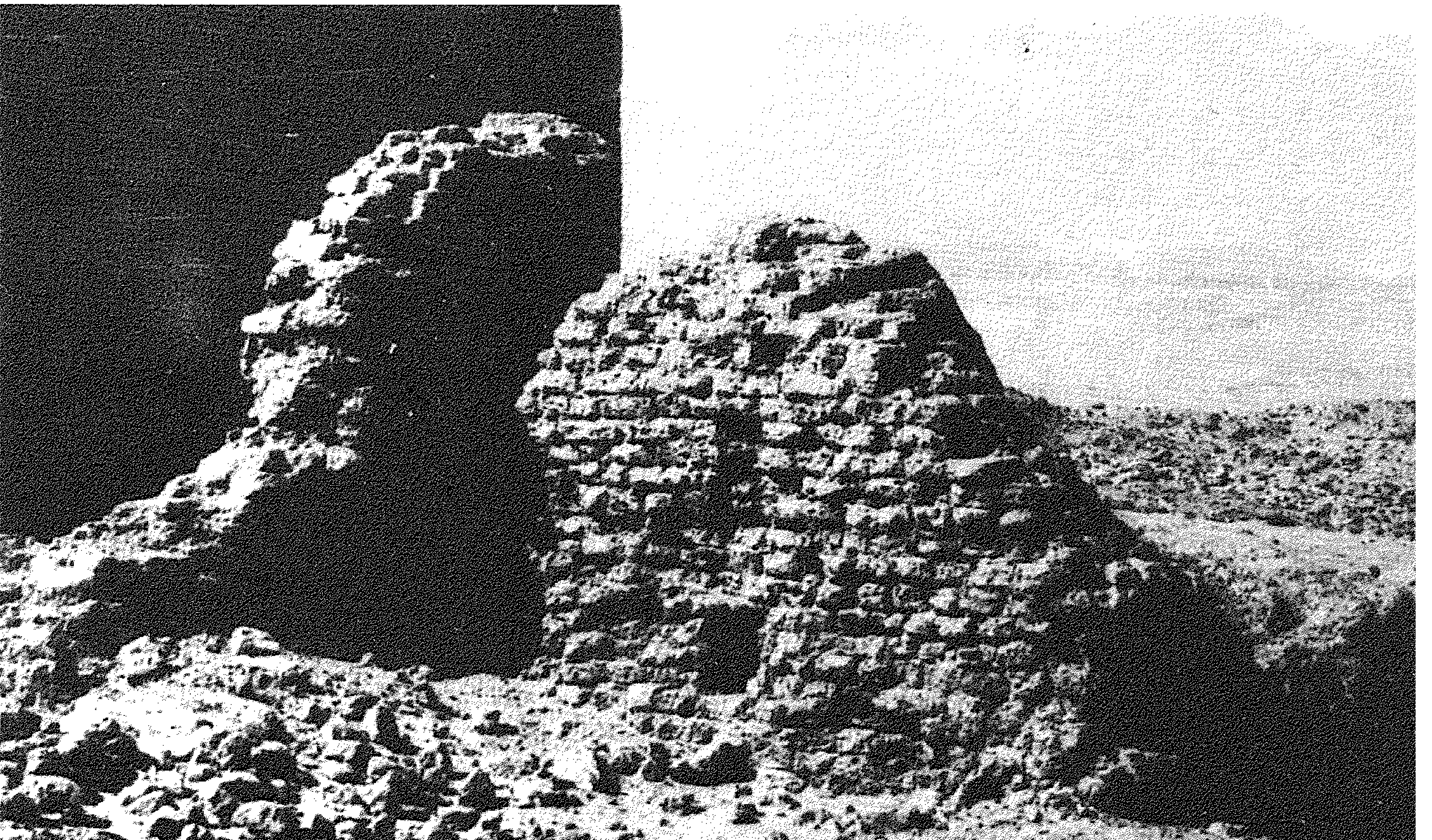


اللوحة (٣٨)
عقود الكنيسة السابقة بدير المجمع



اللوحة (٣٩)
القبة الوحيدة الباقية بكنيسة يوحنا فى دير المجمع

اللوحة (٤٠)
الأبنية المتهدمة خارج الزاوية الشمالية الغربية من سور دير المجمع





اللوحة (٤١)
دير مار بقطر بقامولا



اللوحة (٤٢)
حجاب الهيكل الأوسط بكنيسة مار بقطر

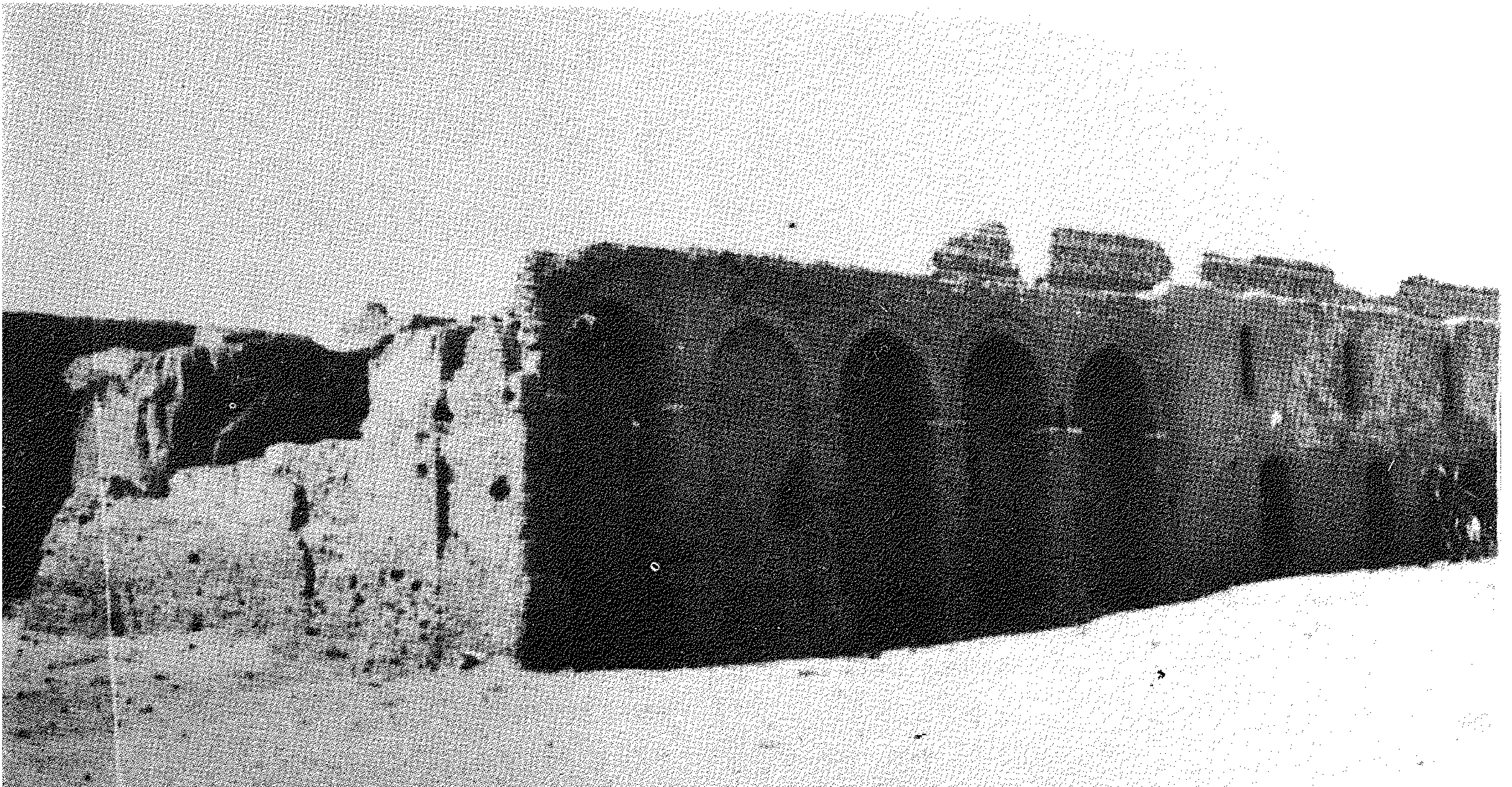
اللوحة (٤٣)
قباب كنيسة دير الملاك ميخائيل بقامولا



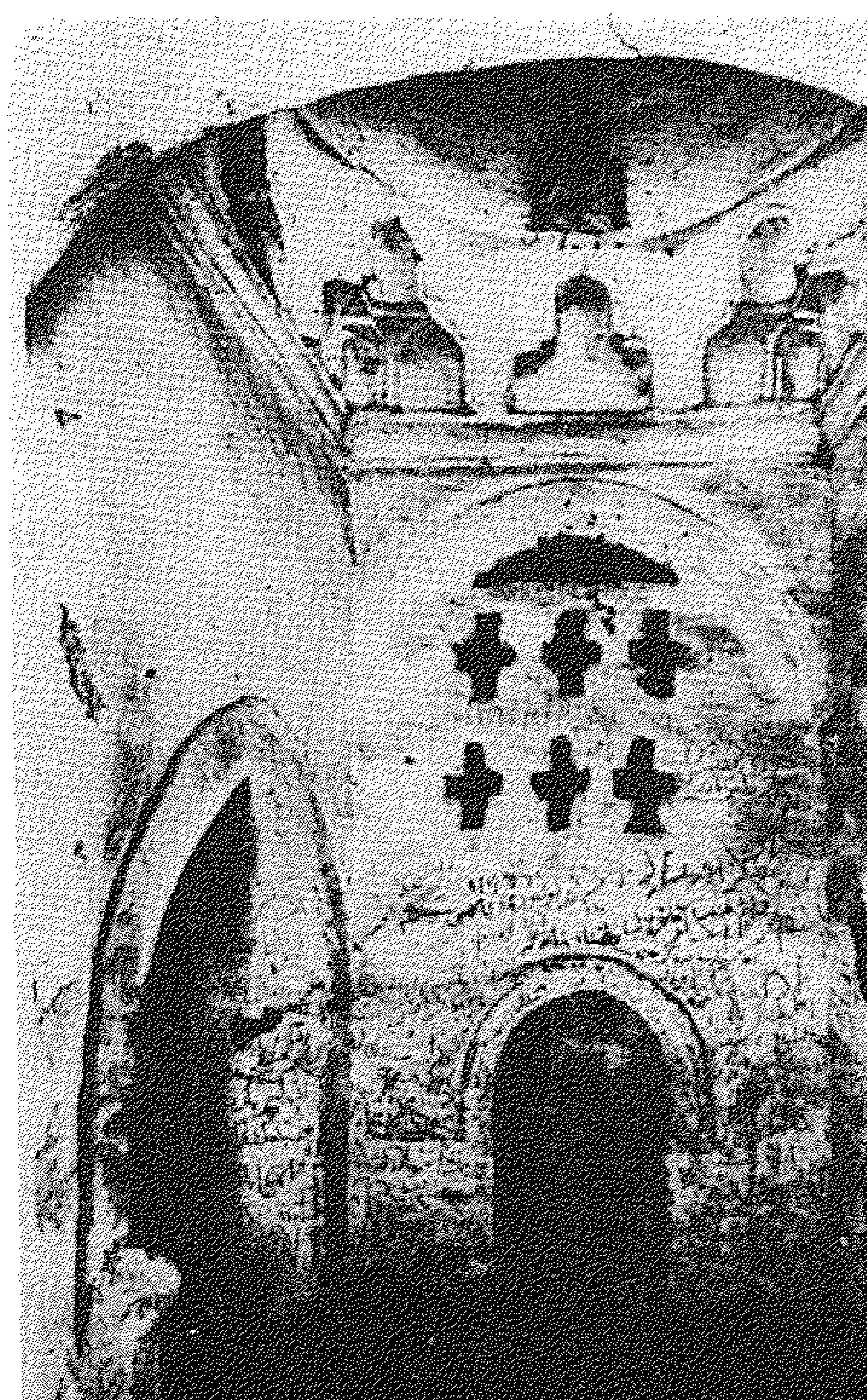
اللوحة (٤٤)
سور دير الملاك ميخائيل الحالى

اللوحة (٤٥)
دير الفاخورى بأصفون . القسم الشمالى من واجهة الدير الحالية بالضلع الشرق

اللوحة (٤٦)
دير الفاخورى : القسم الجنوبى من واجهة الدير الحالية



اللوحة (٤٧)
دير الفاخورى : الممر الرئيسى لمجموعة القلالى القديمة ويتضح بالصورة آثار القبو القديم الذى يغطى هذا الممر



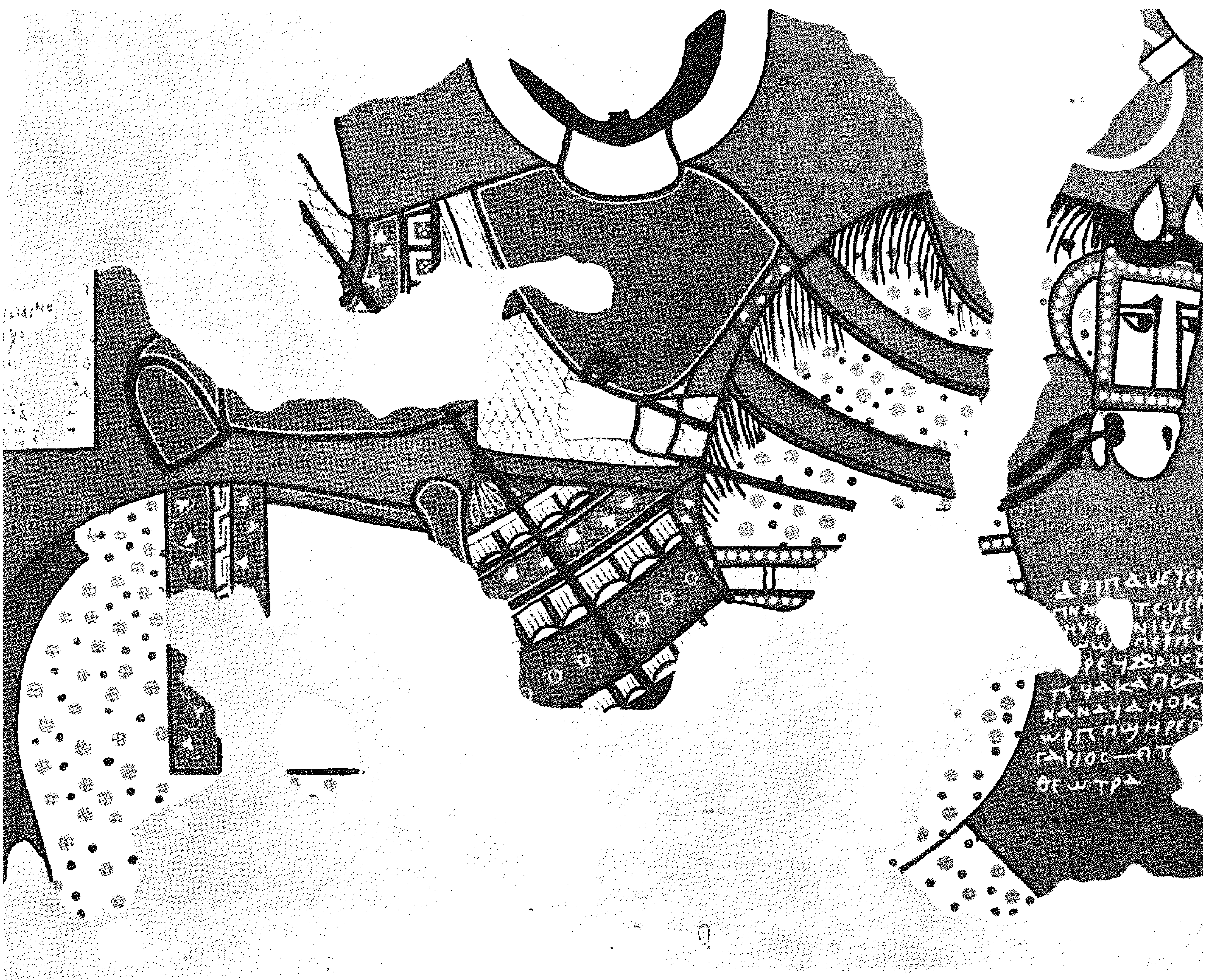
اللوحة (٤٨)
دير الشهداء بإسنا : مناطق انتقال القبة التى تغطى المساحة رقم ٧ بالكنيسة الثانية



اللوحة (٤٩)
منظر المسيح على العرش : كنيسة دير الشهداء
نقلا عن Leroy



اللوحة (٥٠)
دير الشهداء : القديس اقلاديوس
نقلا عن Leroy

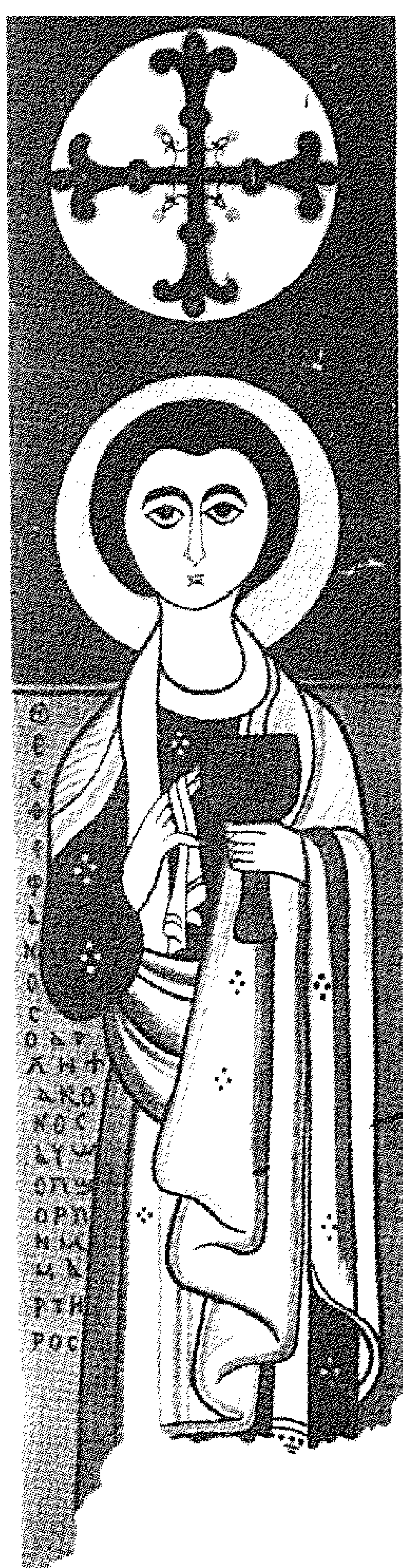


اللوحة (٥١)
دير الشهداء : مار بقطر
نقلا عن Leroy

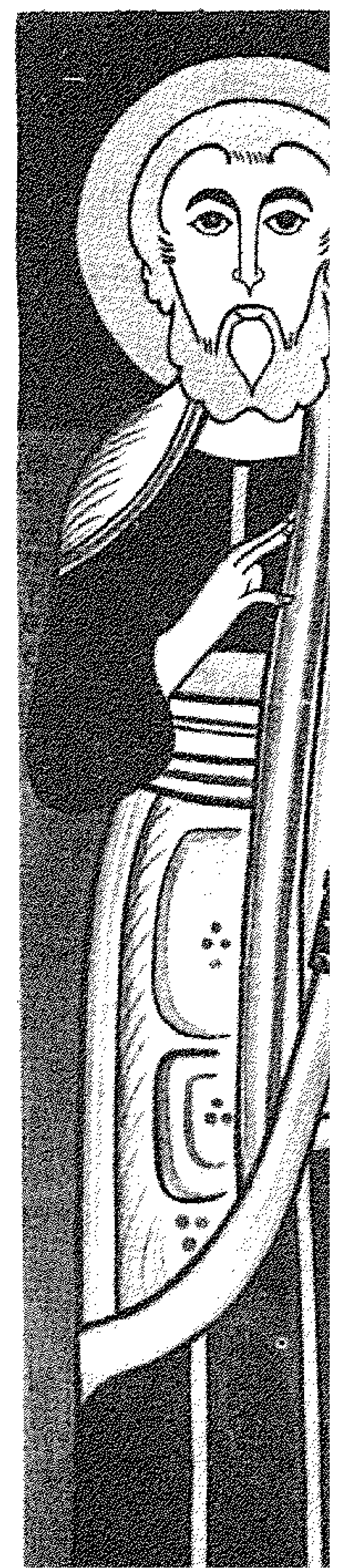
اللوحة (٥٢)
دير الشهداء : القديس تيودور
نقلا عن Leroy





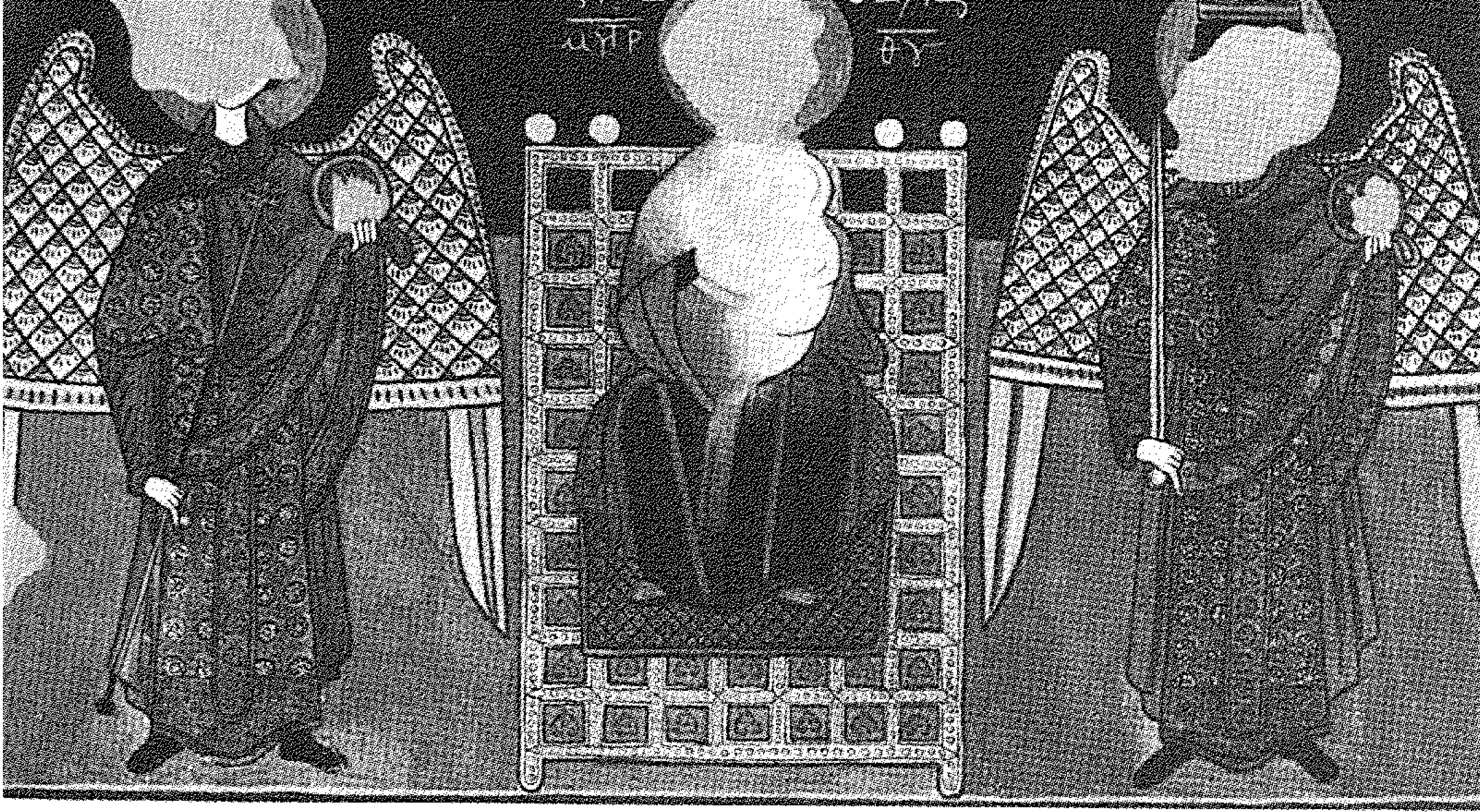


اللوحة (٥٣)
دير الشهداء : قديس شاب
نقلا عن Leroy

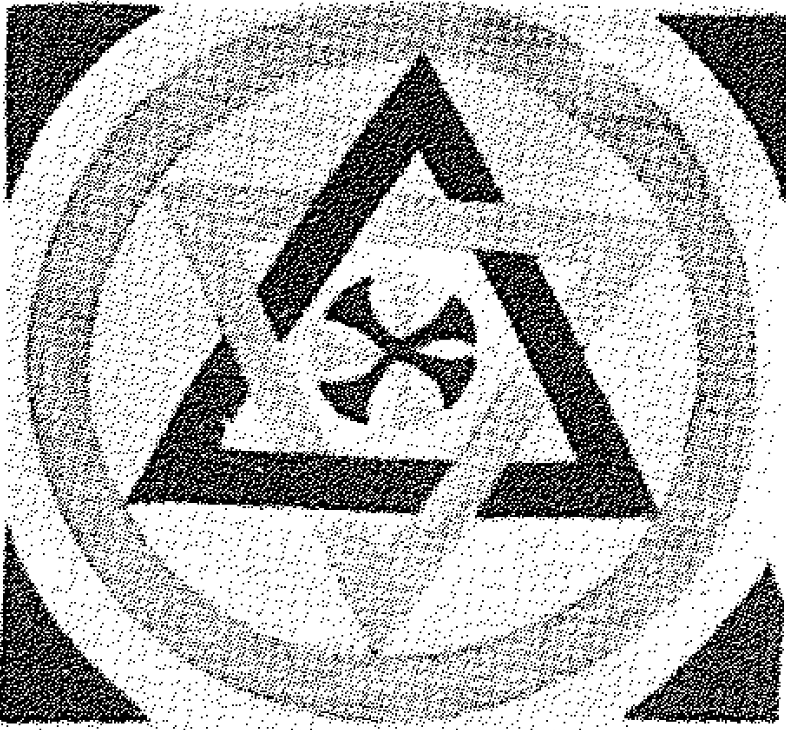
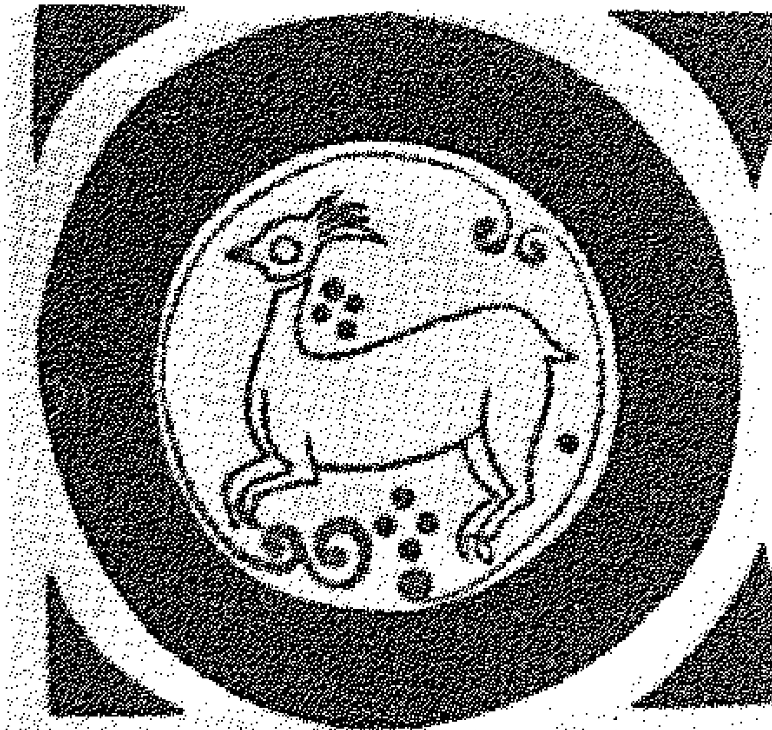
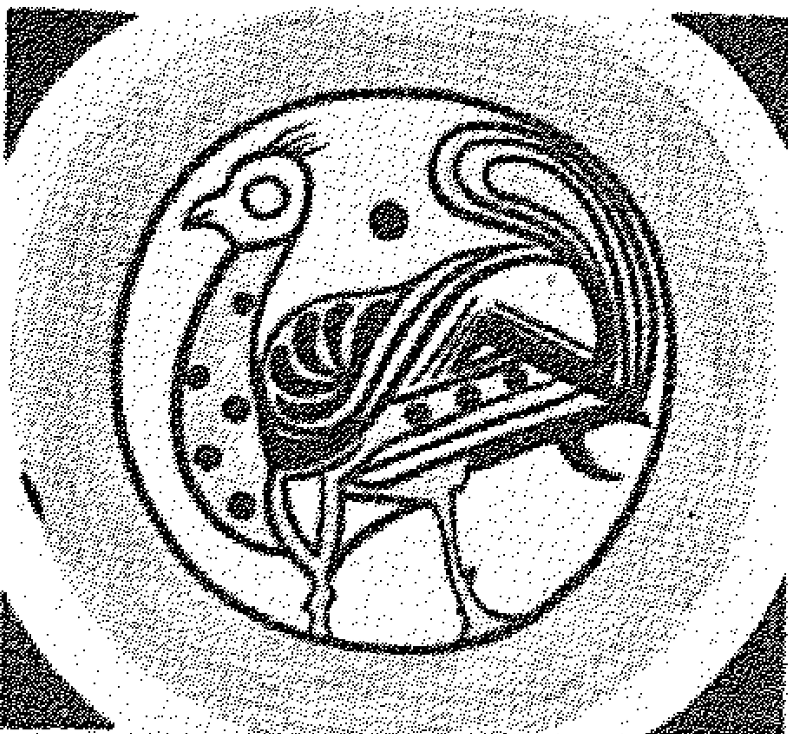


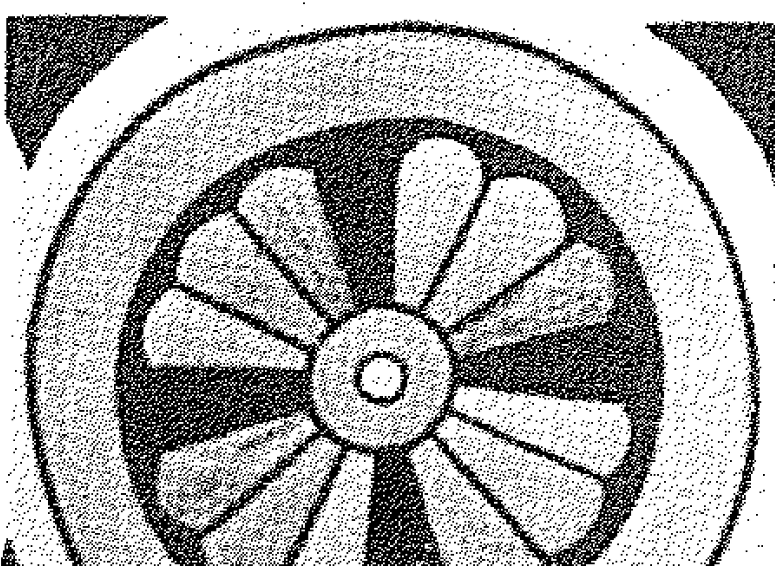


اللوحة (٥٤)
دير الشهداء : قديس فى مرحلة الشيخوخة
نقلا عن Leroy

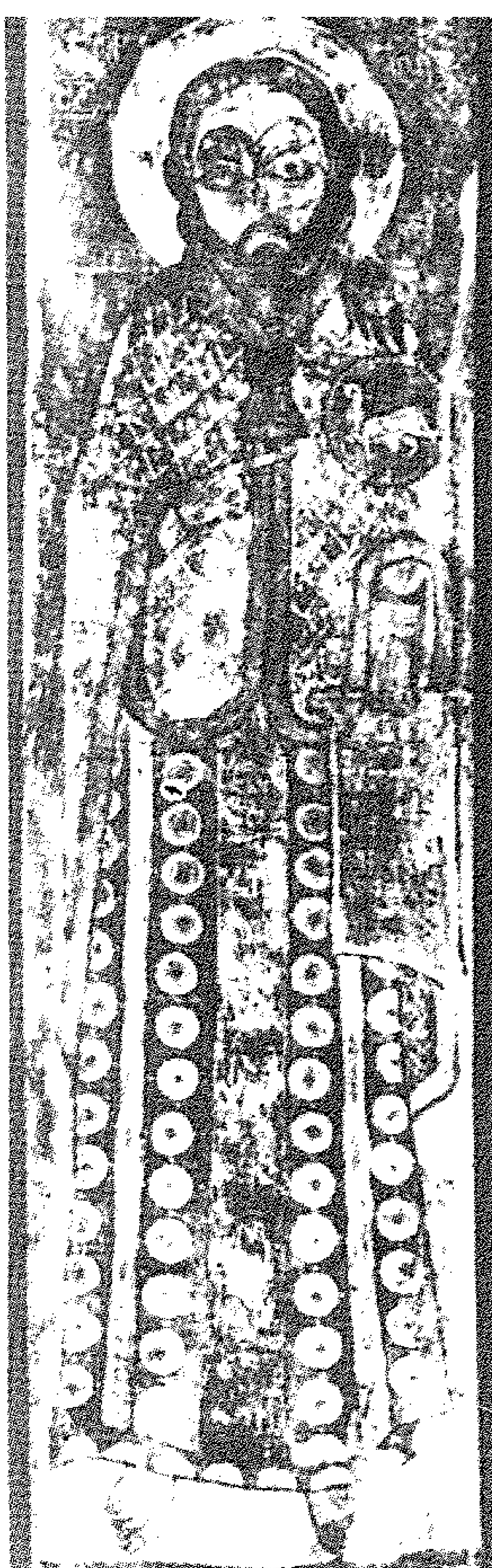


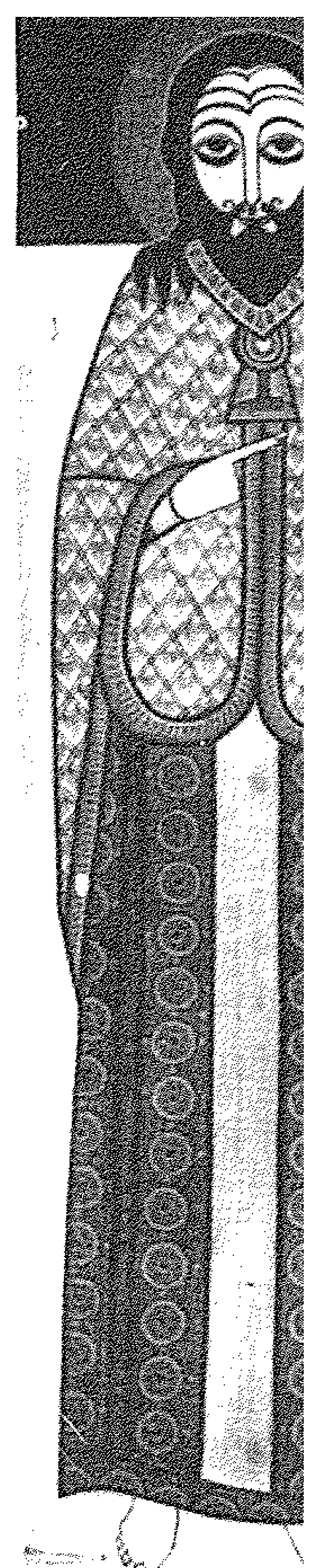
اللوحة (٥٥)
دير الشهداء : العذراء تحمل المسيح الطفل
نقلا عن Leroy

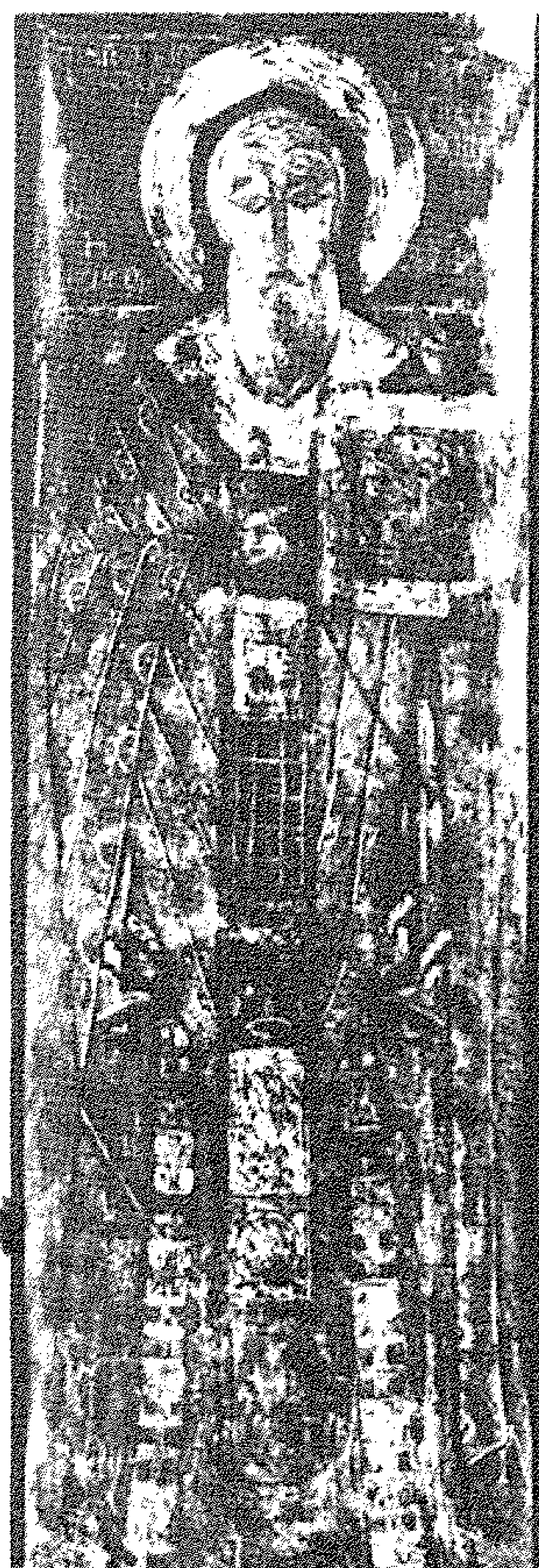



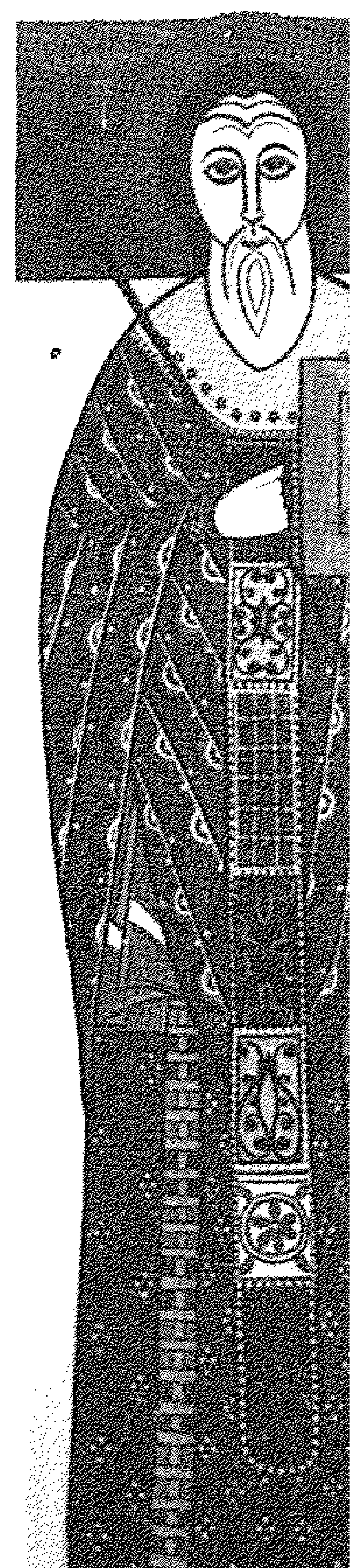
اللوحة (٥٦)
دير الفاخورى : بعض زخارف واجهة العقد الرئيسى
نقلا عن Leroy



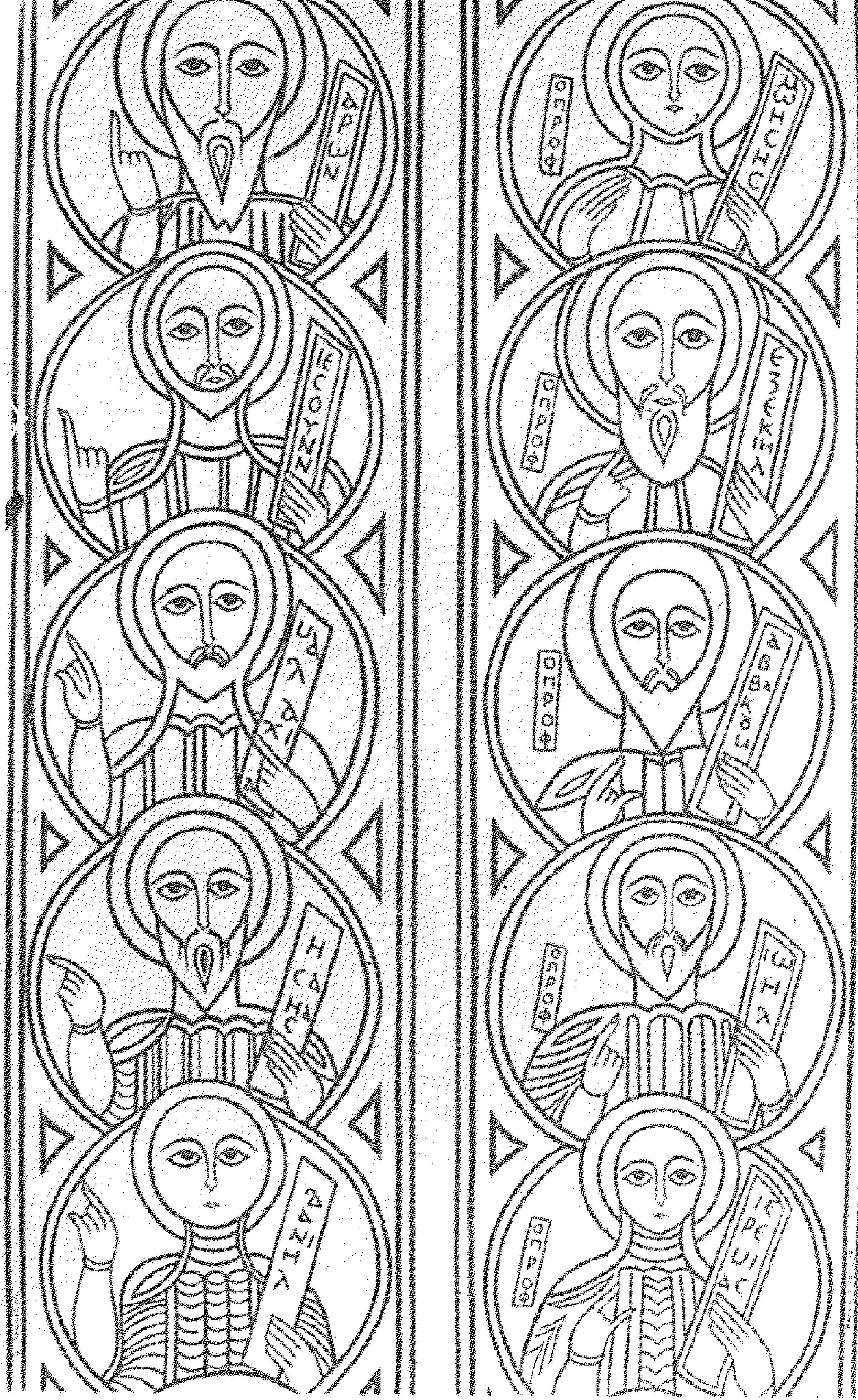


اللوحة (٥٧)
دير الفاخورى : رسم قديس
نقلا عن Leroy



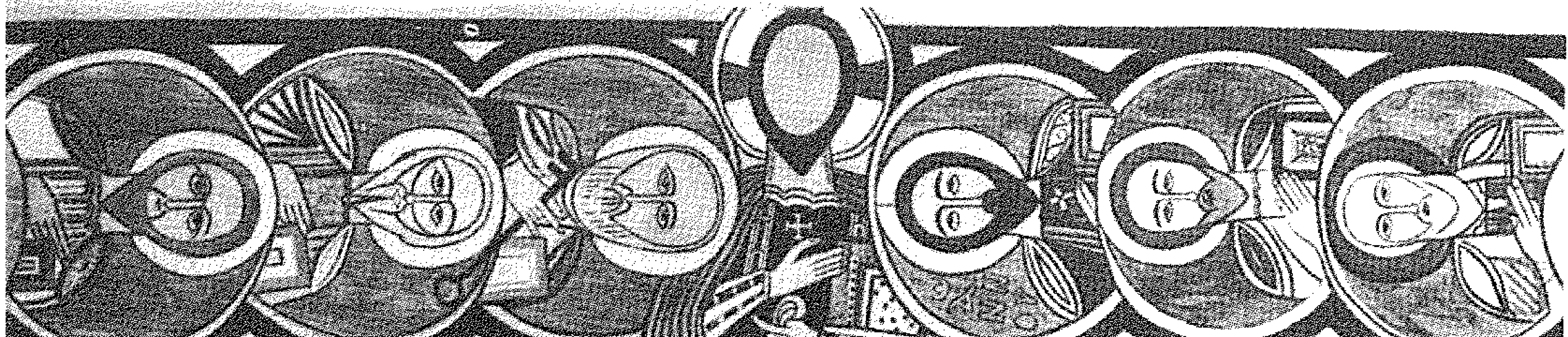


اللوحة (٥٨)
دير الفاخورى : رسم قديس
نقلا عن Leroy



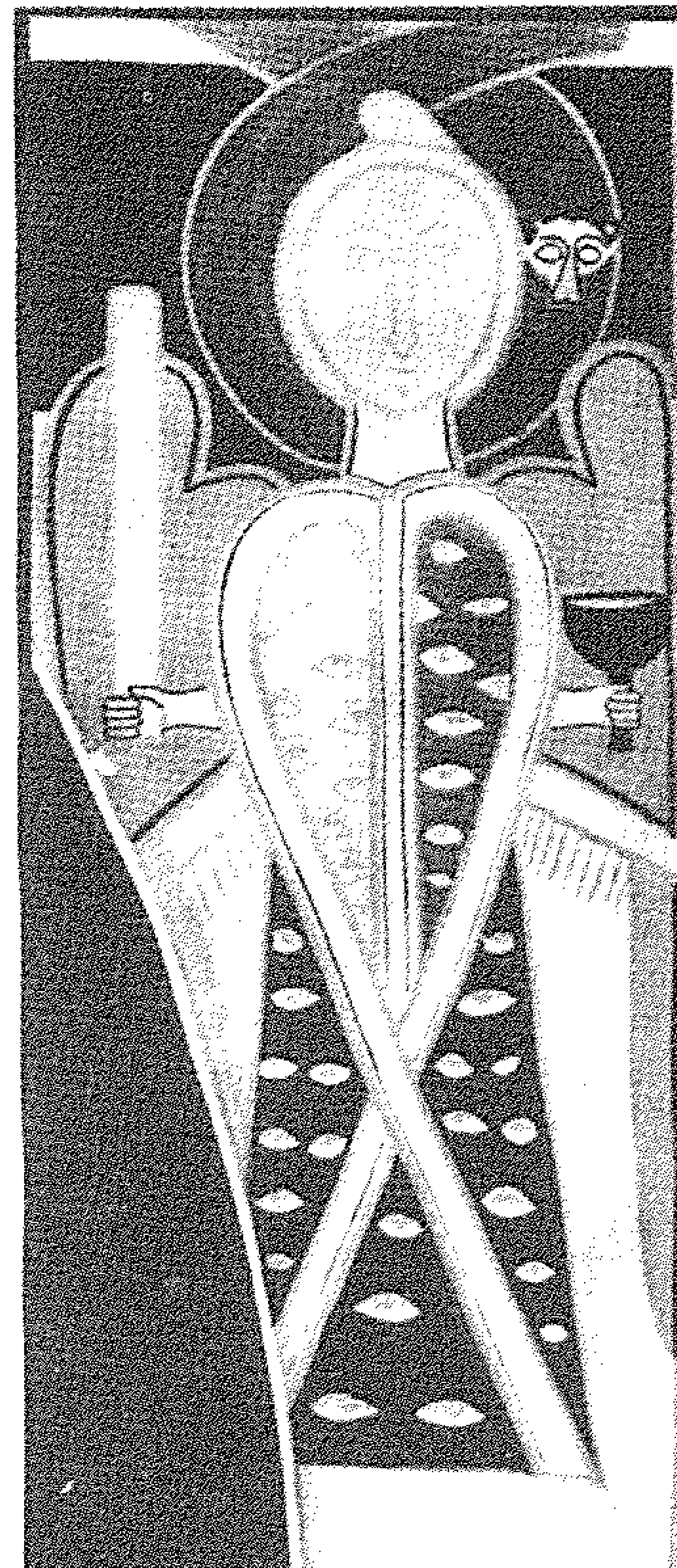
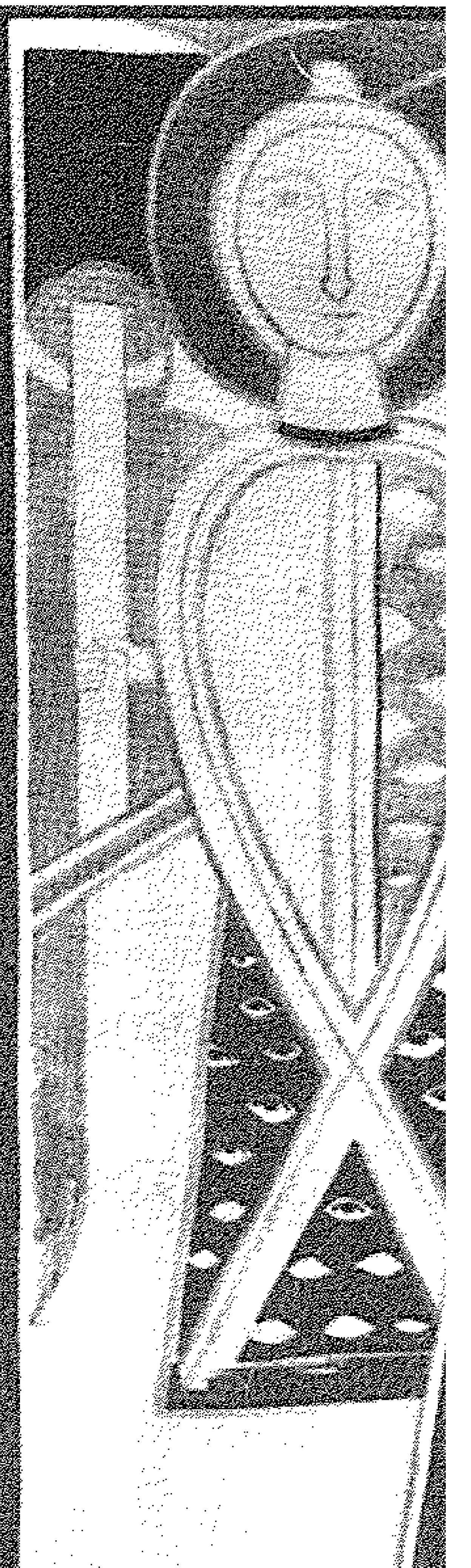
اللوحة (٥٩)
رسم الحواريين على باطن العقد الغربى لقبة كنيسة دير الفاخورى
نقلا عن Leroy

اللوحة (٦٠)
رسوم الحواريين على باطن العقد الشمالى لقبة كنيسة دير الفاخورى
نقلا عن Leroy






اللوحة (٦١)
رسم قديس على باطن العقد الجنوبي دير الفاخورى ،
نقلا عن Leroy

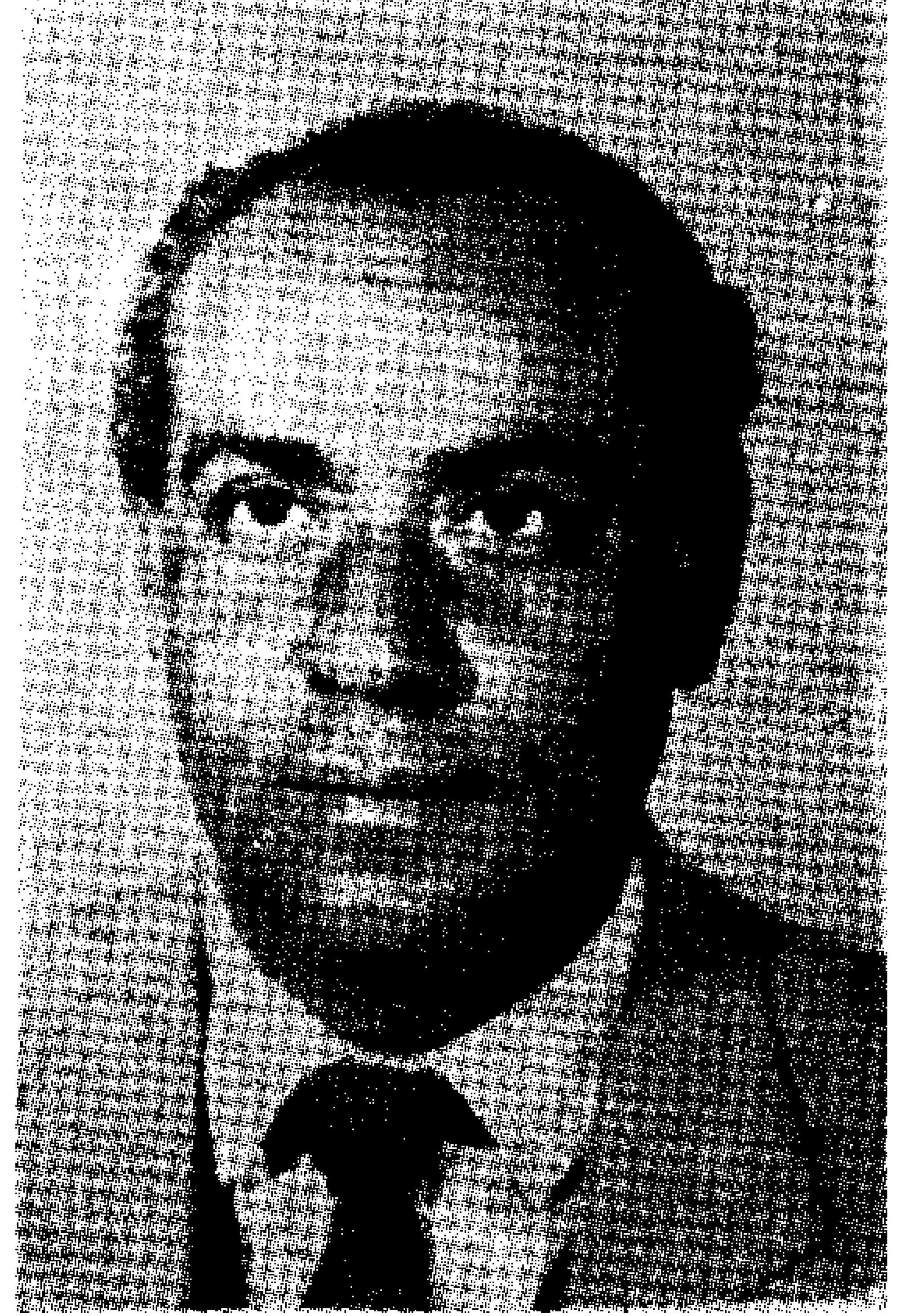



اللوحة (٦٢)
أشكال الشاروبيم على الدعامة الشمالية الشرقية بقبة كنيسة دير الفاخورى ،
نقلا عن Leroy



اللوحة (٦٣)
منظر لشاروبيم وملاك على الدعامة الشمالية الغربية لقبة كنيسة دير الفاخورى
نقلا عن Leroy

محتويات الكتاب



د. / مصطفى عبد الله شيحة

★ ليسانس آداب قسم الآثار الإسلامية (كلية الآداب – جامعة القاهرة) .
★ ماجستير فى الفنون القبطية والإسلامية (كلية الآداب – جامعة القاهرة) ١٩٧٥ .
★ دكتوراه فى العمارة القبطية والإسلامية (كلية الآثار – جامعة القاهرة) ١٩٧٩ .
★ مفتش للآثار الإسلامية والقبطية بهيئة الآثار المصرية (١٩٦٧ – ١٩٧٥) .
★ مدرس مساعد بكلية الآثار ١٩٧٥ – ١٩٧٩ .
★ مدرس بكلية الآثار ١٩٧٩ – ١٩٨٥ .
★ استاذ مساعد بكلية الآثار من ١٩٨٥ .
– قام بإجراء حفائر عديدة فى مدن الفسطاط والفيوم وأشمون (١٩٦٨ – ١٩٧٦) .
– شارك فى العمل مع بعض البعثات الأجنبية بهيئة الآثار المصرية .
– شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية فى مجال الآثار الاسلامية فى مصر والسودان واليمن وأسبانيا .
– عضو اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية والقبطية بهيئة الآثار المصرية .
– قام بالتدريس فى كلية الآداب ، جامعة أم درمان الإسلامية (٨٢ – ١٩٨٣) .
– قام بالتدريس فى قسم الآثار بكلية الآداب جامعة صنعاء (١٩٨٣ – ١٩٨٧) .

– أصدر عدة مؤلفات ويحدث فى مجال العمارة والفنون الإسلامية والقبطية منها

– شواهد القبور الأثرية الإسلامية فى السودان (السودان ١٩٨٢) .

– السيوف اليمنية والسودانية (القاهرة ١٩٨٣) .

– شواهد قبور أثرية بمتحف جامعة صنعاء (القاهرة ١٩٨٤) .

– مسكوكات إسلامية فى متحف صنعاء (اليمن ١٩٨٥) .

– عدة مقالات عن العمارة والفنون اليمنية بمجلة اليمن الجديد .

– مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى اليمن (القاهرة ١٩٨٧) .

– شواهد قبور إسلامية فى جبانة صغيرة باليمن – جزءان (القاهرة ١٩٨٨) .

سلسلة الثقافة الأثرية
مشروع المائة كتاب

صدر منها

١ – **المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية**
تأليف : د. أحمد قدرى
ترجمة : مختار السويفى – محمد العزب موسى
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٢ – **تراثنا القومى بين التحدى والاستجابة**
منجزات ١٩٨٢ – ١٩٨٥
اعدادِ وصياغة
د. أحمد قدرى
عاطف عبد الحميد
آمال صفوت

٣ – **الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة**
تأليف : د. بهاء الدين ابراهيم محمود
مراجعة : د. محمود ماهر

٤ – **الايجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤هـ / ١٠م الى ١٠هـ / ١٦م**
تحقيق ونشر : د. أحمد رمضان أحمد

٥ – **لمحات فى تاريخ العمارة المصرية**
تأليف : د. كمال الدين سامح

٦ – **الديانة المصرية القديمة**
تأليف : ياروسلاف تشرنى
ترجمة : د. أحمد قدرى
مراجعة : د. محمود ماهر

٧ - **تاريخ فن القتال البحرى فى البحر المتوسط «العصر الوسيط» (٣٥هـ / ٦٥٥م - ٩٧٨هـ / ١٥٧١م)**
تأليف : د. أحمد رمضان أحمد

٨ - **فن الرسم عند قدماء المصريين**
تأليف : وليم هـ. بيك
ترجمة : مختار السويفى
مراجعة : د. أحمد قدرى

٩ - **نصوص الشرق الأدنى القديمة**
ترجمة : د. عبد الحميد زايد
مراجعة : محمد جمال الدين مختار

١٠- **الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة**
تأليف : أبى حامد المقدسى الشافعى
تحقيق : د. آمال العمرى

١١- **دراسات فى العمارة والفنون القبطية**
تأليف : د. مصطفى عبد الله شيحة

كتب تحت الطبع

١ – إيمحتب

تأليف : هارى

ترجمة : محمد العزب موسى

مراجعة : د. محمود ماهر

٢ – المراسم منذ أقدم العصور حتى اليوم

تأليف : د. ناصر الأنصارى

٣ – المسلات المصرية

تأليف : لبيب حبشى

ترجمة : د. أحمد عبد الحميد يوسف

مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٤ – الفن المصرى القديم

تأليف : سيريل ألدريد

ترجمة : د. أحمد زهير

مراجعة : د. محمود ماهر

٥ – العمارة المصرية القديمة (جزء أول)

تأليف : د. اسكندر بدوى

ترجمة : د. محمود عبد الرازق – صلاح رمضان

مراجعة : د. أحمد قدرى ، د. محمود ماهر

٦ – دراسات فى اللغة المصرية القديمة

تأليف : أحمد باشا كمال

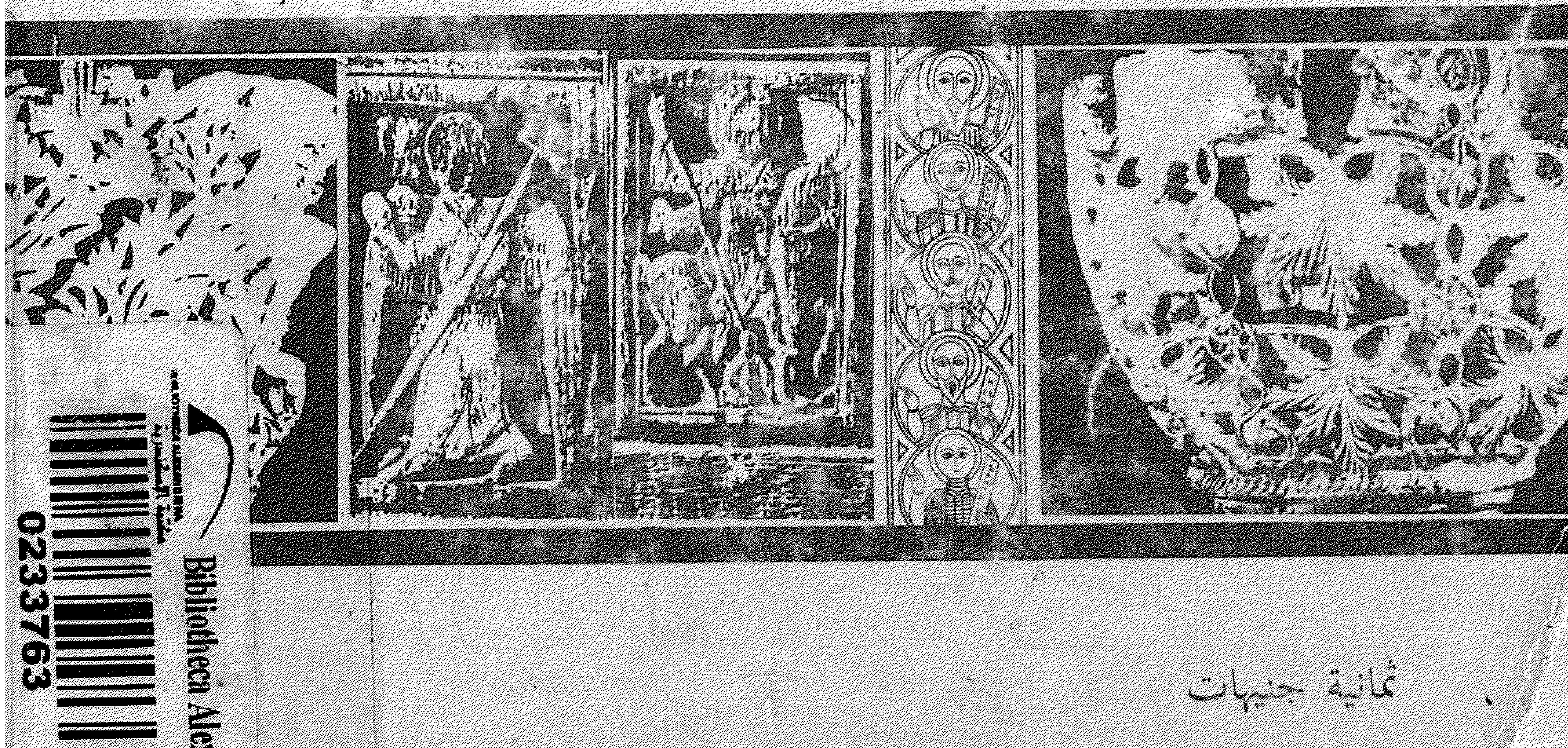
٧ – نهب آثار النيل

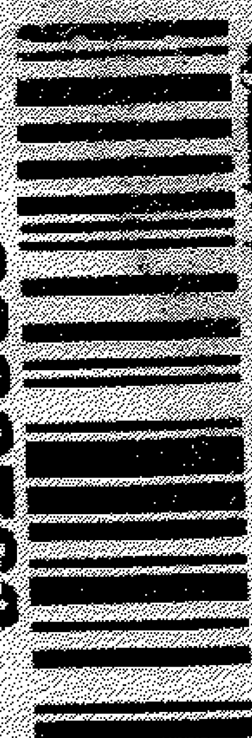
تأليف : بريان فاجان

ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب – محمد غطاس

مراجعة : د. أحمد قدرى

رقم الإيداع
١٩٨٨/ ٣٨٥٧
٩٧٧ – ١٥٨٥ – ١٦ – ٩
مطبعة هيئة الآثار المصرية





ثمانية جنيهات